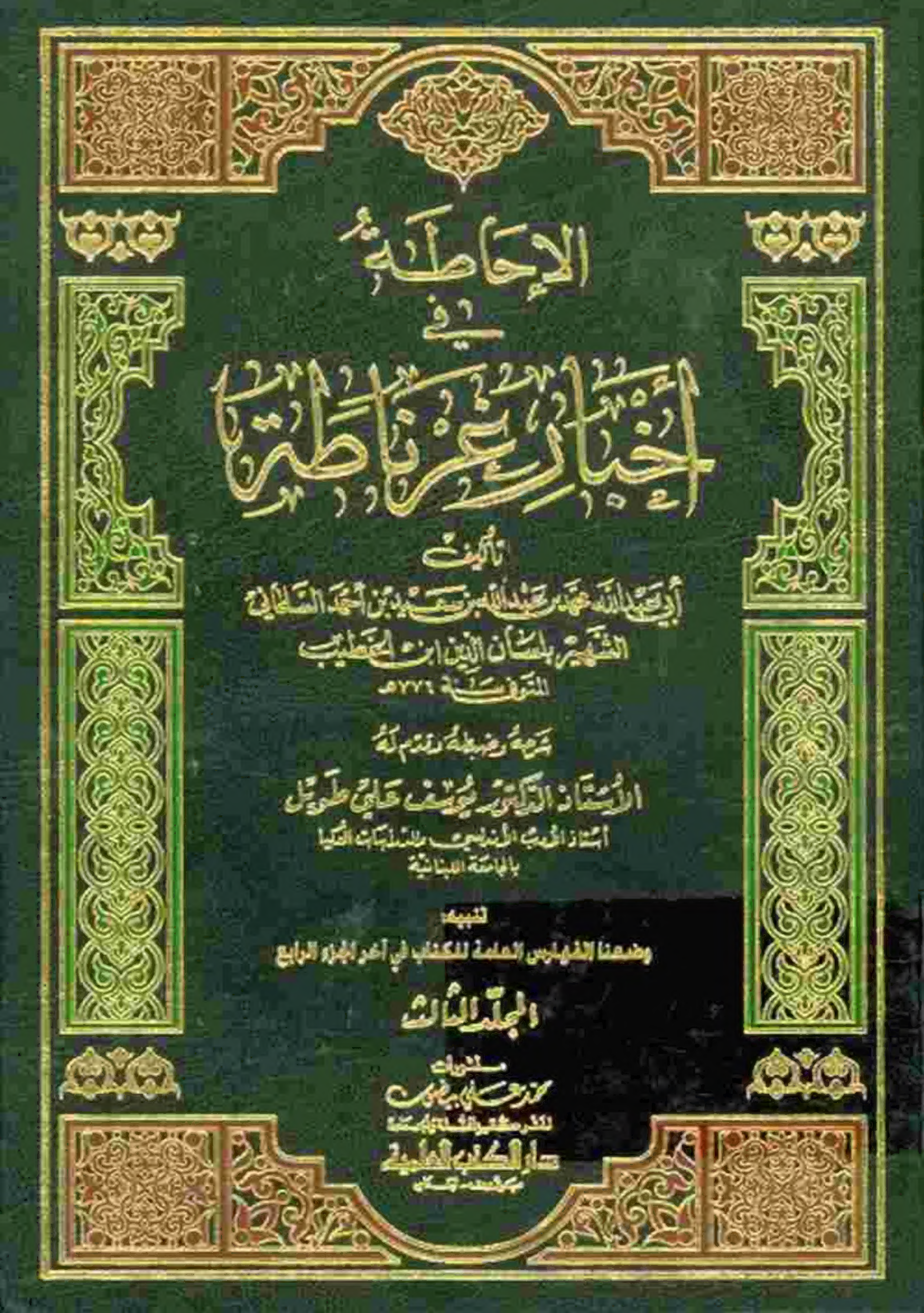


الإحاطة
في
أخبار غرناطة
تأليف
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب
المتوفى سنة ٧٧٦هـ
شرحه وضبطه وقدم له
الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي والدراسات العليا
بالجامعة اللبنانية
تنبيه
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع
المجلد الثالث
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية

الإحاطة في أخبار غرناطة

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ

شرحه وضبطه وقدم له
الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي في الدراسات العليا
بالجامعة اللبنانية

تنبيه:
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الثالث

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Beirut - Lebanon
Rami Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah
Beyrouth - Liban
Rami Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5
9782745133199 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن محمد بن أحمد العَزَفي[1]

من أهل سَبْتة، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب.

حاله: من أهل الظَّرْف والبراعة، والطبع المَعين، والذكاءِ، رئيس سَبْتة، وابن رؤسائها، وانتقل إلى غرناطة عند خلْعه وانصرافه عن بلده. أقام بها تحت رَعْيٍ حسن الرُّواء، مألَفًا للظرفاءِ، واشتهر بها أدبه، ونظر في الطِّبّ ودوَّن فيه، وبرع في التَّوْشِيح. ثم انتقل إلى العُدْوة، انتقال غِبْطَة وأثَرَة، فاستُعْمِلَ بها في خُطط نبيهة، وكتب عن ملوكها، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وجَرَى ذكرُه في «الإكليل» بما نصُّه[2]: فرع تأوَّد من الرئاسة في دَوْحة، وتردَّد بين غَدْوة في المجد ورَوْحة، نشأ والرئاسة العَزَفِيَّة تَعِلّه وتَنْهله، والدَّهر يُسَيِّر أمله الأقصى ويسهِّله، حتى اتَّسَقَت أسبابُ سعده، وانتهت إليه رياسة سَلَفه من بعده، فألْقَت إليه رِحالها وحَطَّتْ، ومتَّعته بقربها بعدما شطَّت. ثمّ كَلَح له الدهر بعد ما تبسَّم، وعاد زَعْزَعًا[3] نسيمُهُ الذي كان يَتَنسَّم، وعاقَ هلاله عن تِمّه، ما كان من تغلُّب ابن عمِّه، واستقرَّ بهذه البلاد نائي[4] الدار بحكم الأقدار، وإن كان نبيه المكانة والمقدار، وجرت عليه جِرَايةٌ واسعة، ورعاية مُتتابعة، وله أدبٌ كالرَّوض باكَرَتْه

---

(١) ترجمة العزفي في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٧٨) وجاء في أزهار الأرض أنه ولد بسبتة عام ٦٩٩ هـ، وبويع بها بعد أبيه عام ٧١٩ هـ، وخلع في سنة ٧٢٠ هـ، فكانت دولته ستة أشهر، وتوفي بفاس سنة ٧٦٨ هـ. وقد ذكرنا ذلك؛ لأن ابن الخطيب لم يذكره هنا كعادته مع سائر التراجم.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨).

(٣) الزعزع: الريح الشديدة. لسان العرب (زعزع).

(٤) في نفح الطيب: «نازح».

الغمائم، والزَّهر تفتَّحت عنه الكمائم، رَفَعَ منهُ رايةً خافقة، وأقام له سوقًا نافقة. وعلى تدفُّق أنهاره، وكثرة نظمه واشتِهاره، فلم أظفر منه إلّا باليسير التافه بعد انصرافه.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أفـديـكِ يـا ريـحَ الـصَّـبـا ... عـوجـي عـلى تـلك الـرُّبـى
واخـذُ الـنُّـعـامـى سِـخـرًا ... تُـرسـلْ غـمـامـا صَـبّـا
عـلى رُبـى غَـرْنـاطـة ... لـكـي تُـقَـضّـي مـا ربـا
ثـم أبـلـغـي[1] يـا ريـح ... عـن صـبٍّ سـلامـا طـيِّـبـا

ومن منظومه أيضًا في بعض القضاة الفاسِيِّين، وهو من البديع، وورّى فيه ببابين من أبواب المدينة: [المتقارب]

وَلِيتَ بـفـاسٍ أُمـور الـقـضـاءِ ... فـأحـدَثْـتَ فـيـهـا أُمورًا شنيعة
فتـحـتَ لـنـفـسـك بـاب الـفُـتـوح ... وغَـلَّـقْـتَ لـلناس بابَ الشَّـريعة
فَـبَـادَرَ مـولـى الـورى فـارس ... بـعَـزْلـك عـنـهـا قُـبـيـل الـذَّريعة

وقـال: [الـكـامـل]

دَعْ عـنـكَ قـول عـواذلٍ ووشـاة ... وأَدِرْ كـؤوسـك يـا أخـا الـلَّذاتِ
واخلعْ عِذارك لاهيًا في شُرْبِها ... واقطعْ زمانك بين هاك وهاتِ
خذْها إليك بكفِّ ساقٍ أغْيَدٍ ... لِينِ المعاطفِ فاترِ الحركات
قـد قـام مـن ألـحـاظه إنسانُها ... مُـثَـبِّـتـا فـي فـتـرة الـلحـظـات
يُسْقيكَها حمراءَ يسطعُ نورُها ... في الكأس كالمصباح في المِشكات
رَقَّتْ وراقتْ في الزُّجاجة مَنْظَرا ... لمّا غَدَتْ تُجلى على الرّاحات
لا تَـمْـزِجَـنْـهـا في الأبارق إنها ... تَبْدُو محاسنُها لدى الكاسات
عَجَبًا لها كالشمس تَغْرُبُ في فمٍ ... لكنْ مَطَالِعُها من الوَجَنات
نِلْنا بها ما نَشْتهيه من المُنى ... في جنّة تُزهى على الجنّات
رَفَّتْ عـلـيـهـا كـلُّ طَـلٍّ سَجْسَج ... مِنْ كلِّ غضٍّ يانعِ الثمرات
ما بين خُضْرِ حدائقٍ وخمائل ... وجداولٍ تُفْضي إلى دَوْحات
سَرَى النسيمُ بها يصافحُ زهره ... فيهبُّ وهو مُورِّج النفحات

(١) في الأصل: «أبلغي» وكذا ينكسر الوزن.

وشدا لنا فيها مُغَنٍّ شادنٍ حاز المدى سَبْقًا إلى الغايات
طَرِبَتْ له القُضْبُ اللِّدانُ وبادرتْ رَجْعًا له تختال في الحَبَرَات
مرّتْ عليه رُكّعًا لكنها جعلتْ تحيّتها لدى الرّكعات
قصرتْ صلاة الخوف منه فَقَرّبَتْ قُرْبانها وحَفَتْه بالزَّهرات
والعُودُ مَثْناهُ يُطَابِقُ زِيْرَهَا فيها[1] رِدانات على رنّات
إنْ جُسّ مُثْلِثُهُ بان بِغُنّةٍ[2] في اليمّ منه ثقيلة النّغمات
فكان ما غَنّتْ عليه الوُرْقُ من ألحانها ألقاه للقَيْنات
عَكَفَتْ على ألحانها تَشْدُو لنا خلف السّتائر باخْتلاف لُغَاتِ
فكأنها عُجْمٌ توارتْ بالحجاب ورَدّدَتْ سورًا من التّورات
نطقتْ بأفصحِ نَغْمَةٍ في شَدْوِها تتلو علينا هذِه الآيات

ومما أنشده ليلة ميلاد رسول الله ﷺ: [المتقارب]

إذَا لَمْ أُطِقْ نَحْو نَجْدٍ وصولًا بَعَثْتُ الفُؤَاد إلَيْها رَسُولا
وكم حَلَّ قَلْبي رهِينًا بها غداةَ نَوَى الرَّكْبُ فيها النزولا
محل بها في الحلال التي ضُحًى أصبح القوم فيها حلُولا
وكم بتُّ فيها غداة النّوى أسحُ من العَيْنِ دَمْعًا همُولا
على شَمْس حُسْن سما ناظري إليها وعَنّي تَوَارَتْ أُفُولا
وَقَفْتُ بوادي الغَضا ساعة لعَلّيَ أنْدُبُ فيها الطُّلُولا
وفي البان من أيْكِه ساجع يرجّع بالقُضْبِ منها الهديلا
بحقّ الهوَى يا حمامَ الْحِمَى تَرَفَّقْ بقلْبي المُعنَّى قَليلا
فَقَدْ هِجْتُ تالله أشواقه بذكرِك إلْفًا ثَنى[3] أو خَليلا
أَلَمْ تَدْرِ أن ادّكاري الهوَى يُذِيب ويُعنى الفُؤاد العَليلا؟
رعى الله تلكَ المطايا الّتي إلى الحجّ وَخْدًا سَرَتْ أو ذميلا
ويا عجبًا كيف خَفّتْ بهم وحَمّلَتِ القَلْبَ حِمْلًا ثَقِيلا
وَوَدّعني الصبر إذ ودّعوا فما أنْ وجدت إليه سبِيلًا
وآثرْتُ، يا ويح نفسي، المقام وآثرَ أَهْلُ السوِداد الرَّحِيلا

(١) في الأصل: «في» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) الغُنَّة: صوت يخرج من الخيشوم. محيط المحيط (غنن).
(٣) في الأصل: «ثانيًا»، وكذا ينكسر الوزن.

وجادوا رَجاءً[1] الرّضى بالنفوس ... وكنتُ بنفسِي ضنينًا بخيلا
نَدِمتُ عَلَى السَّيْر إذْ فاتني ... ولازمتُ حُزْنيَ دَهرا طويلا
وفاز المخفُّون إذ يمّمُوا ... منازِلَ آثارُها لن تزولا
وحجُّوا وزاروا نبيَّ الهدى ... محمدا الهاشميَّ الرسولا
وفازوا بإدْرَاك ما أمَلُوا ... ونالُوا لَدَيْهِ الرِّضى والقَبُولا
وَلو كنت في عزمهمْ مثلهمْ ... إذًا لانصرَفْتُ إليه عَجُولا
ولكنني أثقَلَتْنِي الذنوب ... وما كنت للثُّقل منها حَمُولا
ركبْتُ مطيّةَ جهل الصّبا ... وكانت أوان التّصابي ذَلُولا
ومالت بي النّفس نحو الهوى ... وقدْ وجَدَتني غُرًا جَهُولا
فَطُوبى لمنْ حَلّ في طيبةٍ ... وعَرّسَ بالسّفح منها الحمُولا
ونال المُنَى في مِنًى عندما ... نوَى بالمنازل منها نُزولا
وأضفى الضمائرَ نحو الصّفا ... يُؤمّلُ للوَصْل فيه الوصُولا
وجاء إلى البيت مستبشِرا ... ليطهر بالأمن فيه دخولا
وطاف ولَبّى بذاك الحمى ... ونالَ من الحجْر قَصْدًا وسولا
بلاد بها حلّ خَيْرُ الوَرَى ... فطُوبى لمن نال فيها الحُلولا
نَبيٌّ كريمٌ سما رِفعةً ... وقَدْرًا جليلا ومجدًا أصيلا
وكان لأمّتهِ رحمة ... بفضْلِ الشفاعة فيهمْ كفيلا
وكَانَ رَؤُوفًا رحيمًا لهمْ ... عطوفا شفيعًا عليهمْ وَصولا
لَهُ يَفْزعُون إذا ما رأوا ... لدى الحشر خسفا وأمرًا مهولا
وإن جاءَ في ذنبهمْ شافعا ... بدا الرّحْبُ من رَبّهِ والقَبُولا
له معجزات إذا عُدِّدَتْ ... تفوت النّهى وتُكِلُّ العقولا
ولن يبلغ القول معشارها ... وإن كان الوَصْف فِيها مُطيلا
وقُسُّ البيانِ وسَحْبانُهُ[2] ... يرى ذِهْنَهُ في مَداها كليلا
تَخَيَّره الله في خلقه ... فكان الخَطِير لديه المثيلا

(١) في الأصل: «رجاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) قُسّ: هو قسّ بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أسقف نجران، وخطيب العرب وشاعرها، يضرب به المثل في البلاغة. وسَحْبان: رجل من بني باهلة يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة، فيقال: أخطب من سحبان وائل.

ولم يُر في النّاس نِدًّا له ... ولا في الخلائقِ منه بديلا
وأبقى له الحُكم في أرضه ... فكان الأمينَ عليها الوكِيلا
وكلّ ظلامٍ وظُلْمٍ بها ... على الفَوْر لمّا أتى قد أُزيلا
وكانتْ كنار لظى فتنةٍ ... فعادتْ من الأمن ظِلًّا ظَليلا
وقد زان حسْنُ الدُّجى جيله ... إذا ذكر الدهر جِيلًا فجِيلا
وأيّامه غُررٌ قد بَدَتْ ... بوجهِ الدُّنا والليالي حجولا
رَسُول كريم إذا جِئته ... ويمّمت مَغْنَاه تَلْقى القَبولا
بمولده في زمان الربيع ... ربيعٌ أتانا يَجرُّ الذُّيولا
فأهلا به الآن من زائرٍ ... أتانا بفضل يفوق الفضولا
وقام الإمام به المرتَضَى ... فنال ثوابا وأجْرا جزيلا
هو المستَعين أبو سالِم ... مليك ترفّع قدرًا جليلا
وحاز مِن الصّيت ذكْرًا أثِيرًا ... ومن كرم الخِيم مَجْدًا أثِيلا
سليلُ عليٍّ غَمامُ النّدى ... ألا أيّد الله ذاك السّليلا
فَتًى أوْسَع النّاسَ من جوده ... عطاءً[1] جزيلًا وبرًّا حفيلا
حلاه الوقارُ ولاقيه ... إذا ارتاح للجُود يلفى عجولا
وقد شاع عنه جميل الثّناءِ[2] ... وعمّ البسيطة عرضًا وطولا
وما مَنّ بالوعد إلّا وَفَى ... فلمْ يَكُ بالوعْد يومًا مَطُولا
ولا في عُلاه مُغالٍ لمن ... يُكَثِّرُ في الملك قالًا وقِيلا
تفرّد بالفضل في عصره ... وكان بعُرْف الأيادي كفِيلا
أطاعت له حين وافى البلاد ... رضًى عندما حلّ فيها حلولا
وجاء[3] لطاعته أهلها ... سُراعا يرومُون فيها الدُّخُولا
فَنَبّهَ قَدْرَ المُوالي بها ... وأكْسَفَ فيها المُعادي خمولا
ومَهّدَ بالأمن أفكارها ... وأمّن بالعدل فيها السبيلا
وكفّ أكُفّ التعدّي بها ... فلا يُظلم الناس فيها فَتيلا
وعصر الكروب الذي قد مضى ... زمانُ المَسَرّات منه أديلا

---

(١) في الأصل: «عطا».
(٢) في الأصل: «الثنا».
(٣) في الأصل: «وجا».

أتانا إلى الغرب في شوكةٍ ... بها عاد جَمْعُ الأعادي قليلا
وفوق رؤوس الطغاة انتضى ... حُسامًا ليُسْمِع فيها صليلا
وجَرَّد من عَزمه مرهفًا ... لحسم أمور المناوي صقيلا
وكل كَفُور مُعَادٍ لَهُ ... سيأخذه الله أخذًا وَبِيلا
أعزَّ الخلائقَ لمّا وَلي ... ونَوَّه من كان منهم ذليلا
وراعى لمن جاءه داخلا ... حماه من القاصدين الدَّخِيلا
فكان بأفعاله قصده ... إلى مَنْهَج الفضل قصدًا جميلا
وصحّ انتعاش المعالي به ... وقد كان شخصُ المعالي عليلا
وشيَّد مبنى العُلا بالنّدى ... ووثّقه خَشيةً أن يميلا
يُنيل ويُعطي جزيل العطاء[1] ... فما زال أُخرى الليالي مُنِيلا
ودام مدى الدّهر في رفعةٍ ... تثير من الحاسدين الغليلا
ولا بَرِح السعد في بابه ... يؤُمُّ به مَرْبعًا أو مَقِيلا

محمد المَكُودي[2]

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «الإكليل»[3]: شاعر لا يتعاطى[4] ميدانه، ومَرْعى بيانٍ وَرِفَ عِضاهُه[5] وأينع سَعْدانُه[6]، يدعو الكلام فَيُهْطِعُ[7] لداعيه، ويَسْعى في اجتلاب المعاني فتنجح مساعيه، غير أنه أفرط في الانهماك، وهوى إلى السَّمكة من أَوْج السِّماك[8]. وقدم[9] على هذه البلاد مُفلتًا من رَهَق تلمسان حين الحصار، صفر اليمين واليسار من اليسار، مليءَ هوًى أنحى على طَريفه وتِلاده، وأخرجه من بلاده.

(١) في الأصل: «العطا».
(٢) هو محمد بن محمد المكودي، ترجمته في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥، ٣٧٨) وأزهار الرياض (ج ٥ ص ٤٩) وجاء فيه أنه: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المكودي.
(٣) النص مع الشعر في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩).
(٤) في النفح: «لا يُتقاصى».
(٥) في الأصل: «عضله» والتصويب من النفح.
(٦) السَّعْدان: نبت له شوك. لسان العرب (سعد).
(٧) يُهْطِعُ: يسرع. لسان العرب. (هطع).
(٨) السمكة: برج في السماء. والسِّماك: واحد السِّماكين وهما كوكبان نيِّران، يقال لأحدهما السِّماك الرامح وللآخر السماك الأعزل، ومراده أنه هوى من الأوج إلى الحضيض. لسان العرب (سمك).
(٩) في النفح: «قدم».

ولمّا جَدَّ به البين، وحَلَّ هذه البلاد[١] بحال تقبحها العين، والسيف بهزّته، لا بحسن بزّته، دعوته[٢] إلى مجلس أعاره البَدْرُ هالته، وخلع عليه الأصيلُ غِلالته، وروض تفتّح كِمامه، وهَمى عليه غَمامه، وكاس أُنس تدور، فتتلقى نجُومَها البُدور. فلمّا ذَهَبت المؤانسة بخجَلِه، وتذكّر هواه ويومَ نَواه حتّى خِفْنا حُلول أجله، جَذَبنا للمُؤانسة زمامه، واستَقَينا[٣] منها غَمامه، فأمْتَعَ وأخسَبَ، ونظر ونَسَبَ، وتكلّم في المسائل، وحضر[٤] بِطُرَف الأبيات وعيون الرسائل، حتى نشر الصباحُ رايته، وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه[٥]: [الوافر]

غرامي فيكَ جَلَّ عن القياسِ ... وقد أسْقَيتنيه بكل كاسِ
ولا أنسى هواكَ ولو جَفاني ... عليكَ أقاربي طُرًّا وناسي
ولا أدري لنفسي من كمالٍ ... سوى أنّي لعهدك غيرُ ناسِ

وقال في غرض معروف[٦]: [الطويل]

بَعَثْتَ بخَمْرٍ فيه ماءٌ وإنّما ... بَعَثْتَ بماءٍ[٧] فيه رائحة الخَمْرِ
فَقَلَّ عليه الشكْرُ إذْ قَلَّ سكرُنا ... فنحن بلا سُكرٍ وأنتَ بلا شُكْرِ

ومما خاطبني به[٨]: [البسيط]

رُحماكَ بي فلقد خلّدْتَ في خَلَدي ... هوًى أكابِدُ منه حرّة[٩] الكَبِدِ
حَلَلْتَ عَقْدَ سُلُوّي في[١٠] فؤادي إذ ... حَلَلْتَ منه مَحَلَّ الروح في[١١] جسدي
مَرآكَ بدري وذِكْراكَ التِذاذُ فمي ... ودِينُ حُبّكَ إضماري ومُعتقدي
ومن جمالك نورٌ لاح في بَصَري ... ومن وِدادك روحٌ حلّ في خَلَدي
لا تحسبنّ فؤادي عنكَ مُصْطبرًا[١٢] ... فقَبْلَ حُبّكَ كان الصبرُ طَوْعَ يدي
وهاكَ جسميَ قد أودى النُّحُولُ به ... فلو طَلَبْتَ وجودًا منه لم تجد

---

(١) في النفح: «البلدة».
(٢) في النفح: «دعوناه».
(٣) في النفح: «واستسقينا».
(٤) في النفح: «وحاضر».
(٥) في النفح: «فممّا نسبه إلى نفسه وأنشدناه قولُه».
(٦) اكتفى في النفح بالقول: «وقال».
(٧) في الأصل: «بما» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥ - ٢٢٦).
(٩) في النفح: «حُرْقة».
(١٠) في النفح: «عن».
(١١) في النفح: «من».
(١٢) في الأصل: «مصطبرٌ». والتصويب من النفح.

بما بطرفك مِنْ غُنْجٍ ومِنْ حَوَرٍ ... وما بثغرك مِنْ دُرٍّ ومن بَرَدِ
كُنْ بين طرفي وقلبي منصفًا فلقد ... حابيتَ[1] بَعْضَهما فاعْدِلْ ولا تَجِد
فقال لي قد جعلْتَ القلبَ لي وطنًا ... وقد قضيتَ على الأجفان بالسُّهُد
وكيف تطلبُ عدلًا والهوى حَكَمٌ ... وحكْمُهُ قطُّ لم يعدلْ على أحد
من لي بأَغْيَدَ لا يَرثي إلى شَجَنٍ ... وليس يعرفُ ما يلقاه ذُو كَمَد
ما كنتُ من قبل إذعاني لِصولته[2] ... إخالُ أنّ الرَّشا يسطو على الأسد
إنْ جاد بالوعد لم تَصْدُقْ مواعدُه ... فإن قَنَعْتُ بزورِ الوعد لم يَعد
شكوتُه عِلّتي منه فقال: ألا[3] ... سِرْ للطبيبِ فما بُرْءُ الضّنى بيدي
فقلت: إن شئتَ بُرئي أو شِفا ألمي ... فبارتشافِ لِماكَ الكوثريّ جُدِ
وإن بَخِلْتَ فلي مولًى يجودُ على ... ضعفي ويُبْرىء ما أضْنَيْتَ مِنْ جَسَدي[4]

وخرج إلى المدح فأطال.

المقرئون والعلماء ـ الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيىٰ ابن عبد الرحمـٰن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبي[5]

يكنى[6] أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، شيخنا رحمة الله عليه.

أوليته: أصل[7] سلفه من ولبة[8] من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

(١) حابيت بعضهما: نصرته ومِلْت إليه؛ يقال: حابى القاضي في الحكم إذا مال منحرفًا عن الحق. لسان العرب (حبا).
(٢) في النفح: «لسطوته».
(٣) في الأصل: «فقال الأمر للطبيب فما...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «جَسَدِ» والتصويب من النفح.
(٥) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٤٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤) والديباج المذهب (ص ٢٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٥) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨).
(٦) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥).
(٧) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥).
(٨) في الأصل: «ولمة» والتصويب من النفح وأزهار الرياض.

الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حُسام بن ضِرار الكلْبي، وعند خَلْع دعوة[١] المرابطين، وكانت لجدهم بجيّان رئاسة وانفراد بالتدبير.

حاله: كان[٢]، رحمه الله، على طريقة مُثلى من العُكوف على العلم، والاقتصاد[٣] على الاقتيات من حُرّ النَّشب[٤]، والاشتغال بالنَّظر والتَّقييد والتَّدوين، فقيهًا، حافظًا، قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون من العربية[٥]، والفقه، والأُصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حُفَظَةً[٦] للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جمّاعة للكتب، مُلوكي الخِزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغَوْر، صحيح الباطن. تقدَّمَ خَطِيبًا بالمسجدِ الأعظم من بلده على حداثة سنِّهِ، فاتُّفِقَ على فضله، وجرى على سَنَن أصالته.

مشيخته: قرأ[٧] على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير[٨]، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن. وروى عن أبي الحسن بن مَسْتَقُور. وقرأ القرآن على الأستاذ المقرىء الرّاوية المُكْثر أبي عبد الله بن الكَمّاد، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رُشَيد، وسمع على الشّيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، وعلى الراوية المُسِن أبي الوليد الحضرمي. يَرْوِي عن سهل بن مالك وطَبَقَتِه. وروى عن الشيخ الرّاوية أبي زكريا البُرْشاني، وعن الرّاوية الخطيب أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبي عبد الله بن بُرْطال، والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع[٩]، والخطِيب الولي أبي عبد الله الطَّنجالي، والأستاذ النظّار المُتَفَنّن أبي القاسِم قاسم بن عبد الله بن الشّاط. وألَّف الكثير في فنون شتى.

تواليفه: منها[١٠] كتاب «وسيلة المُسْلِم في تهذيب صحيح مُسْلِم» وكتاب «الأنوار السَّنية في الكلمات السُّنّيّة» وكتاب «الدَّعوات والأذكار، المُخْرجة من صحيح

---

(١) في النفح: «دولة».
(٢) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).
(٣) في النفح: «والاقتصار»، وفي أزهار الرياض: «على العلم والأقتيات من حُرّ...».
(٤) النَّشب: المال، وحرّ النشب: خالص المال. لسان العرب (نشب).
(٥) في النفح: «من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات...».
(٦) في أزهار الرياض: «حافظًا».
(٧) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).
(٨) في النفح: «أبي جعفر بن جعفر بن الزبير».
(٩) ورد اسمه في النفح والأزهار: أبو عامر بن ربيع الأشعري.
(١٠) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

الأخبار» وكتاب «القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية» و«التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبَليَّة» وكتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول» وكتاب «النُّور المبين، في قواعد عقائد الدين» وكتاب «المختصر البارع، في قراءة نافع» وكتاب «أصول القُرَّاء الستة غير نافع»، وكتاب «الفوائد العامة، في لحن العامَّة»، إلى غير ذلك مما قيّده في التفسير والقراءات وغير ذلك. وله فِهْرِسة كبيرة اشتملَتْ[١] على جملة من أهل المشرق والمغرب.

شعره: قال[٢] في الأبيات الغينيّة ذاهِبًا مذهب الجماعة كأبي العلاءِ المعرِّي، والرئيس أبي المظفر[٣]، وأبي الطاهِر السِّلَفي، وأبي الحجاج ابن الشيخ، وأبي الربيع بن سالم، وأبي علي بن أبي الأحوص، وغيرهم، كلهم نظم في ذلك[٤]: [الطويل]

لكلِّ بني الدنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ ... وإنَّ مُرادي صِحَّةٌ وفَراغُ

لأَبلُغَ في عِلْم الشَّريعة مَبْلَغًا ... يكُون به لي للجَنان بَلاغُ[٥]

وفي[٦] مثل هذا فلينافسْ أُولو[٧] النُّهى ... وحَسْبي من الدنيا الغَرُورِ بَلاغُ[٨]

فما الفوزُ إلّا في نَعِيمٍ مؤبَّدٍ ... به العيشُ رَغْدٌ والشَّرابُ يُساغُ

وقال في الجناب النَّبوي[٩]: [الطويل]

أَرومُ امتداحَ المصطفى ويردُّني[١٠] ... قُصُوريَ عن إدراك تلك المناقِبِ

ومَنْ لي بحصرِ البحرِ والبحرُ زاخِرٌ؟ ... ومن لي بإحْصاء[١١] الحَصى والكواكِبِ

ولو أنّ أعضائي غَدَتْ أَلْسُنًا إذًا ... لما بلغتْ في المدح بعض مآربي[١٢]

---

(١) في النفح: «اشتهرت».
(٢) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥ ـ ١٨٦).
(٣) في النفح: «وابن المظفر». وفي الأزهار: «والرئيس ابن المظفر».
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).
(٥) الجَنان، بالفتح: القلب. والبلاغ: الكفاية. لسان العرب (جنن) و(بلغ).
(٦) في المصدرين: «ففي». (٧) في الأزهار: «ذوو».
(٨) في المصدرين: «وحسبي من دار الغرور...». والبلاغ: الإيصال والتبليغ. لسان العرب (بلغ).
(٩) الأبيات في الديباج المذهب (ص ٢٩٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩ ـ ٦٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٤٨) وجاء فيه: «الجانب النبوي».
(١٠) في النفح: «فيردّني». وفي الكتيبة: «فيصدّني».
(١١) في الأصل: «بإحصا»، والتصويب من المصادر.
(١٢) في أزهار الرياض: «غَدَتْ وهي ألسن لما بلغت في القول...».

ولو أنّ كلّ العالمين تألّفوا[١] على مدحه لم يبلغوا بعضَ واجب
فأمسكتُ عنه هَيبةً وتأدُّبًا وخوفًا وإعظامًا لأرفعِ جانب[٢]
ورُبَّ سكوتٍ كان فيه بلاغةٌ ورُبَّ كلامٍ فيه عَتْبٌ لعَاتِبِ

وقال، رحمه الله، مُشفِقًا من ذنبه[٣]: [البسيط]

يا ربِّ إنّ ذنوبي اليَوْم قد كَثُرَتْ[٤] فما أُطيقُ لها حَصْرًا ولا عَدَدَا
وليس لي بعذابِ النّارِ من قِبَلٍ ولا أُطيقُ لها صَبْرا ولا جَلَدَا
فانظرْ إلٰهي إلى ضَعْفي ومَسْكَنَتي ولَا تُذِيقَنّني[٥] حَرَّ الجحِيم غَدا

وقال في مذهب الفخر[٦]: [الوافر]

وكم من صفحةٍ كالشمسِ تبدو فيُسْلي[٧] حُسْنُها قَلْبَ الحزينِ
غضضْتُ الطَّرْفَ عن نَظَري إليها محافظةً على عِرْضِي ودِيني[٨]

وفاته: فُقِد[٩] وهو يُشحذ الناس ويُحرّضهم، ويُثبّت بصائرهم، يوم الكائنة بطَريف[١٠]، ضحوة يوم الاثنين السابع[١١] لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة، تقبّل الله شهادته. وعقِبُه ظاهر بين القضاءِ والكتابة.

محمد بن أحمد بن فتُّوح بن شُقْرال اللخمي

شرقي الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطُّرسوني.

---

(١) في النفح: «تسابقوا إلى مدحه».
(٢) في الكتيبة: «فأسكتُ عنه... هيبة...». وفي الأزهار: «فأقصرت عنه... لأعظم جانب». وفي النفح: «وعجزًا» بدل «وخوفًا».
(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧ ـ ٤٨) والديباج المذهب (ص ٢٩٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٦٠).
(٤) في الكتيبة: «قد عظمت».
(٥) في الأصل: «ولا عذيقني»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٦) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).
(٧) في الكتيبة: «يُسَلّي».
(٨) في الكتيبة: «عن نظرٍ إليها... على علمي وديني».
(٩) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٦١).
(١٠) يشير هنا إلى الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين في سنة ٧٤١هـ، والمسماة بموقعة طريف، وكان مع بني مرين قوات السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، صاحب غرناطة. وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللمحة البدرية (ص ١٠٥).
(١١) في النفح: «تاسع جمادى الأولى».

حاله: نقلتُ من خطّ شيْخنا أبي البركات بن الحاج: أمتع الله به، كنّى نفسه أبا عبد الرحمٰن، ودُعي بها وقتًا، وكُوتب بها. وكان له ابن سمّاه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّه عبد الرحمٰن، ليعضّد لك الكُنية التي اخترْتَ، فأبى. كان هذا الرجل قيّمًا على النحو والقراءات واللغة، مجيدًا في ذلك، مُحْكمًا لما يأخذ فيه منه، وكانت لديْهِ مشارَكَةٌ في الأَصْلَيْن والمنطِق، طَمَح إليها بفضل نباهته وذكائه، وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطًّا بارعًا، وظَرْفًا وفُكاهةً، وسَخَا نفس، وجميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. وكان صَنّاع اليديْن يرسم بالذّهب، ويُسفِّرُ، ويُحكم عمل التّراكيب الطِّبّيةِ. وعلى الجملة، فالرجل من أجلّ نبلاءِ عصره، الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الشيخ الأُستاذ أبي الحسن ابن أبي العيش، وبه تفقّه ببلده ألمريّة. وقرأ على الأُستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي جعفر بن الزيات، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُّور، والولي أبي عبد الله الطَّنجالي، وصِهْره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سَيْدبُونه، والخطيب أبي الحسن القِيجاطي، والخطيب المحدّث أبي عبد الله بن رُشَيْد، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قَذَفتْ بي حيثما شاءَت النّوى ... ففي كل شِعْبٍ لي إليْك طريقُ
وإن أنا لم أُبصِر مُحَيّاك باسمًا ... فإنسانُ عَيْني في الدموع غريقُ
فإنْ لم تَصِل كفّي بكفِّك وافِيًا ... فأَشْمالُ أحبابي لدَي فُتوقُ

محنته: أخطاه وزيرُ الدّولة أبو عبد الله بن المحروق[1]، واختصّه، ورتّب له بالحمراء جرايةً، وقلّد نظره خِزانة الكتب السلطانية. ثم فَسَد ما بينهما، فاتُّهمه ببراءات كانت تُطرح بمذامّه بمسجد البَيّازين[2]، وتُرصد ما فيها، فزعم أنه هو الذي طَرَحها بمحراب المسجد، فقُبض عليه واعتقل، ثمّ جلّاه إلى إفريقيّة.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق؛ تولّى الوزارة لسلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، عام ٧٢٥ هـ، ثم قتل بأمر السلطان المذكور عام ٧٢٩ هـ. اللمحة البدرية (ص ٩٤).

(٢) هو أحد مسجدي حيّ البيازين، أشهر أحياء مدينة غرناطة، حوّله الإسبان إلى كنيسة بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ، وما يزال حتى اليوم بعض أسوار هذا المجسد قائمة مع جزء من صحنه.

وفاته: ولمّا بلغته بإفريقية وفاة مُخيفه، كَرَّ راجعًا إلى الأندلس، فتوفي في طريقه ببونة[١]، من بلاد العِنّاب أو بأحوازها في أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر وسبعمائة.

محمد بن جابر بن يحيىٰ بن محمد بن ذي النُّون التَّغْلبي

ويعرف بابن الرمّالية، من أهل غرناطة، ويعرف خلفُه الآن، ببني مَرْزَبَّة، ولهم أصالة وقِدَم وجِدَة.

حاله: فقيه، نبيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكرٌ لما قرأه.

مشيخته: روى عن الإمام أبي بكر بن العربي. قال أبو القاسم الملّاحي: وحدَّثني سنة أربع وستمائة، قال: حدَّثني الإمام أبو بكر بن العربي، رضي الله عنه، قال: حدَّثني محمد بن عبد الملك السَّبْتي، قال: خرجت مع أبي الفضل الجَزيري مشيِّعين لقافلة الحاجّ من بغداد، ومودِّعين لها من الغَد، وحين أصبحنا أُثيرت الجمال، وفرض الناس الرِّحال، ونحن بموضع يعرف بجُبِّ عميرة، إذا بفتًى شاحبِ اللّون، حسن الوجه، يُشيِّع الرّواحل، راحلةً بعد أُخرى، حتى فنيت، ومشى الحاجُّ، وهو يقول في أثناءِ تردُّده ونظره إليها: [الطويل]

أَحجّاج بيْتِ الله، في أيِّ هوْدج ... وفي أيِّ بيْتٍ من بيوتكُمُ حبّي؟

أأَبقى رهِينَ القلب في أرض غُرْبَةٍ ... وحاديكُمُ يحدُو فؤادي مع الرَّكْبِ؟

فواأسفا لم أَقْضِ منكم لُبانتي ... ولم أتمتّع بالسلام وبالقرْبِ

وفرّق بيني بالرّحيل وبينكم ... فها أنذا أَقْضِي على إثرِكُمْ نَحْبي

يقولون هذا آخرُ العهدِ منكم ... فقلتُ وهذا آخر العهد من قَلْبي[٢]

قال: فلمّا كَمَل الحاجُّ المشي، وانقطع رجاؤه، وجعل يخطو هائمًا، وهو ينشد، ثمّ رمَى بنفسه إلى الأرض وقال: [المديد]

خَلِّ دَمْعَ العَيْنِ يَنْهَمِلْ ... بانَ من تَهْواهُ وارْتَحَلْ

أيُّ دَمْعٍ صانَه كَلِفٌ ... فَهْوَ يوم البَيْنِ يَنْهَمِلْ

---

(١) بونة: مدينة قديمة من بلاد إفريقية، على ساحل البحر، مرساها من المراسي المشهورة، وتسمى بلد العنّاب لكثرة العناب فيها. الروض المعطار (ص ١١٥).

(٢) في الأصل: «قلبِ» بدون ياء.

قال: ثم مال على الأرض، فبادرْنا إليه فوجدْناهُ ميْتًا، فحفرنا له لَحْدًا، وغسّلناه وكفّنّاهُ في رِدَاءٍ وصَلّينا عليهِ، ودفنّاه.

وفاته: وفاة المترجم به سنة خمسين وستمائة.

محمد بن محمد بن محمد بن بيبش العبدري[١]

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بيبش[٢].

حاله: كان[٣] خيّرًا، مُنقَبضًا، عفًّا، مُتصاوِنًا، مشتغلًا بما يَعْنيه، مضطلِعًا[٤] بالعربية، عاكفًا عُمْره على تحقيق اللُّغَة، مشاركًا في الطِّب، مُتَعَيِّشًا من التِّجارة في الكُتب، أَثْرَى منها، وحَسُنت حاله. وانتقل إلى سُكْنى سَبْتَة، إلى أن حَطَطْتُ بها رسولًا في عام اثنتينِ وخمسين وسبعمائة، فاستدعيته ونقلتهُ إلى بلده، فقعد للإقراءِ به إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصُّه[٥]: مُعَلِّمٌ مُدَرِّبٌ، مُسَهِّلٌ مُقَرِّبٌ، له في صَنْعة العربية باعٌ مديد، وفي هَدَفِها سَهْم سديد، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تَسْديد، خاصيُّ المنازع مختصرُها، مُرتِّب الأحوال مُقرِّرُها، تميّز لأول وقته بالتِّجارة في الكتب فَسُلِّطتْ عليها[٦] منه أَرَضَة آكِلة، وسَهْمٌ أصاب من رَمْيتها شاكلة[٧]، أَترَب بسببها وأَثرى، وأغنى جهةً وأفقر أُخرى، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سُكْنى غرناطة[٨] مسقط رأسِه، ومَنْبِت غَرْسه، وجَرَتْ عليه جرايةٌ من أحباسها[٩]، ووقع عليه قَبُولٌ من ناسها، وبها تلاحق به الحِمام، فكان من تُرابها البداية وإليه التمام. وله شعر لم يَقْصُر فيه عن المدى، وأدب توشّح بالإجادة وارتدى.

مشيخته: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشَيْد، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرادي، والأستاذ عبد الله بن الكمّاد، وسمع على الوزير المُسنّ أبي محمد عبد المنعم بن سِماك. وقرأ بسَبْتَة على الأستاذ أبي إسحٰق الغافقي.

---

(١) ترجمة العبدري في الكتيبة الكامنة (ص ٩٠) وبغية الوعاة (ص ١٠٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٥٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٧٩).

(٢) في بغية الوعاة: «بليش». وفي الكتيبة: «بيش».

(٣) النص في بغية الوعاة (ص ١٠٠) بتصرف. (٤) في البغية: «متضلعًا».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٦) في النفح: «منه عليها». (٧) في النفح: «الشاكلة».

(٨) كلمة «غرناطة» غير واردة في النفح. (٩) الأحباس: الأوقاف. لسان العرب (حبس).

شعره: أنشدني بدار الصِّناعة السلطانية من سَبْتَة تاسع جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور، عند توجُّهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجيب عن الأبيات المشهورة، التي أكثر فيها الناس وهي[1]: [مخلع البسيط]

يا ساكنًا قلبيَ المُعَنَّى ... وليس فيه سواكَ ثانِ

لأيِّ مَعْنَى كَسَرْتَ قلبي ... وما الْتَقَى فيه ساكنانِ؟

فقال[2]: [مخلع البسيط]

نَحَلْتَني طائعًا فؤادًا ... فصار إذ حُزْتَهُ مكاني[3]

لا غَرْوَ إذ كان لي مُضافًا ... أنّي على الكَسْر فيه باني

وقال يخاطب أبا العباس عميد سبتة، أعزّه الله، وهي ممّا أنشَدَنيه فيه التاريخ المذكور، وقد أهدى إليه أقلامًا[4]: [الطويل]

أنامِلُكَ الغُرُّ التي سَيْبُ جُودِها ... يَفِيضُ كفَيْضِ المُزْنِ بالصَّيِّب القِطْر

أتَتْنيَ منها تُحفَةٌ مثلُ حَدِّها[5] ... إذا انتُضِيَتْ كانت كمُرْهَفَةِ السُّمر

هي الصُّفرُ لكنْ تعلمُ البيضُ أنها ... مُحَكَّمَةٌ فيها على النَّفْعِ والضَّرّ

مُهذَّبَةُ الأوصالِ مَمْشوقَةٌ كما ... تُصاغُ[6] سهامُ الرَّمْي من[7] خالص التِّبْر

فَقَبَّلْتُها عَشْرًا ومَثَّلْتُ أنني ... ظَفِرْتُ بِلَثْمٍ في أنامِلكَ العشر

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله[8]: [الطويل]

أساجِعَةَ بالوادِيَيْن تَبَوَّئي ... ثمارًا جَنَتْها حالياتٌ خَوَاضِبُ

دَعي ذِكْرَ روضٍ زاره[9] سَقْيُ شِربه ... صباحَ ضُحَى طيرٌ ظماءٌ[10] عصائب

غرامُ فؤادي قاذفٌ كلَّ ليلةٍ ... متى ما نأى وَهْنًا هواه يُراقبُ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠). وورد فقط صدر البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ٩١).

(٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٣) في الأصل: «مكانِ»، والتصويب من المصدرين.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠).

(٥) في الأصل: «عدّها»، والتصويب من المصدرين.

(٦) في النفح: «تصوغ». (٧) في الكتيبة: «أو».

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٩) في المصدرين: «زانه».

(١٠) في الأصل: «طما» والتصويب من المصدرين.

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله[1]: [الوافر]

دِيارٌ خَطَّها مَجدٌ قديمُ ... وشاد بناءَها شَرَفٌ صميمُ
وحَلَّ جَنابَها الأعلى علاءٌ[2] ... يُقَصِّرُ عنه رَضْوى أو شميم
سقى نجدًا بها وهضابَ نَجْدٍ ... عِهادُ ثَرّةٌ[3] وحَيًا عميم[4]
ولا عدِمت رُباه ربابَ مُزْنٍ ... يُغادي رَوْضَهُنَّ ويستَديمُ
فيصبحُ زَهْرُها يحكي شذاه ... فَتِيتَ المِسْكِ يُذْكيه النَّسيمُ
وتنشرُه[5] الصَّبا فتريكَ دُرًّا ... نثيرًا خانه عِقْدٌ نَظيمُ
وظَلَّتْ في ظِلال الأَيْك تشدو ... مُطَوَّقةٌ لها صوتٌ رخيم
تُرَجِّعُ في الغصون فنونَ سَجْعٍ ... بألحانٍ لها يَصْبو الحليم
أَهِيم بملتقى الوادي بنَجْدٍ ... وليس سواه في وادٍ أهيم
وكنت صَرَفْتُ عنه النفس كرْهًا ... وما بَرِحَتْ على نَجْدٍ تحوم
وما ينفكُّ لي ولها نزاعٌ ... إلى مَغْنًى به مَلِكٌ كريم
له بَيْتٌ سما فوق الثُّرَيّا ... وعِزٌّ لا يَخيمُ ولا يَريم
تَبَوَّأَ من بني نَصْرٍ عُلاها ... وأنصارُ النبيِّ[6] له أروم
أفاض على الورى نَيْلًا وعَدْلًا[7] ... سواءٌ فيه مُثْرٍ أو عديم
ملاذٌ للملوك إذا أَلَمَّتْ ... صروفُ الدهرُ أو خَطْبٌ جَسيم
تُؤَمِّلُه فتأمنُ في ذَراه ... وتدنو من عُلاه فيستقيم[8]
ويبدو في نَدِيِّ[9] المُلْك بَدْرًا ... تحفُّ به الملوكُ وهُمْ نجوم
بوجه يُوسفِيِّ الحُسْنِ طلقٍ ... يُضِيءُ بنورِهِ اللَّيْلُ البَهِيم
وتَلْقاه العفاةُ[10] له ابتسامٌ ... ومنه لِلعِدى أَخْذٌ أليم[11]

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢ _ ٩٣).
(٢) في الأصل: «عُلًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٣) في الأصل: «عماد ثرّة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٤) في الأصل: «تميم» والتصويب من الكتيبة. (٥) في الكتيبة: «وتنشره».
(٦) في الأصل: «للنبيّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٧) في الكتيبة: «عدلًا ونيلًا». (٨) في المصدر نفسه: «فتستنيم».
(٩) في الأصل: «نَدَى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(١٠) في الأصل: «للعفاة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(١١) في الأصل: «لليم» والتصويب من الكتيبة.

فيا شَرَفَ الملوكِ لكَ انقطاعي وإنّي في محلِّكُمُ خَدِيمُ
وآمالي أَمَلْتُ إليكَ[١] حتّى وَرَدْنَ على نَداكَ وهُنَّ هِيمُ
فلا ظمأ[٢] وورْدُكَ خَيْرُ وِرْدٍ نَميرٌ ماؤه عَذْبٌ جَميمُ
ولا أُضحى وفي مَغْناكَ ظِلٌّ ظَليلٌ حين تحتدم السَّموم
ركبْتُ البحر نحوك والمطايا تسير لها ذَميلٌ أو رسيم
وإنَّ عُلاك إنْ عطفتْ بلحظٍ عليّ فذلك العزُّ المقيم[٣]
فواأسفي على عُمْرٍ تَقَضّى بدارٍ ليس لي فيها حَميمُ
سوى ثمرٍ للفؤاد ذَهَبْتُ عنه وبين جوانحي منه كُلوم
ودُونَ لقائها عَرْضُ الفيافي ونجدٌ[٤] مَوْجُهُ طَوْدٌ عظيمُ
لعلَّ الله يُنْعِمُ باجتماعٍ وينظمُ شَمْلَنا البرُّ الرحيم
بقيتَ بغبطةٍ وقرارِ عَيْنٍ بمُلْكٍ سَعْدُهُ أبدًا يدوم
كما دامتْ حُلى الأنصار تُتْلى يشيدُ بذكرها الذِّكْرُ الحكيم
عليكَ تحيّةٌ عطرٌ شذاها كَعَرْفِ[٥] الرّوضِ جادَتْهُ الغُيومُ

مولده: بغرناطة في رجب[٦] ثمانين وستمائة. وتوفي عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، ودفن بباب إلبيرة، وتبعه من الناس ثناءٌ حسن، رحمه الله.

محمد بن محمد النُّمري الضَّرير

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرفه بنَسَبِه.

حاله: من عائد الصلة: كان حافظًا للقرآن، طيب النَّغَمَة به، طِرْفًا في ذلك، من أهل المشاركة في العلم، واعظًا بليغًا، أُستاذًا يقُوم على العربية قيام تحقيق، ويستحضر الشّواهِد من كتاب الله وخُطَب العرب وأشعارها، بعيدَ القرين في ذلك، آخذًا في الأدب، حَفَظَةً للأناشيد والمطوّلات، بقيّة حسنة ممتعة.

(١) في الأصل: «المليك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٢) في الأصل: «فللظما ورودك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٣) في الكتيبة: «القديم».
(٤) في الكتيبة: «وبَحْرٌ».
(٥) في الأصل: تُعَرِّفُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٦) في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١): «مولده في حدود ثمانين وستمائة».

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار الأَرْكُشي[١]، وبه تأدّب، ولازمه كثيرًا، فانتفع به.

شعره: ممّا صدّر به رسالةً لزوجه وهو نازح عنها ببعض البلاد. فقال: [الطويل]

سلام كرشفِ الطَّلِّ في مَبْسِم الوَرْدِ ... وسيلُ نسيم الريح بالقُضُب المُلْدِ

سلام كما ارتاح المَشُوق مبشَّرًا ... برؤيةِ[٢] مَنْ يهواه من دون ما وَعْدِ

سلام كما يُرضي المحبُّ حبيبه ... من الجدّ في الإخلاص والصّدق في الوعد

سلام وتكريم وبرٌّ ورحمة ... بقدر مزيد الشوق أو منتهى الوُدّ

على ظَبْيَة في الأُنس مَرْتَعُها الحشا ... فتأوي إليه لا لِشيح ولا رُنْد

ومن أَطْلَع البدر التّمام جبينُها ... يُرى تحت ليلٍ من دُجى الشَّعْر مُسْوَدّ

وثَغْرُ أقاحٍ زانه سِمْط لؤلؤ ... يُحَبُّ به المرجان في أَحْكَم النَّضْد

يجول به سِلسال راحٍ معتّق ... حَمَتْهُ ظُبا الألحاظ صَوْنًا عن الوِرْدِ

فلله عينا مَنْ رأى بدر أَسْعُدِ ... وروضةَ أزهارٍ عَلَتْ غُصُنَ القَدّ

ويُشرى لصبٍّ فاز منها بلمحة ... من القُرْب بُشراه بمستَكمل السَّعد

وأضحى هواها كامنًا بين أضلعي ... كمُزْنٍ خفيّ النار في باطن الزَّنْد

وراحَتْ فراح الروح إثر رَحيلها[٣] ... ووَدَّعْتُ صَبْري حين ودْعها كَبِدِي[٤]

وصارت لي الأيّام تبدو لياليا ... وقد كان ليلُ الوَصْل صُبْحًا بها يُبْدي[٥]

فساعاتُها كالدهر طولا وطالما ... حكى الدهر ساعات بها قِصَرًا عِندي

ومنها:

تُرَى قلبُها هلْ هام مني بمثل ما ... بِقلْبي من الحُبّ الملازم والوَجْدِ؟

وهل هي[٦] تَرعى ذِمّتي ومودّتي ... كما أنا أَرْعاها على القُرْب والبُعْدِ؟

---

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن بالأندلس على وادي لكة. الروض المعطار (ص ٢٧).

(٢) في الأصل: «برويا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «رحلها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «كبد» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «يبد» بدون ياء.

(٦) كلمة «هي» ساقطة في الأصل.

إلَيْكَ خِطابي والحَديث لغائب | كنيتُ بلفظي عن مغيبك بالعَمْدِ
عليك سلامي إنني متشوّقٌ | للقياك لي أو مِن جوابك بالرَّدِّ

وفاته: توفي بغرناطة تحت جراية من أُمَرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن عبد الولي الرُّعيني

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالعوَّاد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المُكَتِّب، الأُستاذ الصالح، سابق الميدان، وعَلَم أعلام القرآن، في إتقان تجويده، والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يُشَقُّ غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتي الأيام بمثله، تُستقصر بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سَقَطات الأئمة، مهتديًا إلى مكان الحجج على المسائل، مصروفٌ عِنان الأشغال إليه، مستندًا إلى نَغمةٍ رخيمة، وإتقان غير مُتكلِّف، وحِفْظ غزير. وطُلِب إلى التَّصدُّر لِلإقراءِ، فأبى لشدَّة انقِباضه، فنبَّهتُ[1] بالباب السلطاني على وجوب نَصْبه للناس، فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته، فانتُفع به، وكان أدْأَبَ الناس على سُنَّة، وألْزَمَهم لميقات وِرْد، يجعل جيرانهُ حركَته إلى ذلك ليلًا، ميقاتًا لا يختلف ولا يكذب، في ترحيل الليل، شديد الطرب، مليح الترتيب، لا تمرّ به ساعة ضَياعًا إلّا وقد عَمَرَها بشأن ديني أو دنياوي ضروري مما يسوِّغه الورع. يلازم المكتب ناصحَ التعليم، مسوِّيًا بين أبناءِ النِّعم، وحُلَفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدُّنيا، تُغصُّ السِّكك عند تَرَنُّمه بالقرآن، مساوقًا لتلاوة التجويد، ومباشرًا أيام الأخْمِسَة والأثانين العمل في مَوْئل كان له، على طريقة القدماءِ من الإخْشِيشان عند المِهن ونَقْل آلة الخدمة، غير مفارق للظُّرف والخصوصية. ويقرأ أيام الجمعات كتب الوعظ والرّقائق على أهله، فيُصغي إليه الجيران عادة لا تختلف. وكان له لكل عمل ثوبٌ، ولكل مهنة زِيٌّ، ما رأيت أحسن ترتيبًا منه. وهو أُستاذي وجاري الألْصَق، لم أتعلَّم الكتاب العزيز إلّا في مكتبه، رحمة الله عليه.

مشيخته: قرأ على بَقيَّة المقرئين الأُستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولازمه وانتفع به، وعلى الأُستاذ أبي جعفر الجَزيري الضرير، وأخذ عن الخطيب المحدِّث أبي عبد الله بن رُشَيْد.

---

(١) تاء الضمير هنا تعود إلى ابن الخطيب، مؤلف هذا الكتاب.

مولده: في حدود عام ثمانين وستمائة.

وفاته: توفي رحمة الله عليه في... [١] الموفي ثلاثين لذي قعدة من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن علي بن أحمد الخَوْلاني [٢]

يكنى أبا عبد الله، أصله من مجلقر، ويعرف بابن الفخّار وبالبيري، شيخنا رحمه الله.

حاله: من «عائد الصلة»: أُستاذ الجماعة، وعَلَم الصناعة، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه الله، فاضلًا، تقيًا، مُنْقَبِضًا، عاكفًا على العلم، ملازِمًا للتدريس، إمام الأئمّة من غير مُدافع، مبرِّزًا أمام أعلام البَصْريِّين من النُّحاة، منتشرَ الذكر، بعيدَ الصِّيت، عظِيم الشهرة، مُسْتَبحر الحفظ، يتفجّر بالعربية تفجُّر البحر، ويسترسل استرسال القَطْر، قد خالطت دمَهُ ولَحْمه، لا يُشْكل عليه منها مُشكل، ولا يعوزُه توجيه، ولا تَشُذُّ عنه حجّة. جدَّد بالأندلس ما كان قد دَرَس من لسان العرب، من لدُن وفاة أبي علي الشلوبين، مُقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه، وعَروض، وتفسير. وتقدم خطيبًا بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النّصرية [٣]، وقلّ في الأندلس مَن لم يأخذ عنه من الطّلبة. واستُعمل في السِّفارة إلى العُدْوة، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حلّ الشُّهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرّج، ودرَّب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخُذ على ذلك أجرًا وخصوصًا فيما دون البداية، إلّا الجراية المعروفة، مقتصدًا في أحواله، وقورًا، مُفرط الطُّول، نحيفًا، سريع الخَطْو، قليل الالتفات والتعريج، متوسط الزّي، متبذلًا في معالجة ما يتملّكه بخارج البلد، قليل الدّهاء والتّصنّع، غريب النّزْعَة، جامعًا بين الحِرص والقناعة.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة محمد بن علي الخولاني، المعروف بابن الفخار، في الكتيبة الكامنة (ص ٧٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠).

(٣) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفًا إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللمحة البدرية (ص ١٠٩).

مشيخته: قرأ[١] بسَبْتة على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي، ولازمه كثيرًا، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حُريث، والمقرىء الشريف الفاضل أبي العبّاس الحسني، والشيخ الأُستاذ النظّار أبي القاسم بن الشّاط، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشَيْد، والقاضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم. وهو أُستاذي، قرأت عليه القرآن، وكتابَيْ الجُمل والإيضاح، وحضرتُ عليه دولًا من الكتاب، ولازمته مدة، وعاشرتُه، وتوجّه صحبتي في الرسالة إلى المغرب.

وفاته: توفي بغَرناطَة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة، وكانت جنازته حافلة. وخمدت قرائح الآخذين عنه، ممن يُدْلي دِلو أدب، فيأتي بماءٍ أو حَمْأة، على كثرتهم، تقصيرًا عن الحق، وقَدْحًا في نسب الوفاء، إلّا ما كان من بعض مَن تأخّر أخذه عنه، وهو محمد بن عبد الله اللّوشي، فإنه قال: وعين هذه الأبيات قرارها[٢]: [الطويل]

ويوم نَعى النّاعي شِهابَ المحامِدِ ... تَغَيَّرتِ الدنيا لِمَصْرعِ[٣] واحِدِ

فلا عُذْرَ للعَيْنَيْن إن لمْ تُسامحا[٤] ... بدمعٍ يُحاكي الوَبْلَ يشفي لواجِدِ

مضى من بني الفخّار أفضلُ ماجِدٍ ... جَميلُ المساعي للعلا جدُّ شاهد[٥]

طواه الرّدى ما كلّ حيّ يهابُه ... وما وِزْدُه عارًا يشينُ لوارد

لقد غُيّبَتْ منه المكارمُ في الثّرى ... غداةَ ثَوى[٦] وانسدَّ باب الفوائد

فيا حاملي أعوادِهِ، ما علمْتُمْ ... بسؤْدَدِهِ الجمّ الكريم المَحاتِد؟

ويا حُفْرةً خُطّت له اليومَ مضجعا، ... سقَتْكِ الغوادي الصادقات[٧] الرّواعد

ألا يا حَمام الأيك ساعِدْنَ[٨] بالبكا[٩] ... على عَلَم[١٠] الدُّنيا وزينِ المشاهد

---

(١) راجع نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) ترجمة محمد بن عبد الله اللوشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١١). والقصيدة الدالية في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٢ ـ ٢١٣).

(٣) في الكتيبة الكامنة: «المهلك».

(٤) في الأصل: «تسايحا» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «شائد».

(٦) في الأصل: «نوى» والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة «الغاديات».

(٨) في الأصل: «ساعدني»، وكذا ينكسر الوزن والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «في البكا».

(١٠) في الكتيبة: «عالم».

علی أنْ لو اَسْتَطَعْتُ الفِداء فَدَيْتَهُ[١] بأَنْفَسِ مالٍ[٢] من طريفٍ وتالد
محمدُ، ما النُّعْمَى[٣] لموتك غضّةٌ[٤] تَروق[٥] ولا ماءُ الحياة ببارد
وكيف وبابُ العلم بعدك مُغْلق ومَوْرِدُه[٦] المتروكُ بين الموارد
أأستاذنا كنتَ الرَّجاءَ[٧] لآمل فأَصْبَحْتَ مهجور الفِناء[٨] لقاصد
فلا تُبْعِدَنْ شيخَ المعارف والحِجا[٩] أليس[١٠] الذي تحت التُّراب بباعِد؟
لتَبْكِ العلومُ[١١] بعدك اليوم[١٢] شَجْوَها ويُقْفِرْ[١٣] لها رَبْعُ العُلا والمعاهد
ليَبْكِ عليك الجودُ والدينُ[١٤] والتُّقى وحَسْبُ البُكا أن صِرْتَ ملحودَ لاحِد
أمولاي، مَنْ للمشكلات يُبِينُها فيُجلي[١٥] عَمَى كلِّ القلوبِ الشَّواهد
ومن ذا يحلُّ المقْفَلات صعابَها؟ ومن ذا الذي يَهْدي السبيل لحائد
فيا راحلًا عنَّا فَزِعْنا لفَقْده لقد أُونِسَتْ منك القبورُ بوافد
ويا كوكبًا غال النهارُ[١٦] ضياءه وشيكًا، وهل هذا الزمان بخالد؟
سأبكيكَ ما لاحتْ بُروقٌ لشائم وأرعاك ما كان الغمامُ بعائد[١٧]
عليك سلامُ الله ما دامت[١٨] الصَّبا تهبُّ[١٩] بِغُصْنٍ في الأراكة مائد

قلت[٢٠]: العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: وخَمَدت قرائح الآخذين عنه، وهو من أجلِّ مَن أخذ عنه، حسبما قرره آنفًا، بل أخصُّ من ذلك المعاشرة

(١) في الأصل: «على أني لو استطعت الفدا فديته» وكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة: «. . . الفدا لفديته».
(٢) في الأصل: «آل» والتصويب من الكتيبة.
(٣) في الأصل: «للنعمى»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والتصويب من الكتيبة.
(٤) في الكتيبة: «غبطة».
(٥) في الأصل: «توقف» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٦) في الكتيبة: «ومورِدك».
(٧) في الأصل: «الرجا»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.
(٨) في الأصل: «القنا»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.
(٩) في الكتيبة: «والحمى».
(١٠) في الأصل: «ليس» والتصويب من الكتيبة.
(١١) في الكتيبة: «العيون».
(١٢) كلمة «اليوم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.
(١٣) في الكتيبة: «ويعف. . . والمحامد».
(١٤) في الكتيبة: «والحلم».
(١٥) في الكتيبة: «فتجلو».
(١٦) في الكتيبة: «الزمان».
(١٧) في الأصل: «بعابد»، والتصويب من الكتيبة.
(١٨) في الكتيبة: «هبّت».
(١٩) كلمة «تهبُّ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.
(٢٠) الكلام من هنا حتى آخر الترجمة ليس لابن الخطيب، بل هو للناسخ.

والسفارة للعُدْوة. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، وأَسْخاهم قريحة في هذا الميدان، وإن أتى غيره بماءٍ أو حَمْأَةٍ، أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القَدْح في نسب وفاء الغير، فعَيْنُ ما نسبه من التقصير عن الحق في ذلك، متوجّه عليه، ولا حقَّ له، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع في الأزمان، ولا سيما بين أهل هذا الشان، فيكون ذلك سببًا في إعراض الغير مشيًا في غرضه، ومساعدة له. والله أعلم بحقيقة ذلك كله.

محمد بن علي بن محمد البَلَنْسي

من أهل غَرْناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: طالبٌ هشٌ، حسن اللّقاء، عفيفُ النشأة، مكبٌّ على العِلْم، حريص على استفادته، مع زَمانَةٍ أصابت يُمْنى يَدَيْه، نفعه الله. قيّد بأختِها وانتسخ، قائمٌ على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظٌ مُتْقِن، على نزعة عربية من التّجاذُع في المشي وقِلّة الالتفات إلّا بجملته، وجَهْوَريّة الصوت، متحلٍّ بسذاجة، حسنُ الإلقاءِ والتقرير، متّ للمُتَغلّب على الدولة بِضَنٍّ أفاده جاهًا واستعمالاً في خُطّة السوق، ثمّ اصطناعًا في الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخرًا النّكبة، وقاد المحنة، فأرْصَد له السلطان أبو عبد الله في أُخرياتها رجالًا بعثهم في رُنْدَة، فأسروه في طريقه، وقَدِموا به سَليبًا قدوم الشُّهرة والمُثلة، موقِنًا بالقتل. ثم عَطفَ عليهِ حَنينًا إلى حُسْن تِلاوته في محبسه ليلًا، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة ونكبة مُبيرة. ولما عاد لمُلْكِه، أعاده للإقراءِ.

مشيخته: جلّ انتفاعُه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفخّار، لازمه وانتفع به، وأعادَ دُولَ تدريسه، وقرأ على غيره. وألّف كتابًا في تفسير القرآن، متعَدِّد الأسفار، واستَدْرَك على السُّهيلي في أَعْلام القُرآن كتابًا نبيلًا، رَفَعَه على يَدِي للسُّلْطان. وهو من فضلاء جنسه، أعانَهُ الله وسدَّده.

محمد بن سعد بن محمد بن لُب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقيّ[1]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جَدّه.

---

(١) ترجمة ابن بقي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩) طبعة فاس.

أوليته: كان القاضي العَدْل أبو عبد الله بن هشام، قاضي الجماعة بالأندلس، يجلُّ سَلَفه، وينسبه إلى بَقِيّ بن مخلد، قاضي الخلافة بقرطبة، وابن هشام مِمَّن يُحتَجّ به.

حاله: هذا الرَّجل فاضل، حسن الخُلُق، جميل العشرة، كريم الصحبة، مَبْذُول المشاركة، معروف الذكاء والعفّة، مبسوط الكنَف مع الانقباض، فكِهٌ مع الحِشمة، تَسَعُ الطوائفُ أكنافَ خُلُقه، ويَعِمُّ المتضادَّين رَحبُ ذَرْعه، طالِبٌ محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون؛ من فقه، وقراءات، ونحو، وغير ذلك. تكلَّم للناس بجامع الرَّبض ثُمَّ بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللتين أقمْتُهما بأخشارش من داخل الحضرة، وحلّق به لتعليم العِلْم، فانثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تَفْهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجزْف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المُكَتّب أبي عبد الله بن طُرفة، والخطيب أبي عبد الله بن عامور. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار، وجوّد عليه القرآن بالقراءات السبع، وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لُب.

شعره: أنشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة(١): [الرمل]

كـم أرى مُـدْمِـنَ لَهْـوٍ ودَعَـة ... لستُ أُخْلي ساعةً من تَبِعَة

كان لي عذرٌ لدى عهد الصِّبا ... وأنا آمُلُ في العُمْر سَعَة

أو ما يُوقظنا مَنْ كُلُّنا ... آنفًا(٢) لقبره قد شَيَّعَة

سيَّما إذ قد(٣) بدا في مَفْرِقي ... ما إخالُ الموتَ قد جاءَ مَعَة

فدعوني ساعةً أبكي على ... عُمْرٍ أمسيتُ مِمَّن ضَيَّعَة

ومن شعره في النوم، وهو كثيرًا ما يَطْرقُه: [الوافر]

أباد البينُ أجنادَ التّلاقي ... وحالت بيننا خيلُ الفراقِ

فجودوا وارحموا وارثوا ورقُّوا ... على مَنْ جَفْنُه سَكَبَ المآقي

---

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩)، طبعة فاس.
(٢) في الأصل: «أنفًا» والتصويب من الكتيبة.
(٣) في الأصل: «وقد بدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

ومن ذلك ما أنشد في النّوْم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط]

يا صاحبيّ، قِفا المطايا وأشْفِقا فالعبيد عَبْدُهْ
إذا انتهى وانقضى زمان هل يرسل الله من يردُّهْ؟

مولده: في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعمائة.

محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطّرّاز.

حاله: من صلة ابن الزُّبير: كان، رحمه الله، مُقْرئًا جليلًا، ومحدّثًا حافلًا، به خُتِمَ بالمغرب هذا الباب البتّة. وكان ضابطًا مُتقنًا، ومُقيِّدًا حافلًا، بارع الخطّ، حسن الوِراقة، عارفًا بالأسانيد والطُّرق والرّجال وطبقاتهم، مُقرئًا، عارفًا بالأسانيد والقراءات، ماهرًا في صناعة التّجويد، مشاركًا في علم العربية والفقه الأُصول وغير ذلك، كاتبًا نبيلًا، مجموعًا فاضلًا مُتخَلّقًا، ثقةً فيما رَوَى، عَدْلًا ممن يُرجع إليه فيما قيّد وضبط، لإتقانه وحِذْقِه. كتب بخطه كثيرًا، وترك أُمّهات حديثيّة، اعتمدها الناس بعده، وعوّلوا عليها. وتجرّد آخر عُمْره، إلى كتاب «مشارق الأنوار» تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في مُبَيّضَة، في أنهى درجات النسخ والإدماج والإشكال وإهمال الحروف حتى اخترمت منفعَتُها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولًا حافِلَةً وأُمّهات جامعة من الأغربة وكتب اللُّغة، فتخلّص الكتاب على أتمّ وجه وأحسَنِه، وكَمُل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْحون، والقاضي ابن الطبّاع، وعن أبي جعفر بن شُراحيل، وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا، وأبي القاسم الملّاحي، وأبي محمد الكوّاب وغيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده، وبقرطبة عن جماعة، وبمالقة كذلك، وبسَبْتَة. وبإشبيلية عن أبي الحسن بن زَرْقون، وابن عبد النور. وبفاس وبمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله، واختصرتها لطولها.

وفاته: توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له وُدًّا في قلوب المؤمنين.

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان النَّفْزي[١]

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان[٢] نسيج وَحْدِهِ في ثقوب الذهن، وصحّة الإدراك والحفظ[٣]، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام النُّحاة في زمانه غَيْرَ مُدافِع، نشأ ببلده[٤] غرناطة، مشارًا إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغبير السوابق في مِضمار التَّحصيل. ونالته نَبْوَة[٥] لحق بسببها بالمشرق، واستقرّ بمصر، فنال ما شاء من عزٍّ وشهرة، وتأثُّلٍ وبرٍّ[٦] وحُظوةٍ، وأضحى لمن حَلَّ بساحته من المغاربة ملجأً وعُدَّة. وكان شديد البَسْط، مَهيبًا، جَهْوَرِيًا، مع الدُّعابة والغزل، وطرح السَّمْت[٧]، شاعرًا مُكْثِرًا، مليح الحديث، لا يُمِلّ وإن أطال، وأسنَّ جدًّا، وانتُفع[٨] به. قال بعضُ أصحابنا: دخلْتُ عليه، وهو يتوضأُ، وقد استقرَّ على إحدى رجليه لغسل الأُخرى، كما تفعل البُرْك والإوزّ، فقال[٩]: لو كنتُ اليوم جارَ شُلَيْر[١٠]، ما تركني لهذا العمل في هذا السِّن[١١].

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حائز الرياسة أبي جعفر بن الزُّبير ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له بالمشرق ذكرًا كبيرًا. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نَعْيُه، وصلّى عليه بالقاهرة، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر علي بن محمد الرُّعيني الطبّاع، والخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المحَدِّث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،

---

(١) ترجمة أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٢٦٧) والكتيبة الكامنة (ص ٨١) وبغية الوعاة (ص ١٢١) والبدر السافر (ص ١٧٨) ونكت الهميان (ص ٢٨٠) والدرر الكامنة (ج ٥ ص ٧٠) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٨٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٤٥) والنجوم الزاهرة (ج ١٠ ص ١١١) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٨٠). والنفزي: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر. بغية الوعاة (ص ١٢١).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

(٣) كلمة «والحفظ» غير واردة في النفح.

(٤) في النفح: «في بلده».

(٥) النَّبْوة: الجَفْوة. لسان العرب (نبا).

(٦) في النفح: «وتأثّل، وافر وحظوة».

(٧) في النفح: «التسمُّت».

(٨) في النفح: «فانتفع».

(٩) في النفح: «فقال لي».

(١٠) هو جبل شُلَيْر المطلّ على غرناطة والذي تغطيه الثلوج على مدار السنة. وهناك دراسة مفصلة عنه في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣ ـ ٤٦) فلتنظر.

(١١) لهنا ينتهي النص في نفح الطيب.

والمكتِّب أبي سهل اليُسْر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليُسْر القُشيري، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون الطائي بتونس، وعلى المُسْند صفي الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفُرات الحسني بالإسكندرية، والمُسْند الأُصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر، والمحدِّث نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيَّد الهمَداني بالقاهرة، وغيرهم ممن يشقّ إحصارهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النَّحاس الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة، وقال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

تواليفه: وتواليفه كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». وهو بديع، وقد وقَفْتُ على بعضه بغرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتابه في تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمّى بـ«البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض. وألف كتابًا في نحو اللّسان التُركي، حدَّثنا[١] عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاجّ أبي يزيد خالد بن عيسى، والمَقري الخطيب أبي جعفر الشُّقُوري، والشَّريف أبي عبد الله بن راجح، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مَرْزوق. وقال[٢]: حدَّثنا شيخنا أثير الدِّين[٣] في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية بَيْنَ القَصْرين بمنزلة منها[٤]. قال[٥]: حدَّثنا الأُستاذ العلّامة المتفنن[٦] أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير، سماعًا من لفظه، وكَتْبًا[٧] من خطِّهِ بغَرْناطة، عن الكاتب أبي إسحٰق بن عامر الهمَداني الطُّوسي بفتح الطاءِ، حدَّثنا أبو عبد الله بن محمد العَنْسي القرطبي، وهو آخر من حدّث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجيّاني، أنبأنا[٨] حكم بن محمد، أنبأنا[٨] أبو بكر بن المهندس، أنبأنا[٨] عبد الله بن محمد، أنبأنا[٨] طالوت بن عياد[٩] بن بصّال بن جعفر، سمعت أبا أُمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: اكفلوا لي بستٍّ أكفل[١٠] لكم في

(١) راجع نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥).
(٢) في النفح: «قال».
(٣) في النفح: «شيخنا أبو حيان».
(٤) كلمة «منها» ساقطة في النفح.
(٥) كلمة «قال» ساقطة في النفح.
(٦) قوله: «العلامة المتفنن» ساقط في النفح.
(٧) في النفح: «وكتبه».
(٨) في الأصل: «نا» والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «عباد بن نصال».
(١٠) في الأصل: «لي بيت أهلٍ لكم في الجنة» وهذا لا معنى له، وقد صوّبناه من النفح.

الجنة[١]، إذا حدَّث أحدكم بلا كذب، وإذا ائتُمن فلا يَخُنْ، وإذا وَعَدَ فلا يُخلفْ. غضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم[٢].

وقال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطبّاع، قال: أنشدنا ابن خَلْفُون، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن أبي تليد لنفسه: [المنسرح]

حالي مع الدهر في تقلُّبه ... كطائر ضمّ رِجْلَه الشَّرَكُ
فهمُّه في خلاص مُهجته ... يروم تخليصها فيَشْتَبِكُ

ومن مُلَحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفَرَضي بالقاهرة في طلب الحديث، وكان رجلًا حسنًا طيِّب الأخلاق، لطيف المزاج، فكنّا نُسايره في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخاري، فنظمت هذه الأبيات[٣]: [الطويل]

بدا كهلالِ العيد[٤] وَقْتَ طُلُوعِهِ ... وماسَ[٥] كغُصْنِ الخَيْزُرانِ المُتَعَّمِ
غزالٌ رخِيمُ الدَّلِّ وافى مُواصلا ... موافقةً منه على رغم لُوَّم
مليحٌ غريبُ الحُسْنِ أصبح مُغْلِمًا ... بحُمْرة[٦] خدٍّ بالمحاسن مُعْلِم
وقالوا: على شَرْط البخاريِّ قد أتى ... فقُلْنا[٧]: على شرط البخاريِّ ومُسْلِم
فقال البخاري: فمن هو مُسْلمٌ[٨]؟ ... فقلت له: أنت البخاري ومُسْلم[٩]

محنته: حملته[١٠] حدَّةُ الشيبة على التَّعريض[١١] للأُستاذ أبي جعفر الطَّبّاع، وقد وقَعَتْ بينه وبين أستاذه ابن الزُّبير الوَحشَة فنال منه، وتصدّى للتأليف في الرّد عليه، وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى[١٢] السلطان، فامتعض له، ونُفّذ الأمر بتَنْكِيله، فاختفى، ثم أجاز البحر مُخْتَفِيًا، ولحق بالمشرق يَلْتَفِتُ خَلْفه.

---

(١) في النفح: «بالجنة». (٢) لهنا ينتهي النص في النفح.
(٣) الأبيات، عدا البيت الأخير، في الكتيبة الكامنة (ص ٨٢).
(٤) في الكتيبة: «الأفق». (٥) في الكتيبة: «ومال».
(٦) في الأصل: «بخمرة» بالخاء، والتصويب من الكتيبة.
(٧) في الكتيبة: «فقلتُ».
(٨) رواية صدر البيت في الأصل هكذا: فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلمْ، وكذا ينكسر الوزن.
(٩) في الأصل: «وأنا مسلم» وكذا ينكسر الوزن.
(١٠) النص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥). (١١) في النفح: «التعرّض».
(١٢) في النفح: «للسطان».

شعره: وشعره كثير بحيث يتّصف بالإجادة وضدّها. فمن مطوّلاته، رحمه الله، قوله[١]: [البسيط]

لا تَعْذِلاه فما ذو الحُبِّ معذولُ ... العقلُ مُخْتَبلٌ والقَلْبُ مَتْبولُ
هَزّتْ له أسْمَرًا من خُوطِ قامتها ... فما انْثنى الصَّبُّ[٢] إلّا وهو مقتولُ
جميلةٌ فَصَّلَ الحُسْنُ البديعُ لها ... فكم لها جُمَلٌ منه وتَفْصيلُ
فالنَّحرُ مَرْمَرَةٌ والنَّشْرُ عَنْبَرَةٌ ... والثَّغرُ جَوْهَرَةٌ والرِّيقُ مَعْسُول[٣]
والطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ والعَرْفُ ذُو أرَجٍ ... والخَصْر مُخْتَطَفٌ، والعُنْق[٤] مَجْدُول
هيفاءُ يَنْبِس[٥] في الخَصْر الوشاحُ لها ... دَرْماءُ[٦] تُخْرَسُ في الساق الخلاخيلُ
مِنَ اللواتي غَذاهُنّ النَّعِيمُ فما ... يَشْقَين، آباؤها الصِّيدُ البَهاليلُ[٧]
نُزْرُ الكلام غَمِيّاتُ الجواب إذا ... يُسَلْنَ بعد الصحا خُصْرٌ مكاسيل
من حَلْيِها وسناها مونسٌ وهُدى ... فليس يلحقها ذُعْرٌ وتضليل
حلَّت بمُنْعَقِد الزَّوْراءِ زارةٌ ... شُوسًا غَيارى فَعِقْد الصَّبْر محلول
فَصُدَّ عن ذِكْر لَيلى إنّ ذِكْراهَا[٨] ... على التَّنائي لَتَعْذِيبٌ وتعليلُ
أتاكَ منك نذيرٌ فأنْذِرَنْ به ... وبادِرِ التَّوْبَ إنّ التَّوْب مقبول
وآمُلِ العَفْوَ واسْلُكْ مَهْمَهًا قَذَفًا ... إلى رضى الله إنّ العفو مأمول
إن الجهاد وحجَّ البَيْت مُخْتَتَمًا ... بِزَوْرَة المصطفى للعَفْو تأميل
فشقَّ حَيْزومَ هذا الليل مُمْتَطيًا ... أخا خُرامٍ به قد يُبْلَغُ السُّوْلُ
أقَبَّ أعوجَ يُعْزى للوجيه له ... وجْهٌ أغرُّ وفي الرجلين تَحجيل
جُفْرٌ حوافِره، مُعْرٌ قوائمه ... ضُمْرٌ أياطلُهُ، وللذَّيْل عُثْكُولُ[٩]

---

(١) الأبيات السبعة الأوائل في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦).
(٢) في الأصل: «للصّبّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «... مرمره... عنبره... جوهره...» والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «والمَتْنُ».
(٥) في النفح: «ينطق».
(٦) في الأصل: «رَدْما» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى لها. والتصويب من النفح. والمرأة الدَّرْماء: هي التي لا تستبين كعوبُها ومرافقُها من الشحم واللحم. محيط المحيط (درم).
(٧) الصِّيد، بكسر الصاد وسكون الياء: جمع أصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبرًا. البهاليل: جمع بُهْلول وهو السيّد الجامع لكل خير. محيط المحيط (صيد) و(بهلل).
(٨) في الأصل: «ذكرها» وهكذا ينكسر الوزن.
(٩) العثكول: العِذْق أو الشِّمراخ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم. محيط المحيط (عثكل).

إذا تَـوَجّـه أصْـغـى وَهْـوَ مـلـتـفـتٌ مَـسـاعـرٌ[١] أعـتـقـا فـيـهـنّ تـأليـل
وإن تُـعـارِضْ بـه هَـوْجـاءُ[٢] هـاجَ لـه جَرْيٌ[٣] يُرى البَرْقُ عنه وهو مخذول
يحمي به[٤] حَوْزَةَ الإسلام مُلْتَقِيًا كـتـائبًا غُـصَّ مـنـهـا العَرْضُ والطُّول
كـتـائـبًا قـد عَـمـوا عـن كـل واضـحـةٍ مِـن الـكِـتـاب وغـرّتْـهُـم أبـاطـيـل
في ماقِطٍ[٥] ضرب الموتُ الزؤام[٦] به سُـرادقًا فـعـلـيـهـم مـنـه تَـخْـيـيـل
هيجاء[٧] يُشْرِفُ فيها المَشْرَفيُّ[٨] على هامِ العدوّ ويصحى[٩] النَّقْعَ تَضْليل
تدير كأسَ شَعُوبٍ[١٠] في شعوبهمْ فـكـلُّـهـمْ مُـنـهِـلٌ بـالـمـوت مَـعْـلُـول
وإذْ[١١] قَضَيْتَ غَزاةً فالتَفِتْ عملًا لـلـحـجّ فـالـحـجُّ لـلإسـلام تَـكـمـيـل
واصلْ بسرٍّ مُعَدٌّ[١٢] يا ابن أندلس والـطَّـرْفُ أَدْهَـمُ بـالأَشْـطـان مَـغْـلُـول
يُـلاطِـم الـريـحَ مـنـه أبـيـضٌ نُـفـق لـه مـن الـسـحـب الـمُـزْبِـد إكـلـيـل
يعلو حَضارينَ[١٣] منه شامخٌ جَلَلٌ سام طَفَا وهو بـالـنَّـكْـبـاء مَـحْـمُـول
كـأنّـمـا هـو فـي طَـخْـيـاءَ[١٤] لُـجّـتِـه أَيْـمٌ[١٥] يَـعْـرو أديـم الـسَّـيـل شِـمـلـيـل
مـا زالـت الـمـوج تُـعْـلـيـه وتُـخْـفِـضـه حتّى بدا من منار الثَّغْر قنديل
وكَـبَّـرَ الـنـاسُ أعـلاه الـرنـيـم[١٦] وكـلُّـهـمْ طَـرْفُـه بـالـشـهـد مـكـحـول
وصافحوا البِيدَ بعد اليمّ وابتدروا سُـبْـلًا بـهـا لـجـنـاب الله تـوصـيـل

---

(١) مساعر البعير: أباطله. محيط المحيط (سعر).
(٢) في الأصل: «هَوْجَا» وكذا ينكسر الوزن. والهَوْجاء: الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت، والجمع هُوج.
(٣) في الأصل: جريء» بهمزة، وهو ما لا يتفق مع الوزن والمعنى.
(٤) كلمة «به» ساقطة في الأصل.
(٥) في الأصل: «رماقط»، وكذا لا يستقيم للوزن ولا المعنى. والماقط: أضيق المواضع في الحرب. محيط المحيط (مقط).
(٦) الموت الزؤام: الموت الكريه أو السريع. محيط المحيط (زأم).
(٧) في الأصل: «هيجا» وهكذا ينكسر الوزن.
(٨) أي السيف المَشْرَفي، نسبة إلى مشارف اليمن، لسان العرب (شرف).
(٩) في الأصل: «ويصحب»، وكذا ينكسر الوزن.
(١٠) شَعُوب: اسم للمنيّة غير منصرف للعلمية والتأنيث. محيط المحيط (شعب).
(١١) في الأصل: «وإذا» وكذا ينكسر الوزن. (١٢) كلمة «مُعَد» ساقطة في الأصل.
(١٣) في الأصل: «حضارة» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.
(١٤) في الأصل: «طُخَيَا» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(١٥) الأَيْم: الحيّة وذكر الأفعى. محيط المحيط (أيم).
(١٦) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

على نجائبَ تتلوه أجنابها[1] ... خَيْلٌ بها الخيرُ معقود ومعقول

في مَوْكِبٍ تزحفُ الأرضُ الفضاءُ به ... أَضْحَتْ ومُوحِشُها بالناس مأمول

يطارد الوَحْشَ منه فيلقٌ لَجِبٌ ... حتى لقد ذُعرت في بيدها الغُول

سيوفُهُمْ طُرُبٌ نحو الحجاز فهمْ ... ذوو ارتياح على أكوارها ميل

شُعْثٌ رؤوسهمُ، يُبْسٌ شِفاهُهُمُ ... خُوصٌ عيونهمُ، غُرْبٌ مهازيل

حتى إذا لاح من بيت الإلٰه لهمْ ... نورٌ إذا هم على الغَبْرا أراحيل

يُعَفِّرُون وجوهًا طالما سَمُتْ ... باكين حتى أديمُ الأرض مَبْلولُ

حَفُّوا بكعبةِ مولاهمْ فكَعْبُهُمُ ... عالٍ بها لهمُ طَوْفٌ وتَقْبيل

وبالصَّفا وَقْتُهُمْ صافٍ بسعيهمُ ... وفي مِنًى لمُناهمْ كان تَنْويل

تعرَّفوا عرفاتٍ واقفين بها ... لهمْ إلى الله تكبيرٌ وتهليل

لمّا قضينا من الغرّاءِ مَنْسَكَنَا ... ثُرْنا وكلٌّ بنارِ الشوق مشمول

شِدْنا إلى الشَّد قميات التي سكنت ... أبدانُهنّ وأفناهُنَّ تنقيل

إلى الرسول تُزَجّى كلّ تعلمة ... أجلٌ من نجوة تزجي المراسيل

مَنْ أُنزِلَتْ فيه آياتٌ مطهَّرة ... وأُورِثَتْ فيه تَوْراةٌ[2] وإنجيل

وعُطِّرتْ من شَذاه كلُّ ناحية ... كأنّما المِسْك في الأرجاءِ محلول

سرٌّ من العالم العُلْويّ ضمَّنه ... جسمٌ من الجوهر الأرضي محمول

نورٌ تَمَثَّل في أبصارنا بَشَرًا ... على الملائك من سِيماه تمثيل

لقد تَسامى وجبريلٌ مُصاميهِ ... إلى مقامٍ رَخيٍّ[3] فيه جبريل

أوحى إليه الذي أوحاه من كُتُب ... فالقلب واعٍ بِسرِّ الله مشغول

يتلو كتابًا من الرحمٰن جاءَ به ... مطهَّرًا طاهرٌ منه وتأويل

جارٍ على مَنهج الأعراب أعْجَزَهُمْ ... باقٍ مع الدَّهر لا يأتيه تبديل

بلاغةٌ عندها كعُّ البليغ فلم ... يَنْطق وفي هَدْيه صاحت أضاليل

ومنها:

وطُولِبوا أن يُجيبوا حين رابَهُمُ ... بسُورةٍ مثله فاستَعْجَزَ القِيلُ

---

(١) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تورته» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «راخي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والرَّخيُّ: الواسع.

لاذوا بذوبان خَطّيٍّ[1] وبتر ظُبى — يوم الوغى واعتراهُمْ منه تنكيل

فمونفٌ في جبال الوَهْد مُنْحَدر — ومُوثَقٌ في حبال الغَدِ مَكْبُول

ما زال بالعَضْب هتّاكًا سوابِغَهُمْ — حتى انثنى العَضْبُ منهمْ وهو مَفْلول

وقد تحطّم في نَحْر العدا قصدً — صَمُّ الوشيجِ[2] وخانَتْها العواميل

من لا يُعَدِّله القرانِ كان له — من الصِّفاد وبيض البَتْر تعديلُ

وكم له معجزًا غير القرانِ[3] أتى — فيه من الحقّ مَنْقولٌ ومعقول

فللرسول انشقاقُ البدر نَشْهَدُه — كما لموسى انفِلَاق البحر مَنْقول

ونَبْع ماء فراتٍ من أنامله — كالعين ثَرَّتْ فجا الهتّان ما[4] النيل

روّوا الخميس وهُمْ زُهاء سبعِ مَي — مع الرُّكاب فَمَشْروبٌ ومَحْمول

وميٌ عينٌ بكفٍّ جاءَ يحملها — قتادةُ وله شكوى وتَعْويل

فكان[5] أحسَنَ عينيه ولا عَجَبٌ — مَسَّتْ أنامِل فيها اليُمْن مَجْعول

والجِذْع حَنَّ إليه حين فارقه — حَنينَ وَلْهَى لها للرُّوم مشكول

وأشبع الكُثْر من قِلِّ الطعام ولم — يكن لِيُعْوِزَهُ بالكُثْر تقليل

وفي جراب ولا[6] هنَّ عجائبُ كم — يَمْتار منه فمَبْذُول ومأكُول

وفي ارْتواءٍ إلى ذَرْءٍ[7] بزمزم ما — يكفي تبدَّن منه وهو مَهْزول

والعنكبوت بباب الغار قد نُسِجَتْ — حتى كأنَّ رداءً منه مسدول

وفَرَّخَتْ في حِماه الوُرْقُ ساجعة — تبكي وما دَمْعُها في الخَدِّ مطلول

هذا وكم معجزاتٌ للرسول أتَتْ — لها من الله أمداد وتأصيل

غدَت من الكُثْر أعْداد النجوم فما — يُحْصي لها عددًا كُتْبٌ ولا قِيل

قد انقَضَت معجزات الرُّسل منذ قضوا — نَحْبًا وأعْجَم منها ذلك الجيل

ومعجزات رسول الله باقية — محفوظةٌ ما لها في الدّهر تحويل

---

(١) الخَطِّيُّ: الرمح نسبة إلى الخطّ، والخَطّ: مرفأ السفن بالبحرين. لسان العرب (خطط).

(٢) في الأصل: «أصمُّ الوشج» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والوشيج: شجر الرماح. لسان العرب (وشج).

(٣) في الأصل: «القرآن» وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٤) في الأصل: «ماء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «فكانت» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «لي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) في الأصل: «لي ذَرٍّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تكفَّل الله هذا الذِّكر يحفظه ... وهل يَضيع الذي بالله مَكْفول؟
هذي المفاخرُ لا يَحظى الملوك بها ... لِلمُلْكِ[1] منقطعٌ والوحي مَوْصول

ومن مطولاته في غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العِلْم لا كالعلْم شيءٌ تُراوِدُهْ ... لقد فاز باغِيه وأنجح قاصدُهْ
وما فضّل الإنسان إلّا بعِلْمه ... وما امتاز إلّا ثاقِبُ الذِّهْن واقِدُهْ
وقد قَصُرَتْ أعمارُنا وعلومنا ... يطول علينا حَصْرُها ونُكابِدُه
وفي كلِّها خيرٌ ولكنَّ أصلها ... هو النَّحو فاحْذَرْ من جَهُول يُعَانِده
به يُعرف القرآن والسُّنَّة التي ... هما أَصْلُ دينِ الله ذو أنت عابده
وناهيك من علم عليٌّ مُشيد ... مبانيه أَعْزِزْ بالذي هو شائده
لقد حاز في الدنيا فخارًا وسؤددًا ... أبو الأسود الديلي[2] فللجرّ سانده
هو استنبط العلم الذي جلَّ قَدْرُه ... وطار به لِلْعُرْب ذكرٌ نعاوده
وساد عطا نجله وابن هرمز ... ويحيى ونصرٌ ثم ميمونُ ماهده
وعنْبَسَةُ قد كان أبرعَ صَحبه ... فقد قلّدت جيدَ المعالي قلائدُه
وما زال هذا العلم تُنْميه سادةٌ ... جهابذةٌ تَبْلى به وتعاضده
إلى أنْ أتى الدّهر العقيم بواحد ... من الأَزْد تُنميه إليه فرائده
إمامُ الورى ذاك الخَليل بن أحمد ... أقرَّ له بالسبق في العلم حاسدُهْ
وبالبَصرة الغرّاء[3] قد لاح فَجْرُهُ ... فنارت أدانيه وضاءت أباعِدُهْ
ذكيٌّ[4] الورى ذِهْنًا وأصدق لهجة ... إذا ظنَّ أمرًا قلتُ ما هو شاهده
وما أن يُرَوِّي بل جميع علومه ... بدائهُ[5] أعْيَتْ كلَّ حَبْرٍ تُجالده
هو الواضعُ الثاني الذي فاق أولا ... ولا ثالثٌ في الناس تصمى قواصده
فقد كان ربّانيَّ أهل زمانه ... صُوَيمٌ قُوَيمٌ[6] راكِعُ الليل ساجده
يُقَيِّمُ منه دهرهُ في مَثُوبة ... وثوقًا بأنَّ الله حقًّا مُواعدُهْ

(١) في الأصل: «الملك»، وكذا يتكسر الوزن.
(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، واضع علم النحو.
(٣) في الأصل: «الغرا»، وكذا يتكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «يا ذكيّ»، وكذا يتكسر الوزن، لذا حذفنا حرف النداء «يا».
(٥) في الأصل: «بدايةٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٦) في الأصل: «صُوَّمٌ قُوَّمٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فعامٌ إلى حجّ وعامٌ لغَزْوة ... فيعرفه البيْتُ العتيق ووافِدُهْ
ولم يُثْنه يومًا عن العلم والتُّقى ... كواعِبُ حُسْنٍ تَنْثَني ونواهِدُهْ
وأكثرُ سُكْناه بقَفْر بحيث لا ... تُناغيه إلّا عَفْرُهُ وأوابِدُه
وما قُوتُه إلّا شَعير يُسيغُه ... بماءٍ قَراح ليس تَغْشى موارده
عزوبًا عن الدنيا وعن زَهَراتها ... وشوقًا إلى المولى وما هو واعِدُه
ولمّا رأى من سيبويه نجابة ... وأيقن أنَّ الحِين أدناه باعِدُه
تَخَيَّرَهُ إذ كان وارثَ عِلْمه ... ولاطَفَهُ حتّى كأنْ هو والده
وعَلَّمَه شيْئًا فشيْئًا عُلُومه ... إلى أن بَدَتْ سيماه واشتدَّ ساعده
فإذْ ذاك وافاهُ من الله وَعْدُهُ ... وراح وحيدَ العصر إذ جاءَ واحدُه
أتى سيبويه ناشرًا لعُلُومه ... فلولاه أَضحى النحو[1] عُطْلًا شواهده
وأبدى كتابًا كان فخرًا وجوده ... لقحطانَ إذ كعب بن عمرو مُحاتده
وجَمَّعَ فيه ما تفرّق في الورى ... فطارِفُه يُعْزَى إليه وتالِدُه
بعمرو بن عثمان بن قُنبر الرِّضا ... أطاعت عَواصِيه وتابَتْ شَوارِدُهْ
عليك قران[2] النحو نحو ابن قنبر ... فآياته مشهودةٌ وشواهده
كتاب أبي بِشْر[3] فلا تَكُ قارئًا ... سواه فكلُّ ذاهبُ الحُسن فاقدُهْ
همُ خُلُجٌ بالعِلْم مُدَّتْ فعندما ... تناءَت غَدَتْ تَزْهى وليست تُشاهده
ولَا تَعْدُ عمّا حازه إنه الفَرا ... وفي جَوْفه كلُّ الذي أنت صائده[4]
إذا كنت يومًا مُحْكمًا في كتابه ... فإنّك فينا نابهُ القَدْرِ ماجِدُهْ
ولستَ تبالي إن فَكَكْتَ رموزه ... أعضّك دهرٌ أم عَرَتْك ثرائدُهْ
هو العَضْبُ إنْ تَلْقَ الهياجَ شَهَرْتَهُ ... وإن لا تُصِبْ حربًا فإنّك غامدُهْ
تلَقّاهُ كلٌّ بالقَبُول وبالرِّضى ... فذُو الفهم من تَبْدُو إليه مقاصده
ولم يعترضْ فيه سوى ابنِ طراوةٍ ... وكان طريًّا لم تقادم معاهده
وجَسَّرَهُ طَعْنُ المُبَرِّد قبله ... وإنّ الثّمالي باردُ الذّهن خامده

---

(١) في الأصل: «للنحو عُطْلًا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «قرآن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.
(٣) أبو بِشْر: هو نفسه سيبويه.
(٤) يشير هنا إلى المثل: «كل الصيد في جوف الفَرا» يُضرب لمن يُفَضَّلُ على أقرانه. والفرا: أصلها: الفراء وهو الحمار الوحشي. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

هُما ما هُما صارا مدى الدهر ضِحْكَة ... يُزيِّف ما قالا وتبدو مفاسدُه
تكون صحيحَ العقل حتى إذا ترى ... تُباري أبا بشرٍ، إذا أنت فاسدُه
يقول امرؤٌ قد خامر الكِبْر رأسه ... وقد ظنّ أنّ النحو سهلٌ مقاصده
ولم يشتغل إلّا بنَزْرٍ مسائلٍ ... من الفقه في[1] أوراقه هو راصده
وقد نال بين الناس جاهًا ورُتْبة ... وألْهاك عن نيل المعالي ولابِدُه
وما ذاق للآداب طَعْمًا ولم يَبِتْ ... يُعَنّى بمنظومٍ ونثرٍ يجاوِدُه
فينكَحُ أبكار المعاني ويَبْتَغِي ... لها الكُفْو من لفظ بها هو عاقِدُه
رأى سيبويه فيه بعض نَكادة ... وعُجْمة لفظٍ لا تُحَلُّ معاقدُه
فقلت: أما أتى[2] ما أنت أهلٌ لفهمه ... وما أنت إلّا غائصُ الفِكر راكدُه
لعَمْرُك ما ذو لحية وتَسَمُّتٍ ... وإطراق رأس والجهات تساعده
فيمشي على الأرض الهُوَيْنا كأنما ... إلى الملإ الأعلى تناهَتْ مراصدُه
وإيهامُك الجُهّال أنّك عالِمٌ ... وأنّك فردٌ في الوجود وزاهِدُه
بأجلَبَ للنّحو الذي أنت هاجرٌ ... من الدّرس بالليل الذي أنت هاجِدُه
أصاحِ، تجنَّبْ من غويٍّ مُخَذِّل ... وخُذْ في طريق النّحو أنّك راشِدُهْ
لك الخَيْرُ فاذأَبْ ساهرًا في علومه ... فلم تُشِمْ إلّا ساهرَ الطَّرْفِ ساهدُهْ
ولا تَرْجُ في الدنيا ثوابًا فإنما ... لدى الله حقًّا أنت لا شكّ واجدُه
ذوو النحو في الدنيا قليلٌ حظوظهمْ ... وذو الجهل فيها وافرُ الحظِّ زائده
لهمْ أُسْوةٌ فيها على لاغدٍ[3] مضى ... ولم يَلْقَ في الدنيا صديقًا يساعده
مضى بعده عنها الخليلُ فلم يَنَلْ ... كفافًا ولم يَعدمْ حسودًا يناكده
ولاقى أبا بِشْر خليلٌ[4] سفيهَها ... غداةَ تمالتْ في ضلال يُمادده
أتى نحو هارونٍ[5] يناظر شيخه ... فَنَفْحَته[6] حتّى تبدّتْ مناكده
فأطرق شيئًا ثم أبدى جوابه ... بحقّ ولكنْ أنكر الحَقَّ جاحدُه
وكاد علي عَمْرًا إذا صار حاكمًا ... وقِدْمًا عليٌّ كان عمرٌو يكايده
سقاه بكأس لم يُفِقْ من خِمارها ... وأورده الأمر الذي هو وارده

---

(١) في الأصل: «وفي» وكذا يتكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «أتيت» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «لَغِدٍ» وكذا لا يستقيم الوزن.
(٤) كلمة «خليل» ساقطة في الأصل. وأبو بشر: هو سيبويه. وخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي.
(٥) هو اليهودي النحوي هارون بن موسى.
(٦) في الأصل: «فنفحة»، وكذا يتكسر الوزن.

ولابن زياد شركة في مراده ولابن رُشَيْد شَرَكُ[١] القلبِ رائده
هما جرّعا إلى عليّ وقُنبر أفاويق سُمّ لم تُنَجِّدْ أساوده
أَبْكِي على عمرو ولا عَمْرَ مثله إذا مُشْكِلٌ أعيا وأَعْوَزَ ناقده
قضى نَحْبه شَرْخ الشَّبيبة لم يُرَعْ بشَيْبٍ ولمْ تَعْلَق بذامٍّ معاقده
لقد كان للناس اعتناءٌ بعلمه بشرقٍ وغربٍ تُسْتَنَار فوائده
والآن فلا شخص على الأرض قارئٌ كتاب أبي بشرٍ ولا هو رائده
سوى معشرٍ بالغَرْب فيهمْ تلَفُّتٌ إليه وشوقٌ ليس يَخْبُو مواقدُه
وما زال منّا أهلُ أنْدَلسٍ له جهابذُ تُبْدي فضله وتُناجِدُهْ
وإنّي في مِصْرَ على ضعفِ ناصري لَناصِرُهُ ما دُمْتُ حَيًّا وعاضِدُهْ
أثار أثيرُ الغَرْب للنَّحو كامنًا وعالجه حتّى تبدَّت قواعده
وأحيا أبو حيّانَ مَيْتَ علومه فأَصبح عِلْمُ النحو ينفق كاسده
إذا مَغْرِبي حَطَّ بالثَّغْر رَحْلَه تَيَقَّن أنّ النحو أخفاه لاحدُه
مُنينا بقوم صُدِّروا في مجالس لإقراءِ عِلْم ضلّ عنهمْ مراشدُه
لقد أُخِّر التصدير عن مُسْتحقّه وقُدِّم غُمْرٌ خامِدُ الذهن جامدُه
وسوف يلاقي مَنْ سَعَى في جلوسهمْ جزاءً[٢] وعُقْبى أَكَنَّتْ عقائدُه
علا عقلَه فيهمْ هواهُ فما درى بأنّ هوى الإنسان للنار قائدُه
أقمْنا بمصر نحوَ[٣] عشرين حجة يُشاهدنا ذو أمرهمْ ونُشاهده
فلمّا نَنَلْ منهمْ مدى الدهر طائلا ولمّا نجدْ فيهمْ صديقًا نُوادده
لنا سلوةٌ فيمن سَرَدْنا حديثهمْ وقد يُتَسَلّى بالذي قال سارده
أخي إنْ تَصِلْ يومًا وبُلِّغْتَ سالمًا لغرناطةٍ فانفذ لما أنا عاهده
وقَبِّل ثَرَى أرض بها حَلّ مَلْكنا وسُلطاننا الشَّهْمُ الجميلُ عوائده
مُبيدُ العِدا قَتْلًا وقد عَمَّ[٤] شَرُّهُمْ ومُحيي النّدى فضْلًا وقد رَمَّ هامده
أفاض على الإسلام جودًا ونجدةً فعزَّ مواليه وذلّ معانده

---

(١) في الأصل: «بشرك للقلب»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) كلمة «جزاء» ساقطة في الأصل، فأضفناها مع حرف العطف في كلمة «عُقْبى»، ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٣) كلمة «نحو» ساقطة في الأصل.
(٤) في الأصل: «عمر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وعَمَّ بها إخواننا بتحيَّة ... وخَصَّ بها الأستاذ لا عاش كائده
جزى الله عنّا شيخنا وإمامنا ... وأُستاذنا[١] الحَبْرَ الذي عَمَّ فائده
لقد أطْلَعَتْ جيّان أوحد عصره ... فللغرب فخرٌ أعجز الشرق خالده
مؤرخةٌ نحويةٌ وإمامةٌ ... مُحَدِّثةٌ جَلَّتْ وصَحَّتْ مسانِدُه
جاهٌ عظيمٌ من ثقيفٍ وإنما ... به استوثقتْ منه العُرى ومساعده
وما أنسَ لا أنسى سُهادي ببابه ... بسبْقٍ وغيري نائم الليل راقده
فيجْلُو بنور العلم ظُلْمة جَهْلنا ... ويفتح عِلمًا مُغْلَقاتٍ رصائده
وإنّي وإن شطّت بنا غُرْبة النّوى ... لشاكرٌ لهُ في كل وقت وحامده
بغرناطةٍ رُوحي وفي مِصْرَ جُثّتي ... تُرى هل يُثنّي الفَرْدَ من هو فارده؟
أبا جعفرٍ، خُذْها قوافيَ مِنْ فتًى ... تَتِيه على غُرّ القوافي قصائده
يسيرُ بلا إذْن إلى الأذْن حُسْنَها ... فيرتاح سمّاعٌ لها ومناشده
غريبةُ شكلٍ كم حَوَتْ من غرائب ... مجيدةُ أصل أنتجتها أماجده
فلولاك يا مولاي ما فاه مِقْولي ... بمصرَ ولا حبَّرْتُ ما أنا قاصده
لَهَذَّبْتَني حتّى أحوك مُفَوَّقًا ... من النظم لا يَبْلى مدى الدهر آبده
وأذكيْتَ فكري بعد ما كان خامدًا ... وقَيَّد شعري بعد ما نَدَّ شارِدُه
جعلْتُ ختامًا فيه ذكرك إنه ... هو المسك بل أغلى وإن عزَّ ناشده

ومما دُونَ من[٢] المطولات قوله رحمه الله[٣]: [الطويل]

تفرَّدْتُ لمّا أن جُمِعْتُ بذاتي[٤] ... وأُسْكِنْتُ لما أن بَدَتْ حركاتي[٥]
فلم أرَ في الأكوان غيرًا[٦] لأنني ... أزَحْتُ عن الأغيار روحَ حياتي[٧]
وقدَّسْتُها عن رتبة لو تَعَيَّنَتْ ... لها دائمًا دامتْ لها حسراتي[٨]
فها أنا قد أصعدْتُها عن حضيضها ... إلى رُتبة تَقْضي لها بثبات

---

(١) يشير هنا إلى أستاذه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المتوفّى سنة ٧٠٨هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٢) كلمة «من» ساقطة في الأصل.

(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٢ ـ ٨٣).

(٤) في الأصل: «بذاتِ» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الأصل: «حركاتِ» والتصويب من الكتيبة.

(٦) في الكتيبة: «غيري».

(٧) في الأصل: «حياتِ» والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الأصل: «حسراتِ» والتصويب من الكتيبة.

تشاهدُ مَعْنى روضةٍ أذْهَب الْعنا وأيقظني للحقّ بعد سِناتِ[(١)]
أقامتْ زمانًا في حجابٍ فعندما تَزَحْزَحَ عنها رامَتِ الخلوات
لنقْضي بها ما فات من طيب أُنسِنَا بها وننالَ الجَمْعَ بعد شَتات

ومن النسيب قوله[(٢)]: [الكامل]

كتَم اللسانُ ومدمعي قد باحا وثَوَى الأسى عندي وأُنسي[(٣)] راحا
إني لَصَبٌّ[(٤)] طيَّ ما نشرَ الهوى نشرا وما زال الهوى إفصاحا[(٥)]
ومهجتي من لا أُصرِّح باسمه ومنَ الإشارة ما يكون صُراحا
رِيمٌ أروم حُنوَّه وجنوحَه ويروم عني جَفْوةً وجِماحا
أبدى لنا من شَعْره وجَبِينه ضِدَّين ذا ليلًا وذاك صباحا[(٦)]
عجبا له يأسُو الجسوم بطبّه ولكمْ بأرواحٍ أثار جِراحا
فبلَفْظِه[(٧)] بُرْءُ الأخيذِ ولحظِهِ أخذُ البريِّ فما يُطيق بَراحا
ناديته[(٨)] في ليلة لا ثالثٌ إلّا أخوه البدر غارَ فلاحا[(٩)]
يا حُسْنَها من ليلةٍ لو أنها دامت ومدَّت للوصال[(١٠)] جناحا

وقال[(١١)]: [الكامل]

نورٌ بخدِّكَ أم توقُّدُ نارِ؟ وضنًى بجَفْنِكَ أم فُتورُ[(١٢)] عُقارِ؟
وشَذًا بريقِكَ أم تأرُّجُ مِسْكَةٍ؟ وَسنًى بثغرِكَ أم شُعاعُ دَراري[(١٣)]؟
جُمِعَتْ معاني الحُسْنِ فيك فقد غدَتْ[(١٤)] قَيْدَ القلوبِ وفتنةَ الأبصارِ

---

(١) في الكتيبة: «سلاتي». (٢) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٣).
(٣) في الأصل: «وأسَى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٤) في الأصل: «أحب» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.
(٥) في الكتيبة: «فضاحا». (٦) في الكتيبة: «خدين... وذا إصباحا».
(٧) في الأصل: «فبلقطه» بالقاف، والتصويب من الكتيبة.
(٨) في الكتيبة: «نادمته».
(٩) في الأصل: «عارف لاحا»، والتصويب من الكتيبة.
(١٠) في الأصل: «التوصال» والتصويب من الكتيبة.
(١١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٣ ـ ٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٦).
(١٢) في الكتيبة الكامنة: «كؤوس».
(١٣) في الأصل: «درار»، وقد صوبناه؛ لأن أصل القول هو: «دراريء» وهي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماؤها.
(١٤) في الكتيبة: «... فيك فأصبحت».

مُتصاوِنٌ خَفِرٌ[١] إذا ناطَقْتَهُ ... أغضى حياءً[٢] في سكونٍ وقار
في وجهه زهراتُ لفظٍ[٣] تُجتلى ... من نرجسٍ مع وردةٍ وبَهار
خافَ اقتطافَ الوَرْد من جَنَباتِها[٤] ... فأدارَ من أسٍ[٥] سِياجَ عِذارِ
وتَسَلَّلَتْ نَمْلُ العِذار بخدِّه ... لِيَرِدْنَ شَهْدَةَ رِيقِهِ المِعْطار
وبخدِّه وَرْدٌ[٦] حَمَتْهَا وِرْدَها ... فَوَقَفْنَ بين الوِرْدِ والإصْدار
كم ذا أُواري[٧] في هَواه مَحَبَّتي ... ولقد وَشَى بي فيه فَرْطُ أُواري[٨]

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله[٩]: [البسيط]

أَرَحْتُ نفسي من الإيناس بالناس ... لمّا غَنِيتُ عن الأكياس باليأسِ[١٠]
وصِرْتُ في البيت وحدي لا أرى أحدًا ... بناتُ فكري وكُتبي هنَّ جُلّاسي

وقال[١١]: [الطويل]

وزهّدني في جَمْعيَ المال أنه ... إذا ما انتهى عند الفتى فارَقَ العُمْرا
فلا رُوحَةٌ يومًا أراحَ من العنا ... ولم يكتسبْ حَمْدًا ولم يَدَّخِرْ أجْرا

وقال: [الطويل]

سَعَتْ حيّة من شَعره نحو صدغه ... وما انفصلتْ من خدِّه إنَّ ذا عَجَبْ
وأعجب من ذا أنَّ سلسال ريقه ... برودٌ ولكنْ شبَّ في قلبي اللَّهَبْ

وقال[١٢]: [السريع]

راضَ[١٣] حبيبي عارضٌ قد بدا ... يا حُسْنَه من عارضٍ رائضِ
وظنَّ[١٤] قومٌ أنَّ قلبي سلا ... والأصلُ لا يُعْتَدُّ بالعارضِ

---

(١) في النفح: «خفرًا».
(٢) في الأصل: «حيًا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٣) في المصدرين: «روض».
(٤) في المصدرين: «وجناته».
(٥) في المصدرين: «آس».
(٦) في النفح: «وبخده نارٌ حَمَتْه...».
(٧) في النفح: «أداري».
(٨) في الأصل: «أوار» بدون ياء، والتصويب من المصدرين.
(٩) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).
(١٠) في الكتيبة الكامنة: «أرحت نفسي... كما غنيت...».
(١١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).
(١٢) البيتان في فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٣) وبغية الوعاة (ص ١٢٢).
(١٣) في البغية: «رائض حبي».
(١٤) في البغية: «فظن».

وقال[1]: [الخفيف]

سال في الخدِّ للحبيب عِذارٌ ... وهو لا شكَّ سائلٌ مَرْحُومُ

وسألْتُ التِثامَه فتجنَّى ... فأنا اليوم سائلٌ محرومُ

وقال: [الطويل]

جُنِنتُ بها سوداءَ لونٍ وناظِرٍ ... ويا طالما كان الجنونُ بسوداءِ

وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيم وإنَّ ... فؤادي منها في جحيمٍ ولأْواءِ

وقال في فتى يُسمى مظلوم[1]: [الطويل]

وما كنت أدري أنَّ مالكَ مُهجتي ... يسمَّى[2] بمظلومٍ وظُلمٌ جفاؤهُ

إلى أن دعاني للصِّبا[3] فأجبْتُهُ ... ومَنْ يَكُ مظلومًا أُجيب دعاؤهُ

وقال[1]: [الخفيف]

جُنَّ غيري بعارضٍ فترجَّى ... أهلُه أن يُفيق عمّا قريبْ

وفؤادي بعارضينِ مُصابٌ ... فهو داءٌ أعيا دواءَ[4] الطبيبْ

وقال[1]: [الطويل]

شكا الخَصْرُ منه ما يلاقي بردْفه ... وأضعَفَ[5] غُصْنَ البانِ جرُّ كثيبِ

إذا كان منه البعضُ يظلِمُ بعضه ... فما حالُ مُشْتَطٍّ[6] المزار[7] غريبِ

وقال[8]: [الطويل]

وذي شَفَةٍ لَمْياءَ زِينَتْ بشامةٍ[9] ... من المسك في رشافها[10] يذهب النُّسْكُ

ظمئتُ إليها ريقةً كوثريَّةً ... بمثلِ لآلي[11] ثغرها يُنْظَمُ السِّلْكُ

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «يتسمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الكتيبة: «اللهوى». (٤) في الكتيبة: «فؤاد».

(٥) في الكتيبة: «ويضعف».

(٦) في الأصل: «شطّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «الديار». (٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٥ ـ ٨٦).

(٩) في الأصل: «وذو شفة لميا زُيِّنتْ...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الكتيبة: «ترشافها».

(١١) في الأصل: «القالي» ولا معنى لذلك، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

تُعَلُّ بمعسولٍ كأنّ رُضابَهُ مُدامٌ من الفردوسِ[١] خاتمهُ مِسْكُ

وقال: [الطويل]

أَجلُّ شفيعٍ ليس يمكن رَدُّه دراهمُ بيضٌ للجروح مراهمُ
تُصَيِّر صعبَ الأمر أسهل ما ترى ويقضي لباناتِ الفتى[٢] وهو نائمُ

وقال[٣]: [مخلع البسيط]

نُعِيدُ وُدٍّ قريبِ ضَلٍّ[٤] كبيرَ عَتْبٍ، قليلَ عُتْبى[٥]
كالشمس ظَرْفًا، كالمسك عَرْفًا كالخَشْفِ طَرفا، كالصَّخر قَلْبا

وقال[٦]: [الطويل]

عُداتي[٧] لهمْ فضلٌ عليَّ ومِنَّةٌ فلا أَذْهَبَ الرحمنُ عنّي الأعاديا
هُمُ بحثوا عن زلَّتي فاجتنبْتُها[٨] وهم نافَسوني فاكتسبْتُ المعاليا

مولده: ولد بغَرْناطة عام اثنين وخمسين وستمائة[٩].

وفاته: أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشُّقوري، رحمه الله، قال: توفي عام خمسة وأربعين وسبعمائة بمصر، ودفن بالقرافة. وكانت جنازته حافلة.

ومن الطارئين عليها في هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللَّخمي اليكُّي

من أهل بَلّش[١٠]، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكمّاد.

---

(١) في الأصل: «الفرد وس» وهذا لا معنى له، وينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(٢) في الأصل: «لباناتِ للفتى» وهكذا ينكسر الوزن.
(٣) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٦).
(٤) في الكتيبة الكامنة:
بعيدُ وُدٍّ، قريبُ صَدٍّ كثيرَ عَتْبٍ.......
وهكذا ينكسر الوزن.
(٥) العُتبى: الرِّضا.
(٦) البيتان في بغية الوعاة (ص ١٢٢) والكتيبة الكامنة (ص ٨٥) وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٤).
(٧) في البغية: «عداي». (٨) في الكتيبة الكامنة: «فسترتُها».
(٩) في بغية الوعاة (ص ١٢١): «ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة». وفي فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٢): «مولده بغرناطة في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة».
(١٠) هي بَلّش مالقة، Velez Malaga، كما سيأتي بعد قليل. وقد ذكرها ياقوت مكتفيًا بالقول: =

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلّة صدور الفقهاءِ الفضلاءِ، زهدًا وقَناعة وانقباضًا، إلى دماثة الخلق، ولين الجانب، وحُسن اللقاءِ، والسّذاجة المُمَوِّهة بالغَفْلة، والعمل على التقشُّف والعُزلة، قديم السّماع والرّحلة، إمامًا مشهورًا في القراءات، يُرْحل إليه، ويُعوّل عليه، إتقانًا ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضّبط، محدّثًا ثَبْتًا، بليغ التّحرُّز، شديد الثقة، فقيهًا مُتصرِّفًا في المسائل، أعرف الناس بعقد الشروط، ذا حظٍّ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العُدْوة، وتجوّل في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيّد وصنّف وأفاد، وتصدّر للإقراء بغرناطة وبَلّش وغيرهما، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مشيخته: قرأ ببلده مُرْسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لُب بن أحمد بن أبي بكر الرَّقُوطي، والمُقْرِىء أبي الحسن بن خلف الرُّشاطي، والمحدّث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عَيْشون اللخمي، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب الغافقي المُرْسي. وممن أجازه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البَطِرني، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببلّش مالقة وبَسْطة، فروى عنه الكثير، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي، لقيه بألمريّة. ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطّبّاع، والوزير الرّاوية أبا القاسم محمد بن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن جُزَيّ الكلبي، روى عنه وأجازه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

تواليفه: اختصر كتاب «المُقْنع» في القراءات اختصارًا بديعًا، وسماه كتاب «الممتع في تهذيب المقْنع» وغير ذلك.

شعره: من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصَّقر في فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحابُ الحديث وأهلُه ... شَـأْوًا وتِـيـرًا[1] ومَـجْـدًا مُـخَـلَّدا

وصَـحَّـتْ لـهـمْ بـيـن الأنـام مزيّـةٌ ... أبانـت لـهـمْ عزًّا ومجدًا وسؤددا

بدعوةِ خيرِ الخلقِ أفضلِ مُرْسَلٍ ... محمدٍ المبعوثِ بالنُّور والهُدى

فهمْ دوّنوا عِلْم الحديث وأتقنوا ... ونصُّوا بتبيينٍ صحيحًا ومُسْندا

= «بَلّش»: بالفتح وتشديد اللام والسين معجمة: بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البَلّشي...». معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(١) في الأصل: «وتوتيرًا»، وكذا لا يستقيم المعنى.

وجاءُوا بأَخبار الرَّسول وصَحْبه ... على وجهها لفظًا ورسمًا مقيدا
وهمْ نقلوا الآثار والسُّنن التي ... مَنَ اَصْبَح[1] ذا أَخْذٍ بها فقد اهْتَدى
وما قصَّروا فيها بفِقْهٍ ولا ونُوا ... بل التزموا حَذْا وحزمًا مُؤكَّدا
وهمْ أَوضحوا من بعدهمْ باجتهادهمْ ... وتَبْيينهمْ سُبْلَ الهدى لِمن اقْتدَى
جزاهمْ إله العرش عنّا بنصحهمْ ... بأَحْسَنَ ما جازى نصيحًا ومرشدا
ونَسْأله[2] سبحانه نَهج هَديهمْ ... وسَعْيًا إلى التَّقوى سبيلًا ومَقْصدا

ومن شعره، رحمه الله، قوله: [السريع]

عليك بالصَّبر وكُنْ راضيًا ... بما قضاه الله تَلْقى النجاحْ
واسلُكْ طريقَ المَجْدِ والْهَجْ به ... فهو الذي يرضاه أهلُ الصلاحْ

وقد أَلَّف شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءًا سماه «شعر من لا شعر له»، فيه من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير.

مولده: قبل الأربعين وستمائة. وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر وسبعمائة.

انتهى ما اختُصر من السّفر السابع من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة»
يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله

* * *

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسّاني

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، والدُّؤوب على تدريس كتب الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، واضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس الحُفّاظ، حُفّاظ المذهَب، وانتفع به الناس، وكان معظَّمًا فيهم، متبَرَّكًا به، على سُنن الصالحين من الزُّهد والانقباض وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال صاحبنا الفقيه

---

(١) في الأصل: «أصبح»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.
(٢) في الأصل: «ونَسْلُهُ»، وكذا ينكسر الوزن.

أبو الحسن النُّباهي في تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلًا ساذجًا، مُخْشَوْشِنًا، سُنِّيّ المنازع، شديد الإنكار على أهل البِدع. جلس للتَّحليق العام بالمسجد الجامع، وأقرأ به الفِقه والعربية والفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو محمد بن أبي السَّداد، والقاضي أبو القاسم ابن السَّكوت. قال: وأنشد للزاهد أبي إسحٰق بن قشوم، قوله: [الطويل]

يروقُكَ يوم العيد حُسْنُ ملابس ... ونـعْـمـةُ أجـسـام ولـيـنُ قـدودِ
أَجِلْ لحظاتِ الفكرِ منك فلا ترى ... سِـوى خِرَقٍ تُـبْـلى وطُـعْـمـة دُودِ

وأنشد لأبي عمرو الزاهد: [السريع]

تـخْـتـبـرُ الـدُّنَّـيـر فـي مَـيْـذِقٍ ... والـدُّرْهـم الـزايـف إذ يُـبْـهَـمُ
والـمـرءُ إن رُمْـتَ اخـتـبـارًا لـه ... مَـيْـذِقُـه الـدُّنَّـيـر والـدُّرْهَـمُ
مَـنْ عَـفَّ عـن هـذا وهـذا مـعًـا ... فَـهْـوَ الـتَّـقـيُّ الـورع الـمُـسْـلِـمُ

تواليفه: له تقييد حسن في الفرائض، وجزءٌ في تفضيل التِّين على التَّمر، وكلام على نَوازل الفِقه.

وفاته: وتوفي في الكائنة العظمى بطريف[١].

محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المَذْحِجي

من أهل ملتماس[٢]، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من سُراة بلده وأعيانهم، أُستاذًا مُتَفَنِّنًا مُقْرِئًا لكتاب الله، كاتبًا بليغًا، شديد العناية بالكُتب، كثير المغالاة في قِيَمها وأثمانها، حتى صار له من أَعلاقها وذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطِّه، وقيَّد كثيرًا من كتب العلم. وكان مُقْرِئًا مجوِّدًا، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالعربية، ثقةً ضابطًا، مبرِّزًا في العدالة، حريصًا على العلم استفادةً ثم إفادةً، لا يأنف من حَمْله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغُرباء أكثر.

---

(١) موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللمحة البدرية (ص ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) نرجح أنها منتماس Montemas، من قرى بَلّش، كما سيأتي بعد قليل.

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشّيخان الرُّحْلَتان؛ أبو عبد الله بن الكمّاد، وأبو جعفر بن الزيات، عَظِيما بلده، والخطيب ولي الله أبو عبد الله الطّنجالي، والقاضي أبو عبد الله بن بكر. وروى عن الشيخ الوزير أبي عبد الله بن ربيع، وابنه الرّاوية أبي عامر، والخطيب الصالح أبي إسحٰق بن أبي العاصي. وروى عن الشيخ الرّاوية الرَّحّال أبي عبد الله بن عامر الوادي آشي وغيرهم، ودخل غرناطة.

مولده: ولد ببلّش عام ثمانية وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي ببلّش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسّاني

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائد»: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدِّين المتين، والجَرْي على سُنَن الفقهاء المتقدّمين، عقد الشروط بمالقة مدة طويلة في العدول المبرّزين، وجلس للتّحليق في المسجد الأعظم من مالقة، بعد فقد أخيه أبي القاسم، وخطب بمسجد مالقة الأعظم. ثم أُخّر عن الخطبة لمشاحَنة وقعت بينه وبين بعض الوُلاة، أثمرت في إِحْنَتِه. ولم يزل على ما كان عليه من الاجتهاد في العبادة، والتقييد للعلم، والاشتغال به، والعناية بأهله، إلى أن توفي على خير عمل.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، وروى عن جلّة من الشيوخ مثل صِهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطّنجالي(١)، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القَبْتُوري(٢) وغيرهم.

مولده: ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. ودخل غَرْناطة غير ما مرّة مع الوفود من أهل بلده وفي أغراضه الخاصة.

---

(١) هو القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى قبتور، وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

محمد بن أحمد الرَّقوطي(١) المُرْسي

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طِرْفًا في المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق والهندسة والعَدَد والموسيقا والطِّب، فيلسوفًا، طبيبًا ماهرًا، آيَةَ الله في المعرفة بالألسنُ، يُقرىء الأمم بألسِنَتهم فُنونَهم التي يرغبون في تعلمها، شديد البَأو، مترفِّعًا، متعاطيًا. عَرَف طاغيةُ الروم حقَّه، لما تغَلَّب على مرسية، فبنى له مدرسة يُقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظمًا عنده. ومما يحكى من مُلَحه معه، أنه قال له يومًا، وقد أدنى مَنْزِلَته، وأشاد بفضله: لو تنصَّرت وحَصَّلْتَ الكمال، كان عندي لك كذا وكذا، وكُنت كذا، فأجابه بما أقْنَعه. ولما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أَعْبُدُ واحدًا، وقد عجزتُ عما يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني. وطلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر(٢)، واستقدمه، وتَلْمَذَ له، وأسكَنه في أعدل البُقَع من حضرته. وكان الطلبة يَغْشون منزله المعروف له، وهو بيدي الآن، فتعلَّم عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يُجَارَى في ذلك. وكان قويَّ العارضة، مضطلعًا بالجَدَل، وكان السلطان يجمع بينه وبين مُنْتابي حضرته، ممن يُقدم مُنْتحلًا صناعة أو علمًا، فيظهر عليهم، لتمكُّنه ودالَّته، حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأُبَّدي، وأبي القاسم بن خَلصون، إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم التُّؤدَة، مُعار البَغْلة، رائق البِزَّة، رفيق المشي، إلى أن توفي بها، سمح الله له.

محمد بن إبراهيم بن المُفَرِّج الأوسي

المعروف بابن الدبَّاغ الإشبيلي.

حاله: كان واحد عصره في حفظ مَذْهب مالك، وفي عَقْد الوثائق، ومعرفة عِلَلها، عارفًا بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيِّب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التَّواضع، صبورًا على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقرائه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر عُلَمائها الفقه وأصوله، وأقرأ به الفُروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع باب الفخَّارين، وبمسجد ابن عزرة وغيره.

---

(١) نسبة إلى رقوطة Ricate، وهي من قرى مرسية.

(٢) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ ـ ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبي إسحٰق إبراهيم، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج التُّجيبي القرطبي، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عِياض.

وفاته: توفي برُنْدة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستمائة.

محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

من أهل مُرْسية، نزيل غَرْناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الرَّقَّام، الشيخ الأستاذ المتفنن.

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، علمًا بالحساب والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطلعًا، متبحرًا لا يُشَقُّ غبارة، أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وسُئِلَ من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودوّن في هذه الفنون كلها، ولخّص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

تواليفه: وتواليفه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشِّفا»، والزِّيج القويم الغريب المَرْصد، المَبنيّة رسائله على جداول ابن إسحٰق، وعدّل مناخ الأهلّة، وعليه كان العمل، وقيّد أبكار الأفكار في الأصول، ولخّص المباحث، وكتاب الحيوان والخواص. ومقالاته كثيرة جدًا، ودواوينه عديدة.

وفاته: توفي عن سنٍّ عالية بغرناطة في الحادي والعشرين لصفر من عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حُميد ابن مأمون الأنصاري[١]

ونسبه[٢] أبو محمد القرطبي أَمَويًا من صَريحهم، بَلَنْسي الأصل، يكنى أبا عبد الله.

---

(١) ترجمة ابن مأمون في بغية الملتمس (ص ٦٥) والتكملة (ج ٢ ص ٦٢) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).

حاله: كان صَدْرًا في مُتْقِني القرآن العظيم، وأئمّة تجويده، مبرّزًا في النحو، إمامًا معتمدًا عليه، بارع الأدب، وافر الحظّ من البلاغة، والتّصرُّف البديع في الكتابة، طيِّب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حَسن السَّمْت، كثير البِشر، وقورًا، ديِّنًا، عارفًا، ورعًا، وافر الحظّ من رواية الحديث.

مشيخته: روى[1] عن أبي إسحٰق بن صالح، وأبي بكر بن أبي ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفّال، وأبي الحسن شُريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هُذيل، وتلا عليه بالسَّبْع، وأبو[2] عبد الله بن عبد الرحمٰن المذْحِجي الغرناطي، وابن فرح[3] القيسي، وأبي القاسم خلف بن فُرْتُون، ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له أبو بكر عبد العزيز بن سُدَير[4]، وابن العَزَفي[5]، وابن قَنْدلة[6]، فأبو الحسن طارق بن موسى، وابن مُوهب، ويونس بن مُغيث، وأبو جعفر[7] بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمٰن بن غشيان[8]، وأبو عبد الله الجيّاني، المعروف بالبغدادي. وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له راوية عن أبي الحسن[9] بن الطراوة.

مَن روى عنه: روى[10] عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدي[11]، وابن قترال[12]، وأبو جعفر الجيّار، والذّهبي، وابن عَميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون[13]، وابن عبد الرزاق[14]، وأبو الحسن[15] عبيد الله بن عاصم الدّاري[16]، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري[17]، وأبو سليمان بن حَوْط الله، وأبو عبد الله الأندَرْشي، وابن الحسين بن محبر[18]، وابن إبراهيم الريسي[19]، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العَزَفي، وأبو عثمان سعد الحفّار، وأبو علي عمر بن جميع[20]، وأبو عمران بن إسحٰق[21]، وأبو

---

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).
(٢) في الذيل والتكملة: «وأبوي».
(٣) في الذيل والتكملة: «وابن فرج».
(٤) في الذيل والتكملة: «مدير».
(٥) في الذيل والتكملة: «وابن العربي».
(٦) في الذيل والتكملة: «قندلة».
(٧) في الذيل والتكملة: «وأبو حفص بن أيوب».
(٨) في الذيل والتكملة: «غشليان».
(٩) في الذيل والتكملة: «الحسين».
(١٠) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٩).
(١١) في الذيل والتكملة: «اللاردي».
(١٢) في الذيل والتكملة: «وابن قنترال».
(١٣) في المصدر نفسه: «حزمون».
(١٤) في المصدر نفسه: «وابن عبيد الله الذوق».
(١٥) في المصدر نفسه: «وأبو الحسين».
(١٦) في المصدر نفسه: «الداثري».
(١٧) في المصدر نفسه: «الجعيدي».
(١٨) في المصدر نفسه: «مجبر التجيبي».
(١٩) في المصدر نفسه: «الوشقي».
(٢٠) في المصدر نفسه: «صمع».
(٢١) في المصدر نفسه: «السخان».

القاسم الطيب بن هرقال[١]، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملّاحي[٢]، وأبو محمد بن دُلف[٣] بن اليُسر، وأبو الوليد بن الحجاج[٤].

تواليفه: له شرح على «إيضاح الفارسي»، وآخر على «جُمَل الزَّجّاجي».

مولده: ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفي بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأُولى[٥] سنة ست وثمانين وخمسمائة.

محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي[٦]

من أهل سَرَقُسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كانَ[٧] مُقرئًا مجَوّدًا، محققًا بعلم الكلام وأُصول الفِقه، محصِّلًا لهما، متقدّمًا في النحو، حافظًا للغة، حاضر الذّكر لأقوال تلك العلوم، جيّد النظر، متوقّد الذهن، ذكيّ القلب، فصيح اللسان[٨]. وُلّي أحكام فاس، وأَفْتَى فيها، ودرّس بها العربية: كتاب سيبويه وغير ذلك.

مشيخته: روى[٩] عن أبي الأَصْبَغ بن سهل، وأبوي[١٠] الحسن الحضرمي، وابن سابق، وأبي جعفر بن جرّاح، وأبي طالب السَّرَقُسْطي، الأديبين، وأبوي عبد الله بن نصر، وابن يحيىٰ بن هشام المحدِّث، وأبي العباس الدلائي، وأبي عبيد الله البكري، وأبي عُمر أحمد بن مروان[١١] القَيْرواني، وأبي محمد بن فورش[١٢]، وأبي مروان بن سراج. وأجاز له أبو الوليد الباجي، رحمه الله.

---

(١) في الذيل والتكملة: «هرقل». (٢) في المصدر نفسه: «ابن الفرس والملاحي».
(٣) في المصدر نفسه: «وأبو محمد بن محمد بن خلف...».
(٤) في المصدر نفسه: «ابن الحاج».
(٥) في بغية الوعاة (ص ٢٨): «جمادى الأخرة في السنة السابعة بعد الثمانين والخمسمائة».
(٦) ترجمة ابن باق في التكملة (ج ١ ص ٣٦٠) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨).
(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨). (٨) في الذيل والتكملة: «الكلام».
(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧).
(١٠) في الذيل والتكملة: «وأبوي بكر: ابن الحسين الحضرمي...».
(١١) في المصدر نفسه: «مروان التجيبي البلوطي الزاهد».
(١٢) في المصدر نفسه: «فورتش».

مَن روى عنه: روى[١] عنه أبو إسحٰق بن قرقول، وأبو الحسن صالح بن خلف، وأبو عبد الله بن حسن السَّبْتي، وأبو[٢] الحسن الأُبَّذي، وتوفي قبله، وابن خلف بن الأيسر[٣]، والنُّميري، وأبو العباس بن عبد الرحمٰن بن الصَّقر، وأبو علي حسن بن الجزّار[٤]، وأبو الفضل بن هارون الأزدي، وأبوا[٥] محمد: عبد الحق بن بُونه، وقاسم بن دَحْمان، وأبو مروان بن الصُّقيل الوقَّشي[٦].

تواليفه: شرح[٧] «إيضاح الفارسي»، وكان قيِّمًا على كتابه، وصنَّف في الجدل مُصَنَّفَيْن، كبيرًا وصغيرًا. وله عقيدة جيدة.

وفاته: توفي بفاس، وقيل بتلمسان[٨]، سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خَلَف ابن يوسف بن خلف الأنصاري[٩]

من أهل مالَقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج، وبابن صاحب الصلاة.

حاله: كان مُقرئًا صَدْرًا في أئمة التَّجويد، محدِّثًا مُتقنًا ضابطًا، نبيل الخَطِّ والتقييد، ديِّنًا، فاضلًا. وصنَّف في الحديث، وخطب بجامع بلده. وأمَّ في الفريضة زمانًا، واستمرّت حاله كذلك، من نشر العلم وبثّه إلى أن كرَّمه الله بالشهادة في وقيعة العِقاب[١٠].

دخوله غرناطة، راويًا عن ابن القَرَس، وابن عَرُوس، وغيرهما.

مشيخته: روى بالأندلس عن الحجاج ابن الشيخ، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي خالد يزيد بن رَفاعة، وأكثر عنه، وأبوي عبد الله بن عرُوس، وابن الفخَّار، وأبي

---

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨).
(٢) في الذيل والتكملة: «وابن الحسن».
(٣) في المصدر نفسه: «ابن الإليبري».
(٤) في المصدر نفسه: «الخزاز».
(٥) في الأصل: «وأبو» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الذيل والتكملة: «الوشقي».
(٧) قارن بالذيل والتكلمة (ج ٦ ص ١٧٨).
(٨) في الذيل والتكملة: «وقيل تلمسين، وهو أصح، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة». وكذا جاء في بغية الوعاة (ص ٢٩).
(٩) ترجمة محمد بن حسن الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٨).
(١٠) كانت وقعة العقاب في منتصف شهر صفر سنة ٦١٩ هـ، بين الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الموحدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين، فكانت السبب في هلاك الأندلس. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٦٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٩).

محمد بن حَوْط الله، وعبد الحق بن بونَه، وعبد الصَّمد بن يَعِيش، وعبد المنعم بن الفَرَس، وأجازوا له. وتلا القرآن على أبي عبد الله الإِسْتجِّي. وروى الحديث عن أبي جعفر الحصَّار. وحجّ في نحو سنة ثمانين وخمسمائة، وأخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطَّاهر الخشوعي وغيره.

وفاته: توفي شهيدًا محرضًا صابرًا يوم الاثنين منتصف صفر عام تسعة وستمائة.

محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قِرال، من أهل مالَقة.

حاله: طالبٌ عفيف مجتهد خيِّر. قرأ بغرناطة، وقام على فنِّ العربية قيامًا بالغًا، وشارك في غيره، وانْتَسَخ الكثير من الدَّواوين بخطٍّ بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحُسْن، وانتقل إلى مالَقة فأَقْرأ بها العربية، واقتدى بصِهره الصَّالح أبي عبد الله القطَّان، فكان من أهل الصلاح والفضل. وتوفي في محرم عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد ابن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطبونة[١]، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي.

حاله: كان، رحمه الله، إمامًا في العربية والعَروض والقوافي، موصوفًا بذلك، مَنْسُوبًا إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، ولا يفارقه بَياض يومه، شديد التعصُّب له، مع خِفَّةٍ وطيش يحمله على التوغُّل في ذلك. حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب، رحمه الله، قال: وقف أبو بكر القللوسي يومًا على القاضي أبي عمرو بن الرُّنْدون، وكان شديد الوقار، مَهِيبًا، وتكلم في مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضي أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسي قلق كاد يلبط به الأرض، ولم يقدر على جوابه بما يَشْفي به صدره لمكان رُتبته. قال: فكان يدور بالمسجد، والدموع تنحدر على وجهه، وهو يقول: أخطأ من خطَّأه، يكرِّرها، والقاضي أبو عمرو يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان، مع ذلك، مشاركًا في فنون، من

---

(١) إسطبونة: بالإسبانية: Estepona، وهو بلد يقع على البحر المتوسط إلى الشمال من جبل طارق.

فقه وقراءات وفرائض، من أعلام الحُفَّاظ للغة، حُجَّة في العَرُوض والقوافي، يُخَطط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بديعة. ووُلّيَ الخطابة ببلده مدة، وقعد للتدريس به، وانثال عليه الناس وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيّد، وكان بقطره عَلَمًا من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

تواليفه: نظم رَجَزًا شهيرًا في الفرائض عِلْمًا وعَمَلًا، ونظم في العَرُوض والقوافي، وألّف كتاب «الدُرة المكنونة في محاسن إسطبونة»، وألّف تأليفًا حسنًا في تَرْحيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات، ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دُرَيد، وأرجوزة في شرح كتاب «الفصيح». ورفع للوزير ابن الحكيم كتابًا في الخواص وصنعة الأمدّة والتطبُّع الشاب، غريبًا في معناه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع، ولازمه، وأخذ عنه، وعن أبي القاسم بن الحصَّار الضرير السَّبْتي، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبير بغرناطة، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

عُـلاهُ ريـاضٌ أورقـت بـمـحـامـد ... تُـنَـوِّر بـالْجَـدْوى وتُـثْـمـر بـالأَمَـلْ
تَـسِـحُّ عـلـيـهـا مـن نَـداه غـمـامـةٌ ... تروي ثرى المعروف بالعَلّ والنَّيَلْ
وهل هو إلّا الشمس نفسًا ورِفعةً ... فيَغرُب بالجَدْوى ويَبْعُد بالأملْ؟
تَـعُـمُّ أيـاديـه الـبـريّـة كـلّـهـا ... فَدانٍ وقاصٍ جُودُ كفَّيْه قد شَمِلْ

وهي طويلة. ونقلت من خطّ صاحبنا أبي الحسن النُّباهي، قال يمدح أبا عبد الله الرُّنداحي: [الكامل]

أَطْـلِع بـأُفُـق الـرَّاح كـأس الـرَّاح ... وصِـلِ الـزَّمـان مَـسـاءه بـصـبـاحِ
خُذْها على رغم العَذول مُدَامةً ... تَـنْـفـي الـهـمـوم وتَـأْتِ بـالأفـراح
والأرض قـد لَبِـسـت بُـرود أزاهـر ... وَتَـمَـنْـطـقـتْ مـن نَـهْـرهـا بِـوِشـاح
والـجـوُّ إذْ يـبـكـي بـدمـع غـمـامـة ... ضَحِك الـربـيـع لـه بـثَـغْـر أقـاح
والـرَّوض مـرقـومٌ بـوَشْـي أزاهـر ... والـطَّـيـر يَـفْـصَـح أيّـمـا إفـصـاح
والـغُـصْـنُ من طَرَبٍ يـمـيـل كـأنـما ... سقيتْ بكفِّ الرِّيح كأسَ الراح
والـوردُ مُـنـتـظـمٌ عـلـى أغـصـانـه ... يَـبْـدو فـتـحـسَـبُـه خـدُودَ مِـلاح
وكـأنَّ عَـرْف الريح من زَهر الرُّبى ... عَـرْف امـتـداح الـقـائـد الـرُّنـداح

وفاته: ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعمائة.

محمد بن محمد بن محارب الصّريحي

من أهل مالَقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن أبي الجيش.

حاله وأوليته: أصل سلفه من حصن يُشر من عمل مُرسية، من بيت حَسَبٍ وأصالة، ولخؤولته بالجهة التاكرُونيّة ثورة.

وقلت فيه في «عائد الصلة»: كان من صُدور المُقرئين، وأعلام المُتَصَدِّرين تفنُّنًا واضطلاعًا وإدراكًا ونظرًا، إمامًا في الفرائض والحساب، قائمًا على العربية، مُشاركًا في الفقه والأصول وكثير من العلوم العقلية.

قعد للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الرَّبَض.

مشيخته: قرأ على الأستاذ القاضي المُتَفَنِّن أبي عبد الله بن بكر، ولازمه. ثم ساءَ ما بينهما في مسألة وقَعَت بمالقة، وهي تجويز الخُلْفِ في وَعْد الله، شنَّع فيها على شيخنا المذكور. ونَسَبه إلى أن قال: وعد الله ليس بلازم الصِّدق، بل يجوز فيه الخُلْف، إذ الأشياءُ في حقه متساوية. وكتب في ذلك أسئلة للعلماءِ بالمغرب، فقاطعه وهَجَره. ولمّا وُلّيَ القاضي أبو عبد الله بن بكر القضاءِ، خافه، فوجَّه عنه إثر ولايته، فلم يشكَّ في الشرّ، فلما دخل عليه، رحَّبَ به، وأظهر له القَبول عليه، والعفو عنه، واستأنف مودَّته، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي، رحمه الله.

ورحل المذكور إلى سَبْتة، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحٰق الغافقي، ومَن عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرات، متعلّمًا، وطالب حاج. ودُعي إلى الإقراء بمدرستها النَّصرية[1]، عام تسعة وأربعين وسبعمائة، فقدم على الباب السُّلطاني، واعتذر بما قُبل فيه عُذره. وكان قد شرع في تقييدٍ مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، في غاية النبل والاستيفاءِ والحَصْر والتَّوجيه، عاقته المنية عن إتمامه.

وفاته: توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أُخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة، بعد أن تصدّق بمال كثير، وعهد بريع مُجْد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه.

---

(١) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفًا إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللمحة البدرية (ص ١٠٩).

محمد بن محمد بن لُب الكِناني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن لُب.

حاله: كان ذاكرًا للعلوم القديمة، مُعتنيًا بها، عاكفًا عليها، مُتقدّمًا في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد في معرفتها، من الرياضيّات والطبيعيّات والإلاهيّات، ذاكرًا لمذاهب القُدَماء، ومآخذهم في ذلك، حافظًا جدًا، ذاكرًا لمذاهب المُتَكلّمين من الأشعَريّة وغيرهم، إلّا أنه يؤثر ما غَلَب عليه من مآخذ خصومهم، وكان نفُوذه في فهمه دون نفوذِه في حِفْظه، فكان مُعْتَمده على حفظه في إيراده ومناظرته، وكان ذاكرًا مع ذلك لأُصول الفِقه وفروعه، عَجَبًا في ذلك؛ إذا وَرَدت مسألة، أوْرَد ما للناس فيها من المذاهب. وعزم عليه آخر عمره، فقعد بجامع مالقة، يتكلّم على الموطّأ، وما كان من قبل تهيّأ لذلك، إلّا أنه سَتَرَ عليه حفظه، وتعظيم أهل بلده له. قال ابن الزُّبير: وكانت فيه لُوثَة، واخْشِيشان، وكان له أربٌ في التّطْواف، وخصوصًا بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقِفة في الدِّين، فيظهر عليهم، وكانت أموره غريبة، من امتزاج اليَقَظَة بالغَفْلة، وخَلْط السّذاجة بالدُّعابة. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السّوق، فلمّا همّ بجمعها، ذهب ليمهّد للتّين بالورق في الوعاءِ، فمنعه من ذلك، وقال له: إنما اشتريت التين، ولم تُدخل الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاءَ الله، وجَلَب ورقًا من غيرها، حتى انقضى الأمر، وعزم على معاملته في السنة الثانية، فأولُ ما اشترط الورق، فلمّا فرغ من الغلّة، دعاه فقال له: احمل ورقك، فإنه يُؤذيني، فأصابه من المشقة في جَمْعه من أطراف الغصون ما لم يكن يَحْتسب، ولم تأت السنة الثالثة، إلّا والرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه ورَفَق به.

دخل غرناطة وغيرها، وأخباره عجيبة. قال أبو جعفر بن الزُّبير: عَرَض لي بمالقة مسائل، يرجع بعضها إلى الطريقة البَيَانيّة، والمآخذ الأدبية؛ وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، وفي آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، وكان فيه تخلّق، وحسن ملاقاة، مع خفّته الطبيعية وتشتُّت منازِعه، فأجاب، وأخذتُ معه في ذلك، فألفيتُه صائمًا عن ذلك جملة.

وَصَمَتُه: قال: وكان القاضي الجليل أبو القاسم بن ربيع وأخوه أبو الحسن ينافرانه على الإطلاق، ويحذران منه، وهو كان الظاهر من حاله. قال: واستدعاني في مرض اشتدّ به، قبل خروجي من مالقة على انفراد، فتنصّل لي مما كان يُذَنُّ[1] به، وأكثر البكاءَ، حتى رَثَيْتُ له.

---

(١) يُذَنُّ به: يُتّهم به؛ يقال: ذنّ في مشيته: مشى مشية ضعيفة، وذنّ الشيء: سال، وجاء هنا=

وفاته: توفي بمالقة، ووصّى قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات وأشباهها، وحبّسَ داره وطائفةً من كُتبه على الجامع الكبير بمالقة.

محمد بن محمد البدوي(١)

الخطيب بالرَّبَض من بَلَّش(٢)، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»(٣): كان، رحمه الله، حسن التّلاوة لكتاب الله، ذا قَدَمٍ في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعرًا مُجيدًا، بصيرًا، بليغًا في خُطَبه، حسن الوعظ، سريعَ الدّمعة. حجَّ ولقي جِلّةً. وأقرأ ببلّش زمانًا، وانتُفع به، ولقي شدايد أصلُها الحَسَد.

مشيخته: قرأ العِلْم على الشَّيْخين المُقرِئين، الحُجّتَين، أبي جعفر بن الزّيّات، وأبي عبد الله بن الكمّاد، وقرأ العربية والأصلَين على الأستاذ أبي عمرو بن مَنْظُور، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله بن عبد السّلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله في غرض النسيب(٤): [السريع]

خالٌ على خدِّك(٥) أم عنبرُ؟ ... ولُؤلُؤٌ ثغرُكَ أم جوهرُ؟
أوْرَيْتَ نارَ الوَجْد طَيَّ الحشا ... فصارتِ النّار به(٦) تَسْعَرُ
لو جُدْتَ لي منك برَشْفِ اللّما ... لَقُلْتُ: خَمْرٌ عَسَلٌ(٧) سُكَّرُ
دَعْنيَ في الحُبِّ أَذُبْ حَسْرَةً ... سَفْكُ دمِ العاشقِ لا يُنْكَرُ

= بمعنى: يُتّهم به. لسان العرب (ذنن).

(١) ترجمة محمد البدوي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥).

(٢) هي بَلّش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفيًا بالقول: «بَلّش: بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة، بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البَلّشي...». معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(٣) هو كتاب «عائد الصلة» لابن الخطيب. وقد كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا لكتاب «صلة الصلة» لابن الزبير، المتوفّى سنة ٧٠٨ هـ.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥ - ٥٦). (٥) في الكتيبة: «خدّيك».

(٦) في الكتيبة: «بها».

(٧) حرّكها المحقق بالكسر «عَسَلِ» ظنًا منه أنها مضاف إلى كلمة «خمر».

وقال[١]: [البسيط]

عَيْنايَ تَفْهَمُ من عَيْنَيْكَ أسرارا ... ووردُ خدِّك يُذْكي في الحشا نارا
مَلَكْتَ قَلْبَ مُحِبٌّ فيكَ مُكْتَئِبٍ ... قد أثَّر الدَّمْعُ في خدَّيه آثارا
رُضابُ ثغرِكَ يُرْوِي حَرَّ غُلَّتِهِ ... يا ليت نَفْسيَ تَقْضي منه أوطارا[٢]
أنْعِمْ بطَيْفِ خيالٍ منكَ ألْمحُهُ ... ماذا عليك بطَيْفٍ[٣] منك لو زارا
نَفْسي فداؤك من ظَبْيٍ به كَلَفٌ[٤] ... يَصْبو له القَلْبُ مُضطرًا ومُختارا

وقال[٥]: [مجزوء الرمل]

أيها الظَّبيُ تَرَفَّقْ ... بكئيبٍ قد هَلَكْ
ألِذَنْبٍ تَتَجَنَّى ... أمْ لِشَيْءٍ[٦] يُوصِلُك؟
إنَّ رُوحي لكَ مِلْكٌ[٧] ... وكذا قَلْبيَ لَكْ
إنَّما أنتَ هِلالٌ ... فَلَكَ القَلْبُ فَلَكْ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبتُ من أدَبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: «يا سيدي، أبقاك الله بَهْجَةً للأعيان الفضلاءِ، وحُجّةً لأعْلام العَلاءِ، ولا زلت تسير فوق النَّسْر، وتجري في الفضايل على كرم النَّجْر. ذكر لي فلان أنكم أردتُم أن يَرِد على كمالكم، بعضُ الهذيان الصادر عن مُعَظِّم جلالكم، فأكبرتُ ذلك، ورأيتني لستُ هنالك، وعجبتُ أن يُنْظم مع الدُّرّ السَّبَج، أو يضارع الغَمَشُ الدَّعَج. بيد أنَّ لِنَظْم الدُّرِّ صَنّاع[٨]، والحديث قد يُذاع، ولا يُضاع، وحين اعتذرْتُ له فلم يَعْذُرْني، وانتظرته فلم ينظُرْني، بعد أن استعفيتُه فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يُبَلِّغني ريقي، وفَيْتُ الغرض، وقضيْتُ من إجابته الحَقَّ المُفْترَض، ورددت عن تَعْذاله النَّصيح، وأثبتُّ هنا ما معناهُ صحيح، ولفظه غير فصيح: [السريع]

بريتُ مِنْ حولي ومِنْ قوّتي ... بحَوْلِ مَنْ لا حَوْلَ إلّا لَهُ
وَثِقْتُ بالخالقِ فهو الذي ... يُدَبِّرُ العَبْدَ وأفعالَهُ

---

(١) الأبيات في الكتيبة (ص ٥٦).
(٢) الأوطار: جمع وطر وهو الحاجة.
(٣) في الكتيبة: «الطيفِ».
(٤) في الكتيبة: «وَطَفٌ».
(٥) الأبيات في الكتيبة (ص ٥٦).
(٦) في الكتيبة: «ألشيءٍ».
(٧) رواية صدر البيت في الكتيبة هي: «إنما روحي مِلْكٌ».
(٨) الأوجب أن يقول: «صُنّاعًا» لأنها اسم أنّ منصوب.

وقلت بالحرم عند المُلْتَزَم من المنظوم في مثل ذلك: [المتقارب]

أَمولاي بالباب ذو فاقة ... وهذا يحطُّ خطايا الأُمَمْ
فَجُدْ لي بعفوك عن زلَّتِي ... يَجُود الكريمُ بِقَدْرِ الكَرَمْ

ومما أعددته للوِفادة على خير من عُقِدت عليه أَلْوِيَةُ السِّيادَة: [الكامل]

حَمَدَتْ إليكَ مع الصباح سُراها ... وأَتتك تَطْلُبُ من نَداكَ قِراها
وسَرَتْ إليكَ مع النَّسِيم يمينُها ... شوقًا يسابق في السُّرى يُسْراها

ولولا العَجْزُ لوصلْتُ، والعذر لأطلْتُ، لكن ثَنيتُ عِناني لثنائك، لحُسْن اعتنائك، وقلت معتذرًا من الصُّورة لمجدكم، وتاليًا سورة حمدكم: [البسيط]

المَجْدُ يخبرُ عن صِدْق مآثره ... وناظمُ المَجْدِ في العَلْياءِ ناثِرُهُ
والجُودُ إنْ جَدَّ جَدُّ المَرْءِ يُنْجِدُه ... وقلَّما ثَمّ في الأَيّام ذاكِرُهُ
مَنْ نالَ ما نِلْتَ من مَجْدٍ ومن شرفٍ؟ ... فليس في الناس من[1] شخصٍ يناظرُهُ
يا سيدًا طاب في العَلْياء مَحْتِده ... دُمْ[2] ماجدًا رسَخَتْ فيه أَواصرُه
سَرَيْتَ في الفضل مُسْتَنًّا على سَنَنِ الـ ... ـفَضْلِ[3] مآربُهُ حقًا وسامرُه
ورِثْتَه عن كبير أَوْحدِ عِلْمٍ ... كذاك يحمله أيضًا أكابرُه
مُبارَكُ الوجه وضّاحُ الجبين له ... نورٌ يُنير أغرُّ النُّور باهرُه
مُوَفَّق بكفيلٍ من عنايته ... مُرَفَّع العُذر سامي الذِّكر طاهرُه
رَعَيْتَ في الفضل حقَّ الفضل مجتهدًا ... مفهومُ مجدك هذا الحكم ظاهرُه
عَلَوْتَ كالشمس إشراقًا ومنزلةً ... فأنت كالغيث يُحْيي الأَرض ماطرُه
يَنُمُّ بالفضل منك الفضلُ مشتهرا ... كما يَنُمُّ بزَهْر الرَّوض عاطرُه
دُمْ وابْقَ للمجد كَهْفًا والعُلا وَزَرًا[4] ... فإنما المجدُ شخصٌ أنت ناظرُه
مُؤَمَّلًا منك خيرًا أنت صانِعُهُ ... وصانعُ الخير عند الله شاكرُه
وما وليت وما أَوْلَيْت من حسنٍ ... للنّاس[5] والعالم العُلْوي ذاكرُه
بقيتَ تُكسِب من والاك مَكْرُمَةً ... وناصرًا أبدًا من قلّ ناصره

---

(١) كلمة «من» ساقطة في الأصل.
(٢) كلمة «دُمْ» ساقطة في الأصل.
(٣) في الأصل: «في الفضل»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) الوَزَر، بالفتح: الجبل المنيع أو الملجأ والمعتصم. لسان العرب (وزر).
(٥) في الأصل: «فللناس»، وكذا ينكسر الوزن.

عذرًا لك الفضل عمّا جئت من خطإٍ أَنْ يُخطِ مِثْليَ يومًا أنت عاذِرُهْ
ثم السلام على عَلْياكَ من رجل تُهْدي الذي أبدًا[1] تُخْفى ضمائره

دخوله غَرْناطة: دخلها غير ما مرّة، ولقيتُه بها لتقضّي بعض أغراض بباب السلطان، مما يليق بمثله.

مولده: . . .[2].

وفاته: توفي ببِلّش في أُخريات عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن مَيمون بن إدريس بن محمد ابن عبد الله العبدري

قرطبي، استوطن مدينة مرّاكُش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالمًا بالقِراءات، ذاكرًا للتفسير، حافظًا للفقه واللغات والأدب، شاعرًا مُحسِنًا، كاتبًا بليغًا، مبرّزًا في النحو، جميلَ العشرة، حسنَ الخلق، متواضعًا، فَكِه المحاضرة، مليح المُداعبة. وصنّف في غير ما فنّ من العِلْم، وكلامه كثير مدوّن، نظمًا ونثرًا.

مشيخته: روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شُريح، وعبد الرحمٰن بن بَقِي، وابن الباذِش، ويونس بن مُغيث، وأبي عبد الله بن الحاج، وأبي محمد بن عتّاب، وأبي الوليد بن رُشد، ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع، وأجازوا له، وسمع أبا بَحْر الأسدي، وأبوي بكر عيّاش بن عبد الملك، وابن أبي ركب، وأبا جعفر بن شانجة[3]، وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف الأَيْسَري، وابن المُناصف، وابن أُخت غانم، ولم يَذْكر أنهم أجازوا له، وروى أيضًا عن أبوي عبد الله مكّي، وابن المعمر، وأبي الوليد بن طَريف.

مَن روى عنه: روى عنه أبو البقاءِ يعيش بن القديم، وأبو الحسن بن مؤمن، وأبو زكريا المرجيعي، وأبو يحيىٰ أبو بكر الضرير واختصّ به.

---

(١) كلمة «أبدًا» ساقطة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، كذلك لم يشر ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة إلى سنة ولادته.

(٣) في الأصل: «سانجة» بالسين غير المعجمة، ويبدو أن جعفر بن شانجة هذا من المولدين، وهم أولاد الإسبان النصارى الذين أسلموا.

تواليفه: من مُصَنَّفاته «مَشاحِذ الأفكار في مآخذ النظار» وشَرْحاه الكبير والصغير على «جُمل الزجّاجي»، وشرح أبيات الإيضاح العَضُدي، و«مقامات الحريري»، وشرح مُعشّراته الغَزَلِيّة، ومُكَفّراته الزهدية، إلى غير ذلك، وهما مما أبان عن وفُور علمه، وغَزَارة مادّته، واتّساع معارفه، وحسن تصرفه.

دخل غرناطة راويًا عن الحسن بن الباذِش ومِثْله.

محنته: كان يحضر مجلس عبد المؤمن[1] مع أكابر مَن يحضره من العلماءِ، فيشِفُّ على أكثرهم بما كان لديه من التحقيق بالمعارف، إلى أن أنشد أبا محمد عبد المؤمن أبياتًا كان نَظَمها في أبي القاسم عبد المنعم بن محمد بن تشت، وهي: [المتقارب]

أبـا قـاسـم والـهـوى جِـنَّـةٌ[2] ... وهـا أنـا مِـنْ مَـسِّـهـا لـم أُفِـقْ
تَـقَـحّـمْـتَ جـامـحَ نـار الـضـلـوع ... كـمـا خُـضْـتَ بـحـر دمـوع الـحَـدَقْ
أَكُـنْـت الـخَـلـيـلَ، أَكُـنـتَ الـكَـلـيـمَ؟ ... أَمِـنْـتَ الـحـريـقَ، أَمِـنْـتَ الـغَـرَقَ

فهجره عبد المؤمن، ومنعه من الحضور بمجلسه، وصرف بنيه عن القراءة عليه، وسَرى ذلك في أكثر مَن كان يقرأ عليه، ويتردَّد إليه، على أنه كان في الطبقة العُليا من الطُّهارة والعفاف.

شعره: قال في أبي القاسم المذكور: وكان أَزرَق، وقد دخل عليه ومعه أبو عبد الله محمد بن أحمد الشاطبي، وأبو عثمان سعيد بن قوسرة، فقال ابن قوسرة: [الكامل]

عـابـوه بـالـزُّرَقِ الـذي يَـجْـفُـونـه ... والـمـاءُ أَزْرَقُ والـعـيـونُ[3] كـذلـكـا

فقال أبو عبد الله الشّاطبي: [الكامل]

الـمـاءُ يُـهْـدي لـلـنفـوس حـيـاتـهـا ... والـرُّمْـحُ يُـشْـرِع لـلـمَـنُـون مَـسَـالـكـا

---

(١) هو عبد المؤمن بن علي الموحدي، حكم المغرب والأندلس سنة ٥٢٤ هـ، وفي سنة ٥٤١ هـ ضمّ الأندلس إلى المغرب. وتوفي سنة ٥٥٨ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٧٩) والمعجب (ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٩٢) والحلل الموشية (ص ١٠٧).
(٢) الجِنّة، بكسر الجيم: الجنون. لسان العرب (جنن).
(٣) في الأصل: «والعينان»، وكذا ينكسر الوزن.

فقال أبو بكر بن ميمون المُتَرْجم به: [الكامل]

وكذاك[١] في أجفانه سَبَبُ الرَّدى ... لكنْ[٢] أرى طِيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله في زمن الصِّبا، عفا الله عنه: [الكامل]

لا تكترثْ بفراق أوطان الصبا ... فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعُودا

والدُّرُّ يُنظَم عند فَقْد بحاره ... بجميل أجيادِ الحِسان عقودا

ومن مشهور شعره: [الطويل]

توسَّلْتُ يا ربي بأنّيَ مؤمن ... وما قلت أني سامعٌ ومُطِيعُ

أيَصْلى بِحَرِّ النار عاصٍ مُوحِّدٌ ... وأنت كريمٌ والرسول شَفِيعُ؟

وقال في مرضه: [مخلع البسيط]

أيَرتجي العيش من عَلَيه ... دلائلُ للرَّدى جليَّهْ؟

أوَّلُها مُخبِر بشانٍ ... ذاك أمانٌ وذا منيَّهْ؟

وفاته: توفي بمراكش يوم الثلاثاءِ اثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، وقد قارب السبعين سنة.

محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النُّميري[٣]

من أهل وادي آش، يكنى أبا عامر.

حاله: كان[٤] أحد شيوخ بلده وطَلَبته[٥]، مشاركًا في فُنون، من فقه وأدب وعربية، وهي أغلبُ الفنون عليه، مطَّرح[٦] السَّمْت، مُخْشَوْشِن الزِّي، قليل المبالاة بنفسه، مُختصرًا في كافة شؤونه، مليحُ الدُّعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيتُه مَعْمُور بالعلماءِ أُولي الأصالة والتعيُّن. تصدّر ببلده للفُتْيا والتدريس والإسماع.

---

(١) في الأصل: «وكذلك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ولكن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو.

(٣) ترجمة ابن عبد العظيم في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩) وبغية الوعاة (ص ٥٨).

(٤) قارن ببغية الوعاة (ص ٥٨).

(٥) كلمة «وطلبته» ساقطة في بغية الوعاة.

(٦) في بغية الوعاة: «مطرحًا مخشوشنًا مليح الدعابة...».

مشيخته: قرأ[١] على الأستاذ القاضي أبي[٢] خالد بن أرقم، والأستاذ أبي العبّاس بن عبد النّور. وروى عن أبيه مديح رسول الله ﷺ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وولي الله الحسن بن فضيلة.

ورحل إلى العُدْوة، فأخذ بسَبْتة عن الأستاذ أبي بكر بن عُبيدة[٣]، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث، وأبي عبد الله بن الخضار، وأبي القاسم بن الشّاط، وغيرهم.

شعره: وهو من الجزء المسمى بـ «شعر مَن لا شعر له» والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبتة، ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها[٤]: [الكامل]

أمّا الوصالُ فإنّه كالعيدِ عُذْرُ المُتَيَّمِ واضحٌ في الغِيدِ

وفاته: توفي ببلده عام أربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة راويًا ومتعلمًا، وغير ذلك.

محمد بن عبد الله بن يحيىٰ بن عبد الله بن فرج ابن الجَدّ الفهري

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، وزعيم وقته في الحِفْظ. لَبْلي[٥] الأصل، إشبيلي، استدعاه السّيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده في جُمْلةٍ من الفضلاءِ مثله سِنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «ثَوْرة المُريدين»[٦].

حاله: كان في حِفْظ الفقه بَحْرًا يَغْرِفُ من مُحِيط. يقال: إنه ما طالع شيئًا من الكتب فَنَسِيَهُ، إلى الجلالة والأصالة، وبُعْد الصِّيت، واشتهار المَحَلّ. وكان مع هذا يتكلّم عند الملوك، ويَخْطُب بين يديها، ويأتي بعُجَاب، وفي كتاب «الإعلام» شيءٌ من خبره، قال ابن الزبير.

---

(١) قارن ببغية الوعاة (ص ٥٨).
(٢) في البغية: «ابن خالد أرقم».
(٣) في البغية: «ابن عبيد».
(٤) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).
(٥) نسبة إلى لَبْلة، Niebla، وهي مدينة قديمة في غرب الأندلس، كان بها ثلاث عيون. الروض المعطار (ص ٥٠٧).
(٦) صاحب هذا الكتاب الذي لم يصلنا حتى اليوم هو ابن صاحب الصلاة، صاحب كتاب «المن بالإمامة».

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك، وعن أبي محمد بن عتّاب، وسمع عليه بعض الموَطّإ، وعن أبي بَحْر الأسدي، وأبي الوليد بن طَريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي، وسمع عليه صحيح البخاري كله، وشُرَيح بن محمد، وأبي الوليد بن رُشد، وناوله كتاب «البيان والتحصيل». وكتاب «المقدّمات». لقي هؤلاءِ كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضًا عن مالك بن وهيب.

مَن حدّث عنه: أبو الحسن بن زَرْقون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، وابنا حوط الله، وغيرهم. وعليه من خُتمت به المائة السادسة كأبي محمد بن جُمْهور، وأبي العبّاس بن خليل، وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمٰن، وأبي محمد عبد الحق. قال الأُستاذ أبو جعفر بن الزبير: حدّثني عنه ابن خليل وأبو القاسم الجيّاني، وأبو الحسن بن السَّرّاج.

مولده: بلبلة في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وفاته: وتوفي بإشبيلية في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة. ذكره ابن الملجوم، وأبو الربيع بن سالم، وابن فُرْتون.

محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن الفخّار الجُذامي

يكنى أبا بكر، أَرْكُشي[١] المولد والمنشإ، مالَقي[٢] الاستيطَان، شَرِيشي[٣] التدرُّب والقراءة.

حاله: من «عائد الصِّلة»: كان، رحمه الله، خيِّرًا صالحًا، شديد الانقباض، مُغْرقًا في باب الورَع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم والمُلازمة، قليل الرياءِ والتصنُّع. خرج من بلده أَرْكُش عند استيلاءِ العدو على قصبتها، وكان يَصِفها، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن الكِرْماني: [المجتث]

أَكْــــرِمْ بــــأَرْكُـــشَ دارا ... تــاهَــتْ عــلى الــبَـدْرِ قَــدْرا

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن على وادي لكة. الروض المعطار (ص ٢٨).

(٢) نسبة إلى مدينة مالقة، وقد سبق التعريف بها.

(٣) نسبة إلى شريش Jerez وهي من كور شذونة بالأندلس، كثيرة الكروم والزيتون والتين. الروض المعطار (ص ٣٤٠).

يخاطب المجدُ عنها   للقلبِ(١) تُدني شُكْرا

واستوطن مدينة شَرِيش، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، وأقرأ بها، ولمّا استولى العدوّ عليها لحق بالجزيرة الخضراءِ، فدرّس بها، ثم عبر البحر إلى سَبْتة، فقرأ بها وروّى. ثم كرَّ إلى الأندلس، فقصد غرناطة، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن مالَقة، وتصدّر للإقراء بها؛ مفيدُ التعليم، متقَنَّه، من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث، عظيمُ الصبر، مستغرقُ الوقت. يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزّوال. ثم يُسْند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرىء، وتأتيه النساءُ من خَلْفه للفُتيا، فيُفتِيهنَّ على حال سؤالاتهنّ إلى نصْف ما بيْن العصر والعِشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعُد للفُتيا إلى العِشاء الآخرة، من غير أن يَقبل من أحد شيئًا. ومن أخذَ منه بعد تَحكِيم الوَرَع، أثابه بمثله، ما رئي في وقته أوْرع منه. وكان يتّخذ روميّةً مملوكةً، لا يشتملِ منزله على سواها، فإذا أَنِس منها الضّجر للحصر وتمادى الحجاب، أعتقها، وأصْحَبها إلى أرضها. ونشأت بينه وبين فقهاءِ بلده خصومة في أُمور عَدُّوها عليه، مما ارتكبها اجتهاده في مناط الفَتْوى، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلسًا أجلى عن ظهوره فيه، وبقاءِ رسمه، فكانت محنَة، وخلّصه الله منها. وبلغ من تعظيم الناس إيّاه، وانحياشهم إليه، مَبْلَغًا لم يَنَلْه مثلُه، وانتُفع بتعليمه، واستُفيد منه الأدب على نُسْكه وسذاجته.

مشيخته: قرأ ببلده شَرِيش على المُكَتِّب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي، وعلى الأُستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الرَّباح، وعلى الأُستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السَّكوني الكَرْماني؛ أخذ عنه العربية والأدب، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى، المعروف بابن متيوان، وعلى الأُصولي الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سِنان الأزدي المَرّاكشي، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري، وعلى الفقيه أبي عبد الله الجُنَيدي، المعروف بالغرّاق، وعلى الفقيه العَدَدِي أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المِكْناسي. وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرَّكبي، وروى عنه، وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، وعلى الأصولي أبي أُميّة. وقرأ بسَبْتة على الأُستاذ الفَرَضي إمام النحاة أبي الحسن بن أبي الربيع، وعلى أبي يعقوب المحبساني، وعلى المحدِّث أبي عمرو عثمان بن عبد الله

(١) في الأصل: «القلبِ» وكذا ينكسر الوزن.

العَبْدَري، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المِتيوي، والأصولي أبي الحسن البَصري، والفقيه المُعَمَّر الراوية أبي عبد الله محمد الأَزْدي، والمحدّث الحافظ أبي محمد بن الكمّاد، وعلى الأستاذ العَرُوضي الكفيف أبي الحسن بن الخَضّار التلمساني. ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع، والأستاذ أبا جعفر الطبّاع، وأبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدي، والأُستاذ أبا الحسن بن الصّائغ. ولقي بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، والرّاوية أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجُذامي السُّهيلي. وسمع على الرّاوية أبي عمرو بن حوْط الله، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي.

تواليفه: كان، رحمه الله، مُغْرَى بالتأليف، فألّف نحو الثلاثين تأليفًا في فنون مختلفة، منها كتاب «تَحْبِير نظم الجُمان، في تفسير أُم القرآن»، و«انتفاع الطّلبة النُّبهاء، في اجتماع السَّبعة القُرّاء». و«الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون والسّامعون»، وكتاب «مَنْظُوم الدُّرَر، في شرح كتاب المختصر»، و«كتاب نصح المقالة، في شرح الرسالة»، وكتاب «الجواب المختصر المرُوم، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الرُّوم»، وكتاب «استواءُ النَّهج، في تحريم اللعب بالشطرنج»، وكتاب «الفَيْصل المنْتَضى المهزوز، في الرّد على مَن أنكر صِيام يوم النَّيْرُوز»، وكتاب «جواب البيان، على مُصارمة أَهل الزمان»، وكتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المُختار، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار»، وكتاب «إرشاد السّالك، في بيان إسناد زِياد عن مالك»، وكتاب «الجوابات المُجتمعة، عن السُّؤالات المُنوّعة»، وكتاب «إملاء فوائد الدول، في ابتداءِ مقاصد الجمل»، وكتاب «أجوبة الإقناع والإحساب، في مشكلات مسائل الكتاب»، وكتاب «مَنهج الضّوابط المُقَسّمة، في شرح قوانين المُقَدِّمة»، وكتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، في حذف التنوين من حديث أسما»، وكتاب «التكملة والتَّبْرئة، في إعراب البسملة والتّصْلية»، وكتاب «سَحُّ مُزْنَة الانتخاب، في شرح خُطْبة الكتاب». ومنها اللّائح المعتمد عليه، في الردّ على مَن رفع الخبر بلا إلى سيبويه، وغير ذلك من مُجيد ومُقصر.

شعره: وشعره كثير، غريب النّزْعة، دالّ على السّذاجة، وعدم الاسْتِرابة والشعور، والغَفْلة المُعْربة عن السّلامة، من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضّرار، واستعمال الألْفاظ المشتركة التي تتشبّث بها أطراف الملاحين والمعاريض، وَلَع كثير من أهل زمانه بالرّدّ عليه، والتّملُّح بما يصدر عنه، منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.

ومن منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظرْ إلى ورد الرِّياض كأنّه ... ديباجُ خَدٌّ في بَنان زَبَرْجَدِ
قد فَتَّحَتْهُ نضارةٌ فبدا له ... في القلب رونقُ صُفْرةٍ كالعَسْجَدِ
حَكَتِ الجوانبُ خدَّ حِبٍّ ناعم ... والقَلْبُ يحكي خَدَّ صبٍّ مُكْمَدِ

حدّث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مُفضل المالقي، قال: قال لي يومًا الشيخ الأُستاذ أبو بكر بن الفخّار: خرجت ذات يوم وأنا شاب من حَلَقة الأُستاذ بشَرِيش، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سَرّاج، وإذا فتًى وسِيمٌ في الحانوت يَرْقُم جِلْدًا كان في يده، فقالوا لي: لا تجاوزْ هذا الباب، حتى تَصْنع لنا شعرًا في هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

ورُبَّ مُعَذَّرٍ للحُبِّ داعٍ ... يروق بهاءُ مَنْظَرِه البهيجِ
وشَى في وَجْنتيه الحُسْنُ وَشْيًا ... كَوَشْي يَدَيْهِ في أُدم السروجِ

مولده: بحصن أَرْكُش بلده، وكان لا يخبِر به، في ما بين الثلاثين والأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالَقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته بمالقة مشهورة.

محمد بن علي بن عمر بن يحيىٰ بن العربي الغستاني

من أهل الحَمّة[1] من عمل أَلْمَرِيّة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي، وينتمي في بني أَسْود من أعيانها.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل العلم والدين والفضل، طَلْق الوجه، حسن السَّيْر، كثير الحياءِ، كأنّك إذا كلّمته تُخاطب البكرَ العَذْراءَ، لَا تلْقَاهُ إِلّا مُبْتَسِمًا، في حُسْن سَمْت، وفضل هوىً، وجميل وقار، كثير الخشوع، وخصوصًا عند الدخول في الصّلاة، تلوح عليه بذلك، عند تِلاوته سِيمَا الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان له تحقُّقٌ بضبط القراءَات، والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السُّنية، والعلوم الدينية. انْتَصب للإقراءِ والتدريس

---

(١) الحَمّة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، من مدن غرناطة، وتقع غربيَّ غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوشة. استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٠).

بالحمّة المذكورة، فقرَّب النُّجعَة على أهل الحصون والقرى الشَّرقية، فصار مُجتَمعًا لأرباب الطَّلب من أهل تلك الجهات ومُرتفقاتهم. وكان رجلًا صالحًا، مُبارك النيَّة، حسن التَّعليم، نفَع الله به من هنالك، وتخرَّج على يديْهِ جمْعٌ وافر من الطَّلَبة، عَمَرت بهم سائرُ الحصُون. وكان له منزِلٌ رحبٌ للقاصدين، ومُنتَدًى عذبٌ للواردين. تجول في آجِرَةٍ بالأندلس والعُدْوة[1]، وأخذ عمن لقي بها من العلماءِ، وأقام مدَّةً بسَبْتة مُكبًا على قراءَة القرآن والعربية. وبعد عوده من تَجْواله لزم التصدُّر للإقراءِ بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه آثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته: أخذ بألَمَريَّة عن شيخها أبي الحسن بن أبي العَيْش، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبير، والعَدل أبي الحسن بن مَسْتقور. وببلِّش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكمَّاد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات. وبمالَقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخَّار، والشَّيخ أبي عبد الله محمد بن يحيىٰ بن ربيع الأشعري. وبالجزيرة عن خطيبها أبي العبَّاس بن خَميس. وبسَبْتَة عن الأُستاذ أبي إسحٰق الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُريث، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والزَّاهد أبي عبد الله بن مُعَلَّى، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغِماري. وبمكناسَة من القاضي وارياش. وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مِفتاح اللجَّاي، والأُستاذ أبي الحسن بن سليمان، والأُستاذ أبي عبد الله بن أجْرُوم الصَّنهاجي، والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي وغيرهم، وكل مَن ذُكر أجاز له عامة، إلَّا قاضي مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده: في أول عام اثنين وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي بالحمَّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرَّم عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد العَبْدري[2]

من أهل مالَقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف باليَتِيم.

---

(١) المقصود المغرب.

(٢) ترجمة أبي عبد الله العبدري اليتيم في الكتيبة الكامنة (ص ٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦).

حاله: كان، رحمه الله، أحد الظرفاءِ من أهل بلده، مليح الشكل، حسنَ الشّيبة، لَوْذَعيًا في وقار، رشيقَ النظم والنثر، غَزِلًا مع الصّون، كثير الدُّعابة من غير إفْحاش، غزير الأدب، حسنَ الصَّوت، رائق الخَطِّ، بديع الوِراقة، مَغْسُول الألْفاظ، مُمْتِع المُجالسة، طَيِّب العِشْرة، أدّب الصّبيان مدة، وعقد الشروط أُخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرّقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأعْذَب نَغْمة، وأمْثَل طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يُخل منها وقتًا إلّا ليلتين، إحداهما بسبب امتساكنا به في نُزْهة برياض بعض الطلبة، لم يُخلف مثلَه بعده. وخطب بقَصَبة مالقة، ومال أخيرًا إلى نظر الطِّب، فكان الناس يميلون إليه، وينتفعون به لسِياغ مشاركته، وعُموم انقياده، وبِرِّه، وعمله على التّودُّد والتّجمُّل.

وجرى ذكره في «التّاج المُحَلّى» بما نصُّه[1]: مجموع أدوات حِسان، من خطّ ونَغْمة ولِسان، أوراقُه[2] روضٌ تتضوّع نَسَماته، وبِشْرُه صبح تتألّق قَسَماته، ولا تخفى[3] سِماته. يُقَرْطِس أغراض الدُّعابة ويُصْميها، ويُفَوِّق سِهام الفُكاهة إلى مراميها، فكلّما صدرتْ في عصره قصيدةٌ هازِلة، أو أبياتٌ مُنْحطّة عن الإجادة نازِلة، خَمّس أبياتها وذيّلها، وصَرَف معانيها وسهّلها[4]، وتركها سَمَرَ النُّدمان، وأُضحوكة الزمان[5]. وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة[6]، مُتَحلٍّ بوقار وسكينة، حالٌ من أهلها بمكانةٍ مَكِينة، لسهولة جانبه، واتّضاح مقاصِده في الخَيْر ومذاهبه. واشتغل لأوّل أمره بالتّعليم[7] والتّكْتِيب، وبلغ الغاية في الوقار[8] والتّرتيب، والشّباب[9] لم يَنْصِلْ خضابُه، ولا سُلَّتْ للمَشِيب عِضابُه، ونفسه بالمحاسن كَلِفة صَبّة[10]، وشأنه كله هوىً ومحَبّة، ولذلك ما خاطبه به بعض أوُدّائه[11]، وكلاهما رمى أهله بِدائه، حسبما يأتي خلال هذا القول[12] وفي أثنائه، بحول الله.

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠) وبعضه في الكتيبة الكامنة (ص ٥٩ ـ ٦٠).
(٢) في المصدرين: «أخلاقه».
(٣) في الأصل: «يُخفى» والتصويب من المصدرين.
(٤) في النفح: «وسيّلها».
(٥) في النفح: «الأزمان».
(٦) في المصدر نفسه: «بمالقة».
(٧) في النفح: «أمره بالتكتيب».
(٨) في النفح: «في التعليم والترتيب».
(٩) في الأصل: «وللشباب» والتصويب من النفح.
(١٠) كلمة «صَبّة» ساقطة في الأصل.
(١١) الأوُدّاء: جمع ودود وهو المحب. لسان العرب (ودد).
(١٢) في الأصل: «المقول» والتصويب من النفح.

شعره: كتبتُ إليه أسأل منه ما أثبتُ في كتاب «التَّاج» من شعره، فكتب إليّ[١]: [البسيط]

أمّا الغرامُ فلم أُخلِلْ بمَذهبه ... فَلِمْ حَرمْتَ فُؤادي نَيْلَ مَطْلَبِهِ؟
يا مُعرِضًا عن فؤادٍ لم يَزَلْ كَلِفًا ... بِحُبِّه ذا حِذارٍ مِنْ تَجَنُّبِهِ
قَطَعْتَ عنه الذي عَوَّدْتَه فغدا ... وحَظُّه من رضاه بَرْقُ خُلَّبِهِ[٢]
أيامَ وَصْلُكَ مبذولٌ، وبِرُّك بي ... مُجَدَّدٌ، قد صفا لي عَذْبُ مَشْرِبِهِ
وسَمْعُ وُدِّك عن إفْكِ العَواذل في ... شُغْلٍ وبَدْرُ الدُّجى ناسٍ لمَغْرِبه
لا أنت[٣] تمنعني نَيْل الرِّضا كَرَمًا ... ولا فُؤادي بوانٍ في تَطَلُّبه
لله عَرْفُكَ ما أذكى تَنَسُّمَهُ ... لو كنتَ تمنَحُني استنشاقَ طَيِّبه
أنتَ الحبيبُ الذي لم أتَّخِذ بدلا ... منه وحاشَ لقلبي مِنْ تَقَلُّبِه
يا ابن الخطيب الذي قد فُقْتَ كلَّ سنًا ... أزال عن ناظري إظلامَ غَيْهَبه
محمدَ الحُسْنِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ... أكْمَلْتَ[٤] باسمك معنى الحُسْن فازْهَ به
نأيْتَ[٥] أو غِبْتَ ما لي عن هواكَ غِنًى ... لا يَنقُصُ البَدْرُ حُسْنًا في تَغَيُّبه
سِيّانِ حالُ التَّداني والبعاد، وهل ... لمُبْصِرِ البَدْرِ نَيْلٌ في تَرَقُّبه؟
يا مَنْ أُحَسِّنُ[٦] ظَنّي في رضاهُ وما ... يَنفَكُّ يُبْدي قَبيحًا مِنْ تَغَضُّبه
إن كان ذَنْبي الهوى فالقَلْبُ منّي لا ... يُصْغي لسَمْعِ ملامٍ مِنْ مُؤَنِّبه

فأجبته بهذه الرسالة، وهي ظريفة في معناها[٧]:

«يا سيدي الذي إذا رُفعت رايةُ ثَنائه تلقَّيتُها باليَدَيْن[٨]، وإذا قُسِمت سِهامُ وِداده

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧).
(٢) البرق الخُلَّب: الذي يطمع في المطر وليس وراءه مطر، ويضرب مثلًا في الشيء الذي لا منفعة وراءه. لسان العرب (خلب).
(٣) في الأصل: «ألأنت» وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «كملت»، والتصويب من نفح الطيب.
(٥) في النفح: «حَضَرْتَ».
(٦) في الأصل: «أُحْسِنُ» وكذا ينكسر الوزن والتصويب من نفح الطيب.
(٧) الرسالة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨).
(٨) أخذ هذا من قول الشماخ بن ضرار في عَرابة الأوسي: [الوافر]
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تلقّاها عَرابةُ باليمينِ
الشعر والشعراء (ص ٢٣٥).

على ذوي اعتِقاده كنت صاحبَ الفريضة[١] والدِّين، دام بقاؤُك لطُرْفَةٍ[٢] تُبديها، وغريبَةٍ تُرْدِفُها بأُخرى تَليها، وعقيلةِ بيانٍ تُجلّيها، ونفسٍ أخذ الحُزنُ بكَظْمِها، وكَلِف الدّهر بشتّ نَظْمها، تُؤنِسها وتُسَلّيها، لم أزل أعزّك الله، أشدُّ على بدائعها[٣] يَدَ الضَّنين[٤]، وأَقْتَني دُرَرَ كلامك، ونَفَثات أقلامك، اقْتِناءَ الدُّرِّ الثمين، والأيام بلقياك تَعِدُ، ولا تُسْعِدُ، وفي هذه الأيام انثالَتْ عليَّ سماؤُك بعد قَحْط، وتوالت[٥] عليَّ آلاؤُك على شَحْط[٦]، وزارَتْني من عقائل بَيانك كلُّ فاتِنة الطَّرْف، عاطِرة العَرْف، رافِلَةٍ في حُلل البيان والظَّرف، لو ضُربت بيوتُها بالحجاز، لأقرّت لنا العربُ العاربة بالإعجاز، ما شئت منَ رَصْف المَبْنى، ومطاوعة اللّفظ لغرض المَعْنى، وطيب الأسلوب، والتّشَبُّث بالقلوب، غير أن سيّدي أفرط في التّنَزُّل، وخلط المخاطبة بالتّغَزُّل، وراجع الالْتِفات، ورام اسْتِدراك ما فات. يرحم[٧] الله شاعر المعرّة، فلقد أجاد في قوله، وأنكر مناجاة الشَّوْق[٨] بعد انْصِرام حَوْله، فقال[٩]: [البسيط]

أَبَعْدَ حَوْلٍ تُناجي الشَّوقَ[١٠] ناجيةٌ   هلّا ونحن على عَشْرٍ من العُشَرِ[١١]

وقد[١٢] تَجاوَزْتَ في الأمد[١٣]، وأَنْسَيتَ أخبار صاحِبك عبد الصَّمد، فأُقسمُ بأَلِفاتِ القُدود، وهَمَزات الجُفون السُّود، وحاملي[١٤] الأرواح مع الأَلْواح، بالغُدُوّ والرَّواح، لولَا بُعْدُ مَزارِك، ما أَمِنْتَ غائلةَ ما تَحت إِزارِك. ثمّ إنّي حقّقْتُ الغرض، وبحثتُ عن المُشْكل الذي عَرَض، فقلتُ: للخواطِر انتِقال، ولكلِّ مَقام مَقال، وتختلفُ الحوائجُ باختلاف الأوقات، ثم رفع اللَّبسَ خَبَرُ الثِّقات.

(١) الفريضة: الإرث أو الحصّة منه. لسان العرب (فرض).
(٢) الطُّرْفة: الغريب المستحسن. لسان العرب (طرف).
(٣) في النفح: «بدائعك».
(٤) الضنين: البخيل. لسان العرب (ضنن).
(٥) في النفح: «وتواترت لديّ».
(٦) الشَّحط: البعد.
(٧) في النفح: «ويرحم الله تعالى».
(٨) في الأصل: «للشوق»، والتصويب من النفح.
(٩) كلمة «فقال» غير واردة في النفح. والبيت للمعري وهو في شروح سقط الزند (ص ١١٤).
(١٠) في الأصل: «للشوق»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١١) الناجية: الناقة السريعة. العُشَر: شجر؛ وأراد هنا المكان الذي ينبت فيه. لسان العرب (نجا) و(عشر).
(١٢) في النفح: «ولقد».
(١٣) في الأصل: «الأمل»: والتصويب من النفح.
(١٤) في نفح الطيب: «وحامل».

ومنها[١]: وتعرّفتُ ما كان من مُراجعة سيدي لحرفة التّكْتِيب والتّعْلِيم، والحَنِين إلى العهد القديم، فَسُرِرْتُ باستقامة حاله، وفَضْل ماله، وإنْ لاحظ المُلاحظ[٢]، ما قال الجاحظ[٣]، فاعتراضٌ لا يُرَدُّ، وقياس لا يُضطرد[٤]، حبّذا والله عيش أهل[٥] التّأديب، فلا بالضّنْك ولا بالجَدِيب[٦]، معاهدةُ الإحسان، ومشاهدةُ الصُور الحِسان، يمينًا إنّ المُعَلّمين، لسادةُ المُسْلمين، وإنّي لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أُمَراء[٧] فوق المراتب، من كل مُسَيْطِر الدِّرَّة، مُتَقَطِّب الأسِرّة، مُتَنَمّر لِلْوارِدِ تَنَمُّر الهِرَّة، يَغْدو إلى مَكْتبه، كالأمير[٨] في مَوْكِبه، حتى إذا استقلّ في فرشه، واستولى على عَرْشه، وترنّم بتلاوة قالُونه[٩] ووَرْشِه، أظهر للخَلق احتقارًا، وأزرى[١٠] بالجبال وقارًا، ورُفعت إليه الخصوم، ووَقَف بين يديه الظّالم والمظلوم، فتقول: كِسْرى في إيوانه، والرّشيد في زمانه[١١]، والحجّاج بين أعْوانه. وإذا[١٢] استولى على البَذْر السِّرار، وتبيّن للشهر الغرار[١٣]، تحرّك[١٤] إلى الخَرْج[١٥]، تحرُّك العوْد[١٦] إلى الفَرَج، أستغفر الله مما يشقّ على سيدي سماعُه، وتشمئزُ من ذكره[١٧] طباعُه، شِيم اللّسان، خَلْطُ الإساءة بالإحسان، والغفلة من صِفات الإنسان. فأيُّ عَيْشٍ هذا[١٨] العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجُوهٌ إليه مَصْروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقق الغُصّات[١٩]، فكأنّما طَمَسَ الأفواه[٢٠]، ولأم بين الشّفاه، وإن أمر بالإفصاح، وتِلاوَة الألْواح، علا الضَّجِيج والعَجِيج، وحَفّ به كما حَفّ بالبيت الحجِيج. وكم بين ذلك من رشْوةٍ تُدَسُّ، وغَمْزة لا تُحَسُّ، ووعْد يُسْتَنْجز، وحاجةٍ تُسْتَعْجَل وتُحفَز. هنّأ الله سيدي ما خوّله، وأنْساه بِطيب آخِره أوّلَه. وقد بعثتُ

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩).
(٢) في النفح: «اللاحظ».
(٣) يشير إلى ذمّ الجاحظ معلمي الصبيان، ويداعب أبا عبد الله اليتيم في رجوعه إلى هذه الحِرْفة.
(٤) في النفح: «لا يَطّرد». (٥) كلمة «أهل» ساقطة في النفح.
(٦) الضّنْك: الضّيّق. الجديب: المكان المُقفر الذي لا نبات فيه. لسان العرب (ضنك) و(جدب).
(٧) في الأصل: «أمرًا» وكذا لا معنى له، والتصويب من النفح.
(٨) في الأصل: «والأمير»، والتصويب من النفح.
(٩) في الأصل: «قانونه» والتصويب من النفح. وقالون وورش: مقرئان، لكل منهما قراءته الخاصة.
(١٠) في الأصل: «وأندى» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «أوانه».
(١٢) في النفح: «فإذا». (١٣) في الأصل: «القرار» والتصويب من النفح.
(١٤) في الأصل: «وتحرك» والتصويب من النفح.
(١٥) في الأصل: «الخروج» ولا معنى له، والتصويب من النفح.
(١٦) في الأصل: «القرد» والتصويب من النفح. (١٧) في الأصل: «ذكراه» والتصويب من النفح.
(١٨) في النفح: «كهذا». (١٩) في النفح: «التحقّق القصّات».
(٢٠) في النفح: «على الأفواه».

بدُعابتي هذه مع إجلال قَدْرِه، والثِّقة بسَعَة صَدْره، فليَتَلَقَّها بيمينه، ويَفْسَح لها في المَرْتبة بَيْنَه وبيْن خَدِينه[١]، ويُفْرِغ لمراجعتها وقتًا من أَوْقاته عملًا[٢] بمُقْتَضَى دِينه، وفَضْلِ يَقِينه، والسَّلَام.

ومن شعره ما كتب به إليَّ[٣]: [الكامل]

آياتُ حُسْنِكَ حُجَّةٌ للقال[٤] ... في الحبِّ قائمةٌ على العُذّالِ

يا منْ سَبى طوعًا عقول ذوي النُّهى ... ببلاغةٍ قد أُيِّدَتْ بجمالِ

يَسْتَعْبِدُ الأبصارَ والأسماعَ ما ... يجْلُو ويتْلُو من سَنِيِّ مقالِ

وعليك أهواءُ النفوس بأَسْرِها ... وقفتْ فغَيْرُكَ[٥] لا يَمُرُّ ببالِ

رُفِعَتْ لديك[٦] في البلاغة رايةٌ ... لمّا احتلَلْتَ بها وحيدَ كمال

وغدتْ تُباهي منك بالبَدْر الذي ... تَعْنو البدورُ لنُوره المُتَلالي

ماذا ترى يا ابنَ الخطيب لخاطب[٧] ... وُدًّا ينافس فيك كلَّ مُغال[٨]؟

جَذَبَتْه نحو هواك غُرُّ محاسنٍ ... مشفوعةٍ أفرادُها بمعالِ

وشمائلٌ رَقَّتْ لرِقَّة طبعها ... فزُلالها يُزْري بكل زُلال

وحَليُّ آدابٍ بمثْلِ نَفيسها ... تَزْهو الحُلى ويجلُّ قَدْر الحالي

تستخدم[٩] الياقوتَ عند نِظامها ... فمُقصِّرٌ مَنْ قاسَها بلآل

سَبَقَ الأخيرُ الأوّلين بفضلها ... فغدا المُقدَّمُ تابعًا للتّالي

شَغَفي بِبِكْرٍ[١٠] من عقائلها إذا ... تبدو تُصانُ من الحِجى بحِجال

فابعثْ بها بنْتَ[١١] المُنَى ممهورةً ... طيبَ الثّناءِ لنَقْدها والكالي

لا زلْتَ شمسًا في الفضائل يُهْتدى ... بسَناكَ في الأفعال والأقوال[١٢]

ثم السّلامُ عليك يَتْرى ما تَلَتْ ... بُكَرَ الزّمان روادفُ الآصال

---

(١) الخدين: الخِدْن، الصديق. لسان العرب (خدن).

(٢) كلمة «عملًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٦٠). (٤) في الكتيبة: «للتالي».

(٥) في الأصل: «فطيرك» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «الريَّه»، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الكتيبة: «يخاطب». (٨) في الأصل: «مقال» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «يستخدم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «يذكر» والتصويب من الكتيبة. (١١) في الأصل: «ثِلْتَ» والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «في الأقوال والأفعال».

ومن الدُّعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كَتَب به إليه صديقه الملاطف أبو علي بن عبد السَّلام[١]: [الوافر]

أَبا عبد الله نداءَ خِلٍّ وفيٍّ جاءَ يمنحكَ النَّصيحَهْ
إلى كم تألفُ الشُّبانَ غيًّا وخِذْلانا، أما تخشى الفَضيحَهْ؟

فأجابه رحمه الله: [الوافر]

فَدَيْتُك، صاحبَ السِّمة المليحَهْ ومَنْ طابَتْ أَرومتُهُ الصَّريحَهْ
ومَنْ قلبي وَضَعْتُ له محلًّا فما عنه يحلُّ بأَنْ أزيحَهْ
نأَيْتَ فدمعُ عيني في انسكابٍ وأكبادٌ[٢] لفُرقَتكُمْ قريحَهْ
وطَرْفي لا يُتاح له رُقاد وهل نومٌ لأجفانٍ جَريحهْ؟
وزاد تَشَوُّقي أبياتُ شعرٍ أتتْ منكُمْ بَألفاظٍ فصيحهْ
ولم تَقْصِدْ بها جِدًّا، ولكن قَصَدْتَ بها مُداعبةً قبيحهْ[٣]
فقلتَ: أتألفُ الشُّبانَ غيًّا وخِذْلانا، أما تَخْشى الفَضيحهْ؟
وفيهمْ[٤] حِرْفَتي وقَوامُ عَيْشي وأحوالي بخُلْطَتِهمْ نجيحهْ
وأمري فيهمُ أَمْرٌ مُطاعٌ وأَوجُهُهُمْ مصابيحٌ صَبيحهْ
وتعلم أنَّني رجلٌ حَصُورٌ[٥] وتعرفُ ذاك معرفةً صحيحهْ

قال في «التَّاج»: ولمّا[٦] اشتهر المَشِيب بعارضه ولِمَّته، وخَفَر الدهر لعمود[٧] صباه وأذِمَّته، أَقْلَع واسترجع، وتألَّم لما فَرطَ وتوجَّع، وهو الآن من جلّة الخطباءِ طاهرُ العِرْض والثَّوْب، خالصٌ من الشَّوْب، بادٍ عليه قبولُ قابِل التوب.

وفاته رحمه الله: في آخر صفر من عام خمسين وسبعمائة في وقيعة الطاعون العام، ودخل غرناطة.

---

(١) البيتان وجوابهما في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٩).
(٢) في النفح: «وأكبادي». (٣) في نفح الطيب: «وقيحة».
(٤) في المصدر نفسه: «ففيهم».
(٥) الحَصُور: من انقطع عن النساء وتفرّغ للعبادة. وفي القرآن الكريم: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾. سورة آل عمران ٣، الآية ٣٩، ولسان العرب (حصر).
(٦) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠). (٧) في النفح: «الصباء».

ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد
ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجيسي[١]

من أهل تِلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حاله: هذا[٢] الرجل من طُرفِ دهره ظَرَفًا وخصوصيّة ولطافةً، مليح التوسّل، حسنُ اللقاء، مبذولُ البِشر، كثيرُ التَّوَدُّد، نطيفُ البِزَّة، لطيفُ التَّأتي[٣]، خَيِّرُ البيت، طَلْقُ الوجه، خَلُوب اللسان، طَيِّب الحديث، مُقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، دَرِبٌ على صُحبة الملوك والأشراف، مُتقاضٍ لإيثار السلاطين والأمراءِ، يَسْحَرُهُم بخلابة لفظه، ويَفْتِلهم[٤] في الذُّروة والغارب بتَنَزُّله، ويَهتدي إلى أغراضهم الكمينة بحِذْقه، ويَضنع[٥] غاشِيتهم بتلطُّفه، ممزوجُ الدُّعابة بالوقار، والفكاهة بالنُّسك، والحِشمة بالبَسْط، عظيمُ المشاركة لأهل وُدِّه، والتَّعَصُّب لإخوانه، إلْفٌ مألوف، كثير الأتباع والعُلَق[٦]، مُسَخَّرُ الرِّقاع في سبيل الوساطة، مُجدِي الجاه، غاصُّ المنزل بالطُّلبة، مُنقاد الدَّعوة، بارع الخطِّ أنيقُهُ، عذبُ التِّلاوة، متَّسع الرِّواية، مشاركٌ في فنون من أُصول وفروع وتفسير، يكتب ويَشْعر ويُقيِّد ويؤلِّف، فلا يَعْدُو السَّداد في ذلك، فارسُ مِنبرٍ، غير جَزوع ولا هيابة[٧]. رَحَل إلى المشرق في كنَفِ حِشْمة من جناب والده، رحمه الله، فحجَّ وجاور، ولقي الجِلَّة، ثم فارقه، وقد عُرِف بالمشرق حقُّه، وصَرَفَ وجهَه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميرُهُ اشتمالاً خَلَطه بنفسه، وجعله مَفْضَى سِرِّه، وإمام جُمْعته، وخطيب مِنْبَره، وأمين رسالته، فَقَدِمَ في غَرَضها على الأندلس في[٨] أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، فاجتذبه[٩] سلطانُها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوَتِيرة، فقلَّده الخُطْبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأقْعَده للإقراءِ بالمدرسة من حَضْرته. وفي أُخريات عام أربعة

---

(١) ترجمة ابن مرزوق في التعريف بابن خلدون (ص ٤٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٢) والديباج المذهب (ص ٣٠٥) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٥٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٥).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٦).

(٣) في الأصل: «التأتي» والتصويب من النفح.

(٤) يفتلهم: يداورهم. لسان العرب (فتل).

(٥) في النفح: «ويصطنع».

(٦) العُلَق: الذين يتعلقون به ويتبعونه. لسان العرب (علق).

(٧) في النفح: «هيّاب».

(٨) كلمة «في» غير واردة في النفح.

(٩) في الأصل: «واجذبه» والتصويب من النفح.

وخمسين[١] بعده أَطْرَف عنه جِفْنَ بِرّه، في أُسلوب طِماحٍ، ودالّةٍ، وسبيل هوىً وقِحَةٍ، فاغتنم العِبْرة[٢]، وانتهز الفُرصة، وأَنْفَذ في الرّحيل العَزْمة، وانصرف عزيز الرِّحْلة، مغبوط المُنْقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة[٣]، فاستقرَّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عِنان فارس في مَحلّ تَجِلّة، وبِساط قُرْب، مُشترك الجاه، مُجْدي التوسُّط، ناجع الشّفاعة، والله يتولّاه ويزيدهُ من فضله.

مشيخته: من كتابه المسمى «عُجالة المستوفز المستجاز في ذِكر مَن سُمع من المشايخ دون مَن أجاز، من أئمة المغرب والشّام والحجاز»: فممن[٤] لقِيه بالمدينة المشرّفة على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلّامة عزّ الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي، صاحب خُطّتي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي[٥] الكريم، وأفرد جزءًا في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السّعدي العبّادي، تحمّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليُمن وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، ونائب الإمامة والخطابة به، ومُنشِد الأمداح النبوية هنالك وبمكة، شرّفها الله، الشيخ المُعَمَّر الثّقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي[٦] المكيّ. والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمٰن العجمي. والشيخ مُقرىء الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الآبلي[٧] المِصْري. والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أَسْعَد الشافعي الحُجّة، انتهت إليه الرِّياسة العلمية والخُطط الشّرعية بالحَرَم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباءِ عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جَماعة الكِناني، قاضي القضاة بمصر[٨]. وبمصر الشيخ علاءُ الدين القُونَوي. والتّقي السعدي، وقاضي القضاة القَزْويني، والشرف أقضى القضاة الإخميمي، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحُفّاظ والعلماءِ بتونس، وبجاية، والزّاب، وتِلِمْسان.

محنته: اقتضى[٩] الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن، رحمه الله، وتوقُّع[١٠] عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليَمّ بالسّاحل بمدينة الجزائر، أن قَبض

---

(١) في النفح: «وخمسين صرف عنه جفن...». (٢) في النفح: «الفترة».
(٣) قوله: «في أوائل... وسبعمائة» غير وارد في النفح.
(٤) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩). بتصرف المقري.
(٥) في النفح: «بالمسجد الكريم النبوي». (٦) في النفح: «الحجبي».
(٧) في النفح: «الآيلي». (٨) في النفح: «القضاة بالديار المصرية».
(٩) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧١). (١٠) كلمة «وتوقع» غير واردة في نفح الطيب.

عليه بتِلْمسان أمراؤُها المتوثِّبون عليها في هذه الفترة من بني زَيّان، إرضاءً لِقَبيلهم المتَّهم بمُداخلته، وقد رَحل عنهم دسيسًا من أميرهم عثمان بن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن يَغْمراسِن، فصُرف مأخوذًا عليه طريقهُ، مُنْتَهبًا رَحْلُه، مُنْتهكةً حُرْمَتُه، وأُسْكن قرارة مُطْبق عميق القَعْر، مُقْفَل المَسْلَك، حَريز القفل، ثاني اثنين. ولأيام قُتل ثانيهِ ذَبْحًا بمقربة من شَفى تلك الرَّكيَّة، وانقطع لشدّة الثِّقاف[1] أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه. ولزمان من محنته ظهرت عليه برَكةُ سَلفِهِ في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجا ولا تَسَلْ كيف، وخلّصه الله خلاصًا جميلًا، وقَدِم على الأندلس، والله ينفعه بمحنته[2].

شعره، وما وقع من المكاتبة بيني وبينه: رَكِب[3] مع السلطان خارج[4] الحمراءِ، أيام ضَربَت اللّوز قبابَها البيض، وزَيَّنت الفَحْصَ العريض، والرَّوض الأَرِيض[5]، فارتجل في ذلك: [الكامل]

انظُرْ إلى النُّوار في أغصانه ... يحكي النجومَ إذا تَبدَّت في الحَلَكْ

حيَّا أميرَ المسلمين وقال: قد ... عَمِيَتْ بصيرةُ من بغيرك مَثَّلَكْ[6]

يا يوسفًا حُزْتَ الجمالَ بأسره ... فمحاسنُ الأيام تُومي هَيْتَ لَكْ[7]

أنت الذي صَعِدَتْ به أوصافُه ... فيقال فيه: ذا مليكٌ أو مَلَكْ[8]

ولما قدمتُ على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي على مَرْحلة منها بما نصه[9]: [الكامل]

يا قادمًا وافى بكلّ نجاحِ ... أَبْشِرْ بما تَلْقاه مِنْ أفراحِ

هذي ذُرى مَلِكِ الملوك فَلُذْ بها ... تَنَلِ المُنى وتَفُزْ بكلّ سماح

مغنى الإمام أبي عنانٍ يَمِّمَنْ ... تظفرْ ببحرٍ في العلى طفّاح

---

(١) قوله: «الشدّة الثقاف» غير وارد في النفح. (٢) في النفح: «ببنيّه».

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢). (٤) في النفح: «بخارج».

(٥) الأريض: الكثير العشب. لسان العرب (أرض).

(٦) مَثَّلك: زعم أن لك مثيلًا. لسان العرب (مثل).

(٧) هيت لك: اسم فعل أمر بمعنى هلمّ وتعال؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٢٣.

(٨) أخذه من قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٣١.

(٩) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩).

مَنْ قاسَ جُودَ أبي عنانٍ ذي[١] الندى ... بِسواه قاسَ البحرَ بالضَّحْضاح[٢]
ملكٌ يُفيض على العُفاة نَوالَهُ ... قبلَ السُّؤال وقبل بَسْطَةِ راح
فلجودِ كعبٍ وابن سُعْدى[٣] في الندى ... ذِكْرٌ مَحاه من نداه ماح
ما أنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله[٤] ... من أريَحيٍّ للندى مُرْتاح
بَسَطَ الأمانَ على الأنام فأصبحوا ... قد أُلحِفوا منه بظلِّ جَناح
وهَمَى على العافين سَيْبُ نواله ... حتى حكى سَحُّ الغمام الساحي
فنواله وجلاله وفعاله ... فاقتْ وأعْيَتْ ألْسُنَ المُدّاح
وبه الدُّنا أضحتْ تروقُ وأصبحتْ ... كلُّ المُنى تنقادُ بعد جِماحِ
من كان ذا تَرَحٍ فرؤيةُ وجهه ... مِتْلافةُ الأحزانِ والأتراح
فانهض أبا عبدِ الإله تَفُزْ بما ... تبغيه من أملٍ ونيلِ نجاح
لا زلْتَ ترتشفُ الأماني راحةً ... من راحةِ المولى بكلِّ صباح

والحمد[٥] لله يا سيدي وأخي على نِعمِه التي لا تُحصى، حَمْدًا يؤمُّ به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغَ الأمدَ الأقصى، فطالما كان مُعَظِّم سيدي للأسى في خَبال، وللأسف بين اشتِغال بال، واشتغال بلبال[٦]. ولقدومكم على هذا المقام[٧] العَلِي في ارتقاب، ولمواعدكم[٨] بذلك في تحقّق وقوعه من غير شكّ ولا ارتياب، فها أنت تَجتلي، من هذا المقام العَلي، لتُشَيِّعَك[٩] وجوه المسرّات صباحًا، وتتلقّى أحاديث مكارمه ومواهبه مُسْندة صِحاحًا، بحول الله. ولسيدي الفضل في قبول مَرْكُوبه الواصل إليه بسَرْجِه ولجامه، فهو من بعض ما لدى المحب[١٠] من إحسان مولاي[١١] وإنعامه. ولعمري لقد كان وافدًا على سيدي في مُسْتَقرِّه مع غيره. فالحمد لله الذي يَسَّر في إيصاله، على أفضل أحواله.

فراجعته بقولي[١٢]: [الكامل]

راحَتْ تـذكّرني كؤوسَ الرّاحِ ... والقُرْبُ يخفضُ للجنوح جناحي

---

(١) في النفح: «في الندى».
(٢) الضحضاح: الماء القليل. محيط المحيط (ضحضح).
(٣) ابن سعدى: هو أوس بن حارثة الطائي. (٤) في النفح: «ما إن سمعت ولا رأيت بمثله».
(٥) ما يزال النص النثري والشعري في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠).
(٦) البلبال: الوسواس. لسان العرب (بلبل). (٧) في النفح: «هذا المحل المولوي».
(٨) في النفح: «ولمواعيدكم». (٩) في النفح: «بتشيّعك».
(١٠) في النفح: «المعظم». (١١) في النفح: «مولاه».
(١٢) في النفح: «بما نصّه».

وسَرَتْ تَدُلُّ على القبول كأنما دَلّ النسيمُ على انبلاج صباح
حسناءُ قد غَنِيَتْ بحُسْنِ صفاتها عن دُمْلُجٍ وقلادةٍ ووشاح
أمْسَتْ تحضُّ على اللّياذ بمن جَرَتْ بسعُوده الأقلامُ في الأفراح[١]
بخليفةِ اللهِ المؤيّد فارسٍ شمسِ المعالي الأزهر الوضّاح
ما شِئْتَ من هِممٍ[٢] ومن شيمٍ غَدَتْ كالزُّهْر أو كالزَّهْر في الأدواح
فَضَلَ الملوكَ فليس يُدْرَكُ شأوه أنّى يُقاسُ الغَمْرُ بالضَّحْضاح؟
أسْنَى بني عبّاسِهم بلوائه الـ ـمنصور أو بحُسامه السفّاح
وغدتْ مغاني المُلْك لمّا حَلّها تُزهى ببدرِ هُدًى وبَحْرِ سماح
وحياةِ من أهداك تحفةَ قادم في العَرْف منها راحةُ الأرواح
ما زلْتُ أجعلُ ذكْرَه وثناءَه رُوحي وريحاني الأريجَ وراحي
ولقد تمازجَ حُبُّه بجوارحي كتمازُجِ الأجسام بالأرواح
ولو انني أبصرْتُ يومًا في يدي أمري لَطِرْتُ إليه دُون جَناح
فالآن ساعدني الزّمانُ وأيْقَنَتْ من قُربه نفسي بفوز قِداحي
إيهِ أبا عبد الإله وإنه لَنِداءُ وُدٍّ في عُلاك صُراح
أما إذا استَنْجَدْتني من بعد ما رَكَدَتْ لما خَبَتِ الخطوبُ رِياحي
فإليكها مهزولةً وأنا امرؤ قَرَّرْتُ عجزي واطَّرَحْتُ سلاحي

سيدي[٣]، أبقاك الله لعهد تَحْفظه، ووليّ بعين الولاءِ تَلْحَظُه، وصلتني رُقْعتك التي ابْتَدعْتَ[٤]، وبالحق من مدح[٥] المولى الخليفة صَدَعْتَ، وأَلِفْتَني وقد سَطَتْ بي الأوحال[٦]، حتى كادت تُتلف الرِّحال، والحاجة إلى الغذاءِ قد شمّرت كشح البَطِين، وثانية العَجْماوَين[٧] قد تُوقع فَوات وقتها وإن كانت صَلاتُها صَلاةَ الطِّين، والفكر قد غاض مَعِينُه، وضَعُف وعلى الله جزاءَ المولى الذي يُعينه، فغَزَتْني بكتيبة بيانٍ أُسْدُها هَصُور، وعَلَمُها منصور، وألفاظُها ليس فيها قُصور، ومعانيها عليها الحُسْن مَقْصور، واعتراف مثلي بالعجز في المضايق حولٌ ومِنّة، وقول «لا أدري» للعالم فكيف لغيره

(١) في النفح: «في الألواح».
(٢) في النفح: «من شيم ومن همم...».
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٤) في النفح: «أبْدَعْتَ».
(٥) في النفح: «من مولى».
(٦) في النفح: «الأوجال».
(٧) ثانية العَجْماوَين: صلاة العصر، وأولاهما صلاة الظهر؛ لأنهما لا يجهر فيهما بالقراءة. لسان العرب (عجم).

جُنَّة، لكنها بَشَّرتني بما يَقِلُّ لمهديه[١] بَذْلُ النفوس وإن جَلَّتْ، وأَطْلَعَتْنِي من السرّاءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ، بما أَعلمت[٢] به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيّده الله، في عَبْدِه، وصِدْقِ المَخِيلة في كَرَم مَجْده. وهذا هو الجود المَحْض، والفضلُ الذي شُكْرُه هو الفَرْض. وتلك الخلافة المَوْلويّة تتّصف بصفة[٣] مَن يبدأُ بالنَّوال، من قَبْل الضَّراعة والسؤال، من غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يُبْقي منها على الإسلام أوْفى الظِّلال، ويُبْلِغَها من فضله أقصى الآمال. ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهديّة، والتحفة الوديّة، وقبلْتُها امتثالاً، واستجليتُ منها عِتْقًا وجَمالاً. وسيدي في الوقت أَنْسَبُ إلى اتخاذ[٤] ذلك الجِنس، وأقدرُ على الاستكثار من إناث البَهْم والإنْس. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلّا في النَّدْرة، فلو رأى سيدي، ورأيُه سَداد، وقَصْدُه فضلٌ ووداد، أن ينقل القَضِيَّة إلى باب العارِية من باب الهِبة، مع وجوبِ[٥] الحقوق المترتِّبة، لَبَسَطَ خاطري وجَمَعَهُ، وعمل في رفع المؤنة على شاكِلة حالي معه، وقد استصحبت مركوبًا يَشُقُّ عليَّ هجره، ويناسب مقامي شكله ونَجْره[٦]، وسيدي في الإسعاف على الله أَجْرُه، وهذا أمر عرض، وفرض فُرِض، وعلى نظره المُعَوَّل، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول. والسلام على سيدي من مُعَظِّم قَدْره، ومُلْتَزِم بِرّه، ابن الخطيب، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة[٧] خمس[٨] وخمسين وسبعمائة، والسَّماءُ قد جادت بمطرٍ سَهِرَتْ منه الأجفان، وظُنَّ أنه طُوفان، واللّحاف في غَدٍ[٩] بالباب المولوي، مؤمِّلٌ بحول الله.

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أُنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعمائة بمدينة فاس المحروسة[١٠]: [مجزوء الرجز]

أيا نسيم[١١] السَّحَرِ ... بالله[١٢] بَلِّغْ خَبَري

إن أنتَ يومًا بالحِمى ... جررتَ فضلَ المِئزرِ

---

(١) في النفح: «المؤديه».
(٢) في النفح: «أعلمتني».
(٣) في النفح: «بصفات».
(٤) في النفح: «لاتخاذ».
(٥) في النفح: «وجود».
(٦) النَّجْر، بفتح النون وسكون الجيم: الأصل واللون. لسان العرب (نجر).
(٧) كلمة «سنة» غير واردة في النفح.
(٨) في الأصل: «خمسة» وهو خطأ نحوي.
(٩) في النفح: «غدها».
(١٠) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٨).
(١١) في نفح الطيب: «قلْ لنسيم».
(١٢) في نفح الطيب: «لله».

ثم حَشَشْتَ الخطو من … فوقِ الكَثِيب الأغْفَرِ
مُسْتَقْرِيًا في عُشْبه … خفيّ[1] وَطْءِ المَطَرِ
تروي عن الضّحاك في الر … وضِ حديثَ الزَّهَرِ
مُخَلَّقَ الأذيال بالـ … ـعبيرِ أو بالعنبر
وصِفْ لجيرانِ الحِمى … وَجْدي بهم وسَهَري
وحَقِّهم ما غَيَّرَتْ … وُدّي صروفُ الغِيَرِ
لله عهدٌ فيه قَضَّـ … ـيْتُ حميدَ الأثر
أيّامُه هي التي … أَحْسُبُها من عُمُري
وبالليلِ فيه ما … عِيبَ بغيرِ القِصَر
العُمْرُ فَيْنانٌ ووجـ … ـهُ الدهر طَلْقُ الغُرَر
والشَّمْلُ بالأحباب منـ … ـظومٌ كنَظْمِ الدُّرَر
صفوٌ من العيش بلا … شائبةٍ من كَدَر
ما بين أهلٍ تَقْطِف الـ … أُنسَ جَنيَّ الثمر
وبين آمالٍ تُبيـ … ـحُ القُرْبَ صافي الغُدُر[2]
يا شجراتِ الحيِّ حيَّـ … ـاكِ الحَيا من شجر
إذا أَجال الشوق في … تلك المغاني فِكَري
خَرَّجتِ من خَدّي حديـ … ـثَ الدمعِ فوق الطُّرر
وقلتِ يا خدُّ أرْوِ مِنْ … دَمْعي صِحاحَ الجوهري
عهدي بحادي[3] الرَّكب كالـ … ـوَرْقاءِ عند السَّحَر
والعِيسُ تَجتاب الفَلا … واليَعْمَلاتُ تَنْبَري[4]
تَخبِطُ بالأَخْفاف مظـ … ـلومَ البَرى وهو بَري[5]
قد عَطَفَتْ عن مَيَدٍ … والتفتتْ[6] عن خَوَر

---

(١) في نفح الطيب: «مخفيّ وَطْءٍ».
(٢) الغُدُر: جمع غدير. لسان العرب (غدر).
(٣) حادي الركب: الذي يحدو للإبل لتنشط في سَيْرها. لسان العرب (حدا).
(٤) اليَعْمَلاتُ: جمع يَعْملة وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل. تنبري: تعترض، أي إنها تباري الإبل في سرعة سيرها. محيط المحيط (عمل) و(برى).
(٥) البَرى، بالفتح: التراب. بري: أي بريء، فسهّل الهمزة. لسان العرب (برى) و(برأ).
(٦) في الأصل: «والتفّت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

قِسِيُّ سَيْرٍ[١] ما سوى الـ عَزْمِ لها مِن وَتَرِ
حتى إذا الأعلامُ حَلْـ ـلَتْ لِخَفِيِّ البَشَرِ
واستَبْشَرَ النازحُ بالـ ـقرب ونَيْلِ الوَطَرِ
وعيَّنَ الميقاتَ للسْـ ـفْرِ[٢] نجاحُ السَّفَرِ
والناس[٣] بين مُحْرِمٍ بالحجِّ أو مُعْتَمِرِ
لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ إلـْ ـهَ الخلقِ باري الصُّوَرِ
ولاحتِ الكَعْبَةُ بيـ ـتُ الله ذاتُ الأثَرِ
مقامُ إبراهيم والـ ـمأمنُ عند الذُّعُرِ
واغتنمَ القومُ طَوا فَ القادم المُبْتَدِرِ[٤]
وأعقبوا رُكْعَتي السْـ ـعي استلامَ الحَجَرِ
وعَرَّفوا في عَرَفا تٍ كلَّ عَرْفٍ أذْفَرِ[٥]
ثم أفاض الناس سعـ ـيًا في غدٍ للمَشْعَرِ[٦]
فوقفوا وكبَّروا قبل الصباح المُسْفِرِ
وفي مِنًى نالوا المُنى وأيقنوا بالظَّفَرِ
وبعد رَمْي الجَمَرا ت كان حَلْقُ الشَّعَرِ
أكرمْ بذاك الصَّحْبِ[٧] والـ ـه وذاك النَّفَرِ[٨]
يا فَوْزَهُ من مَوْقفٍ يا رِبْحَهُ من مَتْجَرِ
حتى إذا كان الوَدا عُ وطَوافُ الصَّدَرِ[٩]
فأيُّ صَبْرٍ لم يَخُنْ أو جَلَدٍ لم يَغْدُرِ[١٠]
وأيُّ وجْدٍ لم يَصُلْ وسَلْوةٍ لم تُهْجَرِ

---

(١) يشبه الإبل الهزيلة السريعة بالقسيّ. (٢) السَّفْر: المسافرون. لسان العرب (سفر).
(٣) في النفح: «فالناس».
(٤) المبتدر: المسرع إلى عمل شيء، وأراد: طواف القدوم. لسان العرب (بدر).
(٥) الأذفر: الطيب الرائحة. لسان العرب (ذفر).
(٦) المَشْعَر: موضع مناسك الحج. محيط المحيط (شعر).
(٧) في النفح: «السَّفْر». (٨) في النفح: «السَّفَرِ».
(٩) الصَّدَر: الرجوع، وطواف الصدر هو الطواف الذي يكون آخر أعمال الحجّ، سمي بذلك لأنهم يعودون بعده إلى بلادهم.
(١٠) يقول: إنهم جزعوا لمفارقة مكة.

مـا أفـجـعَ الـبَـيْـنَ لـقَـلْـ ـبِ الـوالـهِ الـمُـسْـتَـغْـفـر[(١)]
ثـم ثَـنَـوا نـحـو رسـو لِ اللهِ سَـيْـرَ الـضُّـمَّـر
فـعـايـنـوا فـي طِـيـبَـةٍ لألاءَ نـور نَـيِّـر
زاروا رسـول الله واسـ ـتَشْـفَـعـوا بـلَثْـم الـجُـدُر
نـالـوا بـه مـا أمّـلوا وعـرّجـوا فـي الأثـر
عـلى الـضَّـجـيـعـيـن أبـي بـكـر الـرِّضـا وعُـمَـر
زيـارةُ الـهـادي الـشَّـفـيـ ـع جُـنَّـة[(٢)] فـي الـمَـحْـشَـر
فـأحْـسَـنَ الله عـزا ءَ قـاصـدٍ لـم يَـزُر
رَبْـعٌ تـرى مُـسْـتَـنـزلَ الـ آيِ بـه والـسُّـوَر
ومـلـتـقـى جـبـريـل بـالـ ـهـادي الـزَّكـيِّ الـعُـنْـصـر[(٣)]
وروضـةُ الـجـنَّـة بـيـ ـنَ روضـةٍ ومِـنْـبَـر
مُـنْـتَـخَـب الله ومُـخْـ ـتارِ الـورَى مِـنْ مُـضَـر
والـمُـنْـتَـقـى والـكـونُ مـن مـلابـسِ الـخـلـق عَـري
إذْ لـم يـكـنْ فـي أُفُـقٍ مـن زُحـل أو مُـشْـتـري[(٤)]
ذو الـمـعـجـزات الـغُـرّ أمـ ـثـالِ الـنـجـومِ الـزُّهُـر
يَـشْـهَـدُ بـالـصِّـدق لـه مـنـهـا انـشِـقـاقُ الـقَـمَـر[(٥)]
والـضَّـبُّ والـظَّـبـي إلـى نُـطْـقِ الـحَـصَـى والـشَّـجَـر
مـن أطْـعَـم الألْفَ بـصـا ع فـي صَـحـيـح الـخَـبَـر
والـجـيـشَ روّاه بـمـا ءِ الـرّاحـة الـمُـنْـهـمـر
يـا نُـكْـتـةَ الـكـون الـتـي فـاتـتْ مَـنـالَ الـفِـكَـر[(٦)]
يـا حـجّـةَ الله عـلى الـ ـرائـحِ والـمـبـتـكـر
يـا أكـرمَ الـرُّسْـل عـلى الـ ـلهِ وخـيـرَ الـبَـشَـر

(١) في النفح: «المُسْتَعْبِر».
(٢) الجُنّة: بضم الجيم: الوقاية. لسان العرب (جنن).
(٣) أراد بالزكي العنصر: النبيّ ﷺ.
(٤) في نفح الطيب: «ومشتري».
(٥) انشقاق القمر من معجزات النبيّ ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾. سورة القمر ٥٤، الآية ١.
(٦) الفِكَرُ: جمع فكرة، وأراد العقول، وقوله: فاتت منال الفكر: أي عجز المفكرون عن إدراك حقيقته.

يا من له المتقدم الـ ـحقُّ على المتأخر
يا من لدى مولده المُقدَّس المُطَهَّر
إيوانُ كِسْرى ارتجَّ إذ ضاقت[1] قُصُورُ قَيصر
ومَوْقِدُ النار طَفا كأنها لم تُسْعَر[2]
يا عُمْدتي يا مَلْجئي يا مَفْزعي يا وَزَرِي
يا من له اللواء والـ ـحَوْض وَوِردُ الكَوْثر
يا منقذَ الغَرْقى وهم رَهْنُ العذابِ الأكبر
إن لم تُحقِّق أملي بُؤْتُ بسعي المُخْسِر
صلّى عليك الله يا نور الدُّجا المُعْتَكِر
يا ويحَ نفسي كم أرى من غفلتي في غُمَر[3]
واحسرتي[4] من قِلّة الـ ـزّاد وبُعد السَّفر
يُحجُّني والله بالـ ـبرهان وَعْظُ المنبر
يا حُسنها من خُطَب لو حرَّكت من نظري[5]
يا حُسنها من شَجَر لو أَوْرَقت من ثَمَر
أومِّلُ الأوْبَةَ والـ ـأمر بكفِّ القَدَر
أُسَوِّفُ العزمَ بها[6] من شَهرٍ لِشهر
من صَفَرٍ لرجَبٍ من رجبٍ لصَفَرِ
ضَيَّعتُ في الكَبْرة ما أعْدَدْتُه في صِغري
وليس ما مَرَّ من الـ ـأيام بالمُنتظر
وقلَّ ما أن حُمِدَت سلامةٌ في غَرَر
ولي غريمٌ لا يَني عن[7] طلب المُنْكَسِر
يا نَفسُ جِدّي قد بدا الـ ـصبح ألا فاعتبري
واتَّعظي بمن مضى وارْتَدعي وازْدَجري

---

(١) في النفح: «ضاءت».
(٢) في النفح: «.... طفي كأنه لم يُسْعَر».
(٣) في النفح: «في غفلة من عُمُري».
(٤) في الأصل: «واحسروا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «من نظر» والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «به».
(٧) في النفح: «في».

مـا بـعْـد شَـيْـبِ الـفَـوْد مـن مُـرتَـقَـبٍ فَـشَـمِّـري

أنـتِ وإن طـال الـمـدى فـي قُـلْعَـةٍ[١] أو سَـفَـرِ[٢]

ولـيـس مـن عُـذْرٍ يُـقـيـ ـم حُـجَّـةَ الـمُـعْـتَـذِر

يـا لـيـت شِـعـري والـمُـنـى تَـسْـرِقُ طـيـبَ الـعُـمُـر

هـل أرتـجـي مـن عـودةٍ أو رجـعـةٍ أو صَـدَرِ

فـأُبـرِّد الـغُـلَّـةَ مـن ذاك الـزُّلالِ الـخَـصِـرِ[٣]؟

مـقـتـديًـا بـمـن مـضـى مـن سَـلَـفٍ ومَـعْـشَـر

نـالـوا جـوارَ الله وهـ ـو الـفَـخْـرُ لِـلـمُـفْـتَـخِـر

أرجـو بـإبـراهـيـم مـو لانـا بـلـوغَ الـوَطَـرِ

فـوعـدُه لا يَـمْـتَـري فـي الصِّدق منه المُمْتَرِي[٤]

فـهـو[٥] الإمـام الـمُـرْتـضـى والـخَـيِّـر ابـن الـخَـيِّـر

أكـرمُ مـن نـال الـمـنـى[٦] بـالـمُـرْهـفـات الـبُـتَّـر

مُـمَـهِّـد الـمـلـك وسـيـ ـفُ الـحـقِّ والـلـيـث الـجَـري

خـلـيـفـةُ الله الـذي فـاقَ بـحـسـنِ الـسِّـيَـرِ

وكـان مـنـه الـخُـبْـرُ فـي الـ ـعَـلْـيـاءِ وَفْـقَ الـخَـبَـرِ

فـصـدَّق الـتَّـصـديـق مـن مـرآه لـلـتَّـصـور

ومـسـتـعـيـنُ الله فـي وِرْدٍ لـه وصَـدَرِ

فـاقَ الـمـلـوكَ الـصِّـيـدا[٧] بـالـ ـمَـجـد الـرَّفـيـع الـخَـطـر

فـأصـبـحـتْ ألـقـابُـهـم مَـنْـسِـيَّـةً لـم تُـذْكَـر

وحـاز مـنـهـم[٨] أوحـدٌ وَصْـفَ الـعـديـد الأكـثـر

بـرأيـه الـمـأمـون أو عـسـكـره الـمُـظَـفَّـر

بـسـيـفـه الـسَّـفـاح أو بـعَـزْمـه الـمُـقْـتَـدِر[٩]

---

(١) القُلْعة: الانتقال. لسان العرب (قلع). (٢) في النفح: «وسفر».

(٣) الخَصِرُ: العذب البارد. لسان العرب (خصر).

(٤) في نفح الطيب: «ممتري». وامترى في الشيء: شكَّ فيه. محيط المحيط (مرى).

(٥) في نفح الطيب: «وهو». (٦) في نفح الطيب: «العُلا».

(٧) في الأصل: «الصيد»، والتصويب من النفح.

(٨) في النفح: «منه».

(٩) في هذا البيت والذي يليه تورية بأسماء بعض الخلفاء.

بـالـعَـلَـم الـمـنـصـور أو ... بـالـذّابـل الـمُـسْـتَـنـصِـر[١]
يـابـن[٢] الإمـام الـطـ ... ـاهـر الـبَـرّ الـزّكـي الـسِّـيَـر
مَـدْحُـكَ قـد عَـلَّمَ نـظـ ... ـم الـشّـعْـر مَـنْ لـم يَـشْـعـر
جَـهْـدُ الـمُـقِـلّ الـيـومَ مـن ... مـثـلـي كَـوُسْـع الـمُـكْـثـر
فـإنْ يُـقَـصّـرْ ظـاهـري ... فـلـم يُـقَـصّـرْ مُـضْـمِـري

ووَرَدْتُ[٣] على[٤] باب السلطان الكبير العالم[٥] أبي عنان، فَبَلَوْتُ من مشاركته، وحَميد سعيه ما يليق بمثله. ولمّا نَكَبَه لم أَقصِّرْ عن مُمكن حيلةٍ في أمره. ولما[٦] هلك السلطان أبو عنان، رحمه الله، وصار الأمر لأخيه المتلاحق من الأندلس أبي سالم بعد الولد المُسَمّى بالسّعيد، كان ممن دَمُثَ[٧] له الطّاعة، وأناخ راحلة المُلْك، وحَلَب ضَرْع الدّعوة[٨]، وخطب عروس المَوْهبة، فأَنْشَب ظُفْره في مَتاتٍ مَعْقود من لَدُن الأب، مَشْدود من لدن القُرْبة[٩]، فاستحكم عن قُرْب، واستغلظ عن كَثَب، فاستولى على أمره، وخَلَطه بنفسه، ولم يستأثر عنه ببَثّه، ولا انفرد بما سوى بضع أهله، بحيث لا يَقْطَعُ في شيءٍ إلّا عن رأيه، ولا يَمْحُو ويُثْبِت إلّا واقفًا عند حَدِّه، فغَشِيت بابَه الوفود، وصُرِفت إليه الوجوه، ووُقِفت عليه الآمال، وخَدَمته الأشراف وجُلِبت إلى سُدّته بضائعُ العقول والأموال، وهادَتْه الملوك، فلا تحْدُو[١٠] الحُداة إلّا إليه، ولا تحطُّ الرّحال إلّا لديه. إن حَضَرَ أُجري الرسم، وأُنفذ الأمر والنّهي، لَحْظًا أو سِرارًا أو مكاتبةً، وإن غاب، تردّدت الرّقاع، واختَلَفت الرُّسل. ثم انفرد أخيرًا ببيت الخَلْوة، ومُنْتَبذ المُنَاجاة، من دونه مُصْطَفُّ الوزراءِ، وغايات الحُجّاب، فإذا انصرف تَبِعَته الدُّنيا، وسارت بين يديه الوزراء، ووقَفَت ببابه الأمراء، قد وَسِعَ الكلَّ لحْظُه، وشَمِلَهم بحسَب الرُّتب والأموال رَعْيُه، ووَسَم أفْذاذَهم تسويدُه، وعُقدت ببَنان عِلْيتهم بَنانُه. لكن رِضى الناس غايةٌ[١١] لا تُدرك، والحِقد[١٢] بين بني آدم قديم، وقَبيلُ الملك مبايِنٌ لمثله، فطُويت الجوانح منه[١٣] على سَل،

---

(١) في النفح: «المنتصر».
(٢) في النفح: «يا ابن».
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠).
(٤) كلمة «على» غير واردة في النفح.
(٥) كلمة «العالم» غير واردة في النفح.
(٦) في النفح: «فلما».
(٧) في النفح: «دانت».
(٨) في النفح: «الدولة».
(٩) في النفح: «التقرب».
(١٠) لا تحدو الحداة إلّا إليه: لا تشد الرحال إلّا إليه.
(١١) في النفح: «الغاية».
(١٢) في النفح: «والحسد».
(١٣) كلمة «منه» غير واردة في النفح.

وحُنيت الضُلوع على بَثّ، وأُغمضت الجفون على قَذًى، إلى أن كان من نَكْبته[١] ما هو معروف، جعلها الله له طُهورًا.

ولمّا جَرَت الحادثةُ على السلطان[٢] بالأندلس، وكان لحاقُ جميعنا بالمغرب، جَنَيْتُ ثمرة ما أسلفتُه في وُدّه، فوفّى كَيْل[٣] الوَفا، وأشْرَك في الجاه، وأدرّ الرِّزْق، ورفع المجلس بعد التَّشبيب[٤] في الخلاص والسّعي في الجبْر، جَبَرَهُ الله تعالى، وكان له أحوج ما يكون إلى ذلك، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٥].

ولما انقضى أمرُ سلطانه، رحمه الله، وقَذَف به بحرُ التَّمحيص إلى شَطّه، وأضحى جوُّ النَّكبة بعد انطباقه، آثرَ التَّشريق بأهله وجُمْلته، واستقرّ بتونس خطيب الخلافة، مقيمًا على رسمه من التَّجلّة، ذائع الفضل هنالك والمشاركة، وهو بحاله الموصوفة إلى الآن، كان الله له.

وكنت[٦] أَحْسَسْتُ منه في بعض الكتب[٧] الواردة صاغيةً إلى الدُّنيا، وحنينًا لما فارق[٨] من غُرُورها، فحملني الطَّور الذي ارتكبْتُه في هذه الأيام، بتوفيق الله، على أن خاطبته[٩] بهذه الرسالة، وحقُّها أن يجعَلها خَدَمَةُ الملوك ممّن يُنسب إلى نُبل، أو يُلمّ[١٠] بمعرفة، مُصْحَفًا يَدْرُسُه، وشِعارًا يَلْتزِمه، وهي[١١]:

سيدي الذي يدُه البيضاءُ لم تَذْهب بشهرتها المكافاة[١٢]، ولم تختلف في مَدْحها الأفعال ولا تَغايرت في حَمدها[١٣] الصِّفات، ولا تزال تعترف بها العِظام الرُّفات، أَطْلَقك الله من أَسْر الكَوْن[١٤] كما أطلقك من أَسْر بَعْضه، ورشَّدك[١٥] في سَمائه العالية وأرضِه، وحقّر الحظَّ في عَيْن بصيرتك بما يَحْمِلُك على رفضه. اتَّصل بي الخبرُ السَّار من تَرْكك لشانك، وإجْناءِ الله إيّاك ثمرة إحْسانك، وانْجِياب ظَلام

---

(١) في النفح: «نكبته الثالثة».
(٢) في النفح: «الدولة».
(٣) في النفح: «فوفّى الكيل».
(٤) في النفح: «التسبّب».
(٥) سورة الشعراء ٢٦، الآيتان: ٨٨، ٨٩.
(٦) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٣٧ ـ ١٣٨).
(٧) في النفح: «كتبه الواردة إليّ صاغيةً...».
(٨) في النفح: «بلاه».
(٩) في النفح: «أخاطبه».
(١٠) في النفح: «ويلمّ».
(١١) الرسالة مع الشعر في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٣٨ ـ ١٣٩).
(١٢) في النفح: «المكافآت».
(١٣) قوله: «في حمدها» غير وارد في النفح.
(١٤) في النفح: «كل الكون».
(١٥) في النفح: «وزهّدك في سمائه الفانية وفي أرضه».

الشّدة الحالِك، عن أُفُق حالك، فكبُرتُ[١] لانتشاق عفو الله العطر[٢]، واستَغبرتُ لتضاؤل الشّدة بين يَدَيْ الفَرَج لا بِسوى ذلك من رِضى مخلوق يُؤمَر فيأتَمر، ويدعُوه القضاءُ فَيبْتَدِر[٣]، إنما هو فَيْءٌ[٤]، وظلٌّ ليس له من الأمر شَيء، ونسأله[٥] جلّ وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدُّنيا وبَنِيها، وأوَّلَ مَعارج نَفْسك التي تُقَرِّبها من الحقّ وتُدْنيها، وكأنّني[٦] والله أُحِسُّ بثِقْل هذه الدعوة على سمعك، ومضادّتِها ولا حول ولا قوة إلّا بالله لطَبْعِك، وأنا أنافِرك إلى العقل الذي هو قِسطاس الله في عَالَم الإنسان، والآلةُ لبثّ العدل والإحسان، والمَلِك الذي يَبين عنه تُرجمان اللّسان، فأقول: ليتَ شِعري ما الذي غَبَط سيدي بالدُّنيا، وإن بلغ من زِبْرِجها[٧] الرُّتبة العليا، وأَفْرِض[٨] المِثال لحالة[٩] إقبالها، ووَصْل حِبالها، وضَراعة سِبالها، وخشوع جِبالها. أَلِتوقُّع المَكروه صَباح مَسا[١٠]، وارتقاب الحِوالة التي تُديل من النَّعيم البَأْسا[١١]، ولزوم المنافسة التي تُعادي الأشراف والرؤسا[١٢]؟ ألترتُّب العَتْب، حتى[١٣] على التّقصير في الكَتْب، وضَغينة جارِ الجَنْب، وولوع الصَّديق بإحصاء الذَّنْب؟ أَلِنِسْبة وقائع الدولة إليك وأنت بَرِي، وتطويقِك المُوبِقات وأنت منها عَرِي؟ أَلاسْتِهدافِك للمَضار التي تُنتجها غيرةُ الفُروج، والأحقاد التي تَضْطبنُها[١٤] رَكْبَةُ السُّروج وسَرْحةُ المُروج، ونجوم السّما ذاتِ البُروج؟ أَلِتَقْليدك التّقصير فيما ضاقت عنه طاقَتُك، وصحّت إليه فاقَتُك، من حاجة لا يَقْتَضي قَضاءها[١٥] الوجود، ولا يُكَيِّفُها[١٦] الرُّكوع لِلْمَلك والسُّجود؟ أَلِقَطْع الزّمان بين سلطانٍ يُعْبَد، وسِهام للغُيوب تَكْبُد، وعَجاجةِ[١٧] شَرٍّ تُلَبِّد، وأُقْبُوحةِ تُخَلِّد وتُوَبِّد؟ أَلِوَزِير يُصانَعُ ويُدارى، وذي حُجّة صحيحة يُجادل في مَرْضاة السُّلطان ويُمارى، وعَوْرةٍ لا تُوارَى؟ أَلِمُباكرة كلّ عائب[١٨] حاسد، وعدوٍّ مُستَأْسِد، وسُوقٍ للإنصاف والشَّفَقة كاسِد، وحالٍ فاسد؟ أَلِلْوفود[١٩] تَتزاحم بِسُدَّتك،

---

(١) قوله: «فكبرت، وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت، لا يسوى...»، غير وارد في النفح.

(٢) في الأصل: «العاطر»، وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

(٣) يبتدر: يسرع.

(٤) الفيء: الظلّ.

(٥) في النفح: «ونسأل الله جلّ وعلا...».

(٦) في النفح: «وكأني».

(٧) الزِّبرج: الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك. محيط المحيط (زبرج).

(٨) في النفح: «ونفرض».

(٩) في النفح: «بحال».

(١٠) في النفح: «صباحًا ومساءً».

(١١) في النفح: «البأساء».

(١٢) في النفح: «والرؤساء».

(١٣) كلمة «حتى» غير واردة في النفح.

(١٤) في النفح: «تضبطها».

(١٥) في الأصل: «قضاها» والتصويب من النفح.

(١٦) في النفح: «ولا يكفيها».

(١٧) العجاجة: العجاج وهو الغبار. محيط المحيط (عجج).

(١٨) في النفح: «قرن».

(١٩) في النفح: «ألوفود».

مُكَلَّفة لك غير ما في طَوْقك، فإن لم تَنَل أغراضها[١] قَلَبت عليك السَّماء من فوقك؟ ألجُلَساء ببابك، لا يَقْطعون زمن[٢] رجوعك وإيابك، إلّا بقَبيح اغْتِيابك؟ فالتَّصرُّفات تُمقَت، والقَواطع النُّجوميّات[٣] تُوَقَّت، والألاقيُّ[٤] تُبَثُّ، والسعايات تُحثُّ، والمساجد يُشْتكى فيها[٥] البَثُّ، يعتقدون أن السلطان في يَدك بمَنزلة الحِمار المدبُور، واليَتيم المَحْجُور، والأسير المأمُور، ليس له شهوةٌ ولا غضب، ولا أملٌ في المُلْك ولا أرَب، ولا مَوْجِدَةٌ[٦] لأحد كامنةٌ، وللشَّر ضامِنة، وليس في نفسه عن رأي نُفْرة، ولا بإزاءِ ما لا يقبله نَزْوة وطَفْرة، إنما هو جارِحَةٌ لصَيْدك، وعان في قَيْدك، وآلةٌ لتَصَرُّف كَيْدك، وأنّك عِلّة حَيْفه، ومُسَلّط سيفه: الشِّرار يَسْمُلُون عُيُون الناس باسمك، ثم يُمَزِّقون بالغَيْبَة مزق جِسمك، قد تنَخَّلهم الوجودُ أخبثَ ما فيه، واختارهم السَّفيه فالسَّفيه، إذ الخير يُسرُّه[٧] الله عن الدُّول ويُخْفيه، ويُقْنِعه بالقليل فيَكفيه، فهم يَمْتاحون بك ويولُونك المَلامة، ويَقْتَحمون[٨] عليك أبواب القوْل ويَسُدُّون طُرَق السّلامة، وليس لك في أثناءِ هذه إلّا ما يَعُوزُك مع ارتفاعه، ولا يفُوتُك مع انْقِشاعه، وذهاب صُداعه، من غِذَاءٍ يُشبع، وثوبٍ يُقْنع، وفِراشٍ يُنِيم، وخَديِم يَقْعُد ويُقيم. وما الفائدة في فُرُش تحتها جَمْر الغَضا، ومال من ورائه سُوء القَضا، وجاهٍ يُحَلّق عليه سيفٌ مُنْتَضى؟ وإذا بَلَغتِ النَّفسُ إلى الالتِذاذ بما لا تَملك، واللَّجاج حول المَسْقط الذي تعلم أنها فيه تَهلك[٩]، فكيف تُنسب[١٠] إلى نُبْل، أو تسير[١١] مع[١٢] السعادة في سُبُل؟ وإن وجَدْتَ في القُعود[١٣] بمَجْلِس التَّحية، بعض الأريحيَّة، فلَيتَ شِعْري أيَّ شيءٍ زادَها، أو معْنًى أفادَها، إلّا مُباكرةَ وجْهِ الحاسِد، وذي القلب الفاسِد، ومواجهَة العدوّ المُسْتَأسِد؟ أو شعرْتَ ببعض الإيناس، في الركوب بين الناس. هل[١٤] الْتَذَّت إلّا بحِلْم كاذب، أو جذبها غيرُ الغُرور مُجاذِب[١٥]؟ إنما الحِلْية[١٦] واقَتْك من يُحدِّق إلى البزَّة، ويستطيل مدّة العِزّة، ويرتاب إذا حُدِّث[١٧]

---

(١) في النفح: «فإن لم يقع الإسعاف قلبت...».
(٢) في النفح: «زمان».
(٣) كلمة «النجوميات» ساقطة في النفح.
(٤) الألاقيّ: جمع أُلْقِيَة وهي ما أُلقي من التحاجي والألغاز. لسان العرب (لقي).
(٥) في النفح: «في حلقها».
(٦) الموجدة: الغضب. لسان العرب (وجد).
(٧) في النفح: «يستره».
(٨) في المصدر نفسه: «ويفتحون».
(٩) في الأصل: «تملك» والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «ينسب» والتصويب من النفح.
(١١) في الأصل: «أو يُسَر» والتصويب من النفح.
(١٢) في النفح: «من».
(١٣) في النفح: «الجلوس».
(١٤) في النفح: «ما».
(١٥) في النفح: «جاذب».
(١٦) في النفح: «إنما راكبك من يُحدّق إلى الحلية والبزّة...».
(١٧) في النفح: «حدثت».

بخبرك، ويَتْبَع بالنَّقد والتَّجسُّس مواقع نظرك، ويمنَعُك من مسايرة أنيسِك[١]، ويحتال على فراغ كِيسك، ويُضمِر الشَّرَّ لك ولرَئيسك[٢]. وأيُّ راحة لمن لا يُباشر قَصْده، ويَسِير[٣] متى شاء وَحْده؟ ولو صحّ في هذه الحال لله حظٌّ، وهَبْه زهيدًا، أو عَيَّن[٤] للرُّشد عملًا حميدًا، لساغ الصَّابُ[٥]، وخَفَّت الأوْصاب[٦]، وسَهُلَ المُصاب. لكن الوقتُ أشْغَل، والفكرَ أَوْغَل، والزَّمنُ قد غَمَرته الحصصُ الوهْمِيَّة، واستَنْفَدت منه الكَمِّية، أما ليلُه ففكرٌ أو نومٌ، وعَتْب يَجرُّ[٧] الضَّراس ولَوْم، وأمّا يومُه فتَدْبير، وقَبيل ودَبِير، وأمور يَعْيا بها ثَبِير[٨]، وبلاءٌ مُبِير، ولَغَطٌ لا يدخل فيه حكيمٌ كبير، وأنا بِمثل ذلك خَبِير. ووالله يا سيِّدي، ومَنْ فَلَق الْحَبَّ وأخرج الأبَّ[٩]، وَذرأ من مَشى ومن[١٠] دبَّ، وسمَّى نفسه الربَّ، لو تعلَّق المالُ الذي يَجِدُه هذا الكَدْح[١١]، ويُوري سَقِيطه هذا القَدْح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البَدْرَ بِدَرُه بالمناكب، لما[١٢] وَرِثه عَقِب، ولا خَلَص به مُحْتَقِب[١٣]، ولا فاز به سافرٌ ولا مُنْتَقِب. والشَّاهد الدُّول والمشائيم[١٤] الأول: فأين الرِّباع المُقْتَناة؟ وأين الدِّيار المُبْتَناة[١٥]؟ وأين الحدائق[١٦] المُغْتَرسات، وأين الذَّخائر المُخْتَلسات؟ وأين الودائع المُؤمَّلة، وأين الأمانات المُحَمَّلة؟ تأذَّن الله بِتَتْبيرها، وإذناءِ نار التَّبار[١٧] من دنانيرها، فقلَّما تلقى أعقابهم إلّا أَغْراء الظُّهور[١٨]، مُتَرَمِّقين بجرايات[١٩] الشُّهور، مُتعلِّلين بالهَباءِ المنثور، يُطْرَدُون من الأبواب التي حُجِب عندها[٢٠] آباؤهم، وعُرِف

---

(١) في الأصل: «من شارة أُنسك»، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «ولرَسْيك» والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «ويمشي إذا شاء...». (٤) في النفح: «وعيّن».
(٥) الصاب: عصارة شجر مرّ. لسان العرب (صوب).
(٦) الأوصاب: جمع وصب وهو المرض. لسان العرب (وصب).
(٧) في النفح: «بجراء الضرائر ولوم».
(٨) ثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. الروض المعطار (ص ١٤٩).
(٩) الأبُّ: الكلأ والمرعى. لسان العرب (أبب).
(١٠) في الأصل: «ما» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «الذي يجرّه هذا القِدْح».
(١٢) في الأصل: «لا» والتصويب من النفح.
(١٣) محتقب: محتمل؛ يقال: احتقب الشيء إذا وضعه في حقيبته. لسان العرب (حقب).
(١٤) في الأصل: «والمشايم». (١٥) في الأصل: «المبتداة» والتصويب من النفح.
(١٦) في النفح: «الحوائط».
(١٧) في الأصل: «وإدناء وتار التيّار»، والتصويب من النفح. والتتبير: الإهلاك. والتَّبار: الهلاك. محيط المحيط (تبر).
(١٨) في الأصل: «إلّا أغرّيا للظمور» والتصويب من النفح.
(١٩) في النفح: «الجرايات». (٢٠) في النفح: «عنها».

منها إباؤهم، وشُمٌّ من مقاصيرها عَنْبَرُهم وكَباؤُهم، لم[١] تُسامحهم الأيام إلّا في إرثٍ مُحَرَّرٍ، أو حلَال مُقرَّر، وربما محَقّهُ الحَرام، وتَعذَّر منه المَرام. هذه، أعزّك الله، حالُ قَبُولها[٢] ومالها مع التَّرفيه، وعلى فرض أن يَستَوفي العُمْر في العزّ مُستَوفيه. وأما ضِدُّه من عدوٍّ يتحكَّم ويَنتَقم، وحُوتُ بَغْيٍ يَبْتَلِع ويَلْتَقم، وطَبَق[٣] يَحْجِب الهواء، ويُطيل في التّراب الثَّواء، وثُعبان قيدٍ[٤] يعضُّ السَّاق، وشؤبُوب عذابٍ يُمَزِّق الأبشار الرِّقاق، وغيلةٌ يهديها الواقِبُ[٥] الغاسق، ويَجرَعُها العدوُّ الفاسق، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق[٦]،] مع الأُفول والشروق. فهل في شيءٍ من هذا مُغْتَبَطٌ لنفس حُرَّة، أو ما يساوي جُرعةَ حالٍ مُرَّة؟ واحَسْرتاه للأحلام ضَلَّت، وللأقدام زلَّت، ويا لها مُصيبةٌ جَلَّت! ولسيدي أن يقول: حَكَمْتَ عليَّ[٧] باستِثْقال الموعِظة واستِجْفائها، ومُراوَدة الدُّنيا بين خلَّانِها وأكفائها، وتناسي عدم وفائها، فأقول: الطَّبيب بالعِلَل أدرى، والشَّفيق بسُوءِ الظَّنِّ مُغرَى، وكيف لا وأنا أقِف على السَّحاآت بخطِّ يد[٨] سيدي من مَطارح الاعتِقال، ومَثاقِف النُّوَبِ الثِّقال، وخَلَوات[٩] الاستعداد لِلِقاءِ الخُطوب الشِّداد، ونَوْش[١٠] الأسِنَّة الحِداد، وحيث يَجْمُل بمثله إلّا يَصْرِف في غير الخضوع لله بَنانًا، ولا يَثْنِي لمخلوق عِنانًا. وأتعرف أنها قد ملأت الجوّ والدوّ[١١]، وقَصَدَت الجَماد والبوّ[١٢]، تقتحم أكُفّ أُولي الشّمات، وحَفَظَة المَذَمَّات، وأعوان النُّوَب المُلِمّات، زيادةً في الشّقاء، وقَصْدًا بريًّا من الاختِيار والانْتِقاء، مُشْتَملة من التَّجاوُز على أغرَب من العَنْقاء، ومن النِّفاق على أشْهر من البَلْقاء. فهذا يُوصف بالإمامة، [وهذا يُنسب في الجود إلى كعْب بن مامة[١٣]]، وهذا يُجْعَل من أهل الكرامة، وهذا يُكَلَّفُ الدُّعاء وليس من أهله، وهذا يُطْلَبِ منه لقاء الصَّالحين وليسوا من شَكله، إلى ما أحْفَظَني والله من البحث عن

---

(١) في النفح: «ولم».
(٢) في النفح: «قبولها مع الترفيه، ومالها المرغوب فيه، وعلى فرض...».
(٣) في النفح: «ومطبق».
(٤) في الأصل: «قميد» والتصويب من النفح.
(٥) يقال: وقب الرجل: أي دخل في الوَقْب، أي عند غياب الشمس. محيط المحيط (وقب).
(٦) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفح.
(٧) كلمة «عليّ» ساقطة في النفح.
(٨) كلمة «يد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٩) في النفح: «وخطوات».
(١٠) في النفح: «ونوشى».
(١١) الدَّوُّ: المفازة. محيط المحيط (دور).
(١٢) البَوّ: جلد الحُوار يُحشى تبنًا فَيُقرَّب من أمّ الفصيل إذا فقدت ولدها فتعطف عليه فتدرّ. محيط المحيط (بوو).
(١٣) ما بين قوسين ساقط في النفح.

السُّموم، وكُتُبِ النجوم، والمَذْمُوم من المعلوم، هلّا كان من يَنْظُر في ذلك قد قُوطع بتاتًا، وأعتقد أنّ الله قد جعل لزَمَنِ الخير والشرّ مِيقاتًا، وأنا لا نملك موتًا ولا نُشورًا ولا حياتًا، وأنّ اللّوح قد حَصَرَ الأشياءَ مَحْوًا وإثباتًا، فكيف نرجُو لما منَعَ مَنالًا أو نستطيعُ مما قدر إفلاتًا؟ أَفِيدُونا ما يُرجِّح العقيدة المُقررة[١] نَتَحَوَّلُ إليه، وبيِّنوا لنا الحقَّ نُعوِّل عليه. الله الله يا سيدي في النَّفس المُرَشَّحة، والذَّات المُحَلّاة[٢] بالفضائل المَوَشَّحة، والسَّلف الشهير الخيْر، والعُمْر المُشرِف على الرِّحلة بعد حَثِّ السَّير، ودَع الدنيا لأهلها[٣] فما أَوْكَسَ حُظوظَهم، وأَخَسَّ لحُوظَهم، وأقلَّ متاعهم، وأعجل إسْراعهم، وأكثر عَناءَهم، وأَقْصَرَ آناءَهم: [مجزوء الكامل]

مـــا ثَـــمَّ[٤] إلّا مـــا رأيـــ	ـتُ، وربما تُـغْـنِـي السَّلامَهْ
والـــنـــاسُ إمّـــا جـــائـــرٌ	أو حـائـرٌ يـشـكـو ظُـلامَـهْ[٥]
واللهِ مـا احْـتَـقَـبَ الـحـريــ	ـصُ سوى الذُّنوبِ أو الملامَهْ
هـل ثَـمَّ شـكٌّ فـي الـمـعـا	د الـحـقّ أو يـومِ الـقـيـامَـهْ
قُـولـوا لـنـا مـا عـنـدكـم	أهـلَ الـخَـطـابـةِ والإمـامَـهْ

وإن رَمَيتَ بأحجاري، وأوجرت[٦] المرَّ من أشجاري، فوالله ما تلبَّسْت منها اليوم[٧] بشيءٍ قديم ولا حديث، ولا اسْتَأثرت بطيِّبٍ فَضْلًا عن خبيث. وما أنا إلّا عابِرُ سبيل، وهاجرُ مَرْعَى وَبيل، ومُرتقبُ وعدٍ[٨] قدر فيه الإنجاز، وعاكفٌ على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فرَرْت من الدنيا كما يُفَرُّ من الأسَد، وحاولت المقاطعة حتى بين رُوحي والجَسَد، وغَسَلَ الله قلبي، ولله[٩] الحمد، من الطَّمع والحسَد، فلم أُبْقِ عادة إلّا قطعتُها، ولا جُنَّةً للصَّبر إلّا ادَّرَعْتُها، أمّا اللِّباس فالصُّوف، وأما الزُّهد فيما في أيدي[١٠] الناس فمَعْروف، وأما المال الغَبِيط فعلى الصَّدقة مصروف. ووالله

(١) في النفح: «المتقررة فنتحوّل...».
(٢) في الأصل: «واللَّذات المحلات»، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «لبنيها».
(٤) في الأصل: «تمّ». والتصويب من النفح.
(٥) جاء بعد هذا البيت في نفح الطيب البيت التالي:
وإذا أردْتَ الـــعِـــزَّ لا ... تـرزأ بـنـي الـدُّنـيـا قُـلامَـهْ
(٦) أوجرْتَ المُرّ: صببته في الفم. لسان العرب (وجر).
(٧) في الأصل: «لليوم». وفي النفح: «اليوم منها».
(٨) في النفح: «وعدًا».
(٩) في الأصل: «وله» والتصويب من النفح.
(١٠) في النفح: «بأيدي الخلق فمعروف».

لو علمتُ أنّ حالي هذه تتّصل، وعُراها[1] لا تنفصل، وأن ترتيبي هذا يدوم، ولا يحيّرُني[2] الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمتُّ أسَفا، وحَسْبي الله وكَفى. ومع هذا يا سيدي، فالموعظةُ تُتلقّى من لسان الوُجود، والحكمةُ ضالّةُ المُؤمن يطلُبها ببذل المجهود، ويأخذُها من غير اعتبار بمحلّها المذمُوم أو[3] المحمود. ولقد أعْمَلْتُ نظري فيما يكافىءُ عني بعض يَدِك، أو ينتهي[4] في الفضل إلى أمَدِك، فلم أر لَكَ الدُّنيا كَفاء هذا لو كنتَ صاحبَ دُنيا، وألفيت بذل النّفس قليلًا لك من غير شرطٍ ولا ثُنيا[5]، فلمّا ألْهَمَني الله لمخاطبتك بهذه النّصيحة المفرَغة في قالَب الجَفا، لمن لا يُثبت عين الصَّفا، ولا يُشيم بارقَة[6] الوَفا، ولا يعرف قاذُورَة الدنيا مَعْرِفة مِثْلي من المُتَدَنّسِين بها المُنهمكين، وينظر عُوّارها القادِح[7] بعين اليقين، ويعلم أنها المومِسة التي حُسْنُها زُور، وعاشقُها مغرور، وسُرورها شُرور، تَبَيّن لي أني[8] قد كافَيْتُ[9] صنيعَتَك المتقدّمة، وخرجتُ عن عهدتك المُلْتَزَمة، وأمْحَضْتُ[10] لك النُّصح الذي يُعِزُّ[11] بعزّ الله ذاتك، ويُطيب حياتك، ويُحيي مَواتَك، ويريح جَوارِحَك من الوَصَب[12]، وقَلْبَكَ من النَّصَب[13]، ويُحقّر الدنيا وأهْلَها في عَيْنك إذا اعْتُبِرَتْ، ويُلاشي عَظائمها لديك إذا اختبرتْ. كلُّ مَن تقع عليه[14] عينُك حقِيرٌ قليلٌ، وفقيرٌ ذليل، لا يَفضُلك بشيءٍ إلّا باقْتِفاءِ رُشْد أو تَرْك غيّ، أثوابهُ النَّبيهة يُجرّدها الغاسل، وعُزوة عزّه[15] يُفَصّلها الفاصل[16]، ومالُهُ الحاضر الحاصل، يَعيث فيه الحُسام الفاصل، والله ما تَعَيَّن للخَلَف إلّا ما تَعَيَّن للسَّلَف، ولا مصيرُ المجموع إلّا إلى التّلف، ولا صَحّ من الهِياط والمِياط[17]، والصِّياح والعِياط[18]، وجَمْع القيراط إلى القيراط، والاستظهار بالوَزَعة والأشراط، والخَبْط والخُبّاط، والاسْتِكثار والاغْتِباط،

(١) في النفح: «وأن عراها».
(٢) في الأصل: «يجيزني» والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «ولا».
(٤) في الأصل: «ينتمي» والتصويب من النفح.
(٥) الثُّنيا: الاستثناء. لسان العرب (ثنا).
(٦) يشيم: ينظر. البارقة: السحابة ذات البرق. لسان العرب (شام) و(برق).
(٧) في الأصل: «عَواره القادح» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «أنني».
(٩) في النفح: «كافأت».
(١٠) في الأصل: «ومحضت لله» والتصويب من النفح. وأمحض: أخلص. لسان العرب (محض).
(١١) في الأصل: «يُقرُّ» والتصويب من النفح.
(١٢) الوَصَب: المرض. لسان العرب (وصب).
(١٣) النَّصَب: التعب. لسان العرب (نصب).
(١٤) في النفح: «عينك عليه فهو حقير...».
(١٥) في الأصل: «غيره» والتصويب من النفح.
(١٦) في النفح: «يقصلها القاصل».
(١٧) الهياط: مصدر هاطَ يَهيط، أي ضجّ وأجلب. المِياط: الدفع والزجر، والمراد من «الهياط والمياط»: الدنوّ والتباعد. محيط المحيط (هاط) و(ماط).
(١٨) العياط: الصياح. محيط المحيط (عاط).

والغُلُوّ والاشتِطاط، وبِنا الصَّرْح وعمل السّاباط، ورفع العماد[١] وإدارة الفُسْطاط، إلّا أَلَمٌ[٢] يُذهب القوة، ويُنسي الآمال المرجُوّة، ثم نَفَسٌ يصعد، وسَكَرات تتردّد، وحسرات لِفراق الدُّنيا تتجدّد، ولسانٌ يَثْقُل، وعينٌ تُبصر الفراق الحقّ[٣] وتمقُل ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٤]. ثم القَبْرُ وما بعده، والله مُنجِزٌ وعيدَهُ ووعْدَه، فالإضرابُ الإضرابُ، والتُّراب التُّراب. وإن اعتَذر سيدي بقُلّة الجَلَد، لكثرة الوَلد، فهو ابن مَرْزوق لا ابن رَزّاق، وبيده من التَّسبُّب ما يتكفَّل بإمساك أرْماق، أين النَّسْخ الذي يَتَبلَّغ الإنسان بأجرَته[٥]، في كِنّ حُجْرته؟ لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعَرَّته؟ السؤال والله أقومُ طريقًا، وأكرم فريقًا، مِنْ يدٍ تمتَدّ إلى حَرام، لا يَقُوم بمَرام، ولا يُؤمَن من ضِرام، أُحْرِقَتْ فيه الحُلل، وقُلِيَت الأديان والمِلَل، وضُربت الأبْشار، ونُحرت العِشار، ولم يَصل منه على يَدَي واسِطةِ السُّوءِ المِعْشار. ثم طُلب عند الشِّدّة فَفُضِح، وبان سَوْمه[٦] ووَضَح، اللهمَّ طَهِّرْ منها[٧] أَيْدِينا وقلوبَنا، وبلِّغنا من الانصراف إليك مَطْلُوبَنا، وعَرِّفنا بمن لا يَعْرف غيرك، ولا يَسْتَرْفِد إلّا خَيْرك، يا ألله. وحقيقٌ على الفُضلاءِ إنْ جَنَحَ سيدي منها إلى إشارة، أو أعمل في اخْتِلابها إضبارة[٨]، أو لَبِس منها شَارَة، أو تَشَوَّف إلى خدمة إمارة، ألا يُحْسنوا ظنونهم بعدها بابن ناس، ولا يَغْتَرُّوا بِسِمَةٍ[٩] ولا خَلْقٍ ولا لِباس، فما عَدَا، عمّا بَدا[١٠]؟ تَقَضّى العُمْرُ في سِجْنٍ وَقَيْد، وعَمْرو وزَيْد، وضُرٍّ وكَيْد، وطِراد صَيْد، وسَعْد وسُعَيد، وعَبْد وعُبيد، فمتى تظهرُ الأفكار، ويَقِرُّ القرار، وتُلازَم الأذكار[١١]، وتُشام الأنوار، وتَتَجلّى[١٢] الأسرار؟ ثم يقع الشُّهود الذي تذهب معه الأفكار[١٣]، ثم يحقُّ الوُصول الذي إليه من كلّ ما سواه الفِرار، وعليه المَدار. وحَقّ الحقّ الذي ما سواه فَباطل، والفَيْض الرَّحْماني الذي رَبابُه[١٤] الأَبَدَ[١٥] هاطل، ما شابت[١٦]

---

(١) في النفح: «العُمُد».
(٢) في النفح: «أمل».
(٣) كلمة «الحق» ساقطة في النفح.
(٤) سورة صَ، الآيتان: ٦٧، ٦٨.
(٥) المراد نسخ الكتب وكتابتها.
(٦) في النفح: «شؤمه».
(٧) في الأصل: «منّا» والتصويب من النفح.
(٨) الإضبارة: الحزمة من الصحف. محيط المحيط (ضبر).
(٩) في الأصل: «بِسَمْتٍ» والتصويب من النفح.
(١٠) أخذه من المثل: «ما عدا مما بدا». أي ما منعك ما ظهر لك أولًا. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٢٩٦).
(١١) في الأصل: «الادّكار» والتصويب من النفح.
(١٢) في النفح: «وتستجلى».
(١٣) في النفح: «الذي يذهب معه الإخبار».
(١٤) الرباب: السحاب. لسان العرب (ربب).
(١٥) في الأصل: «لا يُدّ» والتصويب من النفح.
(١٦) في الأصل: «ما شاب» والتصويب من النفح.

مُخاطبتي لك شائبةُ تَريب[١]، ولقد مَحَضْتُ لك ما يَمْحَضه الحبيب إلى الحبيب[٢]، فيحمل جَفاءُ[٣] في الذي حَمَلَتْ عليه الغَيْره، ولا تَظُنُّ بي غيْره. وإن[٤] أقدر قَدْري في مُكاشفة سيادتك بهذا البَثّ، في الأُسلوب الرَّث، فالحقُّ أقْدَم، وبناؤه لا يُهْدم، وشأني معروف في مُواجهة الجبابرة على حين يَدي إلى رِفْدِهم مَمْدُودة، ونَفْسي في النُّفوس المُتَهافِتة عليهم مَعْدُودة، وشَبابي فاحِمٌ، وعلى الشَّهوات مُزاحِمٌ، فكيف بي اليوم مع الشَّيْب، ونُصْح الجَيْب، واسْتِكْشاف العَيب؟ إنما أنا اليوم على كلِّ مَنْ عَرَفني كَلٌّ ثقيل، وسيفُ العَذْل[٥] في كفِّي صَقِيل، أَعْذِل أهل الهوى، وليست النُّفوس في القَبُول سَوا، ولا لكلِّ مَرَضٍ[٦] دَوا، وقد شَفَيْتُ صَدْري، وإن جَهِلْتُ قدْري، فاحْمِلني، حَمَلَك الله، على الجادَّة الواضحة، وسَحَب عليك سِتْر الأُبوّة الصَّالحة، والسَّلام.

ولمّا[٧] شَرَح كِتابَ «الشِّفا» للقاضي[٨] أبي الفَضْل عِياض بن موسى بن عِياض، رحمه الله، واسْتَبْحر فيه، طلب أهل العُدْوتين بنَظْم[٩] مقطوعات تَتَضمَّن الثَّناء على الكِتاب المذكور، وإطْراءَ مؤلِّفه، فانْثال عليه من ذلك الطِّم والرِّم، بما تعدَّدت منه الأوراق، واخْتَلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق، إيثارًا لِغَرضه، ومبَادَرةً من أهل[١٠] الجهات لإسعاف أرَبه، وطُلب مني أن أُلِمّ في ذلك بشيءٍ، فكتبت في[١١] ذلك: [الطويل]

شِفاءُ[١٢] عياض للصُّدور[١٣] شِفاءُ	وليس[١٤] بفضلٍ قد حَواه خَفاءُ
هديَّةُ بَرٍّ لم يكن لجَزِيلها[١٥]	سوى الأجْر والذِّكر الجميل كِفاءُ
وَفى لِنَبيِّ الله حقَّ وفائه	وأكْرَمُ أوصافِ الكِرام وفاءُ

(١) في الأصل: «بريب» والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «للحبيب».
(٣) في النفح: «فتحمّل جفائي الذي...».
(٤) في النفح: «وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتك بهذا البَثّ، في الأسلوب الرّثّ».
(٥) في النفح: «العدل» بالدال غير المعجمة.
(٦) في الأصل: «لا لكل مَنْ ضرّ؟» والتصويب من النفح.
(٧) النص مع الشعر في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٨٤).
(٨) في النفح: «للقاضي عياض رحمه الله تعالى».
(٩) في النفح: «نظم». (١٠) في النفح: «كل».
(١١) في النفح: «له في ذلك». والأبيات أيضًا في نفاضة الجراب ص ١٢٨.
(١٢) في الأصل: «شفا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٣) في نفاضة الجراب: «للقلوب». (١٤) في المصدر نفسه: «فليس».
(١٥) في النفح: «المديلها».

وجاءَ به بَحْرًا يقولُ بفضله ... على البَحْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وصفاءُ
وحقُّ رسولِ الله بعد وفاته ... رَعاه، وإغفالُ الحقوقِ جَفاءُ
هو الذُّخر يُغني في الحياة عَتاده ... ويُشرَكُ منه للبنين[1] رَفاءُ
هو الأثَرُ المحمودُ ليس يَنالُه ... دُثورٌ ولا يُخشى[2] عليه عَفاءُ[3]
حَرَصْتُ على الإطْناب في نَشْر فضله ... وتَمْجِيدِه لو ساعدَتْنيَ فاءُ

واستزاد[4] من هذا الغرض الذي لم يَقْنَع منه[5] بالقليل، فبعثتُ إليه من محلّ انتقالي بمدينة[6] سَلا حرسها الله[7]: [مجزوء الرمل]

أأزاهيرُ رياضٍ ... أم شِفاءٌ لِعياضِ
جدّلَ الباطلَ للحقّ ... بأسيافٍ مَواضِ
وجلا الأنوار بُرهانًا ... بحقٍّ[8] وافتراضِ
وشفى[9] من يشتكي الغُلّة ... في زُرْقِ الحياضِ
أيُّ بُنيانِ مُعارٍ[10] ... آمنٍ فَوقَ[11] انقضاضِ
أيُّ عهدٍ ليس يُرمى ... بانتكاثٍ[12] وانتقاضِ
ومَعانٍ في سطورٍ ... كأُسودٍ في غِياضِ
وشِفاءٌ لصدورٍ[13] ... مِنْ ضَنى الجهل مِراضِ
حَرِّرِ القصدَ فما شِيْنَ ... بنقدٍ واعتراضِ
يا أبا الفضلِ أدرِ أنّ[14] ... الله عن سَعيك راضِ
فازَ عبدٌ أقرضَ اللهَ ... برُجحانِ القراضِ[15]

(١) في الأصل: «اليقين» وهكذا ينكسر الوزن. وفي المصدرين: «للبنين».
(٢) في نفاضة الجراب: «ولا يَخْفى». (٣) العفاء: الزوال. لسان العرب (عفا).
(٤) ما يزال النص شعرًا ونثرًا في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٨٥).
(٥) في النفح: «فيه». (٦) في النفح: «من مدينة».
(٧) الأبيات أيضًا في نفاضة الجراب (ص ١٩٢ ـ ١٩٣).
(٨) في نفاضة الجراب: «بخلف». (٩) في نفاضة الجراب: «وسقى».
(١٠) في النفح: «مقال». وفي نفاضة الجراب: «معال».
(١١) في المصدرين: «خوف». (١٢) الانتكاث: الانتقاض. لسان العرب (نكث).
(١٣) في نفاضة الجراب: «النفوس».
(١٤) في الأصل: «بأن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٥) إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ سورة البقرة ٢، الآية ٢٤٥.

وَجُبَّتْ عزّ[1] المَزايا ... من طِوال وعِراض[2]
لك يا أصدق راوٍ[3] ... لك يا أعدلَ قاض
لرسولِ الله وفّيـ ... ـت بِجدٍّ[4] وانتهاض
خيرُ خلْقِ الله في حا ... لٍ وفي آتٍ ومَاض
سدَّد الله ابنَ مرزو ... قٍ إلى تلك المراضي
زُبدة العِرفان مَغنى ... كلِّ نُسْكٍ وارتياض
فتولَّى بَسْطَ ما أجـ ... ـملتَ من غير انقِباض
ساهرٌ[5] لم يَدْرِ في استخـ ... ـلاصه طَعْمَ اغْتِماض
إن يكن دَيْنًا على الأيـ ... ـام قد حان التَّقاضي
دام في عُلُوٍّ ومن عا ... داه يَهْوي في انخِفاض
ما وشى الصُّبْحُ الدَّياجي ... في سوادٍ بِبَياض[6]

ثم[7] نظمتُ له أيضًا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط، في هذا الموضع، ليس على سبيل التَّبجُّح بغرابته وإجادته[8]، ولكن على سبيل الإشادة بالشَّرح المشار إليه، فهو بالغٌ غاية الاستِبْحار[9]: [السريع]

حُيِّيتَ يا مُختَطُّ سَبْت بنِ نوح ... بكلّ مُزْنٍ يَغْتَدي أو يَرُوح
وحمل الرَّيحانُ ريح الصَّبا ... أمانةً فيك[10] إلى كلّ روح
دارُ أبي الفضل عِياض الذي ... أضحتْ برِيَّاه رياضًا تفوح
يا ناقِلَ الآثارِ يُعنى بها ... وواصلًا في العلم جَرْيَ الجَمُوح
طِرْفُكَ في الفخر[11] بعيدُ المدى ... طَرْفُكَ للمجد شديدُ الطُّموح
كفاكَ إعجازًا كتابُ الشِّفا ... والصبحُ لا يُنكَرُ عند الوضوح
لله ما أجزلتَ فينا به من ... مِنْحَةٍ تَقْصُرُ عنها المُنُوح
روضٌ من العلم هَمَى فوقَه ... مِنْ صَيِّبِ الفِكر الغمامُ السَّفُوح

---

(١) في المصدرين: «غرّ».
(٢) في المصدرين: «أو عراض».
(٣) في نفاضة الجراب: «داو».
(٤) في المصدر نفسه: «بجهد».
(٥) في المصدرين: «ساهرًا».
(٦) في النفح: «بسوادٍ في بياض».
(٧) النص في الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦).
(٨) في النفح: «بإجادته وغرابته».
(٩) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦ - ٣٨٧) ونفاضة الجراب (ص ١٩٠ - ١٩٢).
(١٠) في الأصل: «في كل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١١) في النفح: «في الفضل».

فمن بيانِ الحقّ زَهْرُ نَدٍ[1] ومن لسان الصّدق طيرٌ صَدُوح
تأرّجَ العَرْفُ وطاب الجَنَى وكيف لا يُثْمر[2] أو لا يفوح
وحُلّةٌ من طيبِ خيرِ الورى في الجَيب والأعطاف منها نُضُوح
ومَعْلَم للدين[3] شيّدْتَهُ فهذه الأعلام منه[4] تلُوح
فَقُلْ لهامانَ كذا أو فلا يا مَنْ أضلّ الرُّشد تَبْني الصُّروح
في أَحْسَنِ التّقويم أنشأتَهُ خَلْقًا جديدًا بين جِسْم ورُوح
فعُمْرُه المكتوبُ لا يَنْقضي إذا تَقَضّى عُمْرُ سام ونُوح
كأنّه في الحَفْل ريحُ الصَّبا وكلُّ عِطْفٍ فهو غَضٌّ[5] مَروح
ما عُذْرُ مَشْغوفٍ بخيرِ الورى إنْ هاج منه الذِّكْرُ أنْ لا يَبُوح
عجبتُ من أكباد أهل الهوى وقد سطا البُعْدُ وطال النُّزُوح
إن ذُكر المحبُوبُ سالتْ دِمًا ما هُنَّ أكبادٌ ولكنْ جُروح
يا سَيّدَ الأوضاع يا مَنْ له بِسَيّدِ الإرسال فضْلُ الرُّجوح
يا مَنْ له الفخر على غيره والشُّهب[6] تَخْفى عند إشراق يوح
يا خَيْرَ مشروح وَفى واكْتَفى منه ابنُ[7] مرزوق بخير الشُّروح
فَتْحٌ من الله حَباه به ومن جَنابِ الله تأتي الفُتوح

مولده: بتلمسان عام أحد عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الرحمن بن سعد التّميمي التّسِلي[8] الكَرَسوطي[9]

من أهل فاس، نزيل مالَقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: الشيخ[10] الفقيه المُتكلّم أبو عبد الله، غزيرُ الحِفْظ، مُتبحّر الذّكر، عديم القَرين، عظيم الاطّلاع، عارفٌ بأسماء الأوضاع، يَنْثال منه على المسائل كَثيب مَهيل، ينقل الفِقْه منسوبًا إلى أمانة، ومنوطًا برِجاله، والحديث بأسانيده ومُتونه،

(١) في الأصل: «زَهْرُ نِدٍّ» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في نفاضة الجراب: «لا يطعم».
(٣) في المصدر نفسه: «في الدين». (٤) في المصدرين: «منها».
(٥) في المصدرين: «غصن». (٦) في النفح: «والشمس».
(٧) في نفاضة الجراب: «ومن ابن». (٨) التسلي: نسبة إلى قبيلة تسولة البربرية.
(٩) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكَرَسوطي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).
(١٠) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

خَوّار[1] العِنان، وسَّاع الخطْو، بعيدُ الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدّى ذلك إلى غرائب المَنْظُومات، ممّا يختصُّ بنظمه أُولو الشُّطارة والحِرفة من المغاربة، ويستظهر مُطوّلات القِصاص، وطَوابير الوُعّاظ، ومَساطير أهل الكُدْية، في أُسلوب وَقاحٍ يَفْضحه الإعراب، حسن الخُلُق، جمُّ الاحتمال، مُطرّح الوَقار، رافضُ التَّصنُّع، مُتَبذّل[2] اللُّبْسَة، رَحيب أكْناف المرارة لأهل الولايات، يُلقي بمعاطِنهم البَرْك، وينوط بهم الوسائل، كثيرُ المشاركة لوُصلائه، مُخْصِبٌ على أهل بيته، حَدِبٌ على بَنيه. قَدِم على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فأقام بالجَزيرة مقرئًا بمسجد الصَّواع منها، ومسجد الرّايات، ثم قدم على مالَقة وأقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلتهُ، وخفَّ به موقعه، فلم يَعْدم صلةً، ولا فقد مِرْفَقَةً، حتى ارتاش وتأثّل بمحل سُكناه من مالقة، مَدَرَةً مُغِلّة، وعقارًا مفيدًا. وطال قعوده لسَرْد الفقه بمسجدها الجامع، نَميرٌ في الركب، مَهجور الحَلَقة، حَمْلًا من الخاصّة والعامّة، لتلَبّسه بالعَرَض الأدْنى. وهو الآن خطيب مسجد القصَبة بها، ومحلّه من الشهرة، بالحِفْظ والاسْتِظْهار لفروع الفقه، كبير.

مشيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس، منهم أبوه، والأستاذ أبو الحسن القِيجاطي البَلوي، وأبو إسحٰق الحريري، وأبو الحسن بن سُليمان، وأبو عبد الله بن أَجُرُوم. وقرأ الفقه على أبي زيد الجَزولي، وعبد الرحمٰن بن عفّان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عَزَله، ولذلك حكاية. حَدّثني الشيخ أبو عبد الله الكرْسوطي، المُترجم به، قال: قرأتُ بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، والدّجاج والأوز المُخلات، فقال: انظر، هل يُقال الدّجاج أو الجدّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: وجُدَدٌ بيض، وحمرٌ مختلفٌ ألْوانها، وغرابيب سُود. فأزْرى به، ونقل إليه إزاره، فعزله. وقعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. وأخذ عن أبي إسحٰق الزناتي، وعن خلف الله المجاصي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمٰن الجَزُولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل ابنه، وأبي العبّاس بن راشد العُمراني، وأبي عبد الله بن رُشَيد. وروى الحديث بسَبْتة عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، وذاكر أبا الحسن بن وشّاش. وبمالقة عن الخطيب الصالح الطّنجالي، وأبي عمرو بن مَنظور.

---

(١) خوار العنان: سهل المعطف لينه.

(٢) متبذل اللبسة: غير معتن بملبسه وهندامه، بخلاف مبتذل اللبسة أي رثّ الملابس.

وبغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي، وأبي إسحٰق بن أبي العاص. وببلّش عن أبي جعفر الزيات.

تواليفه: منها[١] «الغُرَر في تكميل الطُّرر»، طُرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم[٢] «الدُّرر في اختصار الطُّرر» المذكور. وتقييدان على الرسالة، كبيرٌ وصغيرٌ. ولخّص «التهذيب» لابن بشير، وحذف أسانيد المُصنَّفات الثلاثة، البخاري، والترمذي، ومسلم[٣]، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك[٤] الصِّحاح الواقعة في التهذيب[٥] على مسلم والبخاري. وقيّد على مختصر الطُّليطلي، وشرع في تقييدٍ على قواعد الإمام أبي الفضل عِياض بن موسى[٦] بن عياض، برَسْم ولدي، أسْعَدَه الله.

شعره: أنشدني، وأنا أُحاول بمالَقة لَوْث[٧] العمامة، وأستعين بالغير على إصلاح العمل، وإحكام اللِّياثة[٨]: [الكامل]

أمُعَمِّمًا قمرًا تكاملَ حُسْنُهُ ... أربى على الشمس المنيرة في البَها
لا تلتمسْ مِمَّنْ لديك زيادةً ... فالبَدْرُ لا يَمْتارُ من نُورِ السُّها

ويَصدُر منه الشعر مُصَدَّرًا، لا تَكْنِفه العِناية.

محنته: أُسِر ببحر الزُّقاق[٩]، قادمًا على الأندلس في جُملة من الفضلاء، منهم والده. واستقرّ بطَرِيف[١٠] عام ستة وعشرين وسبعمائة، ولقي بها شدّةً ونكالًا، ثم سُرِّح والده، لمحاولة فِكاك نفسه، وفُكَّ ابنه، ويَسَّر الله عليه، فتخلّصا من تلك المحنة في سبيل كُدْية، وأَفْلَت من بين أنياب مشقّة.

---

(١) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١). (٢) في النفح: «ثم كتاب الدرر...».
(٣) قوله: «البخاري والترمذي ومسلم» ساقط في النفح.
(٤) في النفح: «واستدرك».
(٥) في النفح: «في الترمذي على البخاري ومسلم».
(٦) في النفح: «موسى برسم ولدي».
(٧) لوث العمامة: عصبها ولفُّها. لسان العرب (لوث).
(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).
(٩) بحر الزقاق: هو الداخل من المحيط الأطلسي الذي عليه سبتة ما بين طنجة المغربية وبين الأندلس، ويتسع كلما امتدّ إلى ما لا نهاية. الروض المعطار (ص ٢٩٤).
(١٠) جزيرة طريف على البحر المتوسط في أول المجاز المسمى بالزقاق، وهي مدينة صغيرة. الروض المعطار (ص ٣٩٢).

بعض أخباره: قال: لقيتُ الشيخ وليّ الله أبا يعقوب بساحل بادس[1]، قاصدًا الأخذ عنه، والتّبرّك به، ولم يكن رآني قط، وألفيتُ بين يديه عند دخولي عليه، رجلًا يقرأُ عليه القرآن، فلمّا فرغ أراد أن يقرأ عليه أسْطُرًا من الرّسالة، فقال له: اقرأها على هذا الفقيه، وأشار إليّ، ورأيتُ في عَرْصةٍ له أُصولَ خَصٍّ، فتمَنيت الأكل منها، وكان ربّاعها غير حاضر، فقام عن سُرعةٍ، واقتلع منها أُصولًا ثلاثة، ودَفَعها إليّ، وقال: كُل. فقلت في نفسي، تصرف في الخَضْرة قبل حضور ربّاعها، فقال لي: إذا أردت الأكل من هذه الخَضْرة، فَكُلْ من هذا القسم، فإنّه لي. قلت: وخَبَرْتُ من اضطلاع هذا المترجم به بعبارة الرُّؤيا ما قضيت منه العَجَب في غير ما شيءٍ جَرَّبتُه. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاءٌ عن وطنه؛ لتوفر الحَمْل عليه من الخاصّ والعامّ، بما طال به نَكَده. ثم آلَتْ حاله إلى بعض صلاحٍ، والله يتولّاه.

مولده: بمدينة فاس عام تسعين وستمائة.

محمد بن عبد المنعم الصّنهاجي الحميري[2]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سَبْتة، الأُستاذ الحافظ.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، رجلَ صِدْقٍ، طيِّب اللهجة، سَليم الصدر، تام الرُّجولة، صالحًا، عابدًا، كثير القُرب والأَوْراد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيرًا، وسنُّه تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل الدُّؤب والسّابقة، وكان من صدور الحُفّاظ، لم يَسْتَظْهر أحدٌ في زمانه من اللُّغة ما اسْتَظْهره، فكاد يستظهر كتاب التّاج للجَوْهري وغيرَه، آيةً تُتْلى، ومثلًا يُضرب، قائمًا على كتاب سيبويه، يَسْرُده بلَفْظه. اختبَرَهُ الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقةٌ في الشطرنج، يلعَبُها محجوبًا، مُشاركًا في الأُصول، آخذًا في العلوم العقلية، مع المُلازمة للسُّنَّة، يُعْرِبُ أبدًا كلامَه ويزينه.

مشيخته: أخذ ببلده عن الأُستاذ أبي إسحٰق الغافِقي، ولازَم أبا القاسم بن الشّاط وانتفع به وبغيره من العلماء.

---

(١) بادس: مدينة بها نخل كثير وفواكه وعيون كثيرة. الروض المعطار (ص ٧٥).

(٢) هو صاحب كتاب «الروض المِعْطار، في خبر الأقطار» وكانت وفاته في سنة ٧٢٧ هـ. راجع مقدمة كتاب «الروض المعطار»، ففيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت له.

دخوله غرناطة: قدم غَرْناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نَصْر، لما وصلوا بالبَيْعة.

وفاته: كان من الوَفد الذين استأصلهم المَوتان عند مُنصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأحْواز تيزى[1]، حسبما وقع التّنبيه على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر ابن رُشَيْد الفهري[2]

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رُشَيد.

حاله: من «عائد الصلة»: الخطيبُ المحدِّث، المُتبَحّر في علوم الرّواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريدَ دهره عدالةً وجلالةً، وحِفظًا وأدبًا، وسَمْتًا وهديًا، واسع الأسْمِعة، عالي الإسناد، صحيح النّقل، أصيل الضّبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيّما عليها، بصيرًا بها، محققًا فيها، ذاكرًا فيها الرجال، جمّاعةً للكُتُب، محافظًا على الطّريقة، مضطلعًا بغيرها من العربية واللغة والعَرُوض، فقيهًا أصيل النّظر، ذاكرًا للتفسير، ريّان من الأدب، حافظًا للأخبار والتواريخ، مُشاركًا في الأصْلَين، عارفًا بالقراءات، عظيم الوقار والسّكينة، بارع الخَطّ، حسن الخُلُق، كثير التّواضع، رقيق الوَجْه، مُتجمِّلًا، كَلِف الخاصة والعامّة، مبذول الجاه والشّفاعة، كَهفًا لأصناف الطَّلَبة. قَدِم على غَرْناطة في وزارة صديقه، ورَفيق طريقه، في حجِّه وتَشريقه، أبي عبد الله بن الحَكِيم، فلقي برًّا، وتقدّم للخطابة بالمَسْجد الأعظم، ونَفَع الله لَديْه بشفاعته المبْذُولة طائفةً من خَلْقِه، وانصرف إثر مَقْتلِه إلى العُدْوة، فاستقرّ بمدينة فاس، معظّمًا عند الملوك والخاصّة، معروف القَدْر عندهم.

مشيخته: قرأ ببلده سَبتَة على الأستاذ إمام النّحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتابَ سيبويه. وقيّد على ذلك تقييدًا مفيدًا، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضًا عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطّار. ورَحَل من بلده سبتة لأداء الفريضة. حَجّ ولَقِي

---

(١) جاء في الروض المعطار (ص ١٢٨): «تازا: من بلاد المغرب، أول بلاد تازا حَدُّ ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب... وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط، أعني في جبال تازا».

(٢) ترجمة ابن رشيد في نفح الطيب (ج ٥ ص ٦٩) و(ج ٧ ص ٢١٤، ٢٥٧، ٣٦٣).

المشايخ عام ثمانية وثمانين وستمائة، فوافى في طريقه الحاجّ المحدِّث الرّاوية، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد الله الحَكِيم، وأخذ عن الجِلّة الذين يُشَقّ إحصاؤهم، فمِمّن لَقِي بإفريقية الرّاوية العَدْل أبا محمد عبد الله بن هارون، يرْوي عن ابن بقيّ، والأديب المتبَحّر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجنّي. وروى بالمشرق عن العَددِ الكثير كالإمام جار الله أبي اليُمْن بن عساكر، لقيه بباب الصّفا تِجاه الكَعْبة المُعَظّمة، وهو موضعُ جلوسه للسّماع، غرّة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة، وعن غيره، كأبي العِزّ عبد الرحمٰن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن مَنْظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثَبَت في اسم مُرافقة في السّماع والرّحلة أبي عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، فلْيُنْظر هنالك.

تواليفه: ألّف فوائدَ رحلته في كتاب سمّاه «مَلْءُ العَيْبة، فيما جُمع بِطُول الغيْبَة، في الوُجْهتين[1] الكَرِيمتين إلى مكّة وطَيْبة». قال شيخنا أبو بكر بن شِبْرين: وقفتُ على مُسَوّدَته، ورأيتُ فيه فنونًا وضروبًا من الفوائد العِلْمية والتاريخ، وطَرفًا من الأخبار الحِسان، والمُسْندات العَوالي والأناشيد. وهو ديوانٌ كبير، ولم يُسبق إلى مثله. قُلْتُ: ورأيتُ شيئًا من مُخْتَصره بسَبْتة.

دخوله غرناطة: ورَد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستمائة، فعَقَد مجالِس للخاصّ والعام، يُقرىء بها فنونًا من العِلْم. وتقدّم خطيبًا وإمامًا بالمسجد الأعظم منها. حدّثني بعضُ شيوخنا، قال: قَعَد يومًا على المِنْبَر، وظنّ أن المُؤَذّن الثالث قد فرغ، فقام يَخْطُب والمؤذّن قد رفع صوته بآذانه، فاستعظم ذلك بعضُ الحاضرين، وهمّ آخر بإشعاره وتَنْبيهه، وكلّمه آخر، فلم يُثْنه ذلك عمّا شَرَع فيه، وقال بديهةً: أيها الناس، رَحِمَكم الله، إنّ الواجب لا يُبْطِله المَنْدوب، وأن الأذان الذي بعد الأوّل غير مَشْرُوع الوُجوب، فتأهّبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكّروا قوله، عزّ وجلّ: وما آتاكم الرّسول فخذوه، وما نَهاكم عنه فانْتَهُوا، وقد رُوِّينا عنه ﷺ، أنه قال: مَنْ قال لأخيه والإمام يَخْطُب، اصْمُتْ، فقد لغا، ومن لغا فلا جُمُعَةَ له. جَعَلَنا الله وإيّاكم مِمّنْ عَلِم فَعَمِل، وعَمِل فَقُبِل، وأخْلَص فتَخَلّص. وكان ذلك مما اسْتُدِلّ به على قُوّة جَنانه، وانقِياد لِسانه لبَيانِه.

شعره: وله شعر يتكلفه، إذ كان لا يَزِن أعاريضه إلّا بميزان العَرُوض، فمن ذلك ما حدّث به، قال: لما حَلَلْتُ بدمشق، ودخلتُ دار الحديث الأشْرَفِيّة، برَسْم رُؤْية النّعْل الكَريمة، نَعْلِ المُصْطفى، صلوات الله عليه، ولَثَمْتُها، حَضَرَتْني هذه

(١) في نفح الطيب (ج ٥ ص ٧٠): «في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطَيْبة».

الأبيات: [الطويل]

هنيئًا لعيني أن رأتْ نَعْل أحْمَدِ فيا سَعْد، جِدِّي قد ظَفِرْت بأسْعَدِ
وقَبَّلتُها أَشْفِي الغَليل فزادني فيا عَجَبًا زاد الظَّما عند مَوْرِدِ
فللّه ذاك اللَّثْم فهو ألَذُّ مِن لمى شَفَةٍ لَمْيا وخَدٌّ مُوَرَّد
ولله ذاك اليوم عيدًا ومعْلمًا بتاريخه أرَّخْتُ مَوْلد أسْعَدِ
عليه صلاةٌ نَشْرُها طَيِّبٌ كما يُحبُّ ويَرْضى ربُّنا لمحَمَّد

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستمائة، بثَغْر سَبْتة حرسها الله تعالى: [الطويل]

أقول إذا هبَّ النَّسيم المُعَطَّرُ لعلَّ بشيرًا بالِلقاءِ يُبَشِّرُ
وعالي الصَّبا مرَّت على رَبْع جِيرتي فعَنْ طِيبهمْ عَرْفُ النَّسيم يُعبِّرُ
وأذكر أوقاتي بسَلْمَى وبالحِمى فتَذْكو لَظًى في أضْلعي حين أذْكُر
ربوعٌ يودُّ المِسْكُ طِيبَ ترابها ويَهْوى حصًى فيها عقيقٌ وجَوهر
بها جِيرةٌ لا يَخْفِرون بذِمَّةٍ هُمُ لمواليهمْ جَمالٌ ومَفْخَرُ
إذا ما اجْتَلَتْ زُهْر النجوم جمالَهم تغار لباهي نُورهمْ فتُغَوِّر
ومن جُود جَدْواهُمْ يُرى اللَّيْثُ يَغْمُرُ ومن خَوْف عَدْواهمْ يُرى الليثُ[1] يَذْعَرُ
ومن سَيْب يمناهمْ يُرى الرَّوض يَزهر ومن فَيض نَعْماهمْ يُرى البحر يَزْخُر
رَعى الله عَهْدًا بالمُصَلَّى عَهِدْتُه وروضُ المُنَى غَضٌّ يرِقُّ ويَنْضُر
زمانًا نَعِمْنا فيه والظِّلُّ وارفٌ بجنّات عَدْن تحتَها العَذْب يَخْضَر
ولله أيامُ المُصَلَّى وطيبُها وأنفُسُنا بالقُرْب والأُنْس تُجْبَرُ
بحيث يُرى بَدْرُ الكمال وشَمْسُه وروضتُه فِرْدَوسُ حوضٍ[2] ومِنْبَرُ
أروم دُنُوًّا من بَهاءِ جَمالها ولَثْمًا فتَأْبى هَيْبةٌ وتَوَقُّر
خضعتُ وذُلِّي للحبيب تعزُّزٌ فطَرْفيَ مَغْضُوض وخدِّي مُعَفَّر
ووجهُ سروري سافرٌ مُتَهَلِّلٌ وحالي بهمْ حلٍ[3] وعَيْشيَ أخْضَرُ
فطُوبى لِمَنْ أضْحى بِطَيْبَةَ ثاويًا يجرُّ بأذيال[4] الفَخار ويَنْشُر

---

(١) قوله: «يُرى الليث» ساقط في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «فردوسٌ وحوضٌ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «حُلَلٌ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «أذيال»، وكذا ينكسر الوزن.

وإذ فات عَيْني أن تَراهمْ فردَّدوا ... على مسمعي ذكر المُصَلَّى وكرَّروا
وَرَدْتُ فيا طيب الوُرود بطَيْبَةَ ... صَدَرْتُ فواحُزْني فلا كان مَصْدَرُ
رَماني زَماني بالفِراق فغرَّني ... على مِثل مَنْ فارقتُ عَزَّ التَّصَبُّرُ
وأَضْمَرْتُ أَشجاني ودمعي مُظْهِرٌ ... وأَسْرَرْتُ هِجْراني وحالي تُخَبِّر
فَمِن أدمُعي ماءٌ يَفيضُ ويَهْمُر ... ومن أَضْلُعي نارٌ تفُور وتَسْعَر
فجِسْميَ مُصْفَرٌّ وفَوْديَ أَبيضٌ ... وعَيْشِيَ مُغْبَرٌّ ودَمْعِيَ أَحْمَرُ
وحين دنا التَّوديع ممَّن أحِبُّه ... وحان الذي ما زلتُ منه أَحَذَّرُ
ونادى صِحابي بالرَّحيل وأزْمَعوا ... وسارت مطاياهمْ وظِلْتُ أُقَهقِر
وألْوى إليه الجيد حتى وجَعْته ... وظلَّ فؤادي لَوْعَةً يَتَفَطَّر
وقفتُ لأقضي زَفْرةً وصبابة ... ولا أَنْثَني فالموت أَجدى وأَجْدَرُ
ولو أنني بعتُ الحياة بنظرةٍ ... لأَبْتُ وحظِّي فيه أوْفى وأوْفَرُ
وما باخْتِياري إنما قَدَرٌ جرى ... رضيتُ بما يَقْضي الإله ويُقْدرُ
حَنيني إلى مَغْنى الجمال مواصل ... وشوقي إلى مَغْنى الجمال مُوَفَّر
وغيرُ جميل أن يُرى عن جمالها ... فؤادي صَبُورًا والمَسيرُ مُيَسَّرُ
أيَصْبُر ظمآنٌ يُغال بغُلَّة ... وفي روضة الرِّضوان شَهْدٌ وكوثر؟
فيا عَيْنَها الزَّرقاءَ إنَّ عُيونها ... من الحُزن فيضٌ بالنَّجيع تُفَجِّر
سأقطع لَيلي بالسُّرى أو أزورُها ... وأَحمي الكَرَى عينًا لبعدك يظهر
وأُنضِي المطايا أو أوافيَ رَبْعها ... فتُنْجِدُني طَوْرًا وطورًا تُغَوِّر
حظَرتُ على نفسي الحِذار من الرَّدى ... أَتَحْذَرُ نَفْسُ الحبيب تُسيِّرُ؟
أَيُنكر تَغْرير المَشوق بنفسه ... وقد علموا أنَّ المُحبَّ مُغَرَّر؟
وقفتُ على فَتْوى المحبِّين كلِّهمْ ... فلم أجد التَّغرير في الوَصْل يُنكر
وإني إذا ما خَطْرَة خَطَرت قَضَتْ ... بِهَمِّي وعَزْمي هِمَّةٌ لا تُؤَطَّرَ
أُقيمُ فألْفي بين عَيْنيَّ هِمَّتي ... وسَيْريَ في سُبْل العُلا ليس يُنكر
إذا ما بَدَت لِلعين أعلام طَيبةَ ... ولاحتْ قِبابٌ كالكواكب تَزْهَر
ولِلقُبَّة الزَّهراءِ سَمْكٌ سَما عُلًا ... وراق سَنًى كالشمس بل هو أزهَرُ
لها مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّواظر والنُّهى ... لها ساكنٌ من نوره البَدْرُ يبدُر

فأعْرِجوا[١] على أهْلِ[٢] الكمال وسلّموا سَلِمْتمْ ويُلّغتمْ مُناكمْ فأبْشِروا
بنفسيَ لا بالمال أرْضَى بِشارة إذا لاح نورٌ في سَناها مُبَشِّر
وما قَدْرُ نَفْسي أن تكون كفاءً[٣] ولكنها جُهْد المُقِلّ فأعْذَر
أقول إذا أوْفَيْتُ أكرم مُرْسلٍ قِرايَ عليكمْ أنَّ ذنبيَ يُغْفَر
وأحْظى بتَقْريب الجِوار مُكَرَّمًا وأصفحُ عن جَوْر البعاد وأعذَر
وأرْتَع في ظلّ الجِنان منعَّمًا وأمْني بقُرْبٍ من حِماك وأُجْبَرُ
هُناك هناك القُرْب فانْعِمْ بنَيْله بحيث ثَوى جِسْمٌ كريمٌ مُطَهَّرُ
ودَعْ عنك تَطْواف البلاد وخَيِّمْ[٤] بطَيْبَةَ طابَتْ فَهْيَ مِسْكٌ وعَنْبَرُ
فَخَرْتُ بمَدْحي للنّبيّ محمد ومِنْ مَدْحه المدّاح يزهى ويفخر
أطلتُ وإنّي في المديح مُقَصِّر فكلُّ طويلٍ في معاليك يَقْصُرُ
ما بَلَغَتْ كفُّ امرىء متناول بها المجدَ إلّا والذي نِلْتَ أكبرُ
وما بلغ المُهدون في القول مِدْحةً وإن أطنَبوا إلّا الذي فيك أفْخَرُ
عليك صلاةُ الله ما مَرَّ سبق إليك وما هبَّ النّسيم المُعَطّرُ

وقال يرثي ابنا نجيبًا ثَكِلَهُ بغرناطة: [الطويل]

شبابٌ ثَوى شابتْ عليه المفارق وغُصْن ذَوى تاقت إليه الحدائقُ
على حين راق النّاظرين بسوقه رَمَتْه سهامٌ للعيون رَواشق
فما أخْطَأَت منه الفؤادَ بعَمْدها فلا أبْصَرَتْ تلك العيون الرّوانق
وحين تَدانَى للكمال هِلالُه ألَمّ به نَقْصٌ وجَدّت مَواحق
إلى الله أشكو فَهْوَ يُشْكي نوازعًا عَظامًا سطاها للعِظام عَوارِق
ولا مثلُ فُقْدان البُنيّ فجيعةٌ وإن طال ما لجّت وجلّت بوائق
محمدُ إنّ الصَّبْر صَبْرٌ وعلقمٌ على أنه حُلْو المثُوبة سابق
فإنْ جَزَعًا فالله للعَبْد عاذِر وإن جَلَدًا فالوعد لله صادق
وتالله ما لي بعد عَيْشِك لذّةٌ ولا راقني مَرْأى لِعَيْنيَ رائق

---

(١) في الأصل: «فعرّجوا» وكذا ينكسر الوزن. وأعرجوا: ادخلوا في وقت غيبوبة الشمس. محيط المحيط (عرج).

(٢) في الأصل: «كمل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «كفًا»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «وخَيّمن».

فَأنِي به والمُذْكِرات عديدةٌ ... فتُبْلَ وهَمٌّ للعوائد خارق

فإنْ ألْتَفِتْ[1] فالشخصُ للعين ماثلٌ ... وإنْ أسْتَمِعْ فالصَّوتُ للأُذْن طارق

وإن أدْعُ شخصًا باسمه لضرورة ... فإنَّ اسْمَكَ المحبوبَ للنُّطق سابق

وإن تقرعِ الأبوابَ راحةُ قارعٍ ... يَطِرْ[2] عندها قلبٌ لِذِكْرك خافق

وكلُّ كتاب قد حويتَ فمُذْكِرٌ ... وآثاره كلٌّ إليك توائقُ

سَبَقْتَ كهولًا[3] في الطُّفولة لا تَني ... وأرْهَقْتَ أشياخًا وأنت مُراهقُ

فلو لَمْ يُغِلْك الموتُ دُمْتَ مُجَلِّيا ... وأقبل سِكُيتًا وجيئًا[4] ولاحِق

على مَهَلٍ أحْرَزْتَ ما شئتَ ثانِيًا ... عِنانَك لا تَجْهد وأنت مُسابق

رأتك المنايا سابقًا فأغَرْتَها ... فجُدَّ طِلابًا إنَّهن لَواحق

لَئنْ سُلِبَتْ منِّي نفيسُ ذخائر ... فإنِّي بمذخُور الأُجُور لواثق

وقد كان ظَنِّي أنَّني لك سابقٌ ... فقد صار عِلمي أنَّني بك لاحق

غَريبين كُنَّا فرَّق البَيْنُ بيننا ... فأبْرَحُ ما يَلْقى الغريبُ المُفارق

فَبَيْنٌ وبُعْدٌ بالغريب توكَّلا ... قد رعى بما حَمَلْتُ والله ضائق[5]

عسى وطنٌ يَدْنُو فتدنُو له[6] مُنًى ... وأيُّ الأماني والخطوبُ عوائق؟

فلولا الأسى ذاب الفؤاد من الأسى ... ولولا البُكا لم يَحْمل الحُزنَ طائق

فخطُّ الأسى خطًّا تروقُ سطورُه ... وتَمْحو البكا فالدَّمع ماحٍ وساحق

فيا واحدًا قد كان للعين نُورها ... عليك ضِياءٌ[7] بَعْدَ بُعْدك غاسق

عليك سلام الله ما جَنَّ ساجعٌ ... وما طَلَعَتْ شمسٌ وما ذرَّ شارق

وما هَمَعَتْ سُحْبٌ غَوادٍ روائحٌ ... وما لَمَعَتْ تَحْدُو الرُّعودَ بوارق

وجاد على مثواك غيثٌ مُرَوِّضٌ ... عبادٌ[8] لِرِضوان الإله موافق

---

(١) في الأصل: «فأين التفتُّ» وكذا لا يستقيم المعنى والوزن.

(٢) في الأصل: «يطير» وكذا ينكسر الوزن، والوجوب جزمه لأنه جواب الشرط.

(٣) في الأصل: «كهولةً» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «وجيئةً» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٦) كلمة «له» ساقطة في الأصل.

(٧) في الأصل: «تلُّ ضِيا» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.

(٨) في الأصل: «عبّاد» بتشديد الباء، وكذا ينكسر الوزن.

محنته: تعرّض إليه قومٌ يوم قَتْلِ صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذاعة قبيحة، وأُسمع كل شارق من القول على ألسنة زَعانفة فجّر وتَرَهم القتيلُ، فتخلّص ولا تَسَلْ كيف، وأزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، في اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد وعشرين وسبعمائة. ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفُتوح بالرّوضة المعروفة بمطْرح الجنّة، التي اشتملت على العلماءِ والصلحاءِ والفضلاءِ، من الغرباءِ الواردين مدينة فاس، وكان مولده بسبتة عام سبعة وخمسين وستمائة.

محمد بن علي بن هاني اللّخمي السّبْتي[١]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.

حاله: كان، رحمه الله، فريدَ دهره في سمُوّ الهمّة، وإيثار الاقتصاد والتّحلّي بالقناعة، وشُموخ الأنْفِ على أهل الرّئاسة، مُقتصرًا على فائدة رَبْع له ببلَده، يتَبلّغ مع الاستقامة، مع الصّبْر والعمل على حفظ المروءة، وصَوْن ماءِ الوَجْه، إمامًا في علم العربيّة، مبرّزًا متقدّمًا فيه، حافظًا للأقوال، مُستوعبًا لطريق الخلاف، مُستحضرًا لحُجَج التّوجيه، لا يُشَقُّ في ذلك غُباره، ريّان من الأدب، بارع الخَطّ، سهلَ مَقادة الكلام، مُشاركًا في الأصْلين، قائمًا على القِراءات، حَسن المجلس، رائق البِزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرسُّل، متوسط النّظم، كثير الاجتهاد والعكوف، مليح الخُلق، ظاهر الخشوع، قريبَ الدّمعة، بيته شهير الحسَب والجَلالة.

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصُّه[٢]: عَلَمٌ تشير إليه الأكُفُّ[٣]، ويُعْمَلُ إلى لقائه الحافر والخُفُّ[٤]، رفع للعربيّة ببلده رايةً لا تتأخر، ومرَج منها لُجّة تزْخَر، فانفسح مجالُ درسِه، وأثمرت أدْواحُ غَرْسِه، فركَضَ بما[٥] شاء وبرَح، ودوّن وشرَح، إلى شمائل تَمَلّك[٦] الظَّرفُ زمامها، ودُعابة راشَت الحلاوة سِهامها. ولمّا أخذ المسلمون في مُنازلة الجَبَل[٧] وحِصاره، وأصابوا الكُفر منه بجارِحة

---

(١) ترجمة ابن هاني اللخمي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١).
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١ ـ ٣٨٢).
(٣) قوله: تشير إليه الأكُفّ: كناية عن الشهرة.
(٤) يُعْمَل إلى لقائه الحافر والخُفّ: كناية عن أنه مقصود من كل الناس.
(٥) في النفح: «ما».
(٦) في المصدر نفسه: «يملك».
(٧) يقصد جبل طارق أو جبل الفتح.

أبصاره، ورَمَوا بالثُّكل فيه نازحَ أمْصاره، كان ممّن انتُدب وتَطوّع، وسمع النّداء فأهطع[١]، فلازمه إلى أن نَفد لأهله القُوت، وبلغ من فسحة[٢] الأجل الموْقوت، فأقام الصَّلاة بمحرابه، وقد[٣] غيَّر مُحيّاه طولُ اغترابه، وبادَرَه الطّاغية قبل أن يستقرّ نصلُ الإسلام في قِرابه[٤]، أو يَعْلَق أصلُ الدِّين في تُرابه. وانتُدب إلى الحصار به وتبرّع، ودعاه أجَلُه فَلَبّى وأسرع. ولمّا هَدَرَ عليه الفَنِيق[٥]، وركعت إلى قِبلته المجانيق[٦]، أُصيب بحَجَر دوّم عليه كالجارح المُحَلِّق، وانقضَّ إليه انقضاضَ البارق المتألِّق، فاقْتَنَصه واخْتَطفه، وعمد إلى زهْره فقَطَفه[٧]، فمضى إلى الله طَوْع نيّته، وصَحِبَتْهُ غَرابة المنازع حتى في مَنِيّته[٨].

مشيخته: قرأ على الأستاذ العلّامة أبي إسحٰق الغافقي، وعلى الأستاذ النحوي أبي بكر بن عُبيدة، واعتمد عليه، وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بنُ خُريث.

تواليفه: ألّف[٩] كُتبًا، منها[١٠] كتاب «شرحُ التّسهيل لابن مالك»، وهو أجلّ كتبه، أبْدَع فيه، وتنافس الناس فيه. ومنها[١١] «الغُرّةُ الطّالعة في شعراء المائة السابعة»، ومنها[١١] «إنشاد الضُّوَّال، وإرشاد السُّؤّال في لحن العامة»، وهو كتاب[١٢] مفيد، و[١١]«قوت المُقيم». ودوّن ترسّل[١٣] رئيس الكتّاب أبي المُطَرِّف بن عُميرة وضمّه في سِفْرين. وله رجز[١٤] في الفرائض مفيد.

شعره: حدّثنا[١٥] شيخُنا القاضي الشّريف، نسيجُ وحده، أبو القاسم الحسني، قال: خاطبت الأُستاذ أبا عبد الله بن هانىء، رحمه الله، بقصيدة من نظمي أولها[١٦]:

---

(١) أهطع: أسرع. لسان العرب (هطع). (٢) في الأصل: «فتحة» والتصويب من النفح.

(٣) في النفح: «وحيّاه وقد. . .».

(٤) القِراب: جفن السيف وغمده. لسان العرب (قرب).

(٥) في الأصل: «الفتيق» والتصويب من النفح. والفنيق: الفحل من الإبل. لسان العرب (فنق).

(٦) في النفح: «وركع إلى قبلة المنجنيق». (٧) في النفح: «فاقتطفه».

(٨) في النفح: «أمنيته». (٩) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٢).

(١٠) في النفح: «منها شرح «تسهيل الفوائد» لابن مالك، مبدع تنافس الناس فيه. . .».

(١١) في النفح: «وكتاب». (١٢) كلمة «كتاب» ساقطة في النفح.

(١٣) في النفح: «ترسيل أبي المطرّف. . .». (١٤) في النفح: «جزء».

(١٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٢) وجاء فيه: «وحدّثني شيخنا الشريف القاضي أبو القاسم قال: خاطبت ابن هانىء بقصيدة. . .».

(١٦) الشعر في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

[البسيط]

هاتِ[١] الحديثَ عن الرَّكْبِ[٢] الذي شَخَصا

فأجابني عن ذلك بقصيدة في رَوِيِّها[٣]:

لولا مَشيبٌ بِفَوْدي للفؤاد عَصى ... نَضَيْتُ[٤] في مَهْمَهِ التَّشْبيب لي قُلُصا[٥]

واستوقفتْ عَبَراتي وَهْيَ جاريةٌ ... وَكْفاءُ تُوهِمُ رَبْعًا للحبيب قَصا

مُسائلًا عن لَياليه التي انْتَهَزَتْ ... أيدي الأماني بها ما شئتَه فُرَصا

وكنتُ جاريتُ فيها مَن جرى طَلَقًا ... من الإجادة لم يُحْجِمْ[٦] ولا نَكَصا

أصابَ شاكِلةَ المَرْميّ حين رَمَى ... من الشَّوارد ما لولاه ما اقْتَنَصا

ومن أعدَّ مكان النَّبْلِ نُبْلَ حِجًا ... لم يَرْضَ إلّا بأبكارِ النُّهى قَنَصا

ثم انْثَنى ثانيًا عِطْفَ النَّسيبِ إلى ... مَدْحٍ به قد غلا ما كان قد رَخُصا

فظلْتُ أرفلُ فيها لِبْسَةً شَرُفَتْ ... ذاتًا ومُنتَسَبًا أعْزِزْ به قُمُصا

يقولُ فيها وقد خولتُ مِنحتها ... وجَرَّعَ الكاشحُ المُغْرَى بها غُصَصا[٧]

هذي عَقائلُ وافتْ منكَ ذا شَرَفٍ ... لولا أياديه بِيعَ الحَمْدُ مُرْتخصا

فقلتُ: هلّا عكستَ القولَ منك له ... ولم يكنْ قابلًا من[٨] مَدْحه الرُّخَصا؟

وقلتَ: ذي بِكْرُ فِكْرٍ من أخي شرفٍ ... يُرْدي ويُرْضي بها الحُسّادَ والخُلَصا

لها حُلًى حُسَنِيّاتٌ على حُلَلٍ ... حُسَنِيَّةٍ تَسْتَبي مَنْ حَلَّ أو شَخَصا

خوّلْتها وقد اعتزَّتْ ملابسها ... بالبَخْتِ ينقادُ للإنسان ما عَوِصا[٩]

خُذْها أبا قاسم منّي نتيجةَ ذي ... وُدٍّ إذا شِئْتَ وُدًّا للورى خَلَصا

جاءت تجاوبُ عمّا قد بعثتَ به ... إن كنتَ تأخذُ من دُرِّ النحورِ حَصا

---

(١) في الأصل: «هلُمَّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «الكَرْب» والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «فأجابني بقصيدة على رويّها أولها».
(٤) في النفح: «أنضيت».
(٥) القُلُص: جمع قلوص وهي الناقة. لسان العرب (قلص).
(٦) في النفح: «لم يجمح».
(٧) جَرَّع: سَقَى. والكاشح: المبغض. والغُصَص: جمع غصّة وهي عدم انسياغ الطعام في الحلق. لسان العرب (جرع) و(كشح) و(غصص).
(٨) في النفح: «في».
(٩) عَوِصَ: صعب. لسان العرب (عوص).

وهي طويلة. وممّا ينسب إليه، وهو مليح في معناه[١]: [الكامل]

ما للنّوى مُدّتْ لغير ضرورة ... ولِقَبْلِ ما عهدي بها مَقْصورَهْ
إنّ الخليل وإنْ دَعَتْه ضرورةٌ ... لم يَرْضَ ذاك فكيف دون ضرورَهْ

وقال مضمّنًا: [الرمل]

لا يَلُمني عاذِلي حتى يرى[٢] ... وَجْهَ من أهوى فلَوْمي مستحيلْ
لو رأى وَجْهَ حبيبي عاذلي ... لَتَفارَقْنا على وجْهٍ جميلْ

وقال في الفخر: [الكامل]

قُلْ للمُوالي: عِشْ بغِبْطةِ حامدٍ ... وللمُعادي: بِتْ بضغْنةِ حاسدِ
المُزْن كفّي والثُريّا هِمّتي ... وذُكاءُ[٣] ذِكْري والسُّعودُ مقاصدي[٤]

وقال في غير ذلك: [البسيط]

غَنِيتُ بي دون غيري الدّهْرَ عن مَثَلٍ ... بَعْضي لبعضيَ أضْحَى يَضْرِبُ المثلا
ظَهْري انحنى لمشيبٍ لاح واعَجَبا ... غَضٌّ إذا أيْنَعَتْ أزهارُه ذَبُلا
أذاك[٥] أم زُهُرٌ لاحَتْ تُخَبِّرُ أنْ ... يوم الصِّبا والتّصابي آنَسَ الطِّفْلا

ومما جَمع فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخَنا القاضي الشريف أبا القاسم الحسني، عن القصيدة الهمزية التي ثبتت في اسمه[٦]: [الكامل]

يا أوْحَدَ الأُدباءِ أو يا أوحد الـ ... ـفضلاء أو يا أوحدَ الشُّرفاءِ
من ذا تراه أحَقَّ منك إذا التَوَتْ ... طرقُ الحِجاجِ بأن يجيب ندائي[٧]
أدبٌ أرقُّ من الهواءِ وإن تَشا ... فَمِنَ الهوا والماءِ والصَّهْباءِ
وألَذُّ مِنْ ظَلْم[٨] الحبيبِ وظُلْمه ... بالظّاءِ مفتوحًا وضَمِّ الظّاءِ
ما السِّحرُ إلّا ما تَصُوغُ بَنانُهُ ... ولِسانُهُ من حِلْيَةِ الإنشاءِ
[والفضلُ ما حَلَّيتَه وحَبَيتَه ... وحَبَوْتَني منه بخير حِباءِ

---

(١) هذان البيتان والبيتان التاليان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣).
(٢) في النفح: «لا تلمْني عاذلي حين ترى».
(٣) في الأصل: «وذكا» وهكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «مقاصد» بدون ياء.
(٥) في الأصل: «أذلك» وهكذا ينكسر الوزن.
(٦) بعض أبيات هذه القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤).
(٧) في الأصل: «نداء»، والتصويب من النفح.
(٨) الظَّلْم، بفتح الظاء وسكون اللام: الريق. لسان العرب (ظلم).

أبكارُ فكْرِك قد زُفَّتْ[1] بمِدْحَتي تمشي روائعها على استحياءِ
لا من قُصورٍ بل لتُقْصِيَها من حيثُ لم يَظْفَرْنَ بالإزْفاءِ
لكنْ جُبِرْنَ وقد جُبِلْنَ على الرضا فالجَبْرُ للأبكار للآباءِ
هذا إلى الشَّرفِ الذي قد فِزْتَ علياه[2] بالعِزّةِ القَعْساءِ
شرفُ السَّليل من الرسول وسيلةٌ قامت بإبنٍ[3] سَنًا وإبن[3] سَناءِ
حسنٌ أبو[4] حسنٍ وفاطمةُ ابنةُ الـ ـهادي البريَّةِ خاتَمِ النُّبلاءِ
شرفٌ على شرفٍ إلى شَرَفينِ منْ حائز[5] ما حُزْتَ من عَلْياءِ
هذي ثلاثٌ أنتَ واحدُ فَخْرِها فاشْمَخْ لها شرفًا بأنْفِ علاءِ
من رام رُتْبتك السَّنيَّةَ فَلْيَقِفْ دون المرام مواقفَ الإقصاءِ
هذي مآثرُ قد شَأَوْتَ بصيتها من كان من آبٍ لها أو شاءِ
والليثُ يُزهب زأرُه في موطنٍ ما كان من نَقَدٍ به أو شاءِ
يكفيك من نَكد المُعاند أن يُرى مُتَقَلِّدَ الأعضاءِ بالبَغْضاءِ
السِّنُّ يُفنى بالأنامل قرْعُهُ أو عَضُّه متوقِّدُ الأحشاءِ
أتحفْتَني بقصيدةٍ هَمْزِيَّةٍ مقصورةٍ ممدودةِ الآراءِ
كم بين تلك وهذه لكنَّها غطَّى على هذي ذهابُ فَتائي[6]
ذو الشيب يغذُره الشَّباب فما لهمْ بذكاءِ[7] نُبْلٍ أو بنُبْلِ ذكاءِ
من قارب الخمسين خَطْوًا سنُّه فمحالُه مستوجبُ الإبطاءِ
أبُنيَّ، إنك أنت أسْدى من به يتعاظمُ الآباءُ بالأبناءِ][8]
لله نفثةُ سحرٍ ما قد شِدْتَ لي من نفثِ سحرك في مشادِ ثناءِ
عارضْتَ طُفوانًا بها فأرَيْتَ ما يَسْتَعْظِمُ الرَّاوي له والرَّائي[9]
لو راءَ لؤلؤك المُنَظَّمَ لم يَفُزْ في[10] نظمِ لؤلؤه بغير عَناءِ

---

(١) في الأصل: «زُفَّفت» وهكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «من عليائه» وهكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «بابن» وهكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع للضرورة الشعرية.
(٤) في الأصل: «وأبو» وهكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «من ذا حاز...» وهكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «فتاءٍ» بدون ياء.
(٧) في الأصل: «بذكا» وهكذا ينكسر الوزن.
(٨) ما بين قوسين ساقط في نفح الطيب.
(٩) في الأصل: «والراءِ» والتصويب من النفح.
(١٠) في النفح: «من».

بَـوَّأتَـنـي مـنـهـا أَجَـلَّ مـبـوَّإٍ ... فلأَخْمَصي مُسْتَوطن[١] الجَوْزاءِ
وسَما بها اسْمي سائرًا[٢] فأنا بما ... أَسْدَيْتَ ذو الأسماءِ في الأسماءِ
وأَشَدْتَ ذِكْري في البلاد فلي بها ... طولُ الثَّناءِ وإنْ أَطَلْتَ ثَوائي[٣]
ولقَوْميَ الفَخْرُ المَشِيدُ بَنَيْتُهُ ... يا حُسْنَ[٤] تَشييدٍ وحُسْنَ بناءِ
فَلْيَهْنِ هانيهِمْ يَدٌ بيضاءُ ما ... إنْ مثلُها لك من يدٍ بيضاءِ
حَلَّيتَ أبياتًا لهمْ[٥] لَخميَّةً ... تُجلى على[٦] مُضَرِيَّةٍ غَرّاءِ
فَلْيَشْمَخوا أنفًا بما أوليتَهُمْ ... يا مُحْرِزَ الآلاءِ بالإيلاءِ

هذا[٧]، بُنيّ، وصل الله سبحانه[٨] لك ولي بكَ عُلُوّ المقدار، وأجرى وِفق أو فوق إرادتك أو[٩] إرادتي لك جاريات الأقدار! ما سَمَح[١٠] به الذهن الكَليل، واللسان الفَليل، في مراجعة قصيدتك الغرّاءِ، الجالِبة السَّراء[١١]، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية[١٢] بجوامع المطلوب، الحَسنة المَهْيَع[١٣] والأسلوب، المتَحلِّية بالحُلى السَّنِيَّة[١٤]، العريقة المُنْتَسب في العُلى الحسنيّة، الجالية صَدأ[١٥] قلوبٍ ران عليها الكَسَل، وخانها المُسْعِدان السُّوْل والأمل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو أقامت حَوْلها، شَكَتْ وَيْلَها وعَوْلَها، وحُرِمت من فَرِيضة الفضيلة عَوْلَها، وعَهْدي بها والزمان زمان، وأحكامُه[١٦] الماضية أمانيّ مَقْضيَّة وأمان، تتوارد أُلافها، ويجمع إجماعها وخلافُها، ويساعدها من الألفاظ كلُّ سهل مُمْتع، مفترقٍ مُجمعٍ[١٧]، مُستأنسٍ غريب، بعيد الغَوْر قريب، فاضح الحُلا، واضح العُلا، وضّاح الغُرّة والجبين، رافعٌ عمود الصبح المُبين، أيّد من الفصاحة بأياد، فلم يَحْفِلْ بصاحبِي طيٍّ وإياد، وكسي

(١) في النفح: «مستوطىء». (٢) في الأصل: «سائر» والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «ثواءِ» والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «بأحسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٥) في النفح: «له».
(٦) في الأصل: «بحلا عُلا» والتصويب من النفح.
(٧) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٧).
(٨) كلمة «سبحانه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٩) في النفح: «وإرادتي». (١٠) في النفح: «ما سنح».
(١١) في الأصل: «الجالية للسَّرّاء»، والتصويب من النفح.
(١٢) في النفح: «الموفية». (١٣) المَهْيع: الطريقة. لسان العرب (هيع).
(١٤) في الأصل: «الحسنية» والتصويب من النفح. (١٥) في النفح: «لصدإ القلوب».
(١٦) في النفح: «وأحكامها». (١٧) في النفح: «مجتمع».

بضاعة[١] البلاغة، فلم يعبأ بهمّام وابن المراغة[٢]. شفاءُ المحزون، وعلم السّرّ[٣] المخزون، ما بين مَنْثوره والموزون. والآن لا مُلْهج ولا مُبهج، ولا مرشد ولا منهج، عُكِسَت القضايا فلم تُنْتِجْ، فتبلّد القلب الذّكي، ولم يرشح القُلَيب البَكي[٤]، وعمّ الإفحام، وغمّ الإحجام، وتمكّن الإكداء والإجبال، وكُوِّرت الشّمسُ وسُيِّرَت الجبال، وعَلَتْ سآمة، وغَلَبَتْ نَدَامة، وارتفعت مَلامة، وقامت لنَوْعي الأدب قِيامة. حتى إذا ورد ذلك المُهْرَق، وفرّع غُصْنُه المُورق، تغنّى[٥] به الحمام الأَوْرَق، وأحاط بِعِداد عُداته الغَصَص والشَّرَق، وأمن من الغَضب والسَّرَق، وأقبل الأَمْنُ وذهب بإقباله الفَرَق، نفخ في صُور أهل المَنْظُوم والمَنْثُور، وبُعْثِر ما في القُبور، وحُصِّل ما في الصدور، وتراءت للأدب صُور، وعَمَرت للبلاغة كُوَر، وهَمَتْ لليراعة دِرَر، ونُظمت للبراعة دُرَر، وعندها يَتَبيّن[٦] أنك واحدُ حَلْبة البيان، والسّابق في ذلك الميدان، يوم الرِّهان، فكان لك القَدَم، وأقرّ لك مع التأخر السّابق الأقْدَم، فوحقّ نَصاعة أَلْفاظ أَجَدْتَها، حين أورَدْتها، وأَسَلْتَها حين أَرْسَلْتَها، وأَزَنْتَها حين وَزَنْتَها، وبراعةِ معانٍ سَلَكْتَها حين مَلَكْتَها، وأَرْوَيْتَها حين روّأْتها[٧] وأرْوَيتها، وأَصَلْتَها حين فَصَّلْتَها ووَصَلْتها[٨]، ونظام جعلتَه لجسد[٩] البَيان قَلْبًا، ولمِعْصَمِهِ قُلْبًا[١٠]، وهَصرْتَ حدائقه غُلْبًا، وارتكَبْتَ روِيّه[١١] صَعْبًا، ونِثار[١٢] أَتْبَعْته له خَديمًا، وصَيَّرْته لمُدير كأسِه نديمًا، ولحفظ[١٣] ذِمامه المُدَامِيّ أو مُدامه الذِّماميّ مُديمًا، لقد فَتَنْتني حين أَتَتْني، وسَبَتْني حين نَصَبَتْني[١٤]، فذهَبَتْ خفّتُها بوَقاري، ولم يَرُعْها بَعْدُ شَيْبُ عِذاري، بل دعت للتّصابي فقلت مرحبًا، وحَلَلْتُ لِفتْنتها الحُبا، ولم أحفل بشَيْب، وأَلْفَيْتُ ما رَدّ نِصابي نُصيب[١٥]، وإن كنّا فرَسَيْ رِهان، وسابِقَيْ حَلْبة ميدان، غير أنّ الجِلْدة

(١) في النفح: «نصاعة».
(٢) همّام: هو الفرزدق. وابن المراغة: هو جرير بن عطية.
(٣) في النفح: «سرّ».
(٤) في النفح: «ولم يرشح القلم الذكي».
(٥) في النفح: «وتغنّى».
(٦) في النفح: «تبين».
(٧) في النفح: «رَوَيْتها أو رَوّيْتها».
(٨) في النفح: «أو وصلتها».
(٩) في النفح: «بجسد».
(١٠) في الأصل: «والمعصمة قلمًا» والتصويب من النفح. والقُلْب: السوار. لسان العرب (قلب).
(١١) في الأصل: «روية» والتصويب من النفح. وهنا يشير إلى صعوبة القافية وإن كانت همزية، وهي غير صعبة.
(١٢) في الأصل: «ونثارًا» والتصويب من النفح.
(١٣) في النفح: «ولحفظه».
(١٤) في النفح: «اطّبَتْني».
(١٥) يشير هنا إلى قول نصيب [الوافر]
ولولا أن يقال صَبا نُصيبٌ ... لقلتُ بنفسيَ النشء الصغار =

بيضاءُ، والمرجوّ الإغضاء، بل الإرْضاء. بُنيّ، كيف رأيتَ لِلْبيان هذا الطَّوع، والخروجَ فيه من نَوْع إلى نوع؟ أين صَفْوان بن إدريس، ومحلُّ دَعْواه بين رِحلة وتعْريس[1]؟ كم بين ثُغاءِ بقر[2] هذا الفَلا، وبين زئير لَيْثِ العَريس؟ كما أني أَقْطَعُ[3] عِلْمًا، وأعْلم قَطْعًا، وأحكم مَضاءً وأمضى حُكمًا، أنه لو نُظر إلى قصيدتك الرّائقَة، وفَريدتك الحالية الفائقة، المعارَضَةُ بها قصيدتُه، المُنْتَسَخة بها فريدتُه، لذهب عرْضًا وطولا، ثم اعتقد لك اليَدَ الطُّولى، وأقرَّ بارتفاع[4] النّزاع، وذهبت له تلك العُلالات[5] والأطماع، ونسي كَلمته اللُّؤلؤية، ورجع عن دعواه الأدبيَّة، واستغفرَ الله ربّه من تلك الإلـٰهية[6]. بُنيّ، وهذا من ذلك، من الجَرْي في تلك المسالك، والتّبسُّط في تلك المآخذ والمتارك، أيَنزِع غيري هذا المَنْزَع؟ أم المَرْءُ بِشِعْره[7] وابنِه مُولَع؟ حيّا الله الأدب وبنيه، وأعاد علينا من أيّامه وسِنيه! ما أعلى مَنازِعَه، وأكْبا مُنازِعَه، وأجلَّ مآخذَه، وأجْهَل تارِكَه وأعْلَم آخذه، وأرقَّ طباعَه، وأحقَّ أشياعه وأتباعه، وأبْعَد طريقَه، وأسْعَد فريقَه، وأقْوَمَ نَهجَه، وأوثق نَسْجَه، وأسْمَح ألفاظه، وأفْصَح عُكاظه، وأصْدق معانيه وألفاظَه، وأحْمَد نِظامه ونِثاره، وأغْنى شِعاره ودِثاره، فعائبُه مَطْرود، وعايِبُه مَصْفُود، وجاهله مَحْصُود، وعالِمُه مَحْسُود، غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه عِلْمٌ ودليل، مَنْ ظَفِرَ بهما وَصَل، وعلى الغاية القصوى منهما[8] حَصَل، ومَنْ نَكَبَ عن الطريق، لم يُعَدَّ من ذلك الفَريق، فَلْيَهْنِكَ أيها الابن الذَّكيّ، البَرُّ الزّكيّ، الحبيبُ الحَفِيّ[9]، الصَّفِيّ الوَفيّ، أنك حاملُ رايته، وواصلُ غايته، ليس أوَّلوه وآخِروه لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يَطُولَ الكِتابُ، ويَنْحَرِفُ الشُّعراءُ والكُتّابُ، لفاضَتْ ينابيع هذا الفَصْل[10] فَيْضًا، وخَرَجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضًا، قرّتْ عُيونُ أودّائك[11]، ومُلِئَتْ غيظًا صدُور أعدائك، ورَقِيتَ دَرج الآمال، ووُقيتَ عَيْن الكمال، وحُفِظَ منصبُك العالي، بفضل ربِّك الكبير المتعالي. والسلام

= وترجمة نصيب في الأغاني (ج ١ ص ٣١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٢٢).

(١) التعريس: النزول ليلًا للراحة. لسان العرب (عرس).

(٢) في النفح: «بقر الفلاة وبين ليث الفريس». (٣) في النفح: «أعلم قطعًا، وأقطع علمًا».

(٤) في النفح: «فارتفع». (٥) في النفح: «العلاقات».

(٦) في النفح: «الألية». (٧) في النفح: «بنفسه».

(٨) في النفح: «منه».

(٩) الحفيُّ: الذي يبالغ في السؤال عن الشيء. لسان العرب (حفي).

(١٠) في النفح: «الفضل».

(١١) الأوداء: جمع ودود وهو المُحِبّ. لسان العرب (ودد).

الأتمّ[١] الأكمل الأعمّ، يخُصُّك به من طال في مَدْحه إرْقالَكَ وإغْذاذَكَ[٢]، وراد رَوْضُ حَمْده[٣] طلّك ورَذاذك، وغَدت مصالحُ سَعْيه في سعي مصالحك، وسينفعُك بحول الله وقوته وفَضْله ومِنّته مُعاذُك، ووَسَمْتَ نفسك بتلميذه فَسَمَتْ نفسُه بأنه أُستاذُك، ابن هانيء، ورحمة الله وبركاته.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الوَفْد من أهل بلده عند تصيُّرها إلى الإيالة النَّصرية، حسبما ثبت في موضعه.

وفاته: توفي بجبل الفتح، والعدوُّ يحاصره، أصابه حَجَرُ المنجنيق في رأسه، فذهب به، تقبّل الله شهادته ونفعه، في أواخر ذي قعدة، من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[٤].

وممّن رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أبو القاسم الحسني، وهي القصيدة التي أولها[٥]: [الطويل]

سَقَى الله بالخَضْراءِ أشلاءَ سُؤْددٍ ... تَضَمَّنَهُنَّ التُّرْبُ صَوْبَ الغمائمِ

وقد ثبت في «جُهد المُقِل» في اسم المذكور، فليُنظر هنالك.

وممّن رثاه شيخنا القاضي أبو بكر بن شِبْرين، رحمه الله بقوله[٦]: [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال اليَزيد[٧] ... فاصْبِرْ فَحُزْنُكَ لا يفيدُ
أوْدَى ابن هانيءٍ الرِّضا ... فاعتادني للثُّكْلِ عِيدُ
بَحْرُ العلوم وصَدْرُها ... وعَمِيدُها إذ لا عَمِيدُ
قد كان زَيْنًا للوُجو ... د فَفِيه قد فُجِعَ الوُجُودُ
العِلْمُ والتَّحقيق والتـ ... ـوفيق والحَسَبُ التَّليدُ
تَنْدى خلائقُه فَقُلْ ... فيها: هي الرَّوْضُ المَجُود

---

(١) في النفح: «الأتمّ الأنمّ الأكمل...».
(٢) الإرقال والإغذاذ: ضربان من السير السريع. لسان العرب (رقل) و(غذذ).
(٣) في النفح: «حمدك وابلك وطَلُّكَ ورذاذك».
(٤) في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨): «وكانت وفاته شهادة في أواخر ذي القعدة عام ثلاثة وسبعمائة».
(٥) البيت في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨).
(٦) قصيدة ابن شبرين في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩).
(٧) في النفح: «البريدُ».

مُغْضٍ عن الإخوان لا ... جَهْمُ اللقاءِ ولا كَنُود[١]
أَوْدَى شهيدًا باذلًا ... مجهودَهُ نِعْمَ الشَّهِيدُ
لم أَنْسَهُ حين المعا ... رفُ باسمه فينا تُشيد
وله صُبوبٌ في طِلَا ... بِ العلم يَتلوه صُعُود
لله وقتٌ كان يَنْـ ... ـظِمُنا كما نُظِمَ الفريد
أيامَ نَغْدو أو نَرُو ... ح وسَعْيُنا السَّعْي الحميد
وإذا المَشِيخةُ جُثَّمٌ ... هَضَباتُ حِلْمٍ لا تَبيد[٢]
ومُرادُنا جَمُّ النَّبا ... ت وعَيْشُنا خَضِرٌ بَرُود[٣]
لَهْفي على الإخوان والـ ... أتراب كُلُّهم فقيد
لو جئتُ أوطاني لأنـ ... ـكرني التَّهائم والنُّجود
ولَراعَ نفسي شيبُ مَنْ ... غادَرْتُهُ وَهْوَ الوَليد
ولَطُفْتُ ما بين اللُّحو ... د وقد تَكاثَرَتِ اللُّحُود
سَرْعانَ ما عاثَ الحِما ... مُ ونحن أيقاظٌ هُجُود
كم رُمْتُ إعمالَ المَسِيـ ... ـرِ فَقَيَّدَتْ عَزْمي قُيود
والآنَ أَخْلَقَتِ الوعو ... د وأَخْلَقَتْ تلك البُرُود
ما للفتى ما يَبْتَغِي ... والله[٤] يفعل ما يُريد
أعلَى القديمِ المُلْكِ يا ... وَيْلاه يَعْترِضُ العبيد
يا بَيْنُ، قد طال المدى ... أَرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يَزيد[٥]
ولكل شيءٍ غايةٌ ... ولربما لان الحَديدُ
إيهٍ أبا عبد الإلـ ... ـه ودونَنا مَرْمًى بعيدُ
أينَ الرسائلُ منك تأ ... تينا كما نُظِم[٦] العقود؟
أينَ الرُّسومُ الصالحا ... تُ؟ تَصَرَّمَتْ، أين العُهود؟

---

(١) الكَنُود: كافر النعمة، البخيل. لسان العرب (كند).
(٢) في النفح: «لا تميد».
(٣) في الأصل: «خَضِرُ البُرُودِ» والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «فالله».
(٥) في النفح: «أبرق وأرْعِد...». وقد أخذ المعنى من قول الكميت [مجزوء الكامل]:
أَرْعِدْ وأَبْرِقْ يا يزيـ ... ـدُ فما وعيدك بضائر
(٦) في النفح: «نُسِقَ».

أَنـعـمْ مـسـاءً لا تَـخَـطَّـتْـ ـكَ[١] الـبـشـائـرُ والـسُّـعُـود
وأَقْـدِمْ عـلـى دارِ الـرِّضـا حـيـث الإقـامـةُ والـخُـلـود
والْقَ الأحـبّـةَ حـيـث دا رُ الـمُـلْـك والـقَـصْـرُ الـمَـشِـيـد
حـتـى الـشَّـهـادةُ لـم تَـفُـتْـ ـك فَـنَـجْـمُـكَ الـنَّـجْـمُ الـسَّـعِـيد
لا تَـبْـعُـدَنْ وَعْـدًا[٢] لَوَ آنْ ـنَ الـمَـيْـتَ[٣] فـي الـدنـيـا يَـعُـود
ولـئـن[٤] بُـلِـيـتَ فـإنّ ذِكْـرَ كَ فـي الـدُّنـا غَـضٌّ جـديـد
تـالله لا تَـنْـسـاك أنْـ ـديـةُ الـعُـلـى مـا اخـضَـرَّ عُـود
وإذا تُـسُـومِـحَ فـي الـحـقـو قِ فَـحَـقُّـكَ الـحَـقُّ الأكـيـد
جـادَتْ صَـداكَ غَـمـامـةٌ يُـروى[٥] بـهـا ذاك الـصَّـعِـيـد
وتَـعَـهَّـدَتْـكَ مـن الـمُـهَـيْـ ـمِـن رحـمـةٌ أبـدًا وَجُـودُ

محمد بن يحيىٰ العَبْدري

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصَّدفي.

حاله: قال الأستاذ في «صلته»[٦]: إمامٌ في العربية، ذاكر لِلُّغات والآداب، متكلمٌ، أُصولي مفيد، مُتَفَنِّن، حافظ، ماهر، عالم، زاهد، ورعٌ، فاضل. أخذ عِلْم العربية والآداب عن النَّحوي أبي الحسن بن خروف، وعن النَّحوي الأديب الضَّابط أبي ذَرّ الخُشَني، وأكثر عنهما، وأكمَل الكتاب على ابن خروف، تَفَقُّهًا وتَقْييدًا وضَبْطًا. وكان حسن الإقراء، جيِّد العبارة، متين المعارف والدِّين، شديد الوَرَع، مُتواضعًا جليلًا، عالمًا عاملًا، من أجلّ من لَقِيتُه، وأجمَعِهم لفنون المعارف، وضُروب الأعمال، وكان الحِفْظ أغلبَ عليه، وكان سريع القَلَم إذا كتَب أو قيَّد، وسمعتُه يقول: ما سمعت شيئًا من أحد من أشياخي، من نُكتِ العِلْم، وتَفسير مُشْكلٍ، وما يرجع إلى ذلك، إلّا وقيَّدْتُه، ولا قَيَّدْتُ بخطِّي شيئًا إلّا حَفِظْتُه، ولا حَفِظْتُ شيئًا فنسِيتُه. هذا ما سمعت منه.

---

(١) في النفح: «لا تخطّيك».
(٢) في الأصل: «وَعْدٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في النفح: «البدء».
(٤) في النفح: «فلئن».
(٥) في النفح: «يرمي».
(٦) الأستاذ هو أبو جعفر بن الزبير، وكتابه هو: «صلة الصلة».

مشيخته: أخذ العربيّة عن الأُستاذ أبي الحسن بن خروف، وعن النَّحوي الأديب الضّابط أبي ذَرّ الخُشَني، وأكثر عنه، وأخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، ولازم ثلاثتهم، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح، وأخذ عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مرارًا بيَسير بضاعةٍ كانت لديه، يتّجرُ فيها، ودخل إشبيلية، وتردّد آخر عمره إلى غَرناطة ومالَقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفي، رحمه الله، شهيدًا بمَرْسى جبل الفتح. دخل عليهم العدوُّ فيه، فقاتل حين قُتل، وذلك سنة إحدى[١] وخمسين وستمائة. وسمعتُه يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة.

المحدِّثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولًا الأصليون

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير[٢]

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا[٣] الشيخ سِكِّيتُ حَلْبَة، ولدُ أبيه في عُلُوّ النَّباهة، إلّا أنه لَوْذَعي فكِه، حسن الحديث، رافضٌ للتّصنُّع، ركض طَرَف الشّبيبة في ميدان الراحة، مُنكِبًا عن سُنَن أبيه وقومه، مع شُغوفِ[٤] إدراك، وجودة حِفْظ، كانا يُطْمِعان والده في نجابته، فلم يَعْدَم قادحًا. ورحل إلى العُدْوة، وشرّق ونال حُظْوة، وجَرَتْ عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رَسْمه يَتَكوّر بها، وهو الآن قد نال منه الكِبَر، يُزْجي الوقت[٥] بمالَقة، متعلّلًا بوقفٍ[٦] من بعض الخِدَم المَخْزِنيّة[٧]، لطف الله به.

مشيخته: استجاز له والده الطِّم والرِّم، من أهل المغرب والمشرق، ووَقَف عليه منهم في الصِّغر وقفًا لم يغتبط به عمره، وادّكره الآن بعد أُمّةٍ، عندما نقّرَ عنه لديه، فأثْرَت به يده من عُلُوّ رواية، وتوفُّر سببٍ مبرّة، وداعيةٍ إلى إقالة عَثْرة، وسَتْر

---

(١) في الأصل: «أحد» وهو خطأ نحوي.
(٢) ترجمة ابن الزبير في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).
(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٣).
(٤) في النفح: «شغوف».
(٥) في النفح: «الوقته».
(٦) في النفح: «برمق».
(٧) نسبة إلى المخزن. وجاء في النفح: «المخزونية».

هَيْبةِ شَيْبَةٍ. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المِشدالي، إجازةً ثم لقاءً وسماعًا، والشيخ الخطيب الرَّاوية أبو عبد الله بن غريون. وأجازه الأُستاذ أبو إسحٰق الغافقي، وأبو القاسم بن الشَّاط، والشَّريف أبو العباس أحمد الحسني، والأُستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القُرشي، نزيل سبْتة. ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتاني الشَّاطبي ببجاية، والإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحَرام، وابن دَقيق العيد وغيرهم. ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السَّداد، وأبو جعفر بن الزيات، وأبو عبد الله بن الكمَّاد، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعَري، وأبو عبد الله بن بُرْطال، وأبو محمد عبد المنعم بن سِماك، والعَدْل أبو الحسن بن مَسْتَقور. وأجازه من أهل المشرق والمغرب عَالَمٌ كبير.

شعره: وبضاعته فيه مُزْجاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدْوة في غرض الرسالة عن السلطان[١]: [الوافر]

نوالي الشُّكْرَ للرحمٰن فَرْضا … عَلَمْ نِعَمٍ كَسَتْ طولًا وعَرْضا
وكم لله من لُطْفٍ خَفِيٍّ … لنا منه الذي قد شا[٢] وأَمْضى[٣]
بِمَقْدَمِكَ السَّعيدِ أتتْ سُعُودٌ … تنالُ[٤] بها نَعيمَ الدَّهر مَحْضا
فيا بُشرى لأندلسٍ بما قد … به والاك بارينا وأَرْضى
ويا لله من سَفَرٍ سعيد … قَدَ اَقْرَضْتَ[٥] المُهَيمنَ فيه قَرْضا
نَهضْتَ[٦] بنِيَّةٍ أخلَصْتَ فيها … فَأُبْتَ[٧] بكل ما يَبْغي ويَرْضى
وثُبْتَ لنُصرة الإسلام لمَّا … عَلِمْتَ بأنَّ الأمْرَ إليك أفْضى
لقد أَحْيَيْتَ بالتَّقْوى رُسُومًا … كما أرْضَيْتَ بالتَّمْهيد أَرْضا
وقُمْتَ بِسنَّةِ المختار فينا … تُمَهِّدُ سُنَّةً وتُقِيمُ فَرْضا
ورُضْتَ[٨] من العُلوم الصَّعْبَ حتى … جَنَيْتَ ثمارَها رَطْبًا وغَضّا

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢).
(٢) أصل القول: «شاء»، فحذف الهمزة للضرورة الشعرية.
(٣) في الأصل: «الذي يشاء... وأمضا»، أي في الأصل بياض مكان كلمة «قد»، والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «تنال» والتصويب من النفح.
(٥) في النفح: «قَدَ اَقْرَضك».
(٦) في النفح: «ورحت».
(٧) في الأصل: «فأُبْتُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٨) رُضتَ: ذلَّلت ومَهَّدت. لسان العرب (روض).

فرأيُكَ ناجحٌ[١] فيما تراه وَعَزْمُكَ من مَواضي الهنْد أمْضى

تُدبِّرُ أمرَ مولانا فيَلْقَى الـ ـمُسِيءُ لديك إشفاقًا وإغضا[٢]

فَأعْقَبْنا شِفاءً[٣] وانبِساطًا وقد كانت قلوبُ الناس مَرْضى

ومن أضْحَى على ظمإٍ وأمْسَى يَرِدْ إنْ شاءَ من نُعْماك حَوْضا[٤]

أبا عبد الإلـه إليكَ أشكو زماني حين زاد الفَقْرُ عضًا[٥]

ومِنْ نُعماكَ أستَجْدي لِباسا يَفيضُ[٦] به عليّ الجاهُ فَيْضا

بَقِيتَ مُؤَمّلًا تُرجى وتُخشى ومِثْلُكَ من إذا ما جاد أرْضى

وفاته: توفي في التاسع لمحرم من عام خمسة وستين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغسّاني

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، ويعرف بالقُلَيعي[٧]،

أوليته: قد جرى من ذكره وذكر بَيْته في الطبقات ما فيه كفاية[٨].

حاله: كان[٩] نبيه البيت، رفيع القَدْر، عالي الصيت، من أهل العِلْم والفضل والحَسَب والدِّين، وأجمع على اسْتِقْضائه أهلُ بلده بعد أبي محمد بن سَمْحون سنة ثمان وخمسمائة.

وفاته: توفي بغرناطة أوائل صفر عشرة وخمسمائة، ودفن في رَوْضة أبيه. ذكره ابن الصَّيرفي وأطْنَب.

---

(١) في النفح: «راجح».
(٢) إغضا: أصلها: إغضاء، فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.
(٣) في الأصل: «شِفًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في الأصل: «خوضًا» بالخاء والتصويب من النفح.
(٥) رواية عجز البيت في الأصل هكذا:
حين نابُ الفقر عَضّا
وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «تُفيض».
(٧) ترجمة القليعي في التكملة (ج ١ ص ٣٣٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥).
(٨) تقدمت ترجمة أبيه أحمد بن خلف في الجزء الأول من الإحاطة.
(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥) والتكملة (ج ١ ص ٣٣٥).

محمد بن أحمد بن محمد الدَّوْسي[1]

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، شيخ الفقهاءِ والموثّقين، صَدْرَ أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل والتّخلُّق والعدالة، طِرْفًا في الخير، مُحَبّبًا إلى الكافة، مجبولًا على المشاركة، مطبوعًا على الفضيلة، كَهْفًا للغُرباءِ والقادمين، مَألفًا للمتعلمين، ثِمالًا للأسرى والعانِين، تخلّص منهم على يَدَيْه أُممٌ؛ لقصد الناس إيّاه بالصّدقة، مقصودًا في الشّفاعات، مُعْتَمدًا بالأمانات، لا يُسْدَل دونه سِتْر، ولا تُحْجَب عنه حُرْمة، فقيهًا حافظًا، إخباريًا محدّثًا ممتعًا، متقدمًا في صناعة التوثيق، حسن المشاركة في غيرها، كثير الحضّ على الصدقة في المُحُول والأزمات، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها الضعفاء، وينقاد الناس لموعِظته، ويؤثّر في القلوب بصِدقه. فُقد بِفقدانه رَسْمٌ من رسوم البرّ والصّدقة.

مشيخته: قرأ على الأُستاذ الكبير أبي جعفر بن الزُّبير، والخطيب وليّ الله أبي الحسن بن فضيلة، وروى عن الشيخ الوزير المُسِنّ المحدّث أبي محمد عبد المنعم بن سماك، وأبي القاسم بن السّكوت المالقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشيد، والقاضي أبي يحيىٰ بن مسعود، والعَدْل أبي علي البَجْلي، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني. وأجازه جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة وستين وستمائة، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة. وكانت جنازته مشهودة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن رويبل الأنصاري

من أهل غرناطة، ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السّراج. طُليطلي الأصل، طبيبُ الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل التّفنّن والمعرفة، مُتناهي الأُبّهة والحُظْوة، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدُّعابة والمؤانسة، ذاكرًا للأخبار والطُّرَف، صاحب حظٍّ من العربية والأدب والتفسير، قارضًا للشّعر، حسن الخط،

---

(١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٧): «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدوسي...».

ظريف الوِراقة، طِرْفًا في المعرفة بالعُشْب، وتمييز أعيان النَّبات، سَنِيًا، محافظًا، مُحبًا في الصالحين، ملازمًا لهم، مُعْتَنِيًا بأخبارهم، مُتَلْمذًا لهم. انْحاش إلى الوَلي أبي عبد الله التُّونِسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودوَّن أحواله وكراماته. وعيَّن رَيْع ما يستفيده في الطِّبّ صدقة على يَدَيْه، أجرى ذلك بعد موته لبنيه. ونال حظًا عريضًا من جاه السلطان، فاطّرح حظَّ نفسه مع المساكين والمحتاجين، فكان على بأوِه على أهل الدنيا، يؤثر ذوي الحاجة، ويخِفُّ إلى زيارتهم، ويَرْفِدهم، ويُعينهم على معالجة عِلَلهم.

مشيخته: قرأ الطِّبّ على الشيخ الطبيب، نسيج وحده أبي جعفر الكَزْني، رئيس الصناعة في وقته، ولقي فيه الأستاذ إمام التَّعاليم والمعارف أبا عبد الله الرَّقوطي المُرْسي وغيره. وقرأ القرآن على المقرىء الشهير أبي جعفر الطبّاع بالروايات السّبع، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصائغ الإشبيلي، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلّامة أبي جعفر بن الزُّبير.

تواليفه: ألّف كتبًا كثيرة، منها في النَّبات والرؤيا، ومنها كتاب سمّاه، «السِّرُّ المُذاع، في تفضيل غَرْناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله مُلَغِّزًا في المَطَر: [الطويل]

وما زائرٌ مهما أتى ابْتَهَجَتْ به	نفوسٌ وعمَّ الخَلْقَ جودًا وإحسانا
يُقيمُ فيشكو الخَلْقُ منه مُقامَه	ويَكرُبهمْ طُرًّا إذا عَنْهُمُ بانا
يَسُرُّ إذا وافى ويَكْرُب إن نأى	ويُكْرَه منه الوصل إن زار أحيانا
وأعجبُ شيءٍ هَجْرُ حبّ مواصلٍ	به لم[1] يُطِلْ هواه إن لم يُطِلْ خانا

محنته: ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر[2] فجأة، وهو يُصَلِّي المغرب، وباكر الطبيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن الطعام القريبِ عَهْد موته بتَناوُله، فأُخْبر أنّه تناول كَعْكًا وَصَلَهُ من وليّ عهده، فقال كلامًا أوجَب نكبته، فامتُحن بالسّجن الطويل، والتُمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أُجلي إلى العُدْوة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفًا ما عَهِده من البرّ وفَقَده من التَّجِلّة.

ميلاده: بغرناطة عام أربعة وخمسين وستمائة.

---

(١) في الأصل: «حين»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ولي سلطنة غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَنين المُرِّي[(١)]

يكنى أبا عبد الله[(٢)]، وبيته معلوم.

حاله: كان من أهل المعرفة والنُّبل والذكاء.

مشيخته: قرأ القرآن على أبي بكر بن النَّفيس، وأبي عبد الله بن شُهيد المُرِّي المُقرىء بطخشارش من غرناطة. ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله بن مالك[(٣)] المقرىء، وأبي الحسن علي بن عمر بن أَضْحى، وعلى غيرهما من شيوخ غرناطة.

وفاته: توفي سنة أربعين وخمسمائة.

قلت: وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ألّا أذكر هذا النمط لمكان مُصاهرتي في هذا البيت. ولعلّ حافِدَ هذا المترجم به من ولدي يطَّلع على تَعْدادهم وذكرهم في هذا التأليف وتردادهم، فيكون ذلك محرّضًا له على النَّجابة، محرّضًا للإجابة، جعلنا الله ممَّن انتمى للعِلم وأهله، واقتفى من سُنَنِه واضحَ سُبُله.

محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم ابن حسّان القيسي[(٤)]

الوادآشي الأصل والمعرفة، التُّونسي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر.

حاله: من «عائد الصلة»: نشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرِّواية ونقَّب عن المشايخ، وقيَّد الكثير، حتى أصبح جَمّاعة المغرب، وراوية الوقت. ثم قدِم الأندلس ظريف النَّزْعة، عظيم الوقار، قَويم السَّمْت، يأوي في

---

(١) ترجمة ابن أبي زمنين في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٠١) وهو فيه: «محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله...».

(٢) كنيته في الذيل والتكملة: أبو بكر.

(٣) في الأصل: «ملك» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) ترجمة محمد بن جابر القيسي في التعريف بابن خلدون (ص ١٨) والديباج المذهب (ص ٣١١) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٢) و(ج ٧ ص ١٩٢).

فضل التَّعَيش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع والرِّواية، وانتقل إلى بَلِّش، فقرأ بها القرآن العظيم والروايات السَّبع، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرِّحلة الحجازية، وأَعْرَق، فلقي أُمَّةً من العُلماءِ والمحدِّثين، وأصبح بهم شيخَ وَحْده، انْفِساحَ رواية، وعُلُوَّ إسناد.

مشيخته: من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغمّاز الخَزْرجي البَلَنْسي، وقاضي الجماعة بها أبو إسحٰق بن عبد الرفيع، وقاضي قضاة الدِّيار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر الكِناني. وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغبْريني، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طرّاد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأصْبَحي، وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السّعدي المصري، ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري، وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، وأبو الفضل أبو القاسم بن حمّاد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبيد، وعبد الله بن يوسف بن موسى الخِلاسي، وعبد الله بن محمد بن هارون، وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التُّجيبي، وأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللُّبلي[1]، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعزُّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصَّفّار، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجُذامي الشاطبي، وعبد الرحمٰن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القيْرُواني، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القَبْتُوري[2]، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رَزين التُّجيبي، وأحمد بن موسى بن عيسى البَطِرْني[3]، وغرّ القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وصَدْر النحاة أبو حيّان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي المقدسي الدّلاصي، ورضيُّ

---

(١) نسبة إلى لبلة Niebla وهي مدينة في غرب الأندلس. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٢) نسبة إلى قبتور وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

(٣) نسبته إلى بَطَرْنة وهي قرية بساحل إلبيرة. نزهة المشتاق (ص ٥٦٤) وجغرافية الأندلس وأوروبا (ص ١٢٩) ومملكة غرناطة (ص ٢٨٨).

الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطَّبري، والمُعمَّر بهاءُ الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هِبَة الله بن عساكر الدمشقي. وأما مَن كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب.

قدم غرناطة في أول عام ستة وعشرين وسبعمائة، فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طارئ وغريب.

تواليفه: له تواليف حدِيثيّة جُمْلة، منها أربعون حديثًا، أغْرَب فيها بما دلّ على سَعَة خَطْوه وانفساح رَحْله.

وفاته: كان حيًا سنة أربعين وسبعمائة، وبلغني أنه توفي عام سبعة بعدها.

محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي[1]

من أهل إلبيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان[2] مُتكلّمًا، واقفًا على مذاهب المُتَكَلّمين، متحققًا برأي الأشعرية، ذاكرًا لكتب الأصول والاعتقادات، مشاركًا في الأدب، مقدَّمًا في الطِّبّ.

مشيخته: روى عن أبي جعفر بن محمد بن حكم بن باق، وأبي جعفر بن خَلَف بن الهيثم، وأبَوَي الحسن بن خَلَف العَبْسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمْدين، وأبوي عبد الله بن عبد العزيز المَوْري، وابن فرج مولى الطلّاع، وأبي العباس بن محمد الجُذامي، وأبي علي الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصَّفار، وأبي القاسم أحمد بن عمر. وأخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن المُرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن موسى الكلبي. وتأدّب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خَلَف بن يوسف بن فُرْتُون بن الأبرش.

مَن روى عنه: روى عنه أبو إسحٰق بن قرقول، وأبو خالد المرواني، وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسي، وأبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله بن سمعان، وأبو الوليد بن خيرة.

---

(١) ترجمة محمد بن خلف في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤) وبنفح الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

تواليفه: من تواليفه: «النُّكت والأمالي، في الرّد[1] على الغزالي»، و«الإيضاح[2] والبيان، في الكلام على القرآن»، و«الأصول[3]، إلى معرفة الله ونبوة الرسول» ورسالة «الاقتصار[4]، على مذاهب الأئمّة الأخيار»، ورسالة «البيان، في[5] حقيقة الإيمان»، والرّد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء الأول من مُقدِّماته، و«شرح مشكل ما وقع في الموَطّإ وصحيح[6] البخاري»، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وخمسمائة[7] في شوال منه، وبلغ في الكلام فيه إلى النُّكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: ألِّفْ في نور البَصيرة، فألّف في نور البَصَر تَنفع وتَنتفع، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جمُّ الإفادة، ثم أكمل النُّكت.

شعره: وكان له حظٌّ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا المعالي الجُويني[8]: [الخفيف]

حُبُّ حَبْرٍ[9] يُكنى أبَا للمعالي[10] ... هو ديني ففيه لا تعذلوني

أنا والله مُغْرَمٌ في هواه[11] ... عَلِّلوني بذكره عَلِّلوني

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وخمسمائة[12].

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخَوْلاني

غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشَّريشي[13].

---

(١) في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨): «في النقض».

(٢) كلمة «والإيضاح» ساقطة في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤).

(٣) في الأصل: «والوصول» والتصويب من التكملة والذيل والتكملة.

(٤) في التكملة والذيل: «الانتصار». (٥) في التكملة والذيل: «عن».

(٦) في التكملة «وكتاب».

(٧) في الأصل: «وستمائة» وهو خطأ، وصوبناه من الذيل والتكملة.

(٨) هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني، والبيتان في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٩) الحَبْر: العالِم، جمعه أحبار. لسان العرب (حبر).

(١٠) في الأصل: «أبا المعالي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المصدرين: «بهواه».

(١٢) جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥): «وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة».

(١٣) ترجمة أبي عبد الله الشريشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢٣٠)=

حاله: من أهل التَّصاوُن والحشمة والوقار، مُعْرِق في بيت الخَيْريَّة والعفَّة، وكان والده صاحبنا، رحمه الله، آيةً في الدُّؤوب والصَّبر على انتِساخ الدَّواوين العِلْمية والأجزاءِ، بحيث لا مَظِنَّة معرفة أو حُجرة طَلب تخلو عن شيءٍ من خطِّه إلّا ما يَقِلّ، على سكون وعدالة وانقِباض وصبر وقناعة. وأكتب للصِّبيان في بعض أطواره، ونشأ ابنه المذكور ظاهر النُّبل والخصوصيَّة، مشاركًا في فنون؛ من عربية وأدب وحساب وفريضة. وتصرَّف في الشهادة المَخْزَنيَّة برهة، ثم نُزِع عنها انقيادًا لداعي النَّزاهة، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: وشعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله[1]: [السريع]

بي شادنٌ أهيفُ مَهْمَا انْثنى ... يحكي تَثَنِّيه القضيبَ الرَّطيبْ
ذو غُرَّةٍ كالبَدْر قد أُطْلِعَتْ ... فوق قَضِيبٍ نابتٍ في كَثيبْ
خُضْتُ حَشا الظَّلْماءِ من حُبِّه ... أَخْتَلِسُ الوَصْلَ حِذارَ الرَّقيبْ
فبتُّ والوَصْلُ[2] لنا ثالثٌ ... يضُمُّنا ثوبُ عفافٍ قَشِيبْ
حتى إذا ما الليلُ ولَّى وقد ... مالتْ نجومُ الأُفْق نحو الغروب
وَدَّعْتُه والقلبُ ذو لَوْعةٍ ... أُسْبِلُ[3] من ماءِ جفوني غُروبْ
فلستُ أدري حين وَدَّعْتُه[4] ... قلبٌ بأضلاعي غدا أم قليب؟

ومن ذلك في النسيب[5]: [السريع]

يا أجْمَلَ الناسِ ويا مَنْ غَدَتْ ... غُرَّتُهُ تمحو سَنا الشمسِ
أَنْعِمْ على عَبْدِكَ يا مالكي ... دونَ اشتراءٍ ومُنَى نفسي
بأن تُرى وُسْطى لِعِقدي وأن ... تُعيدَ رَبْعي كاملَ الأُنْس
فإن تَفَضَّلْتَ بما أرتجي ... أَبْقيتني في عالم الإنس
وإن تكنْ تُرْجِعني خائبًا ... فإنني أُدْرَجُ في رَمْسي[6]

= و(ج ١٠ ص ٢٤، ١٣٦).

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) في الأصل: «وللوصل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «أسيل» والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أودعْتُه» والتصويب من الكتيبة.

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥).

(٦) في الأصل: «رمسِ» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

وقال في فضل العِلم[١]: [السريع]

يا طالبَ العِلْم اجتهدْ إنه ... خيرٌ من التّالد والطّارفْ

فالعلمُ يَذْكُو[٢] قَدْرُ إنفاقه ... والمالُ إنْ[٣] أنفقْتَه تالِفْ

وترقّى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فَوْقها من تَعْليم وَلَدِ السلطان، والرِّئاسة القرآنية بباب الإمارة، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة[٤]، حَميدُ الطريقة في ذلك كله، معروفُ الحق، تولّاه الله.

مولده: عام ثمانية عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن علي بن سُودة المُرّي

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نُبهاءِ بيُوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفُه البُشارّة[٥]، بشارّة بني حسّان، ووُلي جدُّه الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله: هذا الفتى من أهل الخُصوصيّة والسكون والحياء، المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستَظْهر على المُماسَّة في بعض أغراضها بالدؤوب والعكوف، المورِّين تأثير حبل الرَّكيَّة في جحرها، فتصدَّر للعلاج، وعانى الشِّعر، وأُرْسم في الكتابة، وعُدَّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطِلاحات الحكماءِ، وتشوَّف إلى العهد للرِّحلة الحجازية، والله يُيَسِّر قصده.

مشيخته: قرأ الطبَّ والتّعْديل على الحَبْر طبيب الدّار السُّلطانية، فارسِ ذَيْنك الفنَّين، إبراهيم بن زَرْزار اليهودي، ورَحل إلى العُدْوة، فقرأ على الشّريف العالم الشهير، رُحلة الوقت في المغرب، أبي عبد الله العَلَوي، وبلقائه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاد الحِمى صَوْب الغمام هُتُونه ... تُزجي البُروق سحابه فتُعينُهُ

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥). (٢) في الكتيبة: «يزكو».

(٣) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) المراد القلعة الحمراء الملاصقة لقصر الحمراء.

(٥) البشارّة أو بشرّة أو البُشَّرات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

وسقى ديار العامرية بعد ما ... وافى بجَرْعاءِ[١] الكثيب مَعِينُهُ
يندى بأفنان الأراك كأنه ... عِقْدٌ تناثر بالعقيق ثمينُه
ومحى الكثيبُ سكوبَه فكأنه ... خطٌّ تطلّس ميمُه أو نونُه
حتى إذا الأرواح هَبَّتْ بالضُّحى ... مسحتْ عليه بالجناح تُبينه
وكأنّه والرعد يحدو خلفه ... صَبٌّ يطول إلى اللقاء حنينُه
أو سحُّ دمعي فوق أكناف اللّوى ... جادت بلؤلؤة النفيس عيونُه
والبرق في حُلل السّحاب كأنه ... مكنونُ سِرٍّ لم يَذِعْ[٢] مَضمُونُهُ
أو ثوبُ ضافيةِ الملابسِ كاعب ... عمدتْ بحاشية النُّضار تَزينُهُ
هنَّ الديار بِرامَةٍ لا دَهْرُها ... سَلِسُ القياد ولا العِتابُ يلينه
ولقد وقفتُ برَسْمها فكأنّني ... من ناحِل الأطلال فيه أكونُه
قلبي بذاك اللّوى خَلّفتُه ... ألوى بمُزْدَلِف الرِّفاق ظعينُه
لا تَسألِ[٣] العُذّال عني فالهوى ... هذا[٤] يخامر بالضُّلوع دفينه
إن يَخْفَ عن شرحي حديث زُمَيرتي ... فعلى الفنون فريضةٌ تُبينُه
عجبًا لدمعيَ لا يكفُّ كأنما ... جدوى أبي عبد الإله هُتُونه
مُحيي المكارم بعدما أودى بها ... زمنٌ تقلّب بالكِرام خَؤونُه
مولى الملوك عَميدُ كلِّ فضيلة ... عَلِق الزمان ثمينُه ومكينُه
يُضفي إلى داعي النّدى فيهزُّه ... وبملتقى الجَمْعين طال سكونه
من ذا يُسابق فضله لوجوده ... وبِلُجِّ فَيْض البحر فاض يمينه
إن تَلْقَه تَلْقَ الجمال وقاره ... والحلمُ طبعٌ والسّماحة دينُه
غَمَر الأنام نوالهُ ومَحا الضلا ... ل رشاده وجلا الظّلام جبينُه
أحْيا رسُومَ الدين وهي دَوارس ... ولطالما صَدَع الشكوك يقينُه
شمس الهدى حَتْفُ العِدا مُحْيي النّدا ... بحر الجِدا طول المدى تمكينه
ليثُ الشّرى غوث الورى قمر السُّرى ... سنُّ القِرى عَمُّ القُرى تأمينه
فليأسه يوم الوغى ولعزمه ... جاش الهِزَبْرُ إذا الهِزَبْرُ يخونُه

---

(١) في الأصل: «الجرعا» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «قد أذيع» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «تَسَلْ» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «ذا» وكذا ينكسر الوزن.

لا تَسألِ[١] الهيجاءَ عنه إنه ... يصلِ المرادَ كما تحبُّ ظنونُه
لو كان يُشغله المنام عن العُلا ... هجر المنامَ وباعدته جُفونه
وإذا تطاولت الملوك بماجد ... بمحمدٍ دون الأنام يكونُه
يا ابنَ الألَى نصروا الرسول ومَنْ بهمْ ... نَطَقَ الكِتاب فصيحُه ومُبينه
خُصُّوا ببيعته وحاموا دونَه ... نَهْجَ الرِّضا حتى تَقاوم دينه
أمعاضِدَ الإسلام أنت عميدُه ... وخليفةُ الرحمٰن أنت أمينُه
لم يبقَ إلّا من بسَيْفك طائعٌ ... ألفُنشُ[٢] في أقصى البلاد رهينه
وبجيشك المنصور لو لاقيْتَه ... أدرى بمُشْتَجر الرِّماح طعينُه
ولو اصْطَنَعْتَ إلى العدوِّ إدالة ... طاعَتْ إليك بلادُه وحصونُه
خُذْها إليك قصيدةً من شاعر ... حُلو الكلام مهذَّبٌ تَبْيينه
جعل القوافي للمعالي سُلَّمًا ... فجنى القَريضَ كما اقتَضَتْه فنونه
غطَّى هواه عقله واقتاده ... يُحصي النجوم جهالةً تَزْيينُه

ولو أخَذَتْه أيدي التحرير والنَّقد، لرُجي أن يكون شاعرًا، وبالجملة فالرجل معدود من السُّراة بَيْتًا وتخصُّصًا.

محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

مُنَكَّبي[٣]، الأصل، يكنى أبا عبد الله، طبيب الدّار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، فذًّا في الانطباع واللَّوْذَعية، حسن المشاركة في الطِّب، مليح المحاضرة، حَفِظَةً، طُلَعةً، مستحضرًا للأدب، ذاكرًا لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبي جعفر الكَزْني، وانتصب للعلاج، ثم انتقل إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، ووُلِّي الحِسْبة، ومن شعره يخاطب السلطان على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين جَمَعَتْهُم الخدمة ببابه يومئذ، وهم أبو الأصْبَغ بن سعادة، وأبو تمام غالب الشُّقوري: [الخفيف]

قد جمعنا ببابكمْ سَطْر عِلم ... لبلوغ المنى ونيل الإرادة

---

(١) في الأصل: «تسل» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «وألفنش»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو. وألفنش: هو Alfonso صاحب قشتالة.
(٣) نسبة إلى المُنَكَّب Almuñecar، وهي مدينة صغيرة في مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط. الروض المعطار (ص ٥٤٨).

وِمِنَ أسمائنا[١] لكم حُسْنُ فالٍ غالبٌ ثم سالمٌ وسعادة

وفاته: توفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنين[٢]

من أهل إلبيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الملاحي[٣]، قال: وُلّي الأحكام، وكان فقيهًا نبيهًا.

وفاته: توفي بغرناطة في عَشر الستين وأربعمائة.

قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر، فلينظر هناك إن شاء الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِين عدنان بن بشير بن كثير المُرّي

حاله: كان من كبار المحدّثين والعلماءِ الراسخين، وأَجلُّ وقته قدرًا في العلم والرّواية والحفظ للرّأي والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العُلماءِ، مُتفنّنًا في العلم، مضطلعًا بالأدب، قارضًا للشّعر، متصرفًا في حفظ المعاني والأخبار، مع النُّسك والزُّهد، والأخذ بسُنَن الصالحين، والتخلُّق بأخلاقهم. لم يزل أُمَّةً في الخير، قانتًا لله، مُنيبًا له، عالمًا زاهدًا صالحًا خيّرًا متقشّفًا، كثير التَّبتُّل والتَّزلُّف بالخيرات، مسارعًا إلى الصالحات، دائمَ الصلاة والبكاء، واعظًا، مذكرًا بالله، داعيًا إليه، ورِعًا، مُلَبّي الصدقة، معينًا على النّائبة، مواسيًا بجاهه وماله، ذا لسانٍ وبيانٍ، تُصغي إليه الأفئدة فصيحًا، بهيًّا، عربيًّا، شريفًا، أبيّ النفس، عالي الهمّة، طيّب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكيًّا، راسخًا في كل جمّ من العلوم، صَيْرفيًا جَهْبذًا، ما رُؤي، قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، وسمع بها من أحمد بن مطرِّف، ووَهَب بن مَسرّة الحِجاري، وعن أبان بن عيسى بن محمد بن دنيْر، وعن والده عبيد الله بن عيسى.

---

(١) في الأصل: «ومن أسمائنا» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) ترجمة ابن أبي زمنين في مطمح الأنفس (ص ٢٦٦) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٩٨).

(٣) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي، المعروف بالملاحي، صاحب كتاب «تاريخ علماء إلبيرة»، وقد توفي سنة ٦١٩ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب بعد قليل.

مَن روى عنه: روى عنه الزاهد أبو إسحٰق إبراهيم بن مسعود الإلبيري وغيره.

تواليفه: ألف كتاب المُغْرب في اختصار «المُدَوَّنة» ثلاثين جزءًا، ليس في المختصرات مثله بإجماع، والمُهَذَّب في تفسير «المُوَطَّإ»، والمُشْتمل في أُصول الوثائق، وحياة القلوب، وأنسُ الفريد، ومُنْتَخب الأحكام، والنصائح المنظُومة، وتفسير القرآن.

مولده: في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

وفاته: توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه الله ونفع به.

محمد بن عبد الرحمٰن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَّف ابن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايصي[1]

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان[2] وزيرًا جليلًا، فقيهًا رفيعًا، جوادًا، أديبًا، جيِّد الشعر، عارفًا بصناعة النَّحو والعَرُوض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرِّواية والدِّراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبي بكر بن عطيَّة، وأبي محمد بن عَتَّاب، وأبي الوليد بن رُشد القاضي الإمام، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمْجون.

شعره: من شعره قوله[3]: [السريع]

يا حُرقَةَ البَيْنِ كَوَيْتِ الحشا ... حتى أَذَبْتِ القَلْبَ في أَضْلُعِهْ
أَذْكَيْتِ فيه النَّارَ حتى غدا ... يَنْسَابُ ذاكَ الذَّوْبُ من مَدْمَعِهْ
يا سُؤْلَ هذا القلبِ حتى متى ... يؤسى برَشْفِ الرِّيقِ من مَنْبَعِهْ؟
فإنَّ في الشُّهْدِ شِفاءَ الورى[4] ... لا سيما إن مُصَّ[5] من مَكْرَعِهْ
والله يُدْنيني منكُمُ عاجلًا ... ويُبْلِغُ القلبَ إلى مَطْمَعِهْ

---

(١) ترجمة محمد بن عبد الرحمٰن بن هاني اللخمي في التكملة (ج ٢ ص ٥٤) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣).

(٣) الأبيات في نفح الطيب (ج ٥ ص ١٤٣).

(٤) في الأصل: «شفًا للورى» والتصويب من النفح.

(٥) في الأصل: «يصر» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من النفح.

مولده: ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في آخر[1] جمادى الأُخرى سنة ست وتسعين وخمسمائة.

محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد السلام بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الغساني[2]

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان محدِّثًا نبيلًا حاذقًا ذكيًا، وله شرح جليل على كتاب «الشّهاب»[3]، واختصارٌ حسن في «اقتباس الأنوار» للرُّشاطي. وكان كاتبًا وافر الحظّ من الأدب، يَقْرِض شعرًا لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب[4]: [الكامل]

الشَّعبُ ثمّ قبيلةٌ وعمارةٌ ... بَطْنٌ وفَخْذٌ والفَصِيلةُ تابعَهْ
فالشَّعب يَجمع[5] للقبائل كلّها ... ثم القَبيلةُ للعِمارةِ جامِعَهْ
والبَطْنُ تجمعه العمائرُ[6] فاعْلَمَنْ ... والفخذ تجمعه[7] البطونُ الواسعهْ
والفخذُ يجمع[8] للفصائل كلها[9] ... جاءَت على نَسَقٍ لها مُتَتابعهْ
فخُزيمةٌ شعبٌ وإنّ كِنانةً ... لَقَبيلةٌ عنها الفَصائلُ شائِعهْ[10]
وقُرَيْشُها تُسْمي العمارةَ[11] يا فتى ... وقُصَيٌّ بطنٌ للأعادي[12] قامِعهْ

---

(١) في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣): «توفي بغرناطة لسبع بقين من جمادى الآخرة...».
(٢) ترجمة محمد بن عبد الرحمٰن الغساني في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
(٣) ورد في التكملة أن هذا الكتاب سمّاه الغساني بمستفاد الرحلة والاغتراب.
(٤) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
(٥) في النفح: «مجتمع القبيلة».
(٦) في الأصل: «يجمعه العِمارُ» والتصويب من المصدرين.
(٧) في الأصل: «يجمعه» والتصويب من المصدرين.
(٨) في الذيل: «تجمع». (٩) في المصدرين: «هاكها».
(١٠) في الأصل: «شاسعة» والتصويب من المصدرين.
(١١) في الأصل: «تسمو العبارة»، والتصويب من المصدرين.
(١٢) في الأصل: «بَطْنُ الأعادي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

ذا هاشمٌ[١] فخذٌ وذا[٢] عبّاسُها   إلّا[٣] الفضيلة لاتُناطُ بسابِعة

مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وفاته: بمُرْسية في رمضان تسع عشرة وستمائة[٤].

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد ابن عبد الواحد بن حُرَيث بن جعفر بن سعيد بن محمد ابن حَقْل الغافقي[٥]

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملّاحة[٦] من قَنْبِ قَيْس من عمل إلبيرة، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملّاحي. وقد نقلنا عنه الكثير، وهو من المفاخر الغَرْناطية.

حاله: كان محدِّثًا راوية مُعْتنيًا، أديبًا، مؤرخًا، فاضلًا جليلًا. قال الأستاذ[٧] في «الصلة»: كان من أفضل الناس، وأحسنِهم عِشرةً، وأَلْيَنِهم كلمة، وأكثرهم مروءة، وأحسنِهم خَلْقًا وخُلُقًا، ما رأيت مثله، قدّس الله تربتَه. وذكره صاحب «الذيل»[٨] الأُستاذ أبو عبد الله بن عبد الملك، وأطنب فيه، وذكره المحدِّث أبو عبد الله الطنجالي، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبي محمد، وأبي القاسم بن بَشْكوال، وأبي العبّاس بن اليتيم، وعالَم كثير من غير بلده، ومن أهل بلده سوى أبيه، وعن أبي سليمان داود بن يزيد بن عبد الله السّعدي القلعي[٩]، لازمه مدة. وعن أبي خالد بن رَفاعة اللخمي، وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العَبْدري، وأبي جعفر عبد الرحمٰن بن

---

(١) في الأصل: «ذا ما ثمّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الذيل: «وما». (٣) في النفح: «أثر».
(٤) في التكملة: «وتوفي بمرسية في العشرة الأواخر من رمضان سنة تسع عشرة وستمائة».
(٥) ترجمة محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحي في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣) والوافي بالوفيات (ج ٤ ص ٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).
(٦) الملّاحة: قرية على بريد من غرناطة. التكملة (ج ٢ ص ١١٩) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).
(٧) هو ابن الزبير صاحب «صلة الصلة».
(٨) هو ابن عبد الملك المراكشي، صاحب كتاب «الذيل والتكملة» وقد ذكره، كما قلنا، في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣).
(٩) ترجمة داود بن يزيد السعدي القلعي في التكملة (ج ١ ص ٢٥٥) والوافي بالوفيات (ج ١٣ ص ٤٩٩) وبغية الوعاة (ص ٢٤٦).

الحسن بن القصير، وأبي بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن عطية المُحاربي، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن حَكَم الحصّار، وأبي عبد الله بن عَرُوس، وأبي الحسن بن كَوْثر، وأبي بكر الكَتُنْدي، وأبي إسحٰق بن الجلّا، وأبي بكر بن أبي زَمَنين، وأبي القاسم بن سمْجون، وأبي محمد عبد الصمد بن محمد بن يَعيش الغساني. وكان من المكثرين في باب الرّواية، أهل الضبط والتقييد والإتقان، بارعَ الخَطّ، حسن الوراقة، أديبًا بارعًا ذاكرًا للتاريخ والرجال، عارفًا بالأنساب، نقّادًا حافظًا للأسانيد، ثقةً عَدْلًا، مشاركًا في فنون، سياسيًا. وروى عنه الأستاذ، واعتنى بالرواية عنه. وقال الأستاذ: حدَّثني عنه من شيوخي جماعة، منهم القاضي العدْل أبو بكر بن المُرابط.

تواليفه: ألّف كتابه في «تاريخ علماءِ إلبيرة»، واحتفل فيه. وألّف كتاب «الشجرة في الأنساب»، و«كتاب الأربعين حديثًا»، و«كتاب فضائل القرآن،» و«برنامج روايته» وغير ذلك.

مولده: سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

وفاته: توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستمائة ببلده[1].

محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشُّقُوري، منسوبًا إلى مدينة شَقُورة[2] ومنها أهله، صاحبُنا طبيب دار الإمارة، حفظه الله.

حاله: هذا الرجل طِرْفٌ في الخير والأمانة، فذٌّ في حسن المشاركة، نقِيٌّ في حب الصّالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حَذِرٌ من التفريط، حريص على التّعلُّق بجناب الله، نشأ سابغ رداءِ العفّة، كثيفَ جِلْباب الصّيانة، متصدِّرًا للعلاج في زمن المُراهقة، مُعِمًّا، مُخوَّلًا في الصّناعة، بادي الوقار في سنّ الحشمة. ثم نظر واجتهد، فأحْرَز الشهرة بدِينه، ويُمْن نَقِيبته، وكثرة حِيطته، ولطيف علاجه، ونُجح تجربته. ثم كَلِفَ بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغْتَبط به، وشدَّ اليَدَ

---

(١) في التكملة (ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٠): «وتوفي لخمس خلون من شعبان سنة تسع عشرة وستمائة، وقال غيره: سنة عشرين». ومثله جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٨).

(٢) شقوره: بالإسبانية Segura de la Sierra، وهي مدينة من أعمال جيان بالأندلس. الروض المعطار (ص ٣٤٩).

عليه، وظهر له فضله، وهو لهذا العهد ببابه، حميدُ السيرة، قويم الطريقة، صحيح العَقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشدُّ الخلق حرصًا على سعادة من صَحِبه، وأكثرهم ثناءً عليه، وأصْرَحُهم نصيحة له، نبيلُ الأغراض، فَطِن المقاصد، قائمٌ على الصنعة، مُبِين العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلّم في طريقة الصُّوفية، عديم النظير في الفضل، وكرم النَّفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هُذَيل، ولازمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ الصُّوفي أبي مُهذّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بَرَكته.

تواليفه: ألّف كتبًا نبيلة، منها «تحفة المتوصل في صنعة الطب» وكتابًا أسماه «الجهاد الأكبر»، وآخر سمّاه «قمع اليهودي عن تعدّي الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدني بعد ممانعة واعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت رِكاب العِز أين ركابي ... فأبدى عِنادًا ثم ردَّ جوابي

ركابُك مَعْ سيري يسيرُ بسيره ... بغير حُلول مذ حَلَلْتَ جَنابي

فلا تلتفتْ سيرًا لذاتك إنما ... تسير بها سيرًا لغير ذهابِ

وهي متعددة.

مولده: ولد في عام سبعة وعشرين وسبعمائة.

محمد بن علي بن فرج القَرْبَلْياني(١)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلًا ساذِجًا، مشتغلًا بصناعة الطب، عاكفًا عليها عمره، محققًا لكثير من أعيان النَّبات، كَلِفًا به، مُتَعَيِّشًا من عُشبه أول أمره، وارتاد المنابِت، وسَرَح بالجبال، ثم تصدّر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كنانيشه على ركاكة خطّه، وعالج السلطان نصر المُسْتَقرّ بوادي آش، وقد طرق مَن بها مرضٌ وافد حمل علاجه المُشاقّحة لأجله، وعظُم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره، فطوّف

---

(١) نسبة إلى قَرْبَلْيان Grevillente، وهي قرية صغيرة بمقاطعة لقنت، كثيرة الزيتون. الروض المعطار (ص ٤٥٥).

القلب المبارك بمَبْراه. ثم رحل إلى العُدْوة، وأقام بمرّاكُش سنين عدّة، ثم كرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين، وبها هلك على أثر وصوله.

مشيخته: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قَرْبَلْيان بلد الدُّجن[١]، وأخذ الجِراحة عن فوج من مُحسني صناعة عمل اليَد من الرُّوح. وقرأ على الطبيب عبد الله بن سِراج وغيره.

تواليفه: ألّف كتابًا في النّبات.

وفاته: في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعمائة.

محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكوني[٢]

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش[٣].

حاله: رحل في فتائه، بعد أن شدا شيئًا من الطلب، وكَلِف بالرواية والتقييد فلقي مشيخةً، وأخذ عن جِلّة، وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقِباض والعفَّة، وأدخل الأندلس فوائد وقصائد، وكان ممن ينتفع به لو أمهلته المنية.

شعره: مما نسبه إلى نفسه من الشعر قوله[٤]: [المجتث]

يا مَنْ عليه اعتمادي ... في قِلِّ أمْري وكُثْرِهْ
سَهِّلْ عليّ ارتحالي ... إلى النّبيِّ وقَبْرِهْ
فذاك أقْصَى مُرادي ... من الوُجودِ بأسْرِهْ
وليس ذا بعزيزٍ ... عليك فامْنُنْ بيُسْرِهْ

ومن ذلك[٤]: [الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ ما لاحَ المَشيبُ بمفْرِقي ... أَميل لزُورٍ بالغُرور مصاغُ[٥]
وأرتاح لِلَّذاتِ والشَّيبُ مُنذرٌ ... بما ليس عنه للأنام مراغُ

---

(١) أي أن قربليان هذه كانت في أيام ابن الخطيب، أي في عهد بني نصر، سلاطين غرناطة، في أيدي النصارى، والدجن أو المدجنون هم المسلمون الذين كانوا يرزخون تحت حكم الإسبان.

(٢) ترجمة محمد بن علي السكوني في الكتيبة الكامنة (ص ٦١).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس، تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٦١).

(٥) في الكتيبة: «يصاغ».

ومَنْ لم[١] يَمُتْ قبل المشيب فإنه يُراعُ بهولٍ بعده ويُراعُ
فيا ربِّ وفِّقني إلى ما يكون لي به لـلذي أَرْجُوه منك بلاغُ

وفاته: توفي مُغْتَبطًا في وقيعة الطاعون عام خمسين وسبعمائة، خطيبًا بحصن قُمارش.

محمد بن سُودة بن إبراهيم بن سودة المُرّي

أصله من بُشُرّة غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من بعض التواريخ المتأخِّرة: كان شيخًا جليلًا، كاتبًا مجيدًا، بارع الأدب، رائق الشعر، سيّال القَريحة، سريع البديهة، عارفًا بالنّحو واللغة والتاريخ، ذاكرًا لأيام السّلف، طيّب المحاضرة، مَليح الشّيبة، حسن الهيئة، مع الدّين والفضل، والطّهارة والوقار والصّمت.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفَرَس، وغيره من شيوخ غرناطة. وبمالقة على الأُستاذ أبي القاسم السُّهيلي، وبجيّان على ابن يَرْبُوع، وبإشبيلية على الحسن بن زَرْقون وغيره من نُظَرائه.

أدبه: قال الغافِقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن سَهْل بن مالك، مُكاتبات ومُراجعات، ظهرت فيها براعتهُ، وشَهدت له بالتقدم يراعَتُه.

محنته: أصابَتْه في آخر عمره نكبةٌ ثقيلة، أُسِر هو وأولاده، فكانت وفاتُه أسفًا لما جرى عليهم، نفعه الله. توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة.

محمد بن يزيد بن رَفاعة الأموي البِيري

أصله من قرية طُرُش[٢].

حاله: طلب العلم وعنى بسمعه، ونسخ أكثر كتبه بخطِّه، وكان لُغَويًا شاعرًا، من الفقهاءِ المُشاورين الموثّقين، ووُلّي الصلاة بالحاضرة، وعُزِل، وسَرَد الصَّوم عن نَذْرٍ لَزِمه عُمْره.

---

(١) كلمة «لم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة الكامنة.

(٢) طُرُش: بالإسبانية Turro، وهي قرية على ضفة البحر بين المنكب وبلش مالقة. راجع مملكة غرناطة (ص ٧٠) ففيه دراسة عن هذه القرية مع ثبت بأسماء المصادر التي تحدثت عن تلك القرية.

مشيخته: سمع من شيوخ إلبيرة؛ محمد بن فُطيس، وابن عَمْريل، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص بن نجيح، وبقرطبة من عُبيد الله بن يحيىٰ بن يحيىٰ وغيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي علي البغدادي، في مَقْدَمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحكَم[١] أمر ابن الرِّماحِس عامله على كُورَتَي إلبيرة وبجّانة، أن يجيءَ مع أبي علي في وفد من وجوه رعيّته، وكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم، إلى أن تجاروا يومًا، وهم سائرون، أدب عبد الملك بن مَرْوان، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، وإنشاده بيت عَبْدَة بن الطبيب[٢]: [البسيط]

ثُمّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أَعرافُهنّ[٣] لأيدينا مَناديلُ

وكان الذّاكر للحكاية أبو علي، فأنشد الكلمة في البيت: أعرافُها[٤]، فلوى ابن رفاعة عِنانه منصرفًا، وقال: مع هذا يُوفد على أمير المؤمنين، وتُتَجشّم الرِّحلة العظيمة، وهو لا يقيم وَزْنَ بيت مشهور في النّاس، لا يَغْلط فيه الصّبيان، والله لا تَبِعْتُه خطوة، وانصرف عن الجماعة، ونَدَبه أميره ابن الرّماحس، ورامَه بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يعرِّفُه بابن رفاعة، ويصف ما جرى معه، فأجابه الحَكَم على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جَعَل في باديةٍ من بوادينا مَن يُخَطِّىء وفد أهل العراق، وابن رَفاعة بالرِّضا أولى منه بالسُّخط، فدعه لشأنه، وأقدم بالرَّجُل غيرَ منتقصٍ من تكريمه، فسوف يُعليه الاختبار أو يحطُّه.

وفاته: توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء.

---

(١) هو الخليفة الحكم بن عبد الرحمٰن الناصر، المعروف بالحكم المستنصر، حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

(٢) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وترجمته في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٦١٣) وبيته هذا قاله في الصعلكة، وهو في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٢) والشعر والشعراء (ص ٦١٤).

(٣) في الأصل: «أعراقهن» بالقاف، والتصويب من المصدرين. والأعراف: جمع عُرْف وهو شعر عُنق الفرس. محيط المحيط (عرف).

(٤) في الأصل: «أعراقها» بالقاف.

حاله: كان فاضلًا وقورًا، مشاركًا، خطيبًا، فقيهًا، مُجَوِّدًا للقرآن، قديمَ الطَّلب، شهير البيت، معروف التَّعيُّن، نَبيه السَّلف في القَضاء، والخطابة والإقراء، مضى عمره خطيبًا بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلَّب العدوُّ عليها، وباشر الحِصار بها عشرين شهرًا، نفعه الله. ثم انتقل إلى مدينة سَبْتَة، فاستقرَّ خطيبًا بها إلى حين وفاته.

مشيخته: قرأ على والده، رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ أبيه أبي عمر، وعباس بن الطُّفيل، الشهير بابن عَظيمة، وعلى الأُستاذ أبي جعفر بن الزُّبير، والخطيب أبي عبد الله بن رُشَيد بغرناطة عند قدومه عليها، والقاضي أبي المجد بن أبي الأحوص، قاضي بلده، وكتب له بالإجازة الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، وأجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد الله الطَّنجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو عثمان بن سعيد. وأخذ عن القاضي بسَبْتة أبي عبد الله الحَضْرمي، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حُريث، والمحدّث أبي القاسم التُّجيبي، والأُستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم، والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم، ابني يَرْبوع. قال: وكلُّهم لقيتُه وسمعتُ منه. وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُريث فإنه أجاز لي، ولقيته ولم أسمع عليه شيئًا، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المِشْدالي، والخطيب ابن عَزْمون وغيرهما، ممن تضمنه برنامجُه.

تواليفه: قال: وكان أحد بُلَغاء عصره، وله مُصنَّفات منها: «النَّفْحة الأَرَجِيَّة، في الغزوة المَرْجِيَّة»، ودخل غَرْناطة مع مثله من مشيخة بلده في البَيْعات، أظن ذلك.

وفاته: توفي في الطَّاعون بسبتة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

من أهل المريّة.

حاله: من بعض التَّقييدات، كان فتًى وسيمًا، وقورًا، صيِّنًا، متعفِّفًا، نجيبًا، ذكيًا. كَتَب عن شيخنا أبي البركات بن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة، فكَتَب بها. وكان ينظم نظمًا مترفِّعًا عن الوَسَط. وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصُّه: ممّن نبغ ونَجُب، وخُلق له البرُّ بذاته ووجب، تحلّى بوقار، وشَعْشع للأدب كأس عُقار، إلّا أنه اختُرِم في اقتبال، وأُصِيب الأجل بنِبال.

ومن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعاني على طول البعاد هواها ... وقد سَدَّ أبواب اللّقاءِ[١] نَواها
وقد شِمْتُ بَرْقًا للّقاءِ[٢] مُبَشّرًا ... وقد نَفَحَتْ ريح الصَّبا بشذاها
وجنَّ دُجى ليلٍ بخيلٍ بصُبحه ... كما بَخِلَتْ لَيْلَى بطيف سُراها
وقاد زماني قائدُ الحبِّ قاصدا ... ربوعًا ثَوَتْ لَيلى بطول قَناها
وناديتُ والأشواق بالوَجْد بَرّحت ... ودمعيَ أَجْرى سابغًا لِلقاها
أيا كَعْبَةَ الحُسْن التي النفس[٣] تَرْتجي ... رضاها وحاشى أن يَخيب رجاها
أحبك يا لَيلى على البُعْد والنوى ... وبي منك أشواق تَشُبُّ لظاها
لئن حُجبت لَيلى عن العين إنني ... بعين فؤادي لا أزال أراها
إلى أن بدا الصبح المُشَتِّت شَمْلنا ... وما بلَغَتْ نفس المشوق مُناها
فمدّت يمينًا للوَداع ودمعها ... يُكَفْكِفُه خوفُ الرقيب سُراها
وقالت: وداعًا لا وداعَ تفرُّقٍ ... لعلّ الليالي أن تُديل نَواها
تُذَكِّرنا ليلى معاهدَ باللِّوى ... رعى الله ليلاتِ اللِّوى ورعاها

وفاته: توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمَرّاكشي.

حاله: كان فتى جميل الرؤيا، سَكُوتًا، مَطْبوعًا على المُغافَصَة[٤] والغَمْز، مهتديًا إلى خِفيّ الحيلة، قادرًا على المُباحثة، ذكيًا، مُتَسَوّرًا على الكلام في الصّنائع والألقاب، من غير تدرُّب ولا حُنْكَة، دمِثَ الأخلاق، ليّن العريكة، انتحل الطب، وتصدّر للعلاج والمداواة، واضطبن أُغلوطةً صارت له بها شهرة، وهي رِقٌ يشتمل على أعداد وخطوط وزايرجة، وجداول غريبة الأشكال، تحتها علامات فيها اصطلاحات الصّنائع والعلوم، ويتصل بها قصيدة رويُّها لام الألف أولها، وهي منسوبة لأبي العباس السبتي: [الطويل]

يقول لِسَبْتِيّ[٥] ويحمدُ ربَّهُ ... مُصَلٍّ على هادٍ إلى الناس أُرْسلا

---

(١) في الأصل: «اللقا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «للقا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «للنفس»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) المغافصة: المفاجأة. لسان العرب (غفص).
(٥) في الأصل: «سبتيُّ»، وكذا ينكسر الوزن.

وأنها مدخل للزّيرجة، ذكر أنه عثر عليها في مَظَنّة غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام بالكنايات، والإخبار بالخَفِيّ وتَقْدِمَة المعرفة، والإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المَشْيخة، ممن كان يركَنْ إلى رُجحان نظره، وسلامة فِطرته، واستُغِلّت الشهادة له بالإصابة سجيّة النفوس في حِرصها على إثبات دعاوى المتَحَرِّفين. أخبرني بعضهم أنه خبّأ له عَظْمًا صغيرًا، يكون في أطراف أجنحة الطَّير، أخذه من جناح ديك، وزعم أرباب الخَواصّ أنه يُزيل الإعياء إذا عُلّق، فتصرّف على عاداته من الدخول في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثيرة، يَضْرِبُها آونة، ويُقَسِمها أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوبًا وسِهامًا، ويأخذ جذورًا، وينتج له العمل آخرًا حروفًا مقطعة، يبقيها الطرح، يُؤلف منها كلامًا تُقْتَنص منه الفائدة، فكان في ذلك بيت شعر: [الطويل]

وفي يدكمْ عَظْمٌ صغير مُدَوَّر ... يُزيل به الإعياء[1] مَنْ كان في السَّفَرْ

وأخبرني آخرون أنه سُئل في نازلة فقهية لم يلْق فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جلّةٌ من أشياخنا، فذكّرني الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يُخرج خبيئته سواد لَيْلة، فتأمّل ما يصنعه، فلم يأت بشيءٍ، ولا ذهب إلى عمل يُتعقّل، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنيّة على تَخَيُّل وتخمين، تختلف فيه الإصابة وضدها، بحسب الحالة والقائل، لتصرُّف الحيلة فيه، فاقتضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموّهَة، ممطُولين منه بطريق التصرُّف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان، فأُرسم ببابه، وتعدّى الإنس إلى طبّ الجِن، فافتضح أمره، وهُمّ به، فنجا مُفْلِتًا. ولم تزل حاله مضطربة، إلى أن دُعي من العُدْوة وسلطانها، منازل مدينة تلمسان، ووصلت الكتب عنه، فتوجّه في جَفْن هُيِّيءَ له، ولم ينشِب أن تُوفي بالمحلّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من أهل الخصوصيّة والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلُّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس والمأكل، على سُنن الفضلاءِ وأخلاق الجِلّة.

---

(١) في الأصل: «الإعيا» وكذا ينكسر الوزن.

انتظم لهذا العهد في نَمَط من يُسْتجاز ويُجيز. وكان غُفلًا فأقام رسْمًا محمودًا، ولم يُقصِّر عن غاية الاستعداد.

مشيخته: منهم الأُستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السَّداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة[1] خَتْمة قراءة تَجْويد وإتقان بالأحرف السَّبعة، وسمع عليه كتبًا كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمته، رضي الله عنه وأرضاه، إلى حين وفاته، ونلتُ من عظيم بركاته وخالص دعَواته ما هو عندي من أجلّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أَعْدَدْتُه لهذه الدّار والدار الآخرة. وكان في صَدْر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين. وهو عِلْمٌ يجعله الله في قَلْبِ العبْد إذا أحبّه؛ لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصَّبر، ومُجاهدة الهوى، ومُحاسبة النَّفس، ومراعاة خواطر القلب، والمُراقبة لله، والحياء من الله، وصحّة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحّة النّيّة، واستشعار الخَشية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2] فكفى بخَشية الله عِلْمًا، وبالإقبال عليه عزًّا. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لأنّ مثله لا يصدر إلّا عن ذي حركة، ومُضْطبن بَرَكة، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطّنجالي.

دخل غرناطة راويًا، وفي غير ذلك في شؤونه، وهو الآن ببلده مالَقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيىٰ الأنصاري الخزرجي

الميُورقي[3] الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدّثًا، عالي الرّواية، عارفًا بالحديث وعِلَله، وأسماءِ رجاله، مشهورًا بالإتقان والضبط، ثِقَةً فيما نَقل ورَوى، ديِّنًا، زكيًا، متحاملًا، فاضلًا، خيِّرًا، مُتَقَلّلًا من الدُّنيا، ظاهريّ المذهب داوُديّه[4]، يَغْلِب عليه الزهد والفضل.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الحِجاري، وأبي علي الصدفي الغساني، وأبي مروان الباجي، ورَحل إلى المشرق وحجّ، وأخذ

(١) في الأصل: «أربعة عشرة» وهو خطأ نحوي. (٢) سورة فاطر ٣٥، الآية ٢٨.

(٣) نسبة إلى ميورقة Mallorca وهي إحدى الجزر الثلاث: منورقة ويابسة وميورقة. الروض المعطار (ص ٥٤٩).

(٤) نسبة إلى خلف بن داود الأصفهاني، مؤسس المذهب الظاهري.

بمكة، كرّمها الله، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العُمراني. قلت: وغيرهم اختصرتهم لطولهم، وقفَل إلى الأندلس فحدَّث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

مَن روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل، وغيرهما[١].

محنته: امتُحن من قِبل علي بن يوسف بن تاشُفين، فحُمل إليه صحبة أبي الحكم بن يُوجان، وأبي العباس بن العَريف، وضُرب بالسُّوط عن أمره، وسجنه وقتًا، ثم سرَّحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيرًا، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمُعَمَّم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكُفاة، ظَرْفًا ورُواءً وعارضةً وترتيبًا، تجلَّل بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المُترفين من وزراءِ الدُّول بالمغرب أيام وَجْهَتُه إليه صُحبة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالًا عريضًا لينفقَه في سبيل البِرّ، فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووَقَف عليها الرِّباع، وابتنى غيرها من المساجد، فحَصَلت الشهرة، ونبُه الذِّكر وتطوّر، ورام العُروج في مَدارج السُّلوك، وانقطع إلى الخَلْوة، فنَصَلَت الصِّبغة، وغَلَبَت الطَّبيعة، وتأثَّل له مال جمّ اختُلف في سبب اقتنائه، وأظهر التجر المُزَهَّف الجوانب بالجاه العَريض، والحِرص الشَّديد، والمُسامحة في باب الوَرَع، فتبَنَّك به نعيمًا من ملبس ومطعم وطيبٍ وتَرَفُّه، طارد به اللّذة ما شاء في باب النِّكاح استِمتاعًا وذَواقًا يَتْبع رائد الطَّرف، ويُقَلِّد شاهد السَّمع، حتى نُعي عليه، ووُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوْسَع المنبر ما شاء من جَهْوَرِيَّةٍ وعارضةٍ، وتسوَّر على أعراضٍ، والفاظ في أُسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القِحة. ثم رَحَل إلى المشرق مرة ثانية، وكرَّ إلى بلده، مليحَ الشَّيبة، بادي الوقار، نبيه الرُّتْبة، فتولّى الخطابة إلى حين وفاته.

---

(١) في الأصل: «وغيرهم».

مشيخته: حسبما قيّدتُه من خطّ ولده أبي الحسن، وارثِه في كثير من خِلاله، وأغلبُها الكفاية. فمنهم والده، رحمه الله، قرأ عليه وتأدّب به، ودوّن في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي، ومنهم الشيخ الرّاوية أبو عبد الله بن عيّاش، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطّنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركُشِي، والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم، كابن رُشيد، وابن خميس، وابن بُرطال، وابن مَسْعَدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

تواليفه: وتسوّر على التأليف، بفرط كفايته، فمما يُنسب إليه كتاب: «التجر الرّبيح، في شرح الجامع الصحيح». قال: منه ما جرّده من المُبيَّضة، ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، وكتاب «بهجة الأنوار»، وكتاب «الأسرار»، وكتاب «إرشاد السّائل، لنهج الوسائل»، وكتاب «بُغية السّالك، في أشرف المسالك» في التّصوف، وكتاب «أشعة الأنوار، في الكشف عن ثمرات الأذكار». وكتاب «النّفحة القُدْسِيّة»، وكتاب «غُنية الخطيب، بالاختصار والتّقريب» في خُطب الجُمَع والأعياد، وكتاب «غرائب النُّجب، في رغايب الشُّعب»، شُعب الإيمان، وكتاب «في مناسك الحج»، وكتاب «نَظْم سِلْك الجواهر، في جِيْد معارف الصُّدور والأكابر»، فِهرِسة تحتوي على فوائد من العِلم وما يتعلق بالرواية، وتَسْمِية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

دخوله غرناطة: دخلها مراتٍ تشُذُّ عن الإحصاء. ولد عام ثمانية وسبعين وستمائة، وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر، ويعرف بالطّنجالي، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

حاله: من ذيل تاريخ مالَقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدّراية والرّواية والتراث والاكتساب، وعُلُو الانتِساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّوْل، وطول الألسِنة بالطّول، وهدوا إلى الطّيّب من القول، أثَرُ الشّموخ يَبْرُق من أنفِه، ونسيم الرُّسوخ يَعْبَقُ من عَرْفه، وزاجر الصّلاح يُومي بِطَرْفِه، فتخالُه من خَوْف الله ذا لَمَم، وفي خلقه دماثة وفي عِرنِينه شَمَم. ووصفه بكثير من هذا النّمط.

ومن «العائد»: كان من أهل العلم والتّفنّن في المعارف والتّهمّم بطلبها، جمع بين الرّواية والدّراية والصلاح. وكانت فيه خِفّةٌ، لفَرْط صِحّةٍ وسذاجة وفضل رُجولة

به، بارع الخطّ، حسن التّقييد، مَهيبًا جَزْلًا، مع ما كان عليه من التّواضع، يحبُّه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأقرأ به العِلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه الوَلي الخطيب، رحمه الله. وروى عن جَدِّه أبي جعفر، وعن الرّاوية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والرّاوية أبي عبد الله بن عيّاش، والقاضي أبي القاسم بن السّكوت، وغيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق والمغرب.

وفاته: توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان عُمْرُه نحوًا من تسع وخمسين سنة.

محمد بن محمد بن مَيْمُون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بلا أَسْلم؛ لكثرة صُدور هذه اللفظة عنه، مُرْسِي الأصل، وسكن غرناطة ووادي آش والمريّة.

حاله: من كتاب «المؤتمن»[1]: كان دَمِث الأخلاق قبل أن يحرجه شيء من مُضَيِّقات الصُدور، يشارك في العربية، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لَحْن. وكان يتعيش من صناعة الطِّب. وجَرَت له شهرة بالمعرفة تَرْفَعُ به بتلك الصّناعة على حَدِّ شهرةٍ ترك النّصيحة فيها، فكانت شُهرتُه بالمعرفة ترفع به. وشُهرتُه بترك النصيحة تُنْزله، فيمرُّ بين الحالتين بشَظَف العيش، وَمقْتِ الكافّة إيّاه.

قلت: كان لا أَسْلم، طِرْفًا في المعرفة بطُرُق العلاج، فسيح التّجربة، يشارك في فنون، على حال غَريبةٍ من قِلّة الظُّرف، وجَفاءِ الآلات، وخَشنِ الظاهر، والإزراءِ بنفسه وبالناس، متقدّم في المعرفة بالخُصوم، يُقصد في ذلك. وله في الحرب والحِيَل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أَسْلم خَمْرٌ مُخَبَّأَةٌ، في كَرْم كان له بالمريّة، عَثَر عليها بعض الدّعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرّةٍ وملأها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئًا من العقاقير المُسَهّلات، وأشاع أن الخمر العَتيقة التي كانت له لم تُسْرق، وإنما باقية بموضع كذا، فعمدَ إليها أولئك الدّعرة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستِطْلاق القَبيح المُهْلك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إيهِ، أدُّوا إليّ ثمن الشُّربة،

(١) هو كتاب «المؤتمن، على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات ابن الحاج البلفيقي، أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.

وحينئذ أشرَعُ لكم في الدواء، ويقع الشِّفاء بحول الله، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خَمْرُه، وعالجهم حتى شفُوا بعد مشقّة. وأخباره كثيرة.

وفاته: توفي عقب إقلاع الطّاغية ملك برجلونة عن المريّة عام تسعة وسبعمائة[1]. وخلفه ابنٌ كان له يسمى إبراهيم، ويعرف بالحكيم، وجرى له من الشُّهرة ما جرى لأبيه، مرّت عليه بِبَخْتٍ وقَبُول، وتوفي بعد عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري[2]

جيّاني الأصل مالَقِيه، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشُّدَيد على بنْية التصغير، وهو كثير التردُّد والمُقام بحضرة غرناطة.

حاله: من[3] أهل الطَّلب والذكاءِ والظُّرْف والخُصوصِيَّة، مجموع[4] خِلال من خطٍّ حسن واضطلاع بحمل كتاب الله. بُلْبُل دَوْح السَّبع المثاني، وماشطة عروس أبي الفرج الجوزي، وآية صُقْعه في[5] الصَّوت، وطيب النَّغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، وتوصَّل إلى صُحبة الأشراف، وجرّ أذيال الشهرة. قرأ القرآن والعَشْر بين يدي السلطان، أمير المسلمين بالعُدْوة، ودنا منه محلُّه، لولا إيثار مَسْقَط رأسه. وتقرّب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلّى التّراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذْبُ الفكاهة، ظريف المجالسة، قادرٌ[6] على الحكايات، متسوّرٌ[7] حِمى الوقار، مُلَبٍّ[8] داعي الانبساط، على استرجاعٍ واستقامة، مبرور الوِفادة، مُنَوّه الإنزال، قُلّد شهادة الدّيوان بمالقة، مُعَوّلًا عليه في ذلك، فكان مُغار حبل[9] الأمانة، صَليب العود، شامخًا[10]، صادقَ[11] النّزاهة، لوحًا للألقاب، مُحرزًا للعمل.

---

(١) في غرّة ربيع أول من هذا العام نازل صاحب برجلونه (برشلونة) مدينة المرية وأخذ بمخنقها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفع الحصار. اللمحة البدرية (ص ٧٥).

(٢) ترجمة محمد بن قاسم الأنصاري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢).

(٣) النصّ في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤) بتصرف.

(٤) في النفح: «جملة جمال».

(٥) في النفح: «صقعه، ونسيج وحده، في حسن الصوت...».

(٦) في النفح: «قادرًا».

(٧) في الأصل: «مستور». وفي النفح: «متسوّرًا».

(٨) في النفح: «ملبيًا».

(٩) في الأصل: «جبل» والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «شامخ».

(١١) في النفح: «مارن».

ووُلّي الحِسبة بمالقة، حرسها الله تعالى، فخاطبته في ذلك أداعِبُه، وأُشير إلى قوم من أجداده، وأُولي الحَمْل عليه بما نصُّه: [السريع]

يا أيها المُحْتَسِبُ الجَزْلُ ... ومن لديه الجِدُّ والهَزْلُ
تُهنيك[1] والشكرُ لمولى الورى ... ولايةٌ ليس لها عَزْلُ

كتبتُ أيها المحتسب، المنتمي إلى النزاهة المُنْتَسب، أُهَنّيك ببلوغ تمنّيك، وأُحذِّرك من طمع نفسٍ بالغرور تُمَنّيك، فكأني[2] وقد طافت بركابك الباعة[3]، ولزم لأمرِك[4] السَّمْع والطّاعة، وارتفعت في مُصانعتك الطُّماعة، وأخذْتَ أهلَ الرِّيب بَغْتة كما تقوم الساعة، ونَهضت تُقعِد وتقيم، وسكوتُك[5] الريح العقيم، وبين يديك القِسْطاس[6] المُسْتَقيم، ولا بُدّ من شَرَكٍ يُنصب، وجماعة على ذي جاه تُعْصَب[7]، وحالة[8] كَيْتٍ بها الجناب الأخصَب، فإن غَضَضْتَ طَرْفَك، أمِنْتَ عن الولاية صَرْفَك، وإن ملأتَ ظَرْفَكَ[9]، رَحَلْتَ عنها حَرْفَكَ، وإن كَفَفْتَ فيها كَفَّك، حَفَّك العِزُّ فيمن حفَّك. فكن لقالي المُجَبّنة قاليًا[10]، ولِحُوتِ السَّلّة ساليًا. وأبْدِ لدقيق الحُوّارى زُهْدَ حَواريّ[11]، وازهدْ فيما بأيدي الناس من العَواري، وسِرْ في اجتناب الحَلْواء[12]، على السبيل السَّواء، وارفضْ في الشِّواء، دواعي الأهواء، وكُنْ على الهرّاس[13]، وصاحب ثريد[14] الرّاس، شديد المِراس، وثِبْ على بائع[15] طَبيخ الأعراس، لَيْثًا مرهوبَ الافتراس، وأدِّبْ أطفال الفُسوق[16]، في السوق، سيّما مَنْ

---

(١) في النفح: «يهنيك». (٢) في النفح: «فكأنني بك وقد...».
(٣) في الأصل: «الساعة» والتصويب من النفح. (٤) في النفح: «أمرك».
(٥) في النفح: «وسطوتك».
(٦) القِسْطاس: الميزان المستقيم. محيط المحيط (قسطس).
(٧) في الأصل: «تتعصّب» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «ودالّة يمتّ بها...».
(٩) ملأت ظرفك: كناية عن قبول الهدية والرشا.
(١٠) قاليًا: مبغضًا. لسان العرب (قلا).
(١١) الحُوّارى: لباب الدقيق وخالصه. والحَواريُّ: مَن يكون من أنصار الأنبياء. لسان العرب (حور).
(١٢) في الأصل: «الحُلْو» والتصويب من النفح.
(١٣) الهَرّاس: صانع الهريسة. لسان العرب (هرس).
(١٤) في الأصل: «فريد» والتصويب من النفح. والثريد: كسرة الخبز المتلطخة بماء اللحم. محيط المحيط (ثرد).
(١٥) كلمة «بائع» غير واردة في النفح. (١٦) في الأصل: «السوق» والتصويب من النفح.

كان قبل البلوغ والسُّبوق[١]، وصَمَّمْ في[٢] استخراج الحقوق، والناس أصناف، فمنهم خَسيس يطمع منك في أكْلة، ومُسْتَغْدٍ عليك بِوَكْزَة أو رَكْلَة. وحاسدٌ في مطيَّة تُرْكَبُ، وعَطِيَّة تُسْكَبُ، فاخفض للحاسد جناحك، وسدِّد إلى حربه رِماحك، وأشبع الخَسيسَ منهم مَرَقَةً دَسِمةً[٣] فإنه خَبِق، ودُسَّ له فيها عَظْمًا لعلّه يَخْتَنِق، واحفُرْ لِشِرِّيرهم حُفْرَةً عميقةً، فإنه العدوُّ حقيقةً، حتى إذا حَصَلَ، وعلمت أنّ وقت الانتصار قد وَصَل[٤]، فأَوْقِعْ وأَوْجِعْ، ولا تَرْجع، وأولياء من[٥] حِزب الشيطان فأَفْجِعْ، والحَقُّ أقوى، وإن تغفُو أقرب للتقوى. سَدَّدَكَ الله تعالى[٦] إلى غرض التَّوْفيق، وأعْلَقَكَ[٧] من الحقِّ بالسَّبب الوثِيق، وجعل قدومَك مقرونًا برُخْص اللَّحم والزَّيت والدَّقيق، بمنّه وفضْله[٨].

مشيخته: قرأ القرآن على والده المُكَتِّب النَّصوح، رحمه الله، وحَفِظ كُتبًا كرسالة أبي محمد بن أبي زيد، وشهاب القُضاعي، وفصيح ثَعْلب، وعَرَض الرِّسالة على ولي الله أبي عبد الله الطُّنجالي، وأجازه. ثم على ولده الخطيب أبي بكر، وقرأ عليه من القرآن، وجَوَّد بحَرْف نافع على شيخنا أبي البركات. وتَلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي. ثم رَحَل إلى المغرب، فلقي الشيخ الأُستاذ الأوحد في التِّلاوة، أبا جعفر الدرَّاج، وأخذ عن الشَّريف المُقْرىء أبي العباس الحسني بسَبْتة، وأدْرَك أبا القاسم التُّجيبي، وتلا على الأُستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم[٩] ولازمه، واختصَّ بالأُستاذ ابن هاني السَّبتي، ولقي بفاس جماعةً كالفقيه أبي زيد الجَزُولي، وخَلَف الله المجاصي، والشيخ أبا العباس المِكناسي، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرازق، وقرأ على المُقْرىء الفَذِّ الشهير في التَّرنُّم بألحان القرآن أبي العباس الزَّواوي سَبْع خَتمات، وجمع عليه السَّبع، والمُقْرىء أبي العباس بن حِزب الله، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المُهيمن الحَضْرمي.

شعره: من شعره ما كَتَب به إلى وزير الدولة المَغْربيّة في غرض الاسْتِلْطاف: [الكامل]

يا من به أبدًا عُرِفْتُ ومن أنا ... لولاه لي دامَتْ عُلاه وداما

---

(١) في النفح: «والسبوق».
(٢) في النفح: «على».
(٣) كلمة «دسمة» غير واردة في النفح.
(٤) في النفح: «قد اتّصل».
(٥) في النفح: «من الشياطين فأفجع».
(٦) كلمة «تعالى» غير واردة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٧) في الأصل: «وأعلقنا» والتصويب من النفح.
(٨) قوله: «بمنّه وفضله» غير وارد في النفح.
(٩) هو الكاتب محمد بن محمد بن عبد المنعم، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٧).

لا تـأخُـذَنّكَ فـي الـشَّـدَيْـد لـوْمـة ... فـشُخَيْصُ نَشْأَته بـفـضـلـك قـامـا
ربَّـيْـتُـه عَـلَّـمْـتُـه أدَّبْـتُـه ... قَـدَّمْـتُـه لـلـفَـرْضِ مـنـك إمـامـا
فـجزاكَ رَبُّ الـخَلْقِ خيـرَ جِزاية ... عـنّـي وبـوَّأكَ الـجِـنـان مُـقـامـا

وهو الآن بالحالة المَوْصوفة، مستوطنًا حضرة غرناطة، وتاليًا الأعشار القرآنية، بين يدي السلطان، أعزّه الله، مرفّع الجانب، معزّز الجِراية بولايته أحْباس المدرسة، أَطْرُوفة عَصْره، لولا طَرَشٌ نَقَص الأُنس به، نفعه الله.

مولده: ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعمائة.

ومن الغُرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التّلمساني الأنصاري

السَّبْتي الدّار، الغَرْناطي الاستيطان، يكنى أبا الحسين، ويعرف بالتِّلِمْساني.

حاله: طِرْفٌ في الخير والسلامة، مُعرق في بيت الصَّون والفضيلة، مُعِمٌّ[(١)] مُخْوَل في العدالة، قديم الطَّلب والاستعمال، معروف الحقّ، مليح البَسْط، حُلو الفكاهة، خفيف إلى هَيْعة الدُّعابة، على سَمْت ووقار، غَزِلٌ، لوْذَعي، مع استِرجاع وامتِساك، مُتْرَف، عريقٌ في الحضارة، مؤثر للراحة، قليل التَّجلُّد، نافرٌ عن الكدِّ، مُتّصل الاستعمال، عريضُ السعادة في باب الولاية، محمول على كَتَد المبرّة، جار على سُنن شيوخ الطَّلبة والمُقْتاتين من الأرزاق المُقَدَّرة، أولى الخُصوصيّة والضَّبط من التَّظاهر بالجاه على الكِفاية. قِدمَ على الأندلس ثمانية عشر وسبعمائة، فمهد كنفَ القَبُول والاستعمال، فوُلِّي الحِسْبة بغرناطة، ثم قُلِّد تنفيذ الأرزاق وهي الخُطَّة الشرعية والولاية المُجْدِية، فاتّصلت بها ولايته. وناب عنّي في العَرْض والجواب بمجلس السلطان، حميد المنْأى في ذلك كله، يقوم على كتاب الله حِفْظًا وتجْويدًا، طيِّب النَّغْمة، راويًا محدِّثًا، إخباريًا، مُرتاحًا للأدب، ضاربًا فيه بسَهْم يقوم على كُتُب السِّيرة النّبوية، فذًا في ذلك. قرأه بالمسجد الجامع للجمهور، عند لِحاقه بغرناطة، مُعربًا به عن نفسه، منبِّهًا على مَكانه، فزعموا أن رجلًا فاضَتْ نفسُه وَجْدًا لشَجْو نَغْمَتِه، وحُسْن إلْقائه. وقرأ التَّراويح بمسجد قصر السلطان إمامًا به، واتّسم بمجلسه بالسَّلامة والخير، فلم تُؤْثر عنه في أحد وَقيعة، ولا بَدَرَتْ له في الحَمْل على أحد بنتُ شَفَه.

---

(١) المُعِمُّ: الذي يَعُمُّ القوم بالعطية، أي يشملهم. لسان العرب (عم).

مشيخته: منهم الشّريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي التُّقى طاهر بن أبي الشّرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ومنهم والده المُترجم به، ومنهم أبوه وجدُّه، ومنهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد العَزَفي، والمُقرىء أبو القاسم بن الطيب، وإمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حُريث، والأستاذ مُلْحِق الأبناءِ بالآباء أبو إسحٰق الغافقي، والكاتب النّاسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والأستاذ المُعمَر أبو عبد الله بن الخضّار، والخطيب المحدّث أبو عبد الله بن رُشَيد، والخطيب الأديب أبو عبد الله الغُماري، والأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، والولي الصالح أبو عبد الله الطّنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والقاضي الأعْدل أبو عبد الله بن بُرطال، والشيخ الوزير المعمر أبو عبد الله بن ربيع، والصُّوفي الفاضل أبو عبد الله بن قَطْرال، والأستاذ الحسابي أبو إسحٰق البَرْغُواطي، هؤلاءً لقيهم وقرأ وسمع عليهم. وممن كتب له بالإجازة، وهم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المُرَحَّل، والخطيب أبي الحسن فضل ابن فضيلة، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، والعَدْل أبي الحسن بن مَسْتَقور، والوزير المُعمر أبي محمد بن سِماك، والخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عُثمان بن حَكَم، والشيخ الصالح أبي محمد الحَلاسي، والقاضي أبي العباس بن الغمّاز، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللّبيدي، والعَدْل المُعمر الراوية أبي عبد الله بن هارون، والمحدث الراوية أبي الحسن القَرافي، وأبي إسحٰق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن أبي المنصور، والإمام شرف الدين أبي محمد الدُمياطي، وبهاء الدين بن النّحاس، وقاضي القضاة تقي الدين بن دَقيق العِيد، وضياءِ الدين أبي مهدي عيسى بن يحيىٰ بن أحمد، وكتب في الإجازة له: [الطويل]

وُلدْتُ لعام من ثلاث وعشرة ... وستٍّ مئينٍ هجرة لمحمدِ

تطوَّفتُ قِدْمًا بالحجاز وإنني ... بمصر هو المَرْبى[1] وسَبْتةُ مَوْلِدي[2]

---

(١) في الأصل: «المربليّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «مولد» بدون ياء.

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشقّ إحصاؤهم، قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، رحمه الله.

محنته: نالته محنة بجزْي الأُمور الاشتغالية وتَبِعاتها، قال الله فيها لعَثْرته لعًا، فاستقلّ من النّكبة، وعاد إلى الرُّتبة. ثم عفَّت عليه بآخرة، فهلك تحت بَرْكها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

مولده: ولد عام ستة وسبعين وستمائة، وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعمائة.

محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف ابن قَطْرال الأنصاري

من أهل مرّاكُش، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، فاضلًا صوفيًا، عارفًا، متحدِّثًا، فقيهًا، زاهدًا، تجرّد عن ثروة معروفة، واقتصر على الزُّهد والتّخلّي، وملازمة العبادة، والغُروب عن الدنيا. وله نَظْمٌ رائق، وخطٌّ بارع، ونثر بليغ، وكلام على طريقة القَوْم، رفيع الدّرجة، عالي القدر. شرح قصيدة الإسرائيلي بما يشهد برسوخ قدمه، وتجوّل في لقاء الأكابر على حال جميلة من إيثار الصّمت والانقِباض والحِشمة. ثم رَحَل إلى المشرق حاجًا صَدْر سنة ثلاث وسبعمائة.

مشيخته: من شيوخه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أبو بكر بن محمد المُرادي، والفقيه أبو فارس الجَرْوي، والعلّامة أبو الحسين بن أبي الربيع، والعَدْل أبو محمد بن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله بن الخضّار، وأبو إسحٰق التّلِمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السّكوت، وأبو عبد الله بن عيّاش، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لَقِيهم، وأخذ عنهم. وكتب له بالإجازة جُملة، كالقاضي أبي علي بن الأحْوَص، وأبي القاسم العَزَفي، وأبي جعفر الطّنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الدّاري، وأبي محمد بن الحجّام، وأبي بكر بن حُبَيْش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البوّاب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسْطلّاني، وغيرهم.

شعره: وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شِبْرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا مُعمل السَّير أيّ إعمال ... سَلِّمْ على الفاضل ابن قَطْرالِ

من أبيات راجعني عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زارَتْ فأزْرَتْ بمسك دارِين ... تَفْتَنُّ للحسن في أفانين

ومثلُها في شتّى محاسنها ... ليست بِبِدْع من ابن شِبرين

وفاته: توفي بحرم الله عاكفًا على الخير وصالح الأعمال، مُعرضًا عن زَهْرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، وفيه حكاية، عام تسعة وسبعمائة.

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة. وغير ذلك.

العُمال في هذا الاسم وأولًا الأصليون

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل[(١)]

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخٌ[(٢)] حسن الشَّيبة، شامل البياض، بعيدُ مدى الذَّقن، خدُوع الظاهر، خَلُوب اللفظ، شديد الهوى إلى الصُّوفية، والكَلَفِ بإطراءِ الخيريّة[(٣)]، سيما عند فِقْدان شُكر الولاية، وجِماح الحُظوة، من بيت صَوْنٍ وحشمة، مُبين عن نفسه في الأغراض، مُتقدِّم في معرفة الأمور العملية، خائضٌ مع الخائضين في غُمار طريق[(٤)] التصوُّف، وانتحال كيمياءِ السَّعادة، راكبٌ مَتْن دعوى عريضة في مَقام التَّوحيد، تُكذِّبها أحوالُه الرَّاهنة جُمْلةً، ولا تسلم له منها نُبذة، لمعاصاة خلقه على الرياضة واستيلاءِ الشَّرَه، وغَلَبِ[(٥)] سلطان الشَّهوة، فلم يَجْن من جَعْجاعه المُبرم فيها إلّا اسْتِغراق الوقت في القواطع عن الحق، والأسف على ما رَزَئْه الأيام من مَتاع الزُّور، وقِنْية الغرور، والمَشاحة أيام الولاية، والشَّباب[(٦)] الشاهد بالشَّره، والحلف المتصل بياضَ اليوم، في ثمن الخَرْدلة باليمين التي تجرُّ فساد الأنْكِحة، والغَضَب الذي يَقلب

---

(١) ترجمة ابن الأكحل في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣).
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣) بتصرف.
(٣) في النفح: «بإطراء أهل الخير».
(٤) كلمة «طريق» غير واردة في النفح.
(٥) في النفح: «وغلبة».
(٦) في النفح: «والسباب».

العَين، والبَذا الذي يُصاحب الشَّين، مغلُوبٌ عليه في ذلك، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ، وتفْويت جِدَةٍ، وإطْباق رَوْع، وقيدٌ للعذاب، فألقيتُ عليه رِدائي، ونفَّس الله عنه بِسَبَبي، محوًا للسَّيئة بالحَسَنة، وتوسُّلًا إلى الله بترك الحظوظ، والمِنَّةُ لله جلَّ جلالُه على ذلك.

شعره: خاطبني بين يَدَيْ نكبته أو خَلْفَها بما نصُّه، ولم أكن أظنّ الشِّعر مما تلوكه جَحْفلته[1]، ولكن الرجل من أهل الكفاية[2]: [الطويل]

رَجَوْتُك[3] بعد الله يا خيرَ مُنْجِدِ … وأَكْرَمَ مأمُولٍ وأعظَمَ مُرْفِدِ[4]

وأفضلَ مَنْ أَمَلْتُ للحادث الذي … فقدْتُ به صبري وما مَلَكَتْ يَدي[5]

وحاشا وكلَّا أن يَخيبَ مُؤمِّلي[6] … وقد عَلِقَتْ بابن الخطيب محمد

وما أنا إلّا عَبْدُ أنْعُمِه[7] التي … عهدْتُ بها يُمْني وإنجاحَ مَقْصِدي[8]

وأشرفُ مَنْ حضَّ الملوكَ على التُّقى … وأبْدى لهم نُصْحًا وصيَّةَ[9] مُرْشِدِ

وساسَ الرَّعايا الآنَ خيرَ سياسةٍ … مباركةٍ في كل غَيْبٍ ومَشْهَد[10]

وأعْرَض عن دُنْياه زُهْدًا وإنها … لمظْهرةٌ طوعًا له عن تَوَدُّد

وما هو إلّا اللَّيثُ والغَيْثُ إن أتى … له خائفٌ أو جاءَ مَغْناه مُجْتَدي[11]

وبَحْرُ علوم دُرُّهُ كلماتُه … إذا رُدِّدَتْ في الحفل أيَّ تَردُّدِ

صُقَيلُ مَرائي[12] الفِكر ربُّ لطائفٍ … محاسنُها تُجلى بحسن تَعَبُّدِ

بديعُ عَرُوج النفس للملإ الذي … تَجلَّتْ به الأسرارُ في كلّ مَصْعد

شفيقٌ رقيقٌ دائمُ الحلم راحمٌ … وأيُّ جميلٌ للجميل معوَّد

صفوحٌ عن الجاني على حين قُدْرةٍ … يواصل[13] تقوى الله في اليوم والغَد

---

(١) الجَحْفلة للدابة بمنزلة الشفة للإنسان. لسان العرب (جحفل).

(٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥).

(٣) في الأصل: «راجوتك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٤) المُرْفِدُ: المُعْطي. لسان العرب (رفد). (٥) في الأصل: «يدِ» والتصويب من النفح.

(٦) في الأصل: «ماملي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٧) في النفح: «نعمته». (٨) في الأصل: «مَقْصدِ» والتصويب من النفح.

(٩) في النفح: «نصيحة». (١٠) المشهد: الحضور. لسان العرب (شهد).

(١١) في الأصل: «مُجتدِ» والتصويب من النفح. والمُجْتدي: طالب النوال والعطاء. لسان العرب (جدا).

(١٢) في الأصل: «مرأى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(١٣) في النفح: «مواصل».

أَيا سيدي يا عُمْدتي عند شدَّتي ... ويا مَشْربي[(١)] متى ظَمِئتُ ومَوْردي
حَنانَيْك وٱلْطُفْ بي وكُنْ لي راحمًا ... ورفقًا على شيخٍ ضعيفٍ مُنَكَّد
رَجاك رجاء[(٢)] للذي أنت أهلُه ... ووافاك يُهْدي للثناء[(٣)] المُجَدَّد
وأَمَّكَ مُضْطرًّا لرحماك شاكيًا ... بحالٍ كحَرِّ الجمر[(٤)] حين تَوَقُّد
وعندي افتِقارٌ لا يزالُ[(٥)] مواصلًا ... لأكرم مولى حاز أجرًا وسيِّدِ
تَرَفَّقْ بأولادٍ صغار بكاؤهم ... يَزيدُ لِوَقْع الحادث المتزيِّد
وليس لهم إلّا إليك تطلُّعٌ ... إذا مَسَّهم ضُرٌّ أليمُ التعهُّد
أَنِلْهُمْ أيا مولاي نظرةَ مُشفِقٍ ... وجُدْ بالرِّضا وانظرْ لشملٍ مُبَدَّد
وقابِلْ أخا الكُرْه[(٦)] الشديدِ برحمةٍ ... وأَسْعِفْ بغُفرانِ الذُّنوب وأَبْعد[(٧)]
ولا تنظُرَنْ إلّا لفضلك، لا إلى ... جريمةِ شيخ عن محلِّك مُبْعَد
وإن كنتُ قد أذنبْتُ إني تائبٌ ... فعاوِدْ[(٨)] لي الفعلَ الجميلَ وجَدِّد
بقيتَ بخيرٍ لا يزال[(٩)] وعزَّة ... وعيش هنيءٍ كيف شِئت وأَسْعِدِ
وسَخَّركَ الرحمنُ للعَبْد، إنه ... لَمُثْنٍ[(١٠)] وداعٍ للمَحَلّ المُجَدَّد

وقد وُلِّي خُططًا نَبيهة، منها خُطة الاشتغال على عهد الغادر المُكايد للدَّولة، إذ كان من أَوْلياء شيطانه وممدِّيه في غيِّه، وسماسير شَعْوذته، فلم يزل من مُسيطري[(١١)] ديوان الأعمال، على تهوُّر واقتحام كَبْرةٍ، وخطٌّ لا غاية وراءه في الرَّكاكة، كما قال المعرِّي[(١٢)]: [الوافر]

تَمَشَّت[(١٣)] فوقه حُمْرُ المَنايا ... ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا

---

(١) في الأصل: «شربي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «رجا الذي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «الثنا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «كجرْ الشمس حال توقُّد».
(٥) في الأصل: «افتقار لأنوالٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «الكرب». (٧) في النفح: «وأسْعِدِ».
(٨) في النفح: «فَعَوِّدْ».
(٩) في الأصل: «لأنوالٍ»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «المثنْ» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «ج ٨ ص ٢٣٥»: «مسطري».
(١٢) شروح سقط الزند (ص ١٠٤).
(١٣) في شروح السقط: «ودَبَّتْ». وهذا البيت في وصف السيف ويقول فيه: إنّ إفرنده كأنما دَبت فوقه النمل.

استحضرته يومًا بين يدي السلطان، وهو غُفل لفَكِّ ما أُشكل من معمّياته في الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئة، ولما أُعْتِب بسببه ونعيتُ عليه هُجنته، أحسن الصَّدر عن ذلك الوِزد، ونَذَّر في نفسه وقال: حيّا الله رداءَة الخطّ إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم، فاستُحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاته: توفي عام سبعة وستين وسبعمائة.

محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طُليطلة، انتقل منها جدُّ أبيه، وسكنوا غرناطة، وعدُّوا في أهلها.

حاله: كان أبو الوليد طالبًا نبيلًا، نبيهًا، سَرِيًا، ذكيًا، ذا خطٍّ بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونَزَع إلى العمل فكان محمود السِّيرة، مشكور الفعل. ووُلّي الإشراف في غير ما موضع. قلتُ: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه، التي من جُملة المُسْتَخْلَص السلطاني بغرناطة وغيرها، مما يدل على قِدَم وتَعِمَّة أصيلة.

وفاته: توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وسنُّه دون الخمسين.

محمد بن محمد بن حسّان الغافقي[1]

إشبيلي الأصل، غرناطي المنشأ، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السَّرْو والظُّرف والمروءة، وحسن الخلق، تولّى الإشراف بغرناطة، وخُطَّة الأشغال، فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدَّثني بعض أشياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، وقد تحدَّث بصَرْف ابن حسّان عن عمل كان بيده، وإذا رُقْعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكـم أيـادٍ لـكـم أيـاد كَـرَّرْتُـهـا إنـهـا كـثـيـرة

---

(١) ترجم ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٤٥) لرجل يحمل الاسم نفسه تحت عنوان: «الشيخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الغافقي، رحمه الله تعالى»؛ والذي ترجم له في الكتيبة الكامنة كان قد بعث إليه شعرًا في بعض المناسبات، يعني أنه كان صديقه، بينما المترجم له هنا في الإحاطة توفي سنة ٧١٣ هـ، وابن الخطيب توفي سنة ٧٧٦ هـ. فاعلم.

فإنْ عزمتمْ على انتقالي ... رِيَّةَ أَبْغِي أو الجزيرةْ
وإن أبيتمْ إلى(١) مُقامي ... فنعمةٌ منكمُ كبيرةْ

وقال لي بعضهم: جرى بين ابن حسّان هذا، وبين أحد بني علّاق، وهم أعيان، كلام وملاحة، فقال ابن حسّان: إنما كان جدّكم مولى بني أضحى، وجدُّ بني مشرف، فاستَعدى عليه، ورفعه إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزّك الله، كنت بالكُتّبيين، وعُرض عليّ كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي: [البسيط]

أَضحى الزمان بأَضحى وهو مبتسم ... لنوره في سماءِ المجد إشراقُ
فلم يزل ينتمي للمجد كل فتى ... تطيب منه مواليد وأَعراقُ
فإنْ تُرِدْ شَرَفًا يَمِّمْ مُشَرِّفه ... وإن ترد عِلْقَ مجدٍ فهو علّاقُ

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، ونتيجة بديهته، فعجب من كفايته، وترضى خصمه، وصرفهما بخير. وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحٰق بن أحمد ابن أسد بن قاسم النّميري، المدعو بابن الحاج

يكنى أبا عمرو، وقد مرّ ذكر أخيه.

حاله: تولّى خطّة الإشراف بلَوْشَة وأَنْدَرَش ومالقة. ووُلّي النظر في مختص المريّة، والأعشار الرومية بغرناطة. وكان له خط حسن، وجودة كاملة، وحُسْن خُلُق، ووَطَأَةُ أَكْناف تشهد له بجلالة قَدزه، ورفيع خَطَره. وصاهَر في أعيانٍ كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن، فاضلٌ، سَرِيٌّ، متخلّق، حسن الضريبة، متميّز بخصال متعددة، من خطٍّ بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طبّ وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حَجَّ وجال في البلاد، ولقي جِلّة. وتولّى بالمغرب خُططًا نبيهة علية. ثم كرَّ إلى الأندلس عام ستين وسبعمائة، فأجرى من الاستعمال على رَسمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي، أن يُوجه في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر، لما تقدّم من مُرانه على تلك البلاد، وجَولاته في أقطارها، وتعَرُّفه بملوكها والجلّة من أهلها، فآب بعد أعوام، مشكور التصرُّفات، جاريًا على سُنَنَ

(١) في الأصل: «إلّا» وكذا ينكسر الوزن.

الفضلاءِ، مضطلعًا بالأحوال التي أُسندت إليه من ذلك. فلم يزل مُعْتنًى به، مُرَشّحًا إلى الخُطط التي تطمح إليها نفس مثله، مُسْنِدًا النَّظر في زمام العسكر الغربي إلى ولده الذي يخلفه عند رحلته نائبًا عنه، مُعَزَّزًا ذلك بالمرتبات والإحسان، تولّاه الله وأعانه.

شعره: مدح السلطان، وأنشد له في المواليد النبوية. ورَفع إلى السلطان بحضرتي هذه الأبيات: [البسيط]

مولاي، يا خَير أعلام السلاطين ... ومن له الفضل في الدنيا وفي الدِّينِ

ومن له سِيَرٌ تاهيك من سِيَرٍ ... وافَتْ بأكرم تحسين وتحصين

شرَّفتَ عَبْدك تشريفًا له رُتَبٌ ... فوق النجوم التي للأُفقِ[١] تُغْليني

وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه ... وزاد في العزِّ بعد الرُّتبة الدُّون

والله ما الشُّكر مني قاضيًا وَطَري ... ولو أتيتُ به حينًا على حِين

ولا الثّناءُ مُوَفٍّ حقَّ أنعُمِه ... ولو مَلأْتُ به كل الدّواوين

لكنْ دُعائي وحُبّي قد رضيتهما ... كفاء[٢] أفعالِهِ الغرّ الميامين

وعند عَبْدِك إخلاصٌ يواصله ... في خِدمةٍ لم يزل للخير تُدنيني

وسوف أنصح كل النصح مُغتنمًا ... رضى إمام له فضل يُرَجّيني

جوزيتَ عني أَمير المسلمين بما ... ترضاه للمُلْك من نصرٍ وتَمْكين

وأنت أكرمُ من ساس الأنام ومن ... عمَّ البلاد بتسكين وتَهْدين

ومن كمِثْل أَبي عبد الإله إذا ... أضحى الفَخار لنا رحْب الميادين

محمد بن أَبي الحجّاج خيرةُ من ... أُهْدِي له[٣] مِدَحًا بالسَّعد يحظيني

وَجْهٌ جميل وأفعال تناسبهُ ... ودولةٌ دولةُ المأمون تُنسيني

لا زال في السَّعد والإسعاد ما سَجَعَتْ ... ورْق الحمام على قُضْبِ البساتين

محمد بن عبد الرحمٰن الكاتب

يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آش.

حاله: كان طالبًا نبيهًا كاتبًا جليلًا، جيِّد الكتابة. كَتَب عن بعض أبناءِ الخليفة أبي يعقوب، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة، وبشرق الأندلس، وكان أثيرًا عنده

---

(١) في الأصل: «التي فوق الأفق...» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «كفا» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «إليه» وكذا ينكسر الوزن.

مكرَّمًا. وكان، رحمه الله، شاعرًا، مطبوعًا، ذا معرفة جيدة بالعَدَد والمساحة، ثم نَزَع عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، ووُلّي إشراف بُنيات غرناطة. ثم وُلّي إشراف غرناطة، فكفَّ يده، وظهرت نصيحته. ثم نُقل إلى حضرة مرّاكُش، فوُلّي إشرافها مدة، ثم صُرف عنها إلى غرناطة، وقُدّم على النظر في المُسْتَخلص إلى أن توفي.

مناقبه: أَشْهَد لما قربت وفاتُه، أنه كان قد أخرج في صحّته وجوازه، أربعة آلاف دُنير من صميم ماله لتتميم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل[١] بخارج غرناطة. وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأنّق في بنائه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيرًا، نفعه الله.

شعره: ومن شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيىٰ بن أبي عمران، وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته: [الطويل]

شَكَوْتَ فأضنى المَجْدَ بَرْحُ شكاتِهِ — وفارق وَجْهَ الشمس حُسْنُ أيايِهِ[٢]

وعادتْ بِبُغْدَيْكَ[٣] الزّمان زمانةً — تَعَدَّتْ إلى عوّاده[٤] وأُساتِهِ

وغَيَّض ما للبَشْر لمّا تبسَّطَتْ — يَدُ السُّقْمِ[٥] في ساحاتِ كافي كفاته

فكيف بمقصُوصٍ وصلْتَ جَناحه — وأدْهَمَ قَد سَرْبَلْتَه بِشاتِه؟

ومُمْتَحنٍ لولاك أذعن خبرةً — وهان على الأيام غَمْزُ قَناته

أمَغْلَق أمالي ومطمحَ همّتي — وواهبَ نفسي في عِداد مباته

سأستقبل النُّعمى ببرْئِك غضّةً — ويصْغُر ذنبُ الدهر في حَسَناته

وتَسْطُوَ عينُ الحقّ منك بمُرْهَفٍ — تُراع الخطوب الجُور من فَتَكاته

وتَطْلَع في أُفق الخلافة نَيّرًا — تُطالعنا الأقمار من قَسَماته

حرامٌ على الشكوى اعتياد مطهّر — حياة الدُّنا والدين طيُّ حياته

فما عَرَضَتْ في قصده بمَساءة — ولكن ترجّت أن تُرى في عفاته

---

(١) سمي أيضًا نهر شنيل، وشنجل، وسنجل، واسمه بالإسبانية اليوم Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يخترق مرج غرناطة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) في الأصل: «آياته» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «بعديك» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «عوّاد»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «يَدٌ للسُّقْم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

مشيخته: قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السُّهيلي، رحمه الله.

وفاته: وتوفي بغرناطة سنة سبع وستمائة، ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها على ضفة الوادي.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن عمار بن ياسر[١]

أوليته: قد وقع التَّنبيه عليها ويقع بحول الله.

حاله: كان[٢] وزيرًا جليلًا بعيدَ الصِّيت، عالي الذكر، رفيع الهمَّة، كثير الأمل[٣].

نباهته: ذكره[٤] ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين، فنبَّه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم في الرأي والحُظْوة، والأخذ عنه في أمور الأندلس[٥]، وأثنى عليه. وذكره أبو زيد السُّهيلي في «شرح السِّيرة الكريمة»[٦]، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله ﷺ، الموجه إلى هِرَقْل، وأن محمد بن عبد الملك عاينه عند أذفونش، مكَرَّمًا، مُفْتَخَرًا به. والقضية[٧] مشهورة. وأما محلُّه من أمداح الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرُّصافي بقوله[٨]: [الكامل]

أَيَدًا[٩] تفيضُ وخاطرًا مُتَوَقِّدا؟ دَعْها تَبِثُ قَبسًا على عَلَمِ النَّدى

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة: [البسيط]

يا رحمة الله للرّاجي ونِقْمته لكل باغٍ طغى عن خيرَةِ الرُّسُلِ

---

(١) ترجمة محمد بن عبد الملك في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) وفيه يكنى: أبا عبد الله، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). وذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخ المن بالإمامة (ص ٢٥١ - ٢٥٢)، مع أخيه عبد الرحمٰن، وقال: كان لهما مشاركة في بناء المسجد الجامع بإشبيلية وصومعته الشهيرة.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٣) في النفح: «كثير الأموال».

(٤) قارن أيضًا بنفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٥) في النفح: «أمور الناس».

(٦) في النفح: «الشريفة». و«شرح السيرة الكريمة» هو كتاب «الروض الأنف».

(٧) في النفح: «والقصة».

(٨) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتًا، وهو في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٢).

(٩) في الأصل: «أبدًا». وفي النفح: «ذهنًا يفيض وخاطرًا متوقدًا ماذا عسى يُثنى على علم الندى».

لم تُبْقِ منهمْ كفورًا دون مَرْقبة مطالعًا منك حَتْفًا غير مُنْفصلِ
كما بُزاتُك لم تترك بأرضهمُ وَحْشًا يَفِرُّ ولا طيرًا بلا وَجَلِ

وكان كثير الصَّيد، ومتردِّد الغارات.

مناقبه في الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرُّصافي في القصيدة التي مطلعها[١]: [الكامل]

لِمَحَلِّكَ التَّرفيعُ والتَّعظيمُ ولِوَجْهِكَ التَّقديسُ والتَّكريمُ

حلف ألّا يسمعها، وقال: عليَّ جائزتك، لكنَّ طباعي لا تحتمل مثل هذا، فقال الرُّصافي: ومَن مثلُك؟ ومَن يستحق ذلك في الوقت غيرك؟ فقال له: دعني من خِداعك أنا وما أعلمه عن نفسي.

شعره: أنشده صاحب «الطالع»[٢]، ولا يذكر له غيره[٣]: [الطويل]

فلا تُظهِرَنْ ما كان في الصَّدْر كامنًا ولا تركَبَنْ بالغيظ في مَرْكَبٍ وَعْرِ
ولا تَبْحَثَنْ في عُذْرِ مَنْ جاء تائبًا فليس كريمًا مَن يباحِثُ في عُذْرِ[٤]

ووُلِّيَ من الأعمال للموحدين كثيرًا، كمُخْتَص حضرة مراكش، ودار السلاح، وسَلا، وإشبيلية، وغرناطة، واتصلت ولايته على أعمال غرناطة، وكان من شيوخها وأعيانها.

محنته: وعُمِل فيه عقد بأن بداره من أصناف الحِلَى، ما لا يكون إلا عند الملوك، وأنه إذا ركب في صلاة الصبح، من دار الرُّخام التي يجري الماءُ فيها، في اثني عشر مكانًا، شوَّش الناس في الصلاة، دوِيُّ الجلاجل بالبُزاة، ومناداة الصيادين، ونباح الكلاب، فأمر المنصور بالقبض عليه، وعلى ابن عمّه، صاحب أعمال إفريقية، أبي الحسين، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. ثم رضي عنهما، وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كلَّ ما أُخِذ له، فصرفه عليه، ولم ينقصه منه شيء، وغرم ما فات له.

---

(١) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتًا في مدح أبي جعفر الوقشي، وزير ابن همشك، وهو في ديوان الرصافي البلنسي (ص ١٣١) والمغرب (ج ٢ ص ٣٤٣) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩٧).
(٢) هو كتاب «الطالع السعيد، في تاريخ بني سعيد»، لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي، صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب.
(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩٧).
(٤) في المصدرين: «في العذر».

ولد سنة أربع عشرة[١] وخمسمائة، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار ابن ياسر العَنْسي[٢]

يكنى أبا بكر، وقد تقدّم التّعريف بأوليته.

حاله: قال في «الطالع»: ساد في دولة الملثّمين[٣]، وولّوه بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرُّخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقي فيه: شيخ جليلٌ، فقيهٌ نَبيه من أهل قلعة يَحْصِب[٤]. كان في عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، ووُلّي إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد الميمون بن بدر اللمتوني. وقال صاحب «المُسْهِب»[٥]: وحَسْبُ القلعة كَوْن هذا الفاضل الكامل[٦] منها، وقد رَقَمَ بُرْدَ مَجْده بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجيّة القابلة أعلى سبب، وله من المكارم ما يُغيّر في وجه كعب وحاتم، لذلك ما قصدته الأدباء، وتهافتتْ في مدحه الشعراء، وفيه أقول: [الطويل]

وكان أبو بكر من الكُفْر عصمةً ... وردَّ بـه الله الـغُـواةَ إلـى الـحـقّ
وقـام بـأمـر الله حـافـظُ أهـلِهِ ... بلينٍ وسَبْط في المبرّة والخُلْقِ
وهـذا أبـو بـكـر سليل ابن ياسر ... بغرناطةٍ ناغاه في الرّأي والصّدْقِ
فـهـذا لنا بالغَرْب يَجني معالما ... تُباهي الذي أحيا الدِّيانة بالشّرق

وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزْمان، ويجري عند ذكر نَزْهون بنت القِلاعي ما فيه كفاية، إذ كان مَفْتُونًا بها، وبِحَمْدَة وزَيْنب، بِنْتَي زِياد المؤدّب من أهل وادي آش، وفيهما يقول: [المجتث]

مـا بـيـن زيـنـبَ عُـمْـري ... أحـثُّ كـأسـي وحَـمْـدَة

---

(١) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.
(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٥٢) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠).
(٣) الملثمون هم المرابطون، وقد حكموا الأندلس من سنة ٤٨٣ إلى سنة ٥٤٢ هـ.
(٤) قلعة يَحْصب: بالإسبانية Alcalá la Real، أي القلعة الملكية، وتنسب إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة أيوب، وقلعة بني سعيد، وتبعد عن غرناطة ثلاثين ميلًا. مملكة غرناطة (ص ٦٢).
(٥) النص في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣).
(٦) كلمة «الكامل» غير واردة في المغرب.

وكـل نـظـم ونـثـر وحـكـمـة مُـسْـتَـجِـدَّهْ
ولـيـس إلّا عـفـاف يُـبَـلِّغ الـمـرءَ قَـصْـدَهْ

ولذلك ما سعي به المخزومي الأعمى، وقد سَها عن رَسْم تفقُّده، فكُتب إلى عليّ بن يوسف[1] في شأنه بما كان سبب عَزْله ونكبته: [الطويل]

إليك، أميرَ المؤمنين، نصيحةً يجوزُ بها البحرَ المُجَعجعَ شاعرُ
بغرناطةٍ وُلّيت في الناس عاملًا ولكنْ بما تَحْويه منه المآزرُ
وأنت أما[2] تَخْفى عليك خَفِيَّةٌ؟ فَسَلْ أهلَها فالأمر للناس ظاهرُ
وما لإلاه العرش تَفْنيه حَمْدةٌ وزينبُ والكأس الذي هو دائرُ

شعره: من ذلك قوله[3]: [المجتث]

يا هـذه، لا تـرومـي خـداعَ مَـنْ ضـاقَ ذَرْعُـهْ
تَـبْـكـي وقـد قَـتَـلْـتِـنـي كـالـسَّـيفِ يَـقْـطُـرُ دَمْـعُـهْ

وقال عفى الله عنه[3]: [الطويل]

لقد صَدَعَتْ قلبي حمامةُ أيْكَةٍ[4] أثارت غرامًا ما أجَلّ وأكْرما
ورَقّ نسيمُ الرّيحِ مِنْ نَحْوِ أرضِكمْ ولُطّفَ حتى كادَ أنْ يَتَكَلَّما

وقال في مذهب الفخر[3]: [الخفيف]

فَخْرُنا بالحديث بَعْدَ القديمِ من معالٍ توارَثَتْ[5] كالنجومِ
نحن في الحرب أجْبُلٌ راسياتٌ ولنا في النّدِيّ لُطْفُ النّسيمِ

ولادته: ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

ومن الطارئين في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهِّل العبدري[6]

من أهل وادي آش، يكنى أبا عبد الله.

---

(١) هو علي بن يوسف بن تاشفين المرابطين، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٠٠ هـ إلى سنة ٥٣٧ هـ.
(٢) في الأصل: «ما» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣).
(٤) في المغرب: «بانةٍ».
(٥) في المغرب: «تواترت».
(٦) ترجمة العبدري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩) وجاء فيه «العذري» بدل «العبدري».

حاله: كان رجلًا شديد الأُدْمَة، أغين، كثّ اللحية، طِرْفًا في الأمانة، شديد الاستِرابة بجليسه، مُخِينًا لرفيقه، سيىء الظنّ بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقِباض، مُختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على النّفير والقِطْمِير، مُستوعب للحَصْر والتّقييد، أسير محيي وعابد زِمام، وجَنِيب أمانة، وحِلْس سقيفة، ورَقيب مُشرف، لا يقبل هوادة، ولا يُلابس رشوة، كثير الالتفات، متفقّدًا للآلة، متممًا للعمل.

جرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شِعْر خامل نسب إليه بما نصه[١]: رجل غليظ[٢] الحاشية، معدودٌ في جنس السائمة والماشية، تُليت على العمال به سُورة الغاشية، ولي[٣] الأشغالَ السلطانية، فَذُعِرَتِ الجُباةُ لولايته، وأيقنوا[٤] بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقَنِطوا كلّ القُنوط، وقالوا: جاءت الدّابّة تُكلّمُنا وهي إحدى الشروط، من رجل صائم الحُسْوَة[٥]، بعيد عن[٦] المُصانعة والرّشوة، يتجنّب الناس، ويقول عند المخالطة[٧] لهم: لا مِساس، عهدي به في الأعمال يَخْبِط ويَتْبُر[٨]، وهو[٩] يهلّل ويكبّر، ويحسّن[١٠] ويقبّح، وهو يسبّح، انتهى. قلت: ووُلّي الأشغال السلطانية، فضمّ النّشر، وأوْصَد باب الحيلة، وبثّ أسباب الضّياع، وتُرُصِّد ليلًا وأصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجَلَته الوفاة، فنُفّس عن أقتاله المُخَنّق.

شعره: قال يخاطب بعض أثْراءِ الدّولة قبل نباهته[١١]: [الطويل]

عمادي، ملاذي، مَوْئلي، ومُؤَمّلي	ألا أنْعَـمْ بـمـا تـرضـاهُ لـلمتـأهّـلِ
وحَقّقْ بنَيْلِ القَصْدِ منكَ رجاءَه	على نحو ما يُرْضيكَ يا ذا التّفضُّلِ
فأنتَ الذي في العِلْم يُعْرَفُ قَدْرُه	بخيرِ زمانٍ فيه لا زلتَ تَعْتَلي[١٢]
فَهُنّيتَ يا مَغنى[١٣] الكمال بِرُتْبَةٍ	تقِرُّ لكمْ بالسَّبْقِ في كلِّ مَحْفلِ

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٥٤).
(٢) في النفح: «كثيف».
(٣) في النفح: «تولّى».
(٤) في النفح: «وقامت قيامتهم لطلوع...».
(٥) في النفح: «الحُشوة».
(٦) في النفح: «من».
(٧) في النفح: «عند المخاطبة: لا...».
(٨) في النفح: «في الأعمال يقدّر فيها ويدبّر، ويرجّح ويعبّر، ويُخبط ويتبّر».
(٩) في النفح: «وهو مع ذلك يكبّر».
(١٠) في النفح: «ويحسّن من الأزمنة ويقبّح».
(١١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٤٠٠).
(١٢) في الأصل: «منه لا زلت فيه تعتل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(١٣) في النفح: «معنى».

وفاته: توفي عام ثلاثة وأربعين[1] بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، وله خط حسن، وممارسة في الطب، وقد توسّط المعترك.

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البَلَوي[2]

من أهل ألمريّة، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن»[3] قال: يُشْهر بنَسَبِه وأصل سَلَفه من جهة بِيرة، إما من بجّانة[4]، وإما من البريج[5]، واستوعب سبب انتقالهم.

حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقته، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوةً وسماحةً، ومبرَّة وأدبًا ولوذعيَّة ودُعابة، رافع راية الانْطِباع، وحائز قَصب السبق في ميدان التّخلّق، مبذول البِرّ، شائع المشاركة.

وقال في «المؤتمن»: كان رجلًا عاقلًا، عارفًا بأقوال الناس، حافظًا لمراتبهم، مُنْزِلًا لهم منازِلَهم، ساعيًا في حوائجهم، لا يَصْدرون عنه إلّا عن رضًى بجميل مُداراته. التفت إلى نفسه، فلم يَنْس نصيبه من الذُّلّ، ولا أغْفَل من كان يألفُه في المنزل الخَشِن، واصلًا لرَحِمِه، حاملًا لوَطْأة من يَجْفُوه منهم، في ماله حظٌّ للمساكين، وفي جاهِه رِفْدٌ للمضطرّين، شيخًا ذكيّ المُجالسة، تَسْتَطيب معاملته، على يقين أنه يُخْفي خلاف ما يُظهر، من الرجال الذين يصلحون الدُّنيا، ولا يَعْلَق بهم أهل الآخرة، لعَرْوه عن النّخوة والبَطَر، رحمه الله. تكرّرت له الولاية بالديوان غير ما مرّة، وورد على غرناطة، وافدًا ومادحًا ومُعَزّيًا.

مشيخته وما صدر عنه: قرأ على ابن عبد النُّور، وتأدّب به، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأحْوَص أيام قضائه بِبَسْطة، ونظم رَجَزًا في الفرائض.

---

(١) في النفح: (ج ٨ ص ٤٠٠): «توفي عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة».

(٢) نسبة إلى دار بَليّ بقرطبة، وهو بَليّ بن عمرو بن قضاعة، وقبيلة بلي عربية كانت تسكن بشمالي قرطبة، ولم تكن في أيام ابن حزم تحسن التحدث باللطينية. جمهرة أنساب العرب (ص ٤٤٣).

(٣) هو «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البلفيقي. وقد تقدم اسم الكتاب كاملًا في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة ابن البركات.

(٤) بَجّانة: بالإسبانية Pechina، وهي مدينة بالأندلس مشهورة بحمّتها العجيبة، وتبعد عن المرية خمسة أميال. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) البريج: بلدة قريبة من بجاية، تابعة للمرية.

شعره: قال الشيخ[١] في «المؤتمن»: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوَسَط، وكان شِعْرُ تلك الحَلْبة الآخذة عن ابن عبد النور، كأنه مصوغٌ من شعر شيخهم المذكور، ومَحْذُوٌّ عليه، في ضعف المعاني، ومِهنة الألفاظ. تنظُر إلى شعره، وشعر عبد الله بن الصّائغ، وشعر ابن شُعْبة، وابن رُشَيد، وابن عُبَيد، فتقول: ذرّية بعضُها من بعض.

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلـٰهي، أَجِرْني إنني لك تائب ... وإنّيَ من ذَنْبي إليك لَهارِبُ
عَصَيْتُك جَهْلًا ثم جِئْتُك نادمًا ... مُقِرًّا وقد سُدَّتْ عليّ المذاهبُ
مضى زمن بي في البطالة لاهيًا ... شبابيَ قد ولّى وعُمْريَ ذاهبُ
فخُذْ بيدي واقبلْ بفضلك تَوْبتي ... وحَقِّقْ رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوبًا جَنَيْتُها ... وحاشاك أن أشقى وأنتَ المُحاسب
وإني لأخْشَى في القيامة موقفًا ... ويومًا عظيمًا أنت فيه المُطالِب
وقد وُضع الميزان بالقِسْط حاكما ... وجاءَ شهيدٌ عند ذاك وكاتِب
وطاشَتْ عقول الخَلق واشتدَّ خوفهم ... وفرّ عن الإنسان خلٌ وصاحب
فما ثَمّ من يُرْجى سواك تفضُّلا ... وإن الذي يرجو سواك لخائب
ومن ذا الذي يُعْطي إذا أنت لم تَجُدْ؟ ... ومن هو ذو مَنْعٍ إذا أنت واهب؟
عُبَيْدُك، يا مولاي، يدعوك رغبة ... وما زلتَ غفّارًا لمنْ هُو تائب
دَعَوْتك مُضْطرًا وعَفْوُك واسعٌ ... فأنت المجازي ليَ وأنت المعاقِبُ
فهَبْ ليَ مِنْ رُحْماك ما قد رَجَوْتُه ... وبالجُود يا مولاي تُرْجى المواهب
توسّلْت بالمختار من آل هاشم ... ومن نَحْوه قصدًا تُحَثُّ الرّكائب
شفيعُ الوَرى يوم القيامة جاهُهُ ... ومُنْقِذُ مَنْ في النار والحَقُّ واجب

ومما بلغ فيه أقصى مَبالغ الإجادة، قوله من قصيدة هنّأ فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر[٢]، لما وفد هو وجملة أعيان البلاد أولها: [الكامل]

يُهني الخلافة فَتْحَتْ لك بابها ... فادخلْ على اسم الله يُمْنًا غابَها

(١) هو أبو البركات محمد بن محمد بن عياش البلفيقي.
(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

منها، وهو بديع، استُظرف يومئذ:

يا يوسفيًّا باسمه وبوجهه	اصْعَدْ لِمنبَرها وصُنْ مِحرابها
في الأرض مَكَّنَكَ الإلهُ كيوسف	وَلتَمْلُكَنْ بربِّها أربابَها
بَلَغَتْ بكمْ آرابَها من بعد ما	قالتْ لذلك نسوةٌ ما رابها
كانت تُراود كُفوها حتى إذا	ظَفِرَتْ بيوسفَ غلَّقَتْ أبوابها

قلت[١]: ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه الله، في هذا المُترجم به، من أنه ينظم الشعر الوَسَط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال، وحاز بها نمطًا أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى، فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المنزع، بعيدة من الجزالة، ولعلّ ذلك كان مقصودًا من ناظمها رحمه الله.

وفاته: توفي ببلده عن سنّ عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة.

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شِبْرين، رحمه الله، بقوله: [البسيط]

يا عَيْنِ، سِحّي بدمعٍ واكِفٍ سَرِبِ	لحاملِ الفضلِ والأخلاقِ والأدبِ
بكيتُ، إذ ذُكِر الموتى، على رجلٍ	إلى بَلِيٍّ[٢] مِنَ الأحياءِ مُنتَسِبِ
على الفقيه أبي بكر تَضَمَّنه	رَمْسٌ وأعمل سيرًا ثم لم يَؤُبِ
قد كان بي منه وُدٌّ طابَ مَشْرَعُه	ما كان عن رَغَبٍ كلّا ولا رَهَبِ
لكنْ ولاءً[٣] على الرحمٰن مُحتسبا	في طاعة الله لم يَمْذُقْ ولم يَشِبِ
فاليوم أصبح في الأجداث مُرْتَهنا	ما ضَرَّتِ الريحُ أُمْلُودا من الغضب
إنّا إلى الله،من فَقْد الأحبَّة ما	أشدَّ لَذْعًا لقلبِ الثّاكلِ الوَصِبِ
مَنْ للفضائل يُسْديها ويُلْحمها؟	مَنْ للعُلى بين مَوْروث ومُكْتسب؟
قُلْ فيه ما[٤] تَصِفُ رُكْنًا لمُنتبِذٍ	رَوْضٍ، لمُنْتَجِعٍ أُنْسٍ، لِمُغْتَرِبِ؟
باقٍ على العهد لا تَثْنيه ثانية	عن المكارم في وِرْد ولا قُرُب
سهل الخليقة بادي البِشر مُنبَسط	يَلْقى الغريب بوجه الوالد الحَدِب

(١) القول هنا للناسخ كما يتضح من السياق.

(٢) هو بَلِيّ بن عمرو بن قضاعة، وقد تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٣) في الأصل: «ولا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أماء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

كم غيَّر الدهر من حالٍ فَقَلَّبها ... وحالَ إخلاصُه ممتدَّة الطُّنُب
سامي المكانة معروفٌ تقدُّمه ... وقَدْرُه في ذوي الأقدار والرُّتب
أكْرِم به من سجايا كان يحملها ... وكلّها حَسَن تُنبيك عن حَسَب
ما كان إلّا من الناس الألى دَرَجوا ... عَقْلًا وحلْمًا وجودًا هاميَ السُّحُب
أمسى ضجيعَ الثرى في جَنْب بَلْقَعَةٍ ... لكنْ مَحامدُه تبقى على الحُقُب
ليست صَبابة نفسي بعده عجبًا ... وإنما صبرها من أعجب العُجب
أجاب دمعيَ إذ نادى النعيُّ به ... لو غَيْر مَنْعاه نادى الدمع لم يُجب
ما أغفل المرءُ عمّا قد أُريد به ... في كل يوم تناديه الرّدى اقْتَرب
يا ويحَ نفسيَ أنفاسٌ[1] مَضَتْ هَدَرًا ... بين البطالة والتّسويف واللّعب
ظَنَنْتُ أنّيَ بالأيام ذو هُزُءٍ ... غَلِطْتُ بل كانت الأيام تهزأ بي
أشكو إلى الله فَقْري من معاملة ... لله أنجو بها في مَوْقِف العَطَبِ
ما المال إلّا من الله فأَفْلَحَ مَنْ[2] ... جاءَ القِيامة ذا مالٍ وذا نَشَبِ
اسْمَعْ[3] أبا بكر الأرضى نداءَ أخٍ ... باكٍ عليك مدى الأيام مُكْتَئِبِ
أهلًا بقَدْمتك الميمونُ ظاهرها ... على محل الرّضى والسّهل والرّحب
نم في الكرامة فالأسباب وافرة ... وربما نِيلَت الحُسنى بلا سبب
لله لله والآجال قاطعةٌ ... ما بيننا من خطابات ومن خُطَب
ومن فرائد آداب يُحَبِّرها ... فيودع الشُّهب أفلاكًا من الكُتب
أما الحياة فقد مُلِّيتَ مدَّتها ... فعوّض الله منها خير مُنْقَلب
لولا قواطعُ لي أشراكها نُصِبَتْ ... لزُرْتُ قبرك لا أشكو من النّصب
وقلّ ما شُفِيَتْ نفسٌ بزَوْرةِ مَنْ ... حَلّ البَقيعَ ولكنْ جُهْدُ ذي أرب
يا نُخْبةً ضمّها تُرْبٌ ولا عجب ... إنّ التراب قديمًا مدفن النُّخَب
كيف السبيل إلى اللُّقيا وقد ضربوا ... بيني وبينك ما بقي من الحجب؟
عليك مني سلام الله يتبعُه ... حسنُ الثّناءِ[4] وما حيِّيت من كتب

---

(١) في الأصل: «الأنفاس» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «ما المال إلّا من الله قُوَى فأفلح من»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) كلمة «اسمع» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «الثنا» وكذا ينكسر الوزن.

محمد بن محمد بن شُعْبة الغسّاني[1]

من أهل ألمريّة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال شيخنا أبو البركات في الكتاب «المؤتمن»: من أهل ألمريّة ووجوهها، لا حظَّ له في الأدب، وبضاعتُه في الطلب مُزجاة. قطع عمره في الأشغال المخْزِنيّة، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العَمَليّة، ماضٍ على لين، متحرك في سكون، كاسدُ سوقَ المروءة، ضانٌ بما يملك من جدَة، مُنحَطٌ في هوّة اللّذة، غير مُعرج على رَبْع الهمّة، لطيفُ التّأنّي، مُتنزّل في المعاملة، دَمِث الأخلاق، مليحُ العمل، صحيح الحِساب، مُنجب الولد.

مشيخته: قرأ على ابن عبد النّور، والقدرُ الذي يُحِسّ به عنه أخذه.

شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة: [البسيط]

وافى البَشِيرُ فوافى الأُنْسُ والجَذَلُ ... وأَقبلَ السّعْدُ والتوفيقُ والأَمَلُ
وراقَتِ الأرضُ حُسْنًا زاهرًا وسَنًى ... واخْضَرَّ[2] منها الرُّبى والسَّهْلُ والجبلُ
ولاح وَجْهُ عليٍّ بعدَ ذا قَـعَدا ... له شعاعٌ كضوءِ الشّمس مُتّصل
مذ غاب أَظلمت الدنيا لنا وغَدَتْ ... أحشاؤُنا بلهيب الشّوق تشتعل
وحين أَشرقتِ الدُّنيا بغرّته ... عاد الظّلام ضياءً وانتفى الخَبَلُ
إيهٍ أَبا حَسَنٍ أنت الرجاءُ لنا ... مهْمَا اعْتَرَتْ شدّةٌ أو ضاقت الحيل
وأَنت كهفٌ منيعٌ مَنْ نَحاك فقد ... نال المُنَى وبدا عيشٌ له خَضِل
يا سيدًا قد غدا في المجد ذا رُتب ... مشيدةٍ قد بنَتْها السّادة الأُول
بنو كُماشَةَ أَهلُ الفضل قد شُهروا ... باهَتْ بهمْ في قديم الأعصُر الدُّول
السّالكون هدًى السابقون مدًى ... والباذلون ندًى والناس قد بَخِلوا
أنت الأخيرُ زمانًا والقديمُ عُلًا ... والسَّيّدُ المرْتَجى والفارسُ البطل
إن كُنْتَ جئت أخيرًا فارسًا[3] فلقد ... أَضحى بجودٍ يديك يُضْرب المثل
حُزْتَ المآثر لا تُحصى لكثرتها ... مَنْ رام إحصاءَها سُدّتْ له السُّبل
جُزْتَ البُدورَ سنًى والفَرْقَدين عُلًا ... وأَنت بَحْرُ النّدى والوابلُ الهطِل

---

(١) ترجمة محمد بن محمد بن شعبة في الكتيبة الكامنة (ص ١١٦).

(٢) في الأصل: «واخضرّت» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «فارسًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

من جاءَ يطلب منك السِّلْمَ قابلَه وَجْهٌ طليقٌ ولفظٌ كلّه عسل
ومن يُرِدْ غير ذا تبًّا له وردًى لقد ترَفَّعَ في بُرج له زُحل
هنّاك ربُّك ما أولاك من نعم وعِشْتَ في عزّة تَتْرى وتتّصل
ولا عَدِمْتَ مدى الأيام مَنْزِلةً من دُونها رفعةٌ في الأبْرُج الحمل
وخُذْه بعدُ سلامًا عاطرًا أرِجًا يدوم ما دامت الأسحار والأُصلُ
من خادمٍ لعُلاكمْ مخلصٍ لكم من حُبّكمْ لا يُرى ما عاش يَنْتقل
تقبيلُ كفِّك أغلى ما يؤمّله فَجُدْ به فَشِفا الهائم القُبَل

وفاته: في أول عام أربعة وستين وسبعمائة.

محمد بن محمد بن العراقي[١]

وادي آشي، يكنى أبا عبد الله.

حاله: فاضل[٢] الأبوة، معروف الصّون والعفّة، بادي الاستقامة، دَمِث[٣] الأخلاق، حسن الأدوات، ينظِم وينثرُ، ويجيد الخَطَّ، تولّى أعمالًا نَبيهة، ثم عَلِقت به الحرفة، فلقي ضغطًا وفقد نَشَبًا، واضطرّ إلى التحول عن وطَنه إلى برّ العُدْوة عام ستة وخمسين وسبعمائة، وتُعرّف لهذا العهد أنه تولّى الأشغال بقُسَنْطينيّة[٤] الهواء من عمل إفريقية.

شعره: كتب إليّ وقد أبى عملًا عُرض عليه[٥]: [الطويل]

أأصْمتُ ألْفًا ثم أنطقُ بالخُلْفِ وأفْقِدُ إلْفًا ثم آنسُ بالجِلْفِ؟
وأُمسِكُ دهري ثم أَنطقُ[٦] عَلْقَمًا ويَمْحَقُ بَدْري ثم أُلحقُ بالخسْفِ؟
وعِزُّكُمُ لا كنتُ بالذُّلِّ عاملًا ولو أنّ ضَعْفي يَنْتَمي بي[٧] إلى حَتْف[٨]

---

(١) ترجمة محمد بن محمد بن العراقي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) وجاء فيه: «محمد بن محمد العراقي».
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) بتصرف.
(٣) في النفح: «حسن».
(٤) في الأصل: «قسنطينة»، والتصويب من معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٩)؛ إذ جاء فيه: قُسَنْطينية، بضم القاف وفتح السين: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينية الهواء.
(٥) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٦).
(٦) في النفح: «أفطر».
(٧) كلمة «بي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٨) في النفح: «الحتف».

فإنْ تُعملوني في تَصَرُّف عِزَّةٍ وعدلٍ وإلّا فاحسموا علّةَ الصَّرْف
بقيت وسُحبُ العَطْف[1] منكم تُظِلُّني وعطف[2] ثُنائي[3] دائمًا ثانيَ العِطْف

محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري

من أهل مالقَة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا.

أوليته: يُنسب إلى القاضي ببَطَلْيَوْس، قاضي القضاة، رحمه الله. وبمالقة دُورٌ تنسب إلى سَلَفِه تدلّ على نباهة، وقد قيل غير ذلك. والنَّص الجَلي أولى من القِياس.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدِّث صاحب الأشغال بالدار السلطانية. صَدْرُ نَمَطه، وفريدُ فنّه رجولةً وجزالةً واضطلاعًا وإدراكًا وتجلُّدًا وصبرًا. نشأ بمالقة معدودًا في أهل الطَّلب والخصُوصيّة، ورَحل إلى الحجاز الشَّريف في فِتائه، فاستكثر من الرِّواية، وأخذ عن أكابرٍ من أهل المشرق والمغرب، حسبما يشهد بذلك برنامجه.

وكان على سُنن من السَّرْو والحشمة، فذًّا في الكِفاية، جريًا، مِقدامًا، مَهيبًا، ظريف الشَّارة، فارِه المَرْكب، مليح الشَّيبة، حسن الحديث، وقَّاد الذهن، صابرًا على الوظائف، يَخلط الخوض في الأُمور الدُّنيوية بعبادةٍ باهظة، وأوْراد ثقيلة، ويجمع ضحك الفاتِك وبُكاءَ النَّاسِك في حالة واحدة، هشًّا، مفرط الحِدَّة، يَشْرُد عليه مَجْلُ لسانه في المجالس السلطانية بما تعرُوه المندمة بسببه، قائمًا على حفظ القرآن وتَجْويده وتلاوته، ذا خصال حميدة، صنَّاع اليد، مقتدرًا على العمليات من نسخٍ ومقابلة وحساب، معدودًا من صُدُور الوقت وأعلام القُطْر ورجال الكمال.

مشيخته: أخذ عن الجِلّة من أهل بلده كالأُستاذ أبي محمد بن أبي السَّداد الباهلي؛ لازمه وانتفع به، والخطيب أبي عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه، والولي أبي عبد الله الطُّنجالي، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدْوة والأندلس والمشارقة.

---

(١) في النفح: «العفو».
(٢) في النفح: «وحظُّ».
(٣) في الأصل: «ثُناتي» والتصويب من النفح.

محنته: لقي نَصَبًا في الخدمة السلطانية، وغَضًا من الدهر لبَأْوه، بتَعَنُّته وعدم مبالاته مرّاتٍ، ضُيِّق لها سِجْنه، وعُرِض عليه النَّكال، ونِيل منه بالإهانة كلَّ مَنال، وأُغرم مالًا أَجْحف بمُحْتَجَنِه، وعُرِّض للأيدي نفائس كُتبه، وعلى ذلك فلم يَذْعر سِرْبَهُ، ولا أَضْعَفَتْ النكبة جأشَه.

ولادته: ولد عام ثلاثة وسبعين وستمائة. ومات مِيتة حسنة. صلّى الجمعة ظهرًا، وقد لزِم الفراش. ونَفَث دَمَ الطاعون، ومات مُستقبل القِبلة، على أتمّ وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالَقة، يكنى أبا القاسم، أزدي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله: كان فاضلًا وقورًا سَمْحًا، مليح الدُّعابة، عذبَ الفكاهة، حُلو النادرة، يكتُبُ ويُشعر، طِرْفًا في الانطباع واللَّوذعيّة، آيةً في خلط الجِدّ بالهَزْل. وَلِّي الإشراف بمدينة مالَقة، وتقلّب في الشهادة المَخْزنية عُمْره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، رحمه الله: [الطويل]

فؤادي من خَطْب الزمان سَقيمُ ... وفيه لسَهْم الحادثات كُلومُ

ولم أَشْكُ دائي في البريّة لامرىء ... أَأَشكو به وابنُ الحكيم حكيمُ؟

وفاته: توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين وسبعمائة.

محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راويةً ثقةً، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيِّب النفس، كامل المروءة، حَسن الخلق، جميل العشرة، تلبّس بالأعمال السلطانية دهرًا، ووُلِّي إشراف غرناطة وغيرها، إلى أن قَعَد لشكاية منعته من القيام والتَّصرُّف فعَكَف على النَّظر، فانتُفِع به.

مشيخته: كانت له رِحْلة سَمِع فيها بالإسكندرية على أبي عبد الله بن منصور وغيره، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمٰن، ابنا صالح بن سالم.

تواليفه: له اختصار حسن في «أغاني الأصبهاني»، وردٌّ جيِّد على ابن غَرْسِيَّة في رسالته الشُّعُوبية[١]، لم يَقْصُر فيها عن إجادة.

وفاته: وتوفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين وستمائة.

الزُّهاد والصُّلحاء والصُّوفية والفقراء وأولًا الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري[٢]

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصّنّاع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصُّوفي، الكثير الأتباع، الفَذُّ الطريقة، المُحَبَّب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه الله، شيخًا حسن السَّمت، كثير الذِّكر والمداومة، يقود من المُخْشَوشِنين عددَ ربيعة ومضر، يعمل الرِّحلة إلى حُصونهم، فيتألَّفون عليه تألُّف النَّحل على أمرائها ويعَاسِيبها، مُعلنين بالذِّكر، مهرولين، يغشَون مثواه بأقواتهم على حالها، ويتناغَون في التماس القرب منه، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة. وكان من الصالحين، وعلى سُنن الخِيار الفضلاء من المسلمين، وله حظٌّ من الطَّلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، ويتكلم في طريق المتصوِّفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه، كلامًا جَهْوريًا، قريب الغَمْر. وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافَتَ على دفاتيرها وأهل مُنتحليها؛ ليستعين بها بزعمٍ على آماله الخيريَّة، فلم يَحْلَ بطائل.

مشيخته: قرأ على أُستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، وكانت له في حاله فراسةٌ. حدَّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي، رحمه الله. وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي.

وفاته: وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال، قَدِم لها العهد، ونَفَر لها الناس من كل أوب، وجيءَ بسريره، تلوح عليه العناية، وتحفُّه الأتباع المقتاتون من حِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولَّوا مواراته، تعلو الأصوات حوله، ببعض أذكاره.

---

(١) هو أبو عامر أحمد بن غرسية، من أبناء نصارى البشكنس، سبي صغيرًا وأدّبه مولاه مجاهد العامري. المغرب (ج ٢ ص ٤٠٦). وقد ذكره ابن بسام وأورد له رسالته الشعوبية، وهي رسالة ذميمة ذمّ فيها العرب، وفخر بقومه العجم. الذخيرة (ق ٣ ص ٧٠٥ _ ٧١٤).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠): «محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب الأنصاري...».

محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالموّاق.

حاله: كان معلمًا لكتاب الله تعالى، خطيبًا بمسجد ربض الفخّارين، طِرْفًا في الخير ولين العريكة والسذاجة المشفوعة بالاختصار وإيثار الخُمول، مستقيمًا في طريقته، خافتًا في خطبته، عاكفًا على وظيفته، مقصودًا بالتماس الدعاء، مَظنّة الصلاح والبركة.

وفاته: توفي بغرناطة قبل سنة خمسين وسبعمائة بيسير، وكلِفَ الناس بقبره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم وجَلْب أواني المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

محمد بن حسنون الحميري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلًا صالحًا، مشهور الولاية والكرامة، يقصده الناس في الشّدائد، فيسألون بركة دُعائه. ومن إملاء الشيخ أبي بكر بن عَتيق بن مُقَدّم، قال: أصله من بَيّاسة[1]، وكان عمّه من المقرئين المحدّثين بها، وسكن هو مُرسية، ونشأ بها، وقرأ على أشياخها، وحفظ «كتاب التحبير» في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم القُشَيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، وأمّ الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحَلْفا، ويتقوت من ذلك.

وفاته: توفي عام خمسة وسبعمائة بغرناطة، وهو من عدد الزُّهّاد.

ومن مناقبه: ذكروا أنه سمع يومًا بعض الصِّبيان يقول لصبي آخر: مُرّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فانصرف إلى السِّجن، فدخله، وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان، فوجّه وزيره، فأخرجه، وأخرج معه أهل السجن كلّهم، وكانت من كراماته.

محمد بن محمد البكري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

---

(١) بياسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة تبعد عن جيان عشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ١٢١).

كان، رحمه الله، شيخًا صالحًا، جَهْوريًا، بعيدًا عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مُغْلِظًا لأهل الدُّنيا، شديدًا عليهم، غير مُبالٍ في الله بغيره، يلبس خِرْقة الصُّوفية من غير التزام لاصْطِلاح، ولا مُنْقاد لرَفْو، ولا مُؤثر لسماع، مشاركًا للناس، ناصحًا لهم، ساعيًا في حوائجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مَكْنون، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتَّجنُّد، فرفض زِيَّه، ولبس المُسوح والأسْمال. وكان ذا حظٍّ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجَيّاب: سمعته ينشد في بعض مجالسه: [الرجز]

يا غاديًا في غفلة ورائحا ... إلى متى تَسْتَحسن القبائحا؟
وكمْ إلى كم لا تخاف موقفًا ... يستَنْطِق الله به الجَوارحا؟
يا عجبا منك وأنت مُبْصِرٌ ... كيف تُجَنَّبُ[1] الطريقَ الواضحا؟
كيف تكون حين تقرا[2] في غَد ... صحيفةً قد مُلئت فضائحا؟
أم كيف ترضى أن تكون خاسرا ... يوم يَفوز مَنْ يكونُ رابحا؟

ولمّا حاصر الطّاغية مدينة ألمريّة[3] وأشرفت على التلف، تبرّع بالخروج منها ولحاقِه بباب السلطان؛ لبثّ حالها، واستِنْفار المسلمين إلى نَصْرها، فيُسِّر له من سَتْر غَرَضه، وتَسْهيل قصده، ما يشهد بوِلايته.

وفاته: توفي بألمريّة محلّ سكناه، في حدود عام خمسة عشر وسبعمائة.

محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

غرناطي، قِيجاطي[4] الأصل، يعرف بالسّواس.

قال في «المؤتمن»[5] في حاله: رجل مُتَطَبِّب، سهل الخُلُق، حسن اللقاء، رحل من بلده، وحجّ، وفاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، وعاد فتصدّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلتُ: وعظُم صيته، وشُهر فضله، وقُدِّم أمينًا على أحْباس

(١) في الأصل: «تجتنب» وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «تقرأ» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا الهمزة.
(٣) المراد بالطاغية صاحبُ برجلونة، إذ حاصر في غرة ربيع الأول من عام ٧٠٩ هـ مدينة ألمرية وأخذ بمخنقها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفع الحصار. اللمحة البدرية (ص ٧٥).
(٤) نسبة إلى قيجاطة Quesada، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع على ثلاثين كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من أبدة. الروض المعطار (ص ٤٨٨).
(٥) هو كتاب «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البلفيقي.

مسجد رسول الله ﷺ، بالمدينة الطّاهرة وصَدقاتِه، وذُكر عنه أنه اضطرّه أمرٌ إلى أن خَصى نفسه، وسقَطَتْ لذلك لحيتُه.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكّانه برحَبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد الله المرّاكشي بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المُرحّل لنفسه:

أرى الكلاب بشَتْم الناس قد ظُلمت ... والكلبُ أَحْفَظُ مخلوق لإحسانِ
فإن غَضِبت على شخص لتشتِمه ... فقل له: أنت إنسانٌ ابن إنسانِ

وفاته: كان حيًا عام خمسين وسبعمائة فيما أظن.

ومن الطّارئين عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار ابن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حقاف السلمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقَوْنجي، منسوبًا إلى قرية[1] بالإقليم، وكان من أهل غرناطة.

حاله: من خطّ شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلًا صالحًا فاضلًا متخلّقًا، سمْحًا، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممّن وضع الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصّة تَبرُّه ولا تنتقدُه، والعامة تَوَدُّه وتعتقده، وتَترادف على زيارته، فئةً بعد فئة، فلا تَنْقَلب عنه إلّا راضيةً، وكان جاريًا على طريقة الشيخ أبي الحسن الشّاذلي، إذ كان قد لَقي بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاءِ الله، ولازمه وانتفع به، كما لَقي ولازم تاج الدين أبا العباس المُرْسي، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتّى، ينتسبون إليه، ويجْرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، ومُلازمة الوظائف، وخرج عنه إليهم على طريقة التّدوين كتابٌ سمّاه بـ«الأنوار في المخاطبات والأسرار» مُضمّنُه جملةٌ من كلام شيخهم تاج الدين،

(١) هي قرية قنجة، كما سيتبيّن بعد قليل.

وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سرّه، وكلام صاحبه أبي بكر الرُّندي، وحقائق الطريق، وبعض كرامات غير مَنْ ذُكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلُّوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فَضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل فحجّ ودخل الشام، وعاش مدّة من حِراسة البساتين، واعتنى بلقاء المعروفين بالزُّهد والعِبادة، وكان مليًا بأخبار مَن لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى مَن خفّ على قلبي الوصُول إلى منزله لمّا قدم المريّة، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقّت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على سَتْر ذلك لعلوّ همّته، ولم يكن أيضًا أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاثُ العافية باقٍ فيه من فَرْشٍ وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجْبُر حالك، فحسبتُها فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الأبيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكهُ ... ما لم يُرِدْ من سبيل فهو يسلكُهُ
له تعاقبُ أهواءٍ فيقلقه ... هذا ويأخذه هذا ويتركُهُ
طورًا يؤمّنهُ طورًا يُخوّفه ... طورًا يُيقّنُه طورًا يُشكّكه
حينًا يُوَحّشه حينًا يُؤنّسه ... حينًا يُسَكّنه حينًا يُحَرّكه
عسى الذي يمسك السّبع الطِّباق على ... يديك يا مُطلع الأنوار يمسِكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزُخْرُفها ... مهمَا أبيّضه بالذكر تُشركه
عسى الذي شأنه السّتْر الجميل كما ... غطّى عليه زمانًا ليس يَهتِكه

فلما قرأ منها: «فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها»، قال: هذه عِلّتي.

مولده: سألته عنه، فقال لي: عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيبًا بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة، في الوباء العام، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.

محمد بن أحمد بن حسين بن يحيىٰ بن الحسين ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي[١]

وبيته شهير بمالقَة، يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صَفْوان.

حاله: كان مفتوحًا عليه في طريق القوم، مُلْهَمًا لرمُوزهم، مصنوعًا له في ذلك، مع المحافظة على السُّنة والعمل بها آخر الرَّعيل، وكوكبَ السَّحر، وفذلكةَ الحساب ببلده، اقتداءً وتخلُّقًا وخشوعًا وصلاحًا وعبادة ونصحًا. رَحل فحجّ، وقَفل إلى بلده، مُؤثرًا الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلّم في شيءٍ من تلك النِّحلة، يأتي بالعجائب، ويفُكُّ كل غامض من الإشارات. وعُني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الرُّوبي المسمّى بـ«منازل السّاري إلى الله» فقام على تدريسه، واضطلع بأعبائه، وقيّد عليه ما لا يدركه إلّا أولو العناية، ولازمه الجُمْلة من أولي الفضل والصلاح، فانتفعوا به، وكانوا في الناس قُدْوة. ووُلي الخطابة بالمسجد الجامع من الرَّبض الشَّرقي، وبه كان يقعد، فيقصِده الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيامٌ على كتاب الله.

تواليفه: ألّف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج[٢]، رحمه الله، كتابًا في التَّصوُّف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاي الخليفة يوسف ... جاءت بهذا العالم المُتَصَوِّفِ

فكفى بما أسدى من الحِكم التي ... أبدين من سرّ الطريقة ما خَفِي[٣]

وحقائقٌ رُفع الحجاب بهنّ عن ... نور الجمال فلاح غير مُكيَّف

كالشمس لكن هذه أبدى سَنًا ... للحُسن والمعنى لعين المُنْصف

فيه حياةُ قلوبِنا ودواؤها ... فمن استغاث بجرعة منها شفي[٤]

إن ابن صفوانٍ إمامُ هِداية ... صافي فَصُوفي فَهْوَ صُوفيٌّ صَفِي[٥]

وإن اختبرت فإنه صفْوُ ابن صَفْـ ... ـوٍ ظاهر في طيِّهِ صَفْوٌ خَفِي[٦]

---

(١) ترجمة ابن صفوان القيسي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

(٣) في الأصل: «ما خف» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «شف» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «صف» بدون ياء.

(٦) في الأصل: «خف» بدون ياء.

عـلمٌ تـوارثـه وحـالٌ قـد خَـلَـت ذوقًا فَنِعْمَ المقتَدى والمُقتَفي[١]

فلْيُهْنِك المولى سُعود إيالة فيها سراجٌ نورُهُ لا يَنْطَفي[٢]

جلّى وجوهَ شريعةٍ وحقيقةٍ صُبْحًا سَناهُ باهرٌ لا يَخْتَفي[٣]

لا زلتَ تسلك كل نَهْج واضح منها وتحيي كل سَعْي مُزلف

ومن تواليفه: «جَرُ الحُرّ» في التوحيد، وعلّق على الجزء المنسوب لأبي إسماعيل الهَرَوي.

مَن أخذ عنه: أُخذ عنه ببلده وتبرّك به جلّة، وكان يحضر مجلسَه عالَمٌ، منهم شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم الكسكلان، وأبو الحسين الكوّاب، والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال، والعاقد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم.

شعره: رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يُذيّل قول أبي زيد[٤]، رضي الله عنه[٥]: [الطويل]

رأيتك يُدْنيني[٦] إليك تباعدي[٧] فأبعدْتُ نفسي لابتغاءِ التقرُّب[٨]

فقال: [الطويل]

هربْتُ[٩] به مني إليه فلم يكن بيَ البُعْدُ في بُعْدي فصَحَّ به قربي[١٠]

فكان به سَمْعي كما بَصَري به وكان به لا بي[١١] لِساني مع القَلْب

فقُرْبي به قربٌ بغير تباعدٍ وقُرْبيَ في بُعدي فلا شيءَ من قُرْبي[١٢]

---

(١) في الأصل: «والمقتف» بدون ياء.

(٢) في الأصل: «لا ينطف» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لا يختف» بدون ياء.

(٤) في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤): «أبي يزيد».

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤ ـ ٥٥).

(٦) في الأصل: «تدنيني» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الأصل: «تباعدني» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «وابتغائي من القرب».

(٩) في الأصل: «هويت بدمني. . .» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «قرب» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «وكان به لأيّ» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٢) في الأصل: «قرب» بدون ياء.

وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها، وذهب سَحَرًا يرتاد ماءً لوضوئه، فتردى في حفرة تردِّيًا أوهن قواه، وذلك بخارج بَلّش[1]، فرُدَّ إلى مالَقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الرحمـٰن بن إبراهيم الأنصاري[2]

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالسّاحلي.

حاله: من «عائد الصلة»: المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة، وصَبره على المُجاهدة. قطع عمره في التَّبتُّل والتّهجُّد، لا يفتُر لسانه عن ذكر الله والصلاة على نبيّه، ﷺ. خرج عن مَتروك والده، واقتصر على التَّعيُّش من حِرفة الخياطة. ثم تعدّاها إلى النّسخ والتّعليم، وسلك على الشيخ أبي القاسم المُريد، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره مُستوعبًا ضروب الخير، وأنواع القُرب من صوم وأذان وذِكر ونَسْخ وقراءة وملازمة خَلْوة، ذا حظٍّ من الفصاحة، وجُرأة على الوعظ في صوت جَهير وعارِضَةٍ صَليبة. اقتدى به طوائفُ من أصناف الناس على تباعُد الدِّيار، وألزمهم الأذكار، وحوّلهم للسلوك، فأصبح كثير الأتباع، بعيد الصِّيت. ووُلّي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونُقل إلى الخطابة بجامع غُرناطة في نَبْوَةٍ عرضت له بسبب ذُنَابَى ذرِّية طرقوا الكَدَر إلى سِرْبه، ثم عاد إلى بلده متين ظَهْر الحُظْوة، وثيق أساس المَبرّة.

مشيخته: قرأ ببلده مالَقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لُب، وأبي جعفر الحرّار، وأبي عبد الله بن الحُلو، والخطيب أبي عبد الله بن الأغوَر.

محنته: ابتلي بعد السبعين من عمره بفَقْد بصره، فظهر منه من الصبر والشكر والرّضا بقضاء الله ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن يكفّ بصري خوفًا من الفِتنة. وفي هذا الخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره، ﷺ، بسؤال العافية والإمتاع بالإسماع والإبصار.

---

(١) هي بَلّش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفيًا بالقول: «بَلّش، بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة: بلد بالأندلس ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي». معجم البلدان (ج ١ ٤٨٤).

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي في نيل الابتهاج (ص ٢٣٠) والكتيبة الكامنة (ص ٤٥).

شُهرته: وجعل الله له في قلوب كثير من الخَلْق، الملوك فَمَنْ دونَهم، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المُعَمر الحجَّة الرُّحلة أبا علي ناصر الدين المِشْدالي كتب إليه من بِجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسَّنا وأهلنا الضُّر، وجئنا ببضاعة مُزجاة، فأَوْفِ لنا الكَيْل، وتصدَّق علينا، إن الله يجزي المتصدِّقين. وبعده: من العَبْد الأصغر والمُحِبّ الأكبر فلان، إلى سيِّد العارفين، وإمام المحققين، في ألفاظ تناسب هذا المعنى.

حدَّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب، وكان من أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خَلْوة، فقلت: يا سيدي، أصحابُنا يزعمون أنك ترى رسول الله ﷺ، فأخبرني واشْفِ صدري، هل هذه الرؤيا عيْنِيَّة أو قلبية؟ قال: فأَفْكَر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية ابن الجيَّاب الساعة ومحادثته، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: وهذا أمر غريب، ولا يصح إلّا رُؤية القلب، ولكن غَلبت عليه حتى تخَيَّل في الحسِّ الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد في محلَّين اثنين محال.

شعره: نظم الكثير من شعر مُنْحطّ لا يصلح للكَتْب ولا للرِّواية، ابتلي به، رحمه الله، فمن لبابه قوله، وهو من الوسط[1]: [الكامل]

إن كنت تأملُ[2] أَنْ تنالَ وِصالهمْ ... فامْحُ الهوى في القيل والأفعالِ
واصبرْ على مُرِّ الدواءِ فإنه ... يأتيكَ بَعْدُ بخالصِ السَّلْسالِ

تواليفه: ألَّف كتابًا سمَّاه «إعلان الحجَّة، في بيان رسوم المحجَّة».

وفاته: توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعمائة، وكانت جنازته مَشْهُودة، تزاحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقًا على عادتهم من ارتكاب القِحة الباردة في مِسْلاخ حُسْن الظَّن.

محمد بن أحمد بن قاسم الأمي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطَّان، الفقيه الأوَّاب المتكلم المجتهد.

حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المَنْزَع، عجيب التَّصوُّف. قرأ وعقد الشروط، وتصدَّر للعدالة، ثم تجرَّد، وصدق في معاملته لله، وعوَّل عليه،

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٥). (٢) في الكتيبة: «تطلبُ».

واضطلع بشروط التّوبة، فتحلّل من أهل بلده، واستفاد واستَرْحم، واستغْفَر، ونَفَض يديه من الدُّنيا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يُشار إليه في الزُّهد والوَرَع، لا تراه إلّا متبسّمًا، ملازمًا لذكر الله، متواضعًا لأصاغر عِباده، محبًا في الضُّعفاء والمساكين، جميل التّخلّق، مُغْضيًا عن الهِنات، صابرًا على الإفادة. وجلس للجُمهور بمجلس مالَقة، يتكلم في فنون من العلم، يعظُ الناس، ويُرشدهم، ويُزهّدهم، ويحملهم على الإيثار، في أُسلوب من الاستنفار والاسترسال والدلالة والفصاحة والحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بإلهام وإعانة، فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتّوبة، وبادر مُتْرفُوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزّلّات، ودَهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البرّ والصّدَقة، ما لا يأخذه الحَصْرُ ولا يُدركه الإحْصاء، ولولا أن الأجل طرقه، لعظُم صيته، وانتشر نفعه.

وفاته: توفي شَهيد الطّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمائة، ودفن بجبانة جبل فاره[1]، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلّى عليه خارج باب فِنْتِنالة، وألْحده في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطّنجالي، رحم الله جميعهم.

وممّن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الورّاد فقال: [الطويل]

أَبَعْدَ وليّ اللهِ دمعيَ يُسْجَمُ ... وغِمار قلبي من كُلومٍ تُتَرْجَمُ؟

فؤاديَ مَكْلُوم بحُزْني لفَقْده ... لذاك جُفُوني دَمْعُها كلُّه دَمُ

وماذا عسى يُغْني التفجّع والبُكا ... وماذا عسى يُجْدي الأسى والتّبرُّمُ؟

سأصبر للبَلْوى وإنْ جلّ خطبها ... فصبر الفتى عند الشّدائد يُعْلَمُ

كذا العلم بالسيف الصّقيل لدى الوَغى ... فُوَيق الذي من حُسْنه لا يوسَم[2]

على قَدْر صبر المرءِ تَصْغُر عنده ... خطوبٌ من الدنيا على الناس تَعظم

ألا إنها الدُّنيا تَعِلّةُ باطل ... ومَخْمَض[3] أحلامٍ لِمن بات يَحْلُمُ

تَجنّبَها أهلُ العقول فأقصروا ... وأغرق فيها الجاهلون وأشأموا[4]

---

(١) جبل فاره: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزهة المشتاق (ص ٥٧٠).

(٢) كلمة «لا» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «ومَخْمضة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «وأشأم».

أَعِدْ نظرًا فيها تُجِبْكَ براحة ... وإنْسَ[١] بما تقضي عليك وتحكم
أعدَّ لها دِرياق صبرك إنها ... من البؤس والتَّلوين والله أرْقم
تَلَفَّتْ إلى تعذيبها لمحبِّها ... وماذا بها يَلْقى كئيبٌ ومُغْرم
يُظَنُّ بها ريحانةٌ وَهْيَ سِدْرَةٌ ... ولا مُنْتَهى إلّا الرّدى والتَّندم
عجبت لها تَخفى علينا عُيوبها ... وذاك لأنّا في الحقيقة نُوَّم
أليس عجيبًا أن يُعَوِّل عاقلٌ ... على عاجلٍ من وَصْلها يَتَصَرَّمُ؟
وما وَصْلها مِعْشار عُشْرِ صُدودها ... ولكنه صَرْفٌ وللدَّهرِ[٢] أدْوَم
إذا ابْتَسمت يومًا ترقَّبْ عُبُوسَها ... فما إن لنا منها يَدُوم التَّبَسُّم
ضُحَى كان وجهُ الدّهر سبْرٌ بشرْه ... فلم يُمْسِ حتى بان منه التَّجَهُّم
ذَرينا بفقدِ مِنْ وَليّ مكانُهُ ... مكينٌ لدى العلياءِ سامٍ معظَّمُ
هوَى مثل ما هوى من الأفق كوكب ... فَجَلَّلَنا ليلٌ من الخَطْب مُظلم
تساوى لديه صَيدُها وعبيدُها ... وعالِمُها النّحرير والمُتَعلِّم
هو الموتُ لا ينفكُّ للخلق طالبًا ... يروح ويغدو كلَّ حين عليهِمُ
وما هو إلّا الدّاءُ عَزَّ دواؤه ... فليس لشيءٍ في البَسِيطة يُحْسم
دها كل مخلوق فما منه سيِّدٌ ... له الجاهُ عند الله ينجو ويَسْلَمُ[٣]
ولو كان ذا كان النَّبيُّ محمدٌ ... تَجَنَّبَهُ، صلُّوا عليه وسَلِّموا[٤]
تعنَّى به موسى ويوسُف قبله ... ونوحٌ وإدريسٌ وشيثٌ وآدم
به باد بهرامٌ وتُبِّرَ بَهْرم ... وكُسِّرَ مِنْ كِسرى سوارٌ ومِعْصَم
وكم من عظيم الشَّأن حلَّ بربعه ... فإن تَخْتَبِرْه فهو ربٌّ وأعظم
ولكنّنا نَنْهى ونَأبى حديثه ... ونُنْجِدُ في الإعراض عنه ونُتْهِم
فحتّى إذا حلَّ ساحة ماجِد ... نطلُّ بها من حَسْرة نتكلّم
نَسينا حديث الموت جهلًا بغَدْره ... فألْهَمَنا إذ هزّنا منه مُلْهِم
وفاةٌ ورَمْيٌ في التُّراب مُوَسَّد ... وآثاره فوق السِّماك تُخَيِّم
خَبا ضوءُ ناديٍّ فأقْفَر[٥] رَبْعُه ... من العِلم والتّعليم ربعٌ ومُعْلَم

(١) في الأصل: «وأَنَسَ»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع.
(٢) في الأصل: «للدهر» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «فَسَلِّم».
(٤) في الأصل: «وسَلِّمْ».
(٥) في الأصل: «أقفر» وكذا ينكسر الوزن.

تـردَّى فـأردَى فَـقْـدُه أهـلَ رَيُـةٍ[١] فـمـا مـنـهُـمْ إلّا كـئـيـبٌ ومُـغْـرَمُ
غـدا أهـلُهـا مـن فَـجْـعـة بـمـصـابـه وعـيـشُـهُـمْ صـابٌ قـطـيـع وعَـلْقـم
وهـل كـان إلّا والـدٌ مـات عـنـهـمُ؟ فيا مَنْ لقوم يُتِّموا حين أُيِّموا[٢]
قضى نَحبه الأستاذُ واحدُ عصره فكاد الأسى يَقضي إلى الكلّ منهم
قضى نحبه القطّان فالحزن قاطن مـقـيـمٌ بأحـنـاءِ الـضُّـلُوع مُـحَـكَّـم
وهـل كـان إلّا روضـة رَفَّ ظِـلُّـهـا أُتـيـح لـه قَـيظٌ مـن الـجَـوْن صَـيْلَمُ؟
وهـل كـان إلّا رحـمـةٌ عـاد فَـقْـدُهـا عـلامَـة فَـقْـد الـعِـلم والله أعْـلَـمُ؟
سَلِ التّائبين العاكفين على الهدى لـكَـمْ مِـنّـة أسـدى وأهـدى إلـيـهـمُ
أفـادهُـمُ مـن كـلّ عـلـم لُـبـابَـه وفـهَّـمـهـمْ أسـراره فـتَـفَـهَّـمُـوا[٣]
جـزى الله ربُّ الـنـاس خَـيْـر جـزائـه دليلًا بهمْ نحو الهدى حيث يمَّمُوا[٤]
أبـان لـهـمْ طُـرُقَ الـرَّشـاد فـأقـدَمـوا وحذَّرَهُمْ عن كل غيٍّ فأحْجَمُوا[٥]
وجـاءَ مـن الـتَّـعـلـيـم لـلـخـيـر كـلـه بـأبْـيَـنَ مَـنْ يـأتـي بـه مَـنْ يُـعَـلّمُ
فـصـاحـةُ ألـفـاظٍ وحُـسْـنُ عـبـارةٍ مضيٌّ كما يَمْضي الحُسامُ المُصَمِّم
يُـصـيـبُ فـلا يُـخْـطـي إذا مَـقْـصِـدًا ومَنْ[٦] يجيب فلا يُبطي ولا يَتَلعثم
يـحـدَّث فـي الآفـاق شـرقًـا ومـغـربًـا فـأخـبـاره أضـحـت تُـخَـطُّ وتُـرسَـم
سـرَى فـي الـورى ذكـرٌ لـه ومـدائـح يـكـاد بـهـا طـيـرُ الـعُـلى يـتـرنَّـم
لـعَـمْـرُك مـا يـأتـي الـزمـان بـمـثـلـه ومـا ضـرَّنـي لـو كـنـت بـالله أُقـسـم
فـقـيـهٌ نـزيـهٌ زاهـد مـتـواضـع رؤوفٌ عـطـوف مُـشـفـق مُـتَـرحِّـم
يـودُّ لـو أنَّ الـنـاس أثْـرى جـمـيـعـهـمْ فـلـم يَـبْـق مِـسـكـيـن ولـم يـبـق مُـعـدم
يـودُّ لـو أنَّ الله تـاب عـلـى الـوَرى فـتـابـوا فـمـا يَـبْـقـى مـن الـكـلّ مُـجـرم
عـلـيـه مـن الـرَّحـمـٰن أوسـعُ رحـمـة فـقـد كـان فـيـنـا الـدَّهـر يـحـنُـو ويَـرْحَـمُ

---

(١) رَيُه Reyo: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٧٩).
(٢) في الأصل: «حين أو يُتِّم» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن. وأيَّم الرجلَ أو المرأةَ: قتل زوجه أو جعله أيِّمًا. محيط المحيط (أيم).
(٣) في الأصل: «فتفهَّمْ».
(٤) في الأصل: «يَمَّمْ».
(٥) في الأصل: «فأحجمْ».
(٦) في الأصل: «ولمن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي ابن خالد بن عبد الرحمـٰن بن حميد الهاشمي الطّنجالي[١]

لوْشِي[٢] الأصل، مالقي النشأة والاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيهُ إلى هاشميَّة النُّبه، وهم ببلدنا لَوْشة أشرافٌ، وكانت لهم فيها ثَرْوة وثوْرة اجتثَّها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المُغالبات. ويمتُّ سلفُنا إليهم بصُحبة ومُصاهرة في حديث يستدعي طولًا، وانتقل خلفُهم إلى مالَقة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان هذا الوَلي الفاضل، المُجمَعُ على ولايته وفضله، سهل اللقاء، رفيقًا بالخلق، عَطُوفًا على الضعفاء، سالكًا سُنَن الصّالح من السَّلف سَمْتًا وهَدْيًا، بصرُه مغضُوض، ولسانه صامتٌ إلّا من ذكر الله، وعلمه نافع، وثوبُه خَشِن، وطَعْمَتُه قد نَفِدها الورَعُ الشّديد حتى اصْطَفاها مختارة، إذا أبْصَرت بها العينُ، سَبَقَتْها العَبْرةُ. بلغ من الخَلْق الملوكَ فَمَنْ دونهم الغاية، فكان يلجأُ إليه المضطرّ، وتُمَدُّ إلى عنايته الأيدي، وتُحَطُّ بفنائه الوسائل، فلا يَرْتفع عن كُلَف الناس ولا حوائجهم، ولا يَنْقَبض عن الشّفاعة لهم، وإصلاح ذات بَيْنهم؛ له في ذلك كلّه أخبارٌ طريفة. واستُعمل في السِّفارة بين مَلِكي العُدْوة والأندلس في أحوال المسلمين، فما فارق هيئته، وركوبَ حِماره واستِصْحاب زادِه، ولِبْس الخشِن من ثوْبه. وكان له حظٌّ رغيبٌ من فِقه وحديث، وتفسير، وفريضة. وُلّي الخطابة ببلده مالقة، واستَسْقى في المُحول، فسُقِي الناس.

حدّثني بعض أشياخنا، قال: حضرت مُقامه مُستَسقِيًا، وقد امتنع الغيث، وقحط الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضجَّ الخَلْقُ بالبكاء والعَجيج، ولم يَبْرَحوا حتى سُقوا. وكراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدّث بعض أشياخنا عن الخطيب الصّالح أبي جعفر الزيات، قال: رأيت في النّوم قائلًا يقول: فُقِد اللّيلة من يَعْمُر بَيْت الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من تلك الليلة حتى وَرَدَ الخبر بموته.

---

(١) له حفيد يحمل اسمه، ترجم له أبو الحسن النباهي والمقري؛ هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، ولي قضاء بلده مالقة صدر عام ٧٥٠ هـ. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى لَوْشه Loja، وهي مدينة من إقليم إلبيرة، بينها بين إلبيرة ثلاثون ميلًا. الروض المعطار (ص ٥١٣).

مشيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم وأسْنَد إليهم الرواية والده، رحمه الله، وأبو عمرو بن حَوْط الله، والخطيب ابن أبي ريحانة المَرْبلّي، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، والراوية أبو الوليد بن العطار، والراوية المحدّث أبو بكر بن مُشليون، والمقرىء أبو عبد الله بن مستَقُور الطائي، والأستاذ أبو جعفر الطبّاع، وأبو الحسين بن أبي الربيع، والمحدّث أبو عبد الله بن عيّاش، والأستاذ أبو الحسن السَّفّاج الرُّندي، والخطيب بالمريّة أبو الحسن الغزّال. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وأجازه من أهل المشرق جماعةٌ منهم أبو عبد الله بن رُزيق الشافعي، والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليُمن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات، المعروف بالنجام، والحسن بن هِبَة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطَّبري، إمام الخليل، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطَّبري، ومحمد بن علي بن وَهَب بن مُطيع القُشيري، وأبو الفتح تقيّ الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكيّ الشّافعي وغيرهم.

ميلاده: بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة.

وفاته: بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة، لم ينتقص شيءٌ من أعماله المقرّبة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، ومُلازمة الإقراء والرّواية، والصبر على الإفادة.

حدّث من يُوثق به أنّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، وهو في حال النّزْع، والمَنيّة تُحَشرِج في صَدْره، فقال: يا والدي، أوصِني، فقال، وعيناه تدمعان: يا ولدي، اتّق الله حيث كنتَ واتبع السّيئة بالحسنة تَمْحِها، وخالق الناس بخُلُقٍ حسن.

محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البَلْفيقي[1]
ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات. وقد مرّ في ذكر النّسب المُتّصل بعباس بن مِرداس، والأوّليّة النّبيهة ما يُغني عن الإعادة.

(١) نسبة إلى بَلْفيق Vellefique، وهي بلدة تابعة لمدينة ألمرية. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٤٨) بتحقيق عنان.

حاله: من خطّ ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبني في بعض ما كتب به إليّ: ذكر أبي، وهو ممن طلبتُم ذكره إلي في أخباره جزءًا من نحو سبعين ورقة في المقْسُوم، لخّصتُ لك من مبيَّضتِه ما يُذكر:

نشأ، رحمه الله، بسَبْتة على طهارة تامة، وعفّة بالغة وصَوْن ظاهرٍ، كان بذلك عَلمًا لشبّان مَكْتبه. قرأ القرآن بالقِراءات السّبع، وحَفِظ ما يُذكر من المبادىء، واتّسم بالطلب. ثم تاقتْ نفسُه إلى الاعتلاق بالعُروة الوُثْقى التي اعْتلق بها سلفُه، فنبذ الدُّنيا، وأقبل على الآخرة، وجَرَى على سُنن المتّقين، آخذًا بالأشدّ من ذلك والأقوى، طامحًا بهمّته إلى أقصى ما يؤمِّله السّالكون، فرفض زي الطّلبة، ولبس الخشنية، وترك مُلابسَة الخلْق بالجُمْلة، وبالغ في الانقِباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات سَبْتة وجبالها، وخصوصًا بميناتها، وعَكَف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحًا في الأرض، على زِي الفقهاء لِلقاءِ العُبّاد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، ووَرَدَ ألمريَّة، مُسْتقرَّ سَلفِه، وأخذ في إيثار بقايا أمْلاك بقيت لأسْلافه بها، على ما كان عليه من التَّبَتُّل والإخبات. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخُدّانه، صوّامًا، قوّامًا، خاشعًا، ذاكرًا، تاليًا، قوّالًا للحق، وإن كان مُرًّا كبيرًا في إسقاط التّصنُّع والمباهاة، لا يُضاهى في ذلك، ولا يُشَقّ غُباره. وقَدِم على غرناطة، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتُك؟ فقال: بهذا الرسم رحلتُ، ثم ظهر لي أن أُنْزل حاجتي بالله، فعارٌ على مَن انْتسب إليه أن يَقْصد غيره. ثم أجاز البَحْر وقد اشتدّت أحوال أهل الأندلس بسبب عدُوِّهم، وقدم على مَلِكه، ووعَظه موعظةً أغنف عليه فيها، فانفعل لموعظته، وأجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، وغزا بها، وأقام بها ما شاء الله، وتأدب الروم لو تمّ المراد، قال: وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل عليَّ كانت يده ترعُد في يدي، إلّا هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعُد في يده عند مصافحته.

كراماته: وجلب له كرامات عدّة، فقال في بعضها: ومن ذلك ما حدّثني الشيخ المُعلم الثّقة أبو محمد قاسم الحصّار، وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، والسّفر معه إلى البادِية، فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدّثني أهل وادي الزَّرجون، وهو حُشٌّ[1] من أعمال سَبْتة، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا، هذا لفظه، فلما استقرّ في

(١) الحش: البستان. محيط المحيط (حشش).

رأس العقبة المشرفة على الوادي، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسَدًا كبيرًا جدًا قد تعرّض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله، فلما سمع الصياح قال: ما هذا؟ فقيل له: أهل القرى يصيحون عليه خِيفةً من السَّبع، قال: فأعرض عنهم بِيَده، ورَفع حاجِبَه كالمُتكبِّر على ذلك، وأسْكتهم، وأخذ في الطَّريق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضِيب، وقال له: من هٰهُنا، من هٰهُنا، اخْرُجْ عن الطريق، فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، وأجازه والده أبو إسحٰق إجازة عامة. ومن شيوخه القاضي المُسنّ أبو عبد الله الأزدي، والمحدّث أبو بكر بن مشليون، وأبو عبد الله بن جَوْهر، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزْرَجي، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس بن عبد الملك، وأبو إسحٰق بن عياش، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطيّة، وأبو بكر القرطبي حُميد، وأبو إبراهيم الطُّرسي، والقاضي أبو عبد الله بن عِياض، والكاتب أبو الحسن الرُّعيني، وأبو الحسن الشّاري، وأبو يحيىٰ بن الفَرس، وأبو إسحٰق بن عبيد الله، وأبو الحسن الغزّال، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء. ومن أهل العُدْوة كأبي يعقوب المحاسبي، وابن قُرتُون، وغيرهما[1].

محنته: نُمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغْرَى به ملك المغرب، وتخلّص بعد لأي في خبر طويل، وانْتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمخْتص[2]، واستمرّ، وذلك إلى دولة والده، وامتحن السّاعون به، فعجّل الله عقوبتهم.

مولده: قال شيخنا: نقلت من خطّ أبيه ما نصّه: وُلد ابني أبو بكر محمد، أسعده الله ووفّقه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستمائة.

وفاته: قال: ألفيْتُ بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شِبْرين، وكان ممن حضر جنازته بسَبْتة، وكانت وفاة الفقيه النّاسك السّالك الصالح أبي بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدّث أبي إسحٰق السلمي البِلْفِيقي في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستمائة، بمخْرُوسَة سبتة، ودفن إثر صلاة العصر بجبّانة الخرُوبة من منارتها بمقْربة من قبر ريحان الأسود العبد الصالح، نفع الله به. وصلّى عليه الإمام أبو عبد الله بن حُرَيث.

---

(١) في الأصل: «وغيرهم».

(٢) المختص: المستخلص، وهو الأملاك السلطانية.

محمد بن يحيىٰ بن إبراهيم بن أحمد بن مالك ابن إبراهيم بن يحيىٰ بن عبّاد النَّفزِي[١]

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عبّاد، الحاجّ الصُّوفي.

حاله: نشأ ببلده رُنْدة، وهو من ذوي البيوتات الأصيلة بها، ثم رَحَل إلى المشرق، ولقِي العلماء والصُّوفية، وحضر عند المَشيخة، ثم كرَّ إلى الأندلس، فتصوف، وجال في النّواحي، واطّرح السُّموت، وفوّت ما كان بيده من متاع الدُّنيا، وكان له مالٌ له خطر، وألقى التَّصنُّع لأهله رأسًا. وكان فيه توَلُّه وحِدَّة، وله ذهنٌ ثاقب، يتكلم في المعقولات والمَنْقُولات، على طريقة الحُكماء والصُّوفية، ويأتي بكل عبارة غريبة، وآثاره هائلة من غير تمكُّن عِلْم، ولا وَثاقة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلّا حَسَنًا، وهو مع ذلك طوّاف على البلاد، زوّار للرُّبط، صبّار على المجاهدة طوْعًا وضرورةً، ولا يسألُ ثيابًا البتّة إلّا بَذْلَةً من ثوب أو غيره، صَدَقَةُ واحد في وقته.

محنته وفضله وشعره: نُمي عنه كلامٌ بين يَدَيْ صاحب المغرب، أسِفَ به مُدبِّر الدولة يومئذ، فأُشخص عند إيابه إلى رُندة وسُجن بسِجْن أرْباب الجرائم، فكتب إلى وليّ الأمر: [الطويل]

تركتُ لكمْ عزَّ الغِنى فأبَيْتُمُ ... وأن تتركوني للمَذلّة والفَقْرِ
ونازعتموني في الخمول وإنه ... لذي مُهجتي أحْلى من البِنَى والأمرِ

ثم قال: يا مَن رماني بِسَهمه الغربُ، قد رُدَّ عليك مَخْضُوبًا بالدَّم. قال: فوالله ما مَرَّت ثلاثةٌ، حتى نفذ حُكْمُ الله فيمن عدَا عليه.

وشعره حسن يدلّ على طبْع مَعِين، فمن ذلك: [الكامل]

سُرَى يُسِرُّ إليَّ أنك تاركي ... نَفْسي الفِداء لِلُطْفِك المُتَدارِكِ
يا مالكي وليَ الفخارُ بأنني ... لك في الهوى ملكٌ وأنّك مالِكي[٢]
التَّرْكُ هَلْكٌ فاعفِني منه وعِدْ ... بالوَصْل تُحيي ذا[٣] مُحِبٌّ هالكِ

---

(١) ولد ابن عباد النفزي برنده عام ٧٣٣ هـ وتوفي عام ٧٩٢ هـ، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٤٠) ونيل الابتهاج (ص ٢٨٧) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣١٨).

(٢) في الأصل: «مالك» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «ذما» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

وأعِدْ جميلًا في الهوى عَوَّدْتَني ... إن لم تُعِدْه إليَّ مَنْ للهالك؟
يا مُنْيةَ القلبِ الذي بجماله ... فُتِنَ الورى من فاتك أو ناسك
آتِيهُ[1] دونك أو أحار وفي سَنى ... ذاك الجمال جلا الظلام الحالك؟
ولكم سلكْتُ إليك لكن حين لم ... تكن الدّليل اختلّ قَصْدُ السّالك
ولقد عَرفْتَ بستْر سرِّي في الهوى ... فهجَرْتني فَكُسِيتُ ثوب الهاتك
ما السّتر إلّا ما يحُوك رضاك لا ... ما حَاكه للبَتْر كفُّ الحائك
ما الفضل إلّا ما حَكمْتَ به فَصُنْ ... واهْتِكْ وصِلْ إن شئت أو كُنْ تاركي[2]
ما لي سوى حُبِّيك يا حُبِّي فدَعْ ... تَرْكي فهَلْكُ المِلْك ترك المالكِ

وقال أيضًا[3]: [الكامل]

هذا العقيقُ فَسَلْ معاطفَ بانِهِ ... هل نسْمَةٌ عادَتْهُ من نُعْمانِهِ؟
واسْألْهُ إن زارتْه ماذا أخبرت ... عن أجْرُعِ العَلَمَيْن أو سُكّانِهِ
وأَصِخْ لحسن حديثها وأعِدْه للـ ... ـمُضْني ففيه البُرْءُ من أشجانه
يا حبَّذا ذاك الحديثُ وحبَّذا ... مَن قد رواه[4] وحبَّذا ببيانه
وسقى الإلهُ زمانَه ومكانَه ... ويعزُّ قَدْرُ زمانه ومكانِهِ
يا سعدُ، ساعِدْ مُسْتهامًا فيه لا ... ذُقْتَ الهوى ونَجَوْتَ من عُدْوانه
وأَصِخْ لما يَتْلُو[5] الوجُودُ عليك من ... أنْبائهمْ بلسانِ حالِ كِيانه[6]
وأبِنْه لي واقبلْ ذَماميَ بشارةً ... ويقلُّ بذل ذَمايَ في تِبيانه
وسلِ النّسيمَ يهبُّ من واديهمُ ... بشذا[7] خُزاماه وطيب لِيانه[8]
ارْحَمْ بروحٍ منه روحي تُحْيِهِ ... وبِسُقْمِه[9] سُقْمي فديتُك عانِهِ
وبنشرِهِ انشُرْ نفسَ مُشْتاق قَضَتْ ... شوقًا لنفْحَةِ نَسْمةٍ[10] من بانه
يا سَعْدُ، حدِّثني فكلّ مُخَبِّر ... عن خبر من أهواه أو إحسانه[11]

(١) في الأصل: «آآيته» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تارك» بدون ياء.
(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤١ ـ ٤٢).
(٤) في الأصل: «رقاه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٥) في الكتيبة: «يجلو». (٦) في الكتيبة: «بيانه».
(٧) في الأصل: «شذا» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٨) في الأصل: «لبانه» بالباء الموحدة، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٩) في الأصل: «ويسقمه» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(١٠) في الكتيبة الكامنة (هَبّة). (١١) هذا البيت غير وارد في الكتيبة الكامنة.

يا سَعْدُ، حَدِّثْني حديثًا[١] عنهُمُ ويجلُّ قَدْرُ الحُبِّ عن نِسيانه
يا سَعْدُ، طارِحْنِيه واملأْ مِسْمعي مِنْ سرِّه إن شئتَ أو إعلانه
أنا في الغرام أخوك حقًا والفتى لا يكتمُ الأسرارَ عن[٢] إخوانه
قُلْ كيف وادي وُدّ[٣] سُكّان الحمى ومُنى أمانيه ورَوْضُ لسانه؟[٤]
هل قَلَّصَتْ أيْدي النّوى من ظِلِّه؟ أو ما جرى هل عاث في جَرَيانه؟
وهل الربوع أواهِلٌ بِحِمًى لهمْ[٥] فسقى[٦] الربوعَ الوَدْقَ[٧] من هَتَّانِه؟
وهل التقى بانٌ على عهد النّوى[٨] وهل اللّوى يَلْوي بعَوْدِ زمانه؟
فَبِرَوْضِ أُنْسِهِمُ عَهِدْتُ[٩] نضارةً نَزَّهْتُ منها الطَّرفَ[١٠] في بُستانه
وأرى هجيرَ الهَجْرِ أذْبلَ يانعًا منه وأذوَى الغَضَّ من رَيحانه
وأحالَ حالَ الأُنس فيه وَحْشةً وطوى بساط الأُنس في هِجْرانه
آهًا والَهفي ووَيْحي أنْ مضى عَهْدٌ عَرَفْتُ الأُنْسَ في أزْمانه
وبأجْرُعِ العَلَمَيْن من شرقيّه حِبٌّ غذاني حُبُّه بلبانه
حاز المحاسنَ كلَّها فجَمعْنَ لي كلَّ الهوى فحملتُ[١١] كلَّ هوانه
وزها عليّ بعزّةٍ[١٢] فبواجبٍ أزهو[١٣] بذلّي في يَدَيْ سلطانه
وقضى بأن أقْضي وليتَ بما قضى يَرْضى فطيبُ العيش في رِضْوانه
واختارَ لي أنْ لا أميل لسَلْوةٍ عن حُبِّه فسَلَوْتُ عن سُلْوانه
يا عاذِلي أو ناصحي أو لائمي تبغي السُّلوَّ ولات حين أوانه
غلب الغرامُ وعزَّ سلطانُ الهوى فالكلُّ فيه عليَّ من أعوانه

---

(١) في الأصل: «... حدّثني فكلّ حديثٍ عنهم» وكذا يتكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٢) في الأصل: «من» والتصويب من الكتيبة. (٣) في الكتيبة الكامنة. «وادٍ».
(٤) في المصدر نفسه: «أمانه».
(٥) في الأصل: «بجمالهم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٦) في الأصل: «فَسُقَى للربوع...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٧) الوَدْقُ: المطر. (٨) في الكتيبة «الهوى».
(٩) في الأصل: «غمدت» والتصويب من الكتيبة. (١٠) في الكتيبة «القلب».
(١١) في الكتيبة الكامنة: «وحملت». (١٢) في الكتيبة الكامنة: «بعزّه».
(١٣) في الكتيبة الكامنة: «أزهى».

فعلامَ تغتِبُ مُستهامًا، كلُّ ما[1] في الكون عاذِرَهُ على هَيَمانه[2]
دَعْ عنكَ لوْمي إنني لك ناصح أبدى الجمالُ العُذْر عن هَيْمانه
وإذا الفتى قام الجمالُ بِعُذْره في الحُبِّ فاتركْه وَثِنْيَ عِنانِه
من سام قلبي في هواه سَلْوةً قد سامه ما ليس في إمكانه

وقال في الغرض المذكور[3]: [البسيط]

يا للرِّجال، ألا حِبٌّ يساعدني في ذا الغرام فأبكيه ويَبْكيني؟[4]
غُلِبْتُ فيه وما أجْدَتْ مُغالبتي وهِمْتُ والصَّبُّ أولى الناس بالهونِ
رِكِبتُ لُجّته وَخدي فأدْهَشني ومِتُّ[5] في يده فردًا فدلُّوني[6]
واضيعةَ العُمْرِ والبَلْوى مضاعَفَةٌ ما بين يأسٍ وآمالٍ تُرَجّيني[7]
والَهْفَ نَفْسيَ إن أوْدَتْ وما ظَفِرتْ في ذا الهوى بتمنٍّ أو بتأمين
فليت[8] شِعري وعُمْري ينقضي طمعًا في ذا الهوى[9] بين مَغلوب ومَغبون
هل الأُلى[10] مَلكوا رِقِّيَ وقد علموا بذلّتي[11] وافتقاري أن يُواسوني؟
فكم أكفكف دمعي بعدهمْ وأرى مُجدِّدًا نارَ يأسي وهي تُبْليني
وكم أمرُّ على الأطلال أندبُها وبالمنازلِ من خَيْفٍ ودارينِ
وفي الفؤاد لهُمْ ما ليس يَعْلَمُه هُمْ، عِلمهمْ بالحال يكفيني
أُهْمي المدامعَ كَيْ أُرْوى فتُعْطِشُني وألزمُ الذِّكر للسُّلوى فيُشْجيني
وكلُّ مَنْ لمَحَتْ عيني أُسائلُه عنهمْ فيُغْري بهمْ قَلْبي ويُغْريني
يا أهلَ نَجْدٍ وفَخْري[12] أن أحبَّكمُ لا أطلبُ الوصْلَ عزُّ الحبِّ يُغْنيني
هل للهوى[13] من سبيلٍ للْمُنى فلقد عَزَّتْ أمانيه في الدُّنيا وفي الدِّين

(١) في الأصل: «كلّما» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٢) في الأصل: «شيمانه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤٣).
(٤) في الأصل: «ويبكين» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.
(٥) في الكتيبة: «وتهت».
(٦) في الأصل: «فدلّون» بدون ياء.
(٧) في الأصل: «ترجين» بدون ياء.
(٨) في الكتيبة الكامنة: «وليت».
(٩) في الكتيبة: «في الحبِّ ما بين...».
(١٠) في الأصل: «الأولى» والتصويب من الكتيبة.
(١١) في الأصل: «بذلّي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(١٢) في الكتيبة الكامنة: «ومجدي».
(١٣) في الكتيبة الكامنة: «في الهوى».

محمد بن يوسف بن خَلصون

يكنى أبا القاسم، روطيٌّ[1] الأصل، لوشيّه[2]، سكن لَوْشَة وغرناطة ومالقة.

حاله: كان من جلّة المشيخة وأعْلام الحكمة، فاضلًا، مُنقطع القرين في المعرفة بالعلوم العَقْلية، متبحرًا في الإلٰهيات، إمامًا في طريقة الصُوفية، من أهل المقامات والأحوال، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدًا، كثير الحلاوة والطَّلاوة، قائمًا على القرآن، فقيهًا أصوليًا، عظيم التخلُّق، جميل العِشرة. انتقل من حصن رُوطة إلى الخطابة والإمامة بلَوْشَة، كثير الدؤوب على النَّظر والخَلْوة، مقصودًا من مُنْتجِلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفةٌ ممن شانها الغضُّ من مثله، فانزعج من لَوْشَة إلى مالَقة، فتحرّف بها بصناعة الطِّب، إلى حين وفاته.

حدّثني والدي، وكان خبيرًا بأحواله، وهو من أصحاب أبيه، قال: أصابَتْ الناس شدّةُ قَحْط، وكانت طائفة من أضداده تقول كلامًا مُسَجّعًا، معناه: إنكم إن أخْرَجْتم ابن خلصون من بينكم، مُطرتم. قال: فانزعج عنها، ولما كان على أميال نزل الغيث الرغد، قال: فسَجَد بموضعه ذلك، وهو معروف، وقال: سيدي، وأساوي عندك هذا المقدار، وأوجب شُكْرانًا. وقدم غَرْناطة، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرَّقُوطي، وله استيلاءٌ على الحُظوة السلطانية، وشأنه اختبار مَن يرد على الحضرة ممن يحمل فَنًّا، وللسلطان على ابن خلصون موجدةٌ، لمدحه في حداثته أحد الثوار عليه بقُمارش[3]، بقصيدة شهيرة. فلمّا حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال: التصوُّف، فالتفت إلى السلطان وقال: هذا رجل ضعيفٌ لا شيء لديه، بحيث لا يُفَرّق بين الصّناعة وغيرها، فصرفه رحمه الله.

تواليفه: وتواليفه كثيرة، تدل على جلالته وأصالة معرفته، تنطق عِلمًا وحكمة، وتروق أدبًا وظَرْفًا. فمن ذلك كتابه في «المحبة»، وقفت عليه بخط جَدّي الأقرب سَعيد، وهو نهاية. وكتاب «وصف السلوك، إلى ملك الملوك»، عارض به مِعْراج

---

(١) نسبة إلى روطة: Rueda، وهي حصن يقع شمال مدينة شريش. وهي غير روطة أحد حصون سرقسطة.

(٢) نسبة إلى لَوْشة Loja، وهي مدينة بالأندلس، بينها وبين إلبيرة ثلاثون ميلًا. الروض المعطار (ص ٥١٣).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

الحاتمي، فبان له الفضل، ووجبت المزيّة، ورسالة «الفَتْق والرَّتْق، في أسرار حكمة الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العُشّاق ... عند الوداع بلَوْعة الأشواقِ؟
والبَيْنُ يَكْتُبُ مِنْ نَجيع دمائهمْ ... إن الشهيد لمن يمت بِفراقِ
لو كنتَ شاهدَ حالهمْ يوم النّوى ... لرأيتَ ما يلقون غير مُطاق
منهمْ كئيبٌ لا يَملُّ بكاؤه ... قد أغْرَقَتْهُ مدامعُ الآماق
ومُحرّق الأحشاءِ أشْعَلَ نارَه ... طولُ الوَجيب بقلبه الخفّاق
ومُولّهٌ لا يستطيع كلامَه ... مما يُقاسي في الهوى ويُلاقي[1]
خَرِسَ اللسان فما يُطيق عبارة ... ألِمَ المرُورُ وما له من راق؟
ما للمحبِّ من المَنُون وقايةٌ ... إن لم يُغِثْهُ حبيبُه بتَلاق
مولاي، عَبْدُك ذاهبٌ بغَرامه ... فادْرِك[2] بوَصْلك من دماه الباقي[3]
إني إليك بذِلّتي متوسّلٌ ... فاعطفْ بلطفٍ منك أو إشفاق

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

أعِدِ الحديثَ إذا وَصَفْتَ جماله ... فبه تُهَيّجُ للمحبّ خيالَهُ
يا واصف المحبوب كَرِّرْ ذِكْرَه ... وأدِرْ على عشّاقه جِريالَهُ
فيذكر من أهْوى وشرح صفاته ... لَذَّ الحديث لمَسْمَعي وخلالَهُ
طَاب السّماعُ بوصفه لمسامِعي ... وَقَرِرْتُ عينًا مذ لمحْتُ هِلالَهُ
قلبي يلذُّ ملامةً في حبّه ... ويرى رشادًا في هواه ضلالَهُ
يا عاذِلي أو ما تَرِقُّ لساهرٍ ... سمع الظّلامُ أنينَه فرَثا لَهُ؟

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

إن كنتَ تزعمُ حُبّنا وهَوانا ... فَلْتَحْمِلَنّ مذلّةً وهَوانا
فاسجرْ لنفسك إن أرَدْتَ وِصالنا ... واغضبْ عليها إن طَلَبْتَ رضانا

---

(١) في الأصل: «ويلاق» بدون ياء.

(٢) أصل القول: «فأدرك»؛ لأن الفعل رباعي، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا همزة القطع وجعلناها همزة وصل.

(٣) في الأصل: «الباق» بدون ياء.

واخلعْ فؤادك في طِلاب وِدادنا ... واسمحْ بموتك إن هَوَيْت لقانا
فإذا فَنِيت عن الوجود حقيقةً ... وعن الفَناءِ فعِند ذاك ترانا
أو ما عَلِمْتَ الحبُّ فيه عِبْرةٌ ... فاخْلِصْ لنا عن غيرنا وسِوانا
وابذلْ لُبابَك إن وَقَفْتَ ببابنا ... واتركْ جِماك إذا فقدْتَ جِمانا
ما لَعْلَعٌ ما حاجرٌ ما رامةٌ ... ما ريمُ أُنسٍ يَسْحَرُ الأذهانا
إنّ الجمال مُخَيِّمٌ بقِبابنا ... وظِباؤه محجوبةٌ بظُبانا
نحن الأحِبّة من يَلُذْ بفَنائنا ... تَجْمَعْ له مع حُسْنِنا إحسانا
نحن الموالي فاخْضَعَنَّ لعزّنا[1] ... إنّا لندفع في الهوى مَنْ هَانا
إنّ التَّذَلُّل للتَّدلُّل سِحْرٌ ... فاخْلِدْ إلينا عاشِقًا ومُهانا
واصبرْ على ذُلّ المحبّة والهوى ... واسمعْ مقالةَ هائمٍ قد لانا
نُون الهوَان من الهوى مسروقةٌ ... فإذا هَوِيت فقد لَقِيت هَوانا

ومن لطيف كلامه ورقيق شعره: [الرمل]

لو خيالٌ من حَبِيبي طرَقا ... لم يَدَعْ دمعي بخدّي طرفا
ونسيمُ الريح منه لو سَرى ... بشَذاه لأزالَ الحرَقا
ومتى هَبَّتْ عَليلاتُ الصَّبا ... صَحَّ جسمي فَهْي[2] لي نَفْثُ رَقا
عجبًا يشكو فؤادي في الهوى ... لَهَبَ النارِ وجَفْني الغَرقا
يا أُهَيْلَ[3] الحيِّ، لي فيكمْ رشا ... لم يَدَع لي رمقًا مُذْ رَمَقا
بدرُ تِمٍّ طالعٍ أثمره ... غُصْنُ بانٍ تحتَهُ دِعْصُ نَقَا
راق حُسْنًا وجمالًا مثلما ... رقَّ قلبي في هواه وَرَقا
أَنِسَ[4] الشمسَ ضياه ذهبًا ... وكسَا البدر سَناه ورقا
حُلَلُ الحُسْن عليه خُلِعَتْ ... فارتداها ولها قد خُلقا

ومن شعره: [البسيط]

دعوتُ من شَفَتي رِفقا على كبدي ... فقال لي: خُلِقَ الإنسان في كَبدِ
قلت الخيالُ ولو في النّوم يَقْنعني ... فقال: قد كَحُلَتْ عيناك بالسُّهُدِ

---

(١) في الأصل: «لعزّ نالنا» وكذا لا يستقيم الوزن.
(٢) في الأصل: «فهنّ»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «يا أهل»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «أنسى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فقلت: حَسْبي بقلبي في تذكُّره فقال: لي القلبُ والأفكارُ ملكُ يدي
قلت الوصال حياتي منك يا أملي قال الوِصال فراق الروح للجَسَد
فقلت: أَهْلًا بما يَرْضى الحبيبُ به فإنَّ قلبيَ لا يلْوى على أحَد

ومن أقواله الصُّوفية، وكلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]

ركِبنا مطايا شوقنا نَبْتغي السُّرى وللنَّجم قنديل يُضيءُ لمن سَرى
وعينُ الدُّجى قد نام لم يَدْرِ ما بنا وأجفانُنا بالسُّهد لم تُطْعم الكَرَى
إلى أن رأينا اللَّيلَ شاب قَذاله ولاح عمودُ الفَجْر غُصْنًا مُنوّرا
لَمَحنا برأس البُعْد نارًا منيرة فسِرْنا لها نَبْغي الكرامة والقِرا
وأفضى بنا السيرُ الحثِيثُ بسُحْرَة لحانَةِ ديرٍ بالنواقِس دورا
فلمّا حللْنا حَبْوة السير عنده وأبْصَرْنا القسِّيسُ قام مُكَبِّرا
وحرّك ناقوسًا له أعْجَمَ الصَّدا فأفْصَح بالسِّر الذي شاءَ مُخْبرا
وقال لنا: حُطُّوا حَمِدتُمْ مسيرَكُمْ وعند الصَّباح يَحْمَدُ القومُ السرى[1]
نَعِمْتُمْ صباحًا ما الذي قد أتى بكمْ فقُلْنا له: إنا أتيناك زُوَّرا
وراحَتُنا في الرّاح إن كنت بائعًا فإنَّ لدينا فيه أربحَ مُشترى
فقال لكمْ: عندي مُدام عتيقةٌ مخلَّدَةٌ من قبل آدمَ أعْصُرا
مُشَعْشَعةٌ كالشمْس لكن تَرَوْحَنَتْ وجَلَّتْ عن التجسيم قِدْمًا فلا تُرى
وحلّ لنا في الحين خَتْمُ فِدامِها فأسدى لنا مِسْكًا فتيقًا وعَنْبَرا
وقلْنا: مَن الساقي فلاح بوجهه فأذهَشَ ألْباب الأنام وحَيَّرا
وأشْغَلنا عن خَمْره بجَماله وغَيَّبنا سُكْرًا فلم نَدْرِ ما جَرى

ومن شعره في المعنى: [البسيط]

يا نائمًا يطلب الأسْرار إسْرارا فيك العِيان ونَبْغي بَعْدُ آثارا
أرجع إليك ففيك المُلْكُ مُجتمَع والفُلْك والفَلَك العُلْوي قد دارا
أنت المِثال وكُرْسي الصِّفات فَتُهْ على العوالم إعلانًا وإسْرارا
والطُّور والدُّرُّ منشورًا وقد كَتَبَتْ أقلامُ قُدرته في اللّوح آثارا

---

(١) عجز البيت مثلٌ يضرب لمن يحتمل المشقّة رجاء الراحة، ويضرب أيضًا في الحث على مزاولة الأمر والصبر. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣).

والبيتُ يَعْمُره سرُّ الملائك في مِشكاةِ قَلْبِك قد أَسْرَجْنَ أنوارا
ورَفَع الله سقْفًا أنت تَسْكُنه سماؤه أَطْلَعَتْ شُهُبًا وأقمارا
وبَحرٌ فِكْرِكَ مَسْجُورٌ بجوهره فغُصْ به مُخرجًا للدُرِّ أسرارا
فإن رأيت بوادي القُدْسِ نَارَ هُدًى فاثْبُتْ فَنُورُكَ فيها مازج النّارا
واخْلعَ لسَمْعِ النّدا نَعليْك مُفتقرا إلى المُنادي تَنَلْ عزًّا وإكبارا
وغِبْ عن الكَوْن بالأسماء مُتّصِفا واطلُبْ من الكلّ ربَّ الدار لا الدّارا

ومن ذلك في هذا المعنى: [الطويل]

أطالبَ ما في الرُّوح من غامض السِّرّ وقارعَ بابِ العِلْم من عالم الأَمْرِ
عَرَضْت لِعلمٍ أَبْهمَ الشَّرْعُ بابَه لكلِّ جهول للحقائق لا يَدْري
ولكنَّ خبيرًا قد سألتُ مُحقّقا فدونك فانظمْ ما نَثَرْتَ من الدُّرّ
وبين يَدَيْ نجواك قَدِّم وسيلةً تُقَى الله واكتُمْ ما فَهِمْتَ من السِّرّ
ولا تلتفتْ جِسْمًا ولا ما يَخُصُّه من الحِسِّ والتخييل والوَهْم والفِكر
وخُذْ صورةً كُلِّية جوهريّة تَجِلُّ عن التمييز بالعَكْس والسَّبر
ولكنْ بِمرآةِ اليَقِين تولَّدت وليست بذاتي إن سألْتَ ولا غيرِ
كذلك لم تَحْدُثْ وليست قديمة وما وُصِفَتْ يومًا بشَفْعٍ ولا وَتْرِ
ولكنْ بِذاتِ الذَّات كان ظُهورها إذا ما تبدَّت في الدُّجى غُرّة الفَجْر

ومن هذا الغرض قوله: [الطويل]

مُشاهدتي مَغْناك، يا غايتي، وقتٌ فما أشتكي بُعْدًا وحبُّك لي نَعْتُ
مُقامي بقائي عاكفًا بجمالكمْ فكلُّ مُقام في الحقيقة لي تَحْتُ
لئن حالَتِ الأحوالُ دون لِقائكمْ فإنّي على حُكْم المحبّة ما حُلْتُ
وإن كان غيري في الهوى خان عهدَه فإني وأيمُ الله عَهْدِيَ ما خُنْتُ
وما لي رجاءٌ غيرُ نَيْل وِصالكمْ ولا خوفَ إلّا أن يكون له فَوْتُ
نَعَمْ إنْ بَدا من جانب الأُنس بارقٌ يُحرّكني بَسْطٌ به نحوَكمْ طِرْتُ
ومهما تذكّرتُ العِتاب يهزُّني لهيبَتِكمْ قَبْضٌ يَغيب به النَّعْتُ
تواجدْتُ حتى صار لي الوَجْدُ مَشربا ولاح وجودٌ للحقيقة إذ غِبْتُ
فها أنا بين الصَّحْو والمَحْو دائرٌ أقول: فلا حرفٌ هناك ولا صَوْتُ

قُصُودي إليكمْ والورودُ عليكمُ ... ومنكمْ سُهودي والوجودُ إذا عُدْتُ[١]
وفي غَيْبَتي عنّي حضوري لديكمُ ... وعند امتحان الرّسم والمحْو أثْبَتُ
وفي فُرْقَتي الباني بحقّ جَمَعْتني ... وفي جَمْع جَمْعي في الحقيقة فرّقْتُ
تجلّيت[٢] لي حتى دَهِشْتُ مهابة ... ولما رَدَدْتُ اللّحظ بالسّرّ لي عِشْتُ
مواردُ حقّ بل مواهبُ غاية ... إذا ما بَدَتْ تلك البداءة لي تُهْتُ
لواشح أنوار تلوح وتختفي ... ولكنْ وميضُ البَرْق ليس له ثَبْتُ
ومَهْما بدت تلك الطّوالع أدهَشَتْ ... وإن غُيِّبَتْ تلك اللّوامع أظْلَمْتُ
وهيهات هَيبات الجلال تردُّني ... وعند التجلّي لا محالة دُكْدِكْتُ
نَسَفْنَ جبالي فهي قاعٌ وصَفْصَفٌ[٣] ... وليس يُرى فيهنّ زيغٌ ولا أمْتُ
ولي أدمع أجّجْن نار جَوانحي ... ولي نَفَسٌ لولاه من حُبّكمْ ذُبْتُ
ألا فانظروا قَلْبَ العيان حقيقةً ... فنائي وجُودي[٤] والحياة إذا مِتُّ
مراتبُ في التّلوين نِلْتُ جميعَها ... وفي عالم التّمكين عن كلّها بِنْتُ
وعند قيامي عن فَنائي وجدتكمْ ... فلا رُتْبةٌ عُلْويّة فوق ما نِلت
ورودٌ وشِربٌ ثم لا رَيَّ بعده ... لئن كنت أُرْوَى من شَرابك لا كنت
شربْتُ كِئاسَ[٥] الوجودِ مُدامةً ... فلستُ أُجَلّي عن ورُودٍ متى شئتُ
وكيف وأقداح العَوالم كلُّها ... ولكنني[٦] من صاحب الدّير أُسْكِرْتُ
تَعَلّقَ قومٌ بالأواني وإنني ... جَمال المعاني لا المغانيَ عُلّمْتُ
وأُرضِعْتُ كأسًا لم تُدَنَّسْ بمزجها ... وقد نِلْتُها صِرْفًا لعمْريَ[٧] ما ضِعْتُ
شرابٌ بها الأبرارُ طاب مزاجُهُمْ ... وأَرْضَعْتُها صِرْفًا لأنّيَ قُرّبْتُ
بها آدمٌ نال الخِلافة عندما ... تَبَدّتْ له شمسًا لها نحوه سَمْتُ
ونَجّتْ لنوحٍ حين فرّ لفُلْكِه ... ومن بان عن أسرارها لي[٨] عُمد الموت

---

(١) في الأصل: «عَدِمْتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٢) في الأصل: «تجليه» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٣) في الأصل: «صفصف» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٤) في الأصل: «ووجودي» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٥) في الأصل: «أكواس»، وكذا ينكسر الوزن، ثم إن كأس تجمع على أكؤس وكؤوس وكئاس. لسان العرب (كأس).
(٦) في الأصل: «ولكنّي» وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «... صرفًا فيا لعمري...» وكذا لا يستقيم الوزن.
(٨) كلمة «لي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

وقد أَخْمدَتْ نارَ الخَليل بنورِها ... وكان لمُوسى عن أشِعّتها بُهْت
وهَبّتْ لروح الله روحُ نسيمها ... فأبْصَره الأعمى وكلّمه المَيْت
وسار بها المُختار سَيري لربّه ... إلى حيثُ لا فَوْقٌ هناك ولا تَحْتُ
هنيئًا لمن قد أَسْكَرَتْه بعَرْفها ... لقد نال ما يَبْغي وساعده البَخْتُ

ومن نثر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خلصون المترجم به، قوله من رسالة:

وصلني أيها الابن النّجيب، المُخلص الحبيب، كتابُك الناطق بخُلوص وُدّك، ورُسوخ عَهْدك، وتلك سجيّةٌ لائقة بمجدك، وشِنْشِنَةٌ تُعرف من والدك وجَدّك، وصَلَ الله أسباب سَعْدك، وأنْهَض عزم جَدّك، بتوفيق جَدّك، وبلّغك من مأمولك أقصى قَصْدك. فلتَعْلم أيها الحبيب أن جَناني، يَنْطَوي لكم أكثر مما يَنْشُره لساني، فإني مُغْرًى بِشكركم وإن أَعْجَمْت، ومُفْصِحٌ بجميل ذِكركم وإن جمْجَمْتُ، لا جَرَم أنّ الوقت حَكم بما حكم، واستولى الهرج فاستحكم، حتى انقطعت المسالك، وعَدِمِ الوارد والسّالك، وذلك تمحيصٌ من الله جارٍ على قضيّة قِسْطه، وتقليبٌ لقلوب عِباده بين إصبعي قَبْضه وبَسْطِه، حين مُدّ على الخليقة ظلُّ التّلوين، ولو شاء لجعله ساكنًا، ثم جعل شمس المعرفة لأهل التّمكين، عليه دليلًا باطنًا، ثم قبض كل الفِرق عن خاصيته قبضًا يسيرًا، حتى أطلع عليهم من الأُنْس بدرًا مُنيرًا. وإلى ذلك يا بُنيّ، فإني أحمد الله تعالى إليك على تَشويقه إيّاك إلى مُطالعة كُتب المعارف، وتعطُّشِك للورُود على بحر اللّطائف. وإنّ الإمام أبا حامد[1]، رحمه الله، لممن أحرز خَصْلها، وأحْكَم فرعها وأصلها، لا يُنكر ذلك إلّا حاسدٌ، ولا يأباه إلّا مُتَعَسِّف جاحد. هذا وصْفه، رحمه الله، فيما يخُصّه في ذاته. وأما تعليمُه في تواليفه، وطريقُه التي سَلكها في كافّة تصانيفه؛ فمِن عُلمائنا، رضي الله عنهم، من قال: إنه خلط النّهاية بالبِداية، فصارت كُتُبُه أَقْربَ إلى التّضْليل منها إلى الهداية، وإن كان لم يقصد فيها إلّا النّفع فيما أمّه من الغَرض، فوُجد في كتبه الضّرر بالعَرَض، وممن قال بهذا الفقيه الحكيم أبو بكر بن الطُّفيل[2]، قال: وأما أبو حامد، فإنه مضطرب التأليف، يَرْبُط في مَوْضع، ويحِلُّ في آخر، ويَتَمَذْهب بأشياء، ويَكْفُر بها، مثل أنه كفّر الفلاسفة باعتقادهم أن المعاد

(١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفيلسوف الصوفي، ولد بطوس بخراسان سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ. وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٥٨) والوافي بالوفيات (ج ١ ص ٢٧٤).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، المتوفّى سنة ٥٨١ هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

رُوحاني، وإنكارهم حَشر الأجْساد. وقد لوَّح هو بأن ذلك مَذْهَبه في آخر كتاب «الجواهر والأربعين»، وخرّج بأنه مُعتَقَد كِبار الصُّوفية، في كتاب آخر، وقال: إن مُعْتَقده كمُعْتقدهم، وأنه وقع على ذلك بعد بحث طويل وعَناءٍ شديد. قالَ: وإنما كلامه في كُتُبه على نحو تَعْليم الجُمهور. وقد اعتذر أبو حامد نفسُه عن ذلك في آخر كتاب «ميزان العمل»، على أغلب ظنّي، فإن لي من مُطالعة الكتب مُدّة. قال: ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلّا ما يُشكّك في اعتقادك المَوْروث، يَعْني التَّقليد، فإنه من لم يَشكّ لم يَنْظُر، ومن لم يَنْظُر لم يُبْصِر، ومن لم يُبْصر ففي العَمَى والحَيْرة. ثم تمثّل بقول الشاعر: [البسيط]

خذ ما تراه ودَعْ شيئًا سَمِعتَ به ... في طَلْعَة الشمس ما يُغْنيك عن زُحلِ

وذلك أنه قسّم آراءه إلى ثلاثة: رأي يُجاب به كلُّ مُسْتَرشد سائل بحسب سؤاله وعلى مقدار فهمه. ورأي يُجاب به الخاصّة ولا يُصَرَّحُ به للعامّة. ورأيٌ بَيْن الإنسان وبَيْن نَفْسِه، لا يطَّلِع عليه إلّا من شَريكه في اعتقاده. وأما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رُشد، رحمه الله، فإنّه بالغ في ذلك مَبالغ عظيمة، وذلك في كتابه الذي وصَف فيه مناهج أدلّة المُتَكلّمين، فإنه لما تكلّم على طُرُق الأشعَريَّة والمُعْتَزلة والفلاسفة والصُّوفية والحشويّة وما أحدثه المُتَكلّمون من الضَّرر في الشَّريعة بتَواليفهم، انْعَطَف فقال: وأما أبو حامد، فإنه طَمَّ الوادي على القُرى، ولم يَلْتَزم طريقةً في كُتُبه، فنراه مع الأشعَرية أشعَريًا، ومع المُعْتَزلة مُعْتَزِليًا، ومع الفلاسفة فيلسوفًا، ومع الصُّوفية صوفيًا، حتى كأني به: [البسيط]

يوما يمانٍ إذا لاقيت ذا يَمن ... وإن لقيت معَدِّيًا فَعَدْنانُ

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم، أن يُنهوا الجمهور عن كُتُبه، فإن الضَّرر فيها بالذات، والمنْفَعة بالعَرَض. قال: وإنما ذلك لأنه صرّح في كتبه بنتائج الحِكمة دون مقدّماتها، وأفصح بالتّأويلات التي لا يطلع عليها إلا العلماءُ الرّاسخون في العلم، وهي التي لا يجوز أن تُؤَوّل للجمهور، ولا أن تُذكر في غير كُتُب البُرْهان. وأنا أقول: إن كتبه في الأصْلين، أعني أُصول الدين وأُصول الفِقه، في غاية النُّبل والنَّباهة، وبَسْطِ اللفظ، وحُسْن التَّرتيب والتَّقْسيم، وقُرْب المسائل. وكذلك كتُبه الفقهية والخِلافية والمَذْهَبيّة، التي ألّفها على مَذْهب الشّافعي، فإنه كان شافِعيَّ المذهب في الفُروع. وأما كتبه التي ذَهَب فيها مَذْهب التصوُّف، فهي التي يوجد فيها ما ذُكر من الضَّرر بالعَرَض. وذلك أنه بَنى الأكثر من الاعْتِقادات فيها على ما تأدّى إلى فَهْمه من مذاهب الفلاسفة، ونَسَبها إلى المُتَصَوِّفة. وقد نبّه على

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطُّرطوشي[١] في كتابه الذي سماه بـ«مراقي العارفين». قال: وقد دَخل على السّالكين ضرر عظيم من كُتُب هذا الرجل الطُّوسي[٢]، فإنه تَشبَّه بالصُّوفية ولم يَلْحَق بمذاهبهم، وخلَط مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غَلِط الناس فيها. على أنني أقول: إنَّ باعَه في الفلسفة كان قَصيرًا، وإنه حَذا حذو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد، ومَنطِقِه الذي نقله في مِعْيار العلم، لكنْ قَصُر عنه. وتلك الاعتقادات، منها حقٌّ ومنها باطلٌ، وتلخيصُه لا يتأتّى إلّا لصِنفَين من الناس، أعني أهل البُرهان وأهل المُكاشفة، فبحَسَب ذلك تحتاج كُتُبه إلى تَقْدِمة عُلوم البرهان، أو رِياضة أهل المُكاشفة. ولذلك صنَّف هو مِعيار العلم؛ ليكون الناظر في كتُبه يَتَقَدّم، فيتَعَلَّم منه أصناف البراهين، فيلْحَق بأهل البرهان. وقدَّم أيضًا تَصْنِيف «ميزان العمل» ليكون المُرْتاض فيه، وبه يَلْحَقُ بأهل المُكاشفة، وحينئذ يُنْظر في سائر كتبه. وهذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كُتُب أبي حامد الغزالي، رحمه الله، بما يدل على تفنُّنه، وعلى اضطلاعه، رحمه الله.

ومن الغُرَباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل ابن يوسف العراقي

ثم الخَلاطي، ثم الأقْشُري الفارسي، ويُنعت من النُّعوت المشرقية بجلال الدين، من بلاد فارس.

حاله: كان من الصُّوفية المتَجرّدين من المال والعِيال، ذا وقار وتُؤَدة، وسُكون ومحافظة على ظاهِره. أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشُّيوخ المحدِّثين والمُتَصوِّفين، ثم قَدِم المغرب، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعمائة، وأخذ عمّن بها من الشيوخ، ودخل غرناطة. وكان شافعيّ المذهَب، يُشارك في قَرْض الشِّعر.

---

(١) هو الزاهد محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي، المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ، من أشهر مؤلفاته «سراج الملوك» و«برّ الوالدين». وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٩٢) والمغرب (ج ٢ ص ٤٢٤) والصلة (ص ٨٣٨) وبغية الملتمس (ص ١٣٥) وخريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢١١).

(٢) المراد بالرجل الطوسي أبا حامد الغزالي الطوسي المتقدم ذكره قبل قليل.

مشيخته: أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشَّريشي بفاس، وعن أبي بكر محمد بن محمد بن قَبِيي المومياني، ولَبِس الخِرْقة الصُّوفية من جماعة بالمشرق وبالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجّري، عن أبي محمد صالح، عن أبي مَدْين.

تواليفه: أُخِذ عنه تأليفُه في نحو اللغة الفارسية وشرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدي ببابه، وقد أحسَّ بغَضٍّ من الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس، عَميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المتقارب]

عُـبَـيـدٌ بـبـابِ الـعُـلى واقـف ... أيَـقْـبَـلُه الـمَـجْـد أم يَـنْـصَـرِفُ؟
فـإنْ قَـبِـلَ الـمَـجْـدُ نِـلْـتُ الـمُـنـى ... وإلّا فـــقَـــدْري مـــا أعْــــرِفُ

ثم كتب على لفظه: ما من، وصحّحه، قال: فأُذن له، واستُظْرف مَنْزَعه.

محمد بن أحمد بن شاطر الجَمْحي المرّاكشي[1]

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن شاطِر.

حاله: فقيرٌ متجرّد، يلبس أحسن أطوار الخِرقة، ويُؤثر الاصْطلاح، مَليح الشَّيبة، جميل الصورة، مُستَظْرف الشَّكل، ملازمٌ للمسجد، مساكنٌ بالمدارس، محبَّبٌ إلى الخواص، كثير الذِّكر، متردّدُ التأوّه، شارد اللِّسان، كثير الفَلَتات، مُطَّرح في أكثر الأحايين للسَّمت، ينزع إلى هدفٍ تائه، تَشِم عليه القِحة والمَجانة، مُقتَحم حِمى الحِشْمَة في باب إيهام التَّلبيس، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، وإن قارب الانهماك، وغير مبالٍ بناقد، ولا حافلٍ بِذام، ولا حامدٍ. كلما اتُّبع انفَرد، ومَهمى استقام شرَد، تَطيب النَّفس به على غِرّة، ويُحسن الظّن بباطنه على سُوءِ ظاهره، مليحُ الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع والاستغفار، فعّال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن، مع عدم الحِفظ، مُستشهدٌ بالأبيات الغريبة على الأحوال. قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقَّري: لقيت فيمن لقيت بتِلمسان رجلين، أحدهما عالم الدُّنيا، والآخر نادِرَتُها. أما العالم، فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العَبْدري الآبِلي، وأما النّادرة، فأبو عبد الله بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزْميري كثيرًا، وأبا عبد الله بن تجلّات، وأبا العباس بن البنّا[2] وإخوانهم من

(١) ترجمة محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي في نيل الابتهاج (ص ٢٤٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤).

(٢) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤): «البناء وأضرابه من...».

المرّاكشيين ومَن جاورهم، واختصّ بأبي زيد الهزميري، وآثره وتبنّاه، وكان يقول له: وألقيت عليك محبّة منّي، فيظهر أثرُ ذلك عليه، من سَتْرِ الهنات، ووَضْع القَبُول، فلا تجد من يَسْتَثْقِله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس، وقدم على غرناطة، وتلوّم بها أيامًا.

نُبَذ من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا وليٌّ مَفْسُود، وفي هذا من النَّصَفة، وخِفَّة الرُّوح ما لا خَفاءَ به. قال بعض شيوخنا[1]: قلت له يومًا: كيف أنت؟ فقال[2]: كيف أنا محبوسٌ في الدم. ومن حكمه: الليل والنهار حَرَسِيّان[3]، أحدهما أسود، والآخر أبيض، وقد أَخَذَ[4] بمجامع الخلق إلى[5] يوم القِيامة، وإنَّ مَرَدَّنا[6] إلى الله. ومرّ يومًا بأبي العباس[7] بن شُعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجَزيرة، وقد ذهَبَتْ به الفكرة، فصاح به، فلمّا رفع رأسه، قال، وله نَعْشٌ[8] خاطر: انظر إلى مَرْكَب عَزْرائيل، قد رفع شِراعه، والنِّدا[9] عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد الله المقّري: وجدته يومًا في المسجد ذاكرًا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مُهيم في روضة يَجْبُرون، فهممتُ بالانصراف، فقال: أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا التّاج؟ وأشار إلى المنار، مملوءًا بالله أكبر. قال: وأنشدني أبو العباس بن البنّا، وكتبهما عنه[10]:

[الوافر]

قصدْتُ إلى الوَجازة[11] في كلامي ... لعلمي بالصَّواب في الاخْتِصارِ

ولم أَحْذَرْ فَهُمْ[12] ما دون فَهْمي ... ولكنْ خِفْتُ إزْراءَ الكِبارِ

فشأنُ فحولةِ العُلماءِ شأني ... وشأنُ البَسْطِ تَعْليمُ الصِّغارِ

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥).

(٢) في النفح: «فقال: محبوس في الروح، وقال: الليل...».

(٣) الحرسي: الحارس. لسان العرب (حرس). (٤) في النفح: «أخذا».

(٥) في النفح: «يَجُرّانهم إلى القيامة». (٦) في الأصل: «امررنا» والتصويب من النفح.

(٧) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥): «أبي العباس أحمد بن شعيب». وهو أحمد بن شعيب الجزنائي، تازي الدار، نزيل فاس. توفي بتونس عام ٧٥٠ هـ. ترجمته في نثير فرائد الجمان (ص ٣٣٥) ونيل الابتهاج (ص ٦٨) والتعريف بابن خلدون (ص ٤٨) وجذوة الاقتباس (ص ٤٧) ودرة الحجال (ج ١ ص ٢١).

(٨) قوله: «وله نعش خاطر» غير وارد في النفح. (٩) في النفح: «ونُودي عليه الطلوع يا غزي».

(١٠) ورد في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٦) صدر البيت الأول فقط.

(١١) الوجازة: الإيجاز. لسان العرب (وجز).

(١٢) في الأصل: «فهو» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

قال: وأخبار ابن شاطر تحتمل كُرّاسة، قلت: رأيته بفاس في آخريات عام خمسة وخمسين، وهو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السّبعين.

محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن التميمي
ابن الحلفاوي

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله، نَزِيل غرناطة، ويعرف بالتُّونسي وبابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: وليُّ الله المُجابُ الدعوة، الظاهرُ الكرامة، المشهودُ له بالولاية. وَرَد الأندلس في جملة من تُجّار بلده، وبيده مالٌ كبير بَذَله في معاملة ربّه، إلى أن اسْتَأصَله بالصَّدقَة، وأنفقَه في سبيل الله ابتغاءَ مَرْضَاتِه، وتجرَّد عن الدنيا، وأخذ نَفْسه بالصَّلاة والصَّوم والتّلاوة وكثرة السُّجود والتَّطارح على ذلك، محفوظًا في ذلك كله حِفْظَة الأولياء، مُذَكِّرًا بمن سَلَفه من الزُّهاد، عازبًا عن الدنيا، أخذ نَفْسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، وتمالأً للمساكين، يقصِده الناس بصَدَقاتهم، فيبثُّها في ذوي الحاجات، فيتألَّف في باب مسجده آلافٌ من رجالهم ونسائهم وصِبْيانهم، حتى يعمُّهم الرِّفْد، وتَسَعُهم الصَّدقة. وكان غريبَ الأحوال؛ إذا وصَلَ وقت الصلاة يظهر عليه البِشْرُ والسُّرور، ويدخل مَسْجده الذي ابْتَناه واحْتَفل فيه، فيخلو بنفسه آخذًا في تعبُّدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، ويَزْدحم الناس حول المسجد، وأكثرهم أهلُ الفاقة، فإذا تمكَّن الوقت أذَّن أذانًا مُؤَثِّرًا في القُلوب، جَديً وصِدْقًا ووقارًا، كان صَدْره يَنْصَدع عند قول: لا إلـٰه إلّا الله. ثم يعيدُ التَّعَبُّد والسُّجود في الصَّومعة وأدْراجِها، حتى يُفْتح باب المسجد، وينتقل إلى صَدْر المحراب، فيصلي ركْعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، ووقف عند المحراب، ظَهر عليه من الخَوْف والكَآبة والحُزْن والانْكِسار والتَّضَرُّع والتَّمَلُّق والرَّغبة، ما لا تفي العبارة بوَصْفه، كأن موقِفَه موقفَ أهل الجرائم بين أيْدي المُلُوك الجَبابرة. فإذا أتمّ الصلاة على أتَمّ هيئاتها، تَرى كأن الغُبار على وجهه، أو كأنه حُشِر من قَبْر، فإذا شرع في الدُّعاء بأثر الصلاة، يتلُوه بتَرْداد الصلاة على النّبيّ ﷺ، في كل دَعْوة، ويتوسَّل به، وتظهر عليه أحوال من الحُضور والمُراقبة، ويَنْجلي عن وجهه ما كان به. وكان يَخْتِم القرآن في شهر رمضان مائة خَتْمة، فما من ليلة إلّا ويُحيي اللّيل كلّه فيها بمسجده. هذا ترتيبه، ولو تَتَبَّعنا ما شوهد من كراماته وأحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس في حدود الأربعين وستمائة.

وفاته: توفي شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعمائة. وكان الحَفْل في جنازته عظيمًا، اسْتَوْعب الناس كافَّة، وحضر السلطان فمن دونه، وكانت تَنمُّ، زعموا، على نَعْشه وقَبْره رائحةُ المِسْك. وتبرَّك الناس بجنازته، وقصد قبره المَرْضى وأهل الحاجات، وبقي القُرَّاءُ يقرأُون القرآن عليه مدة طويلة، وتُصُدِّق على قبره بجملة من مال، ففُدِي به طائفةٌ من الأسرى. وقبره بباب إلبيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسَّال، معروف هنالك.

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن ابن يوسف اللَّواتي[1]

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن بَطُّوطَة[2].

حاله: من خطِّ شيخنا أبي البركات، قال: هذا رجلٌ لديه مشاركة يسيرة في الطَّلب، رَحَل من بلاده إلى بلاد المَشْرِق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وعِراق العَجَم، وبلاد الهند والسِّند، والصين، وصين الصِّين، وبلاد اليمن. وحجّ عام ستة وعشرين وسبعمائة. ولقي من الملوك والمشايخ عالَمًا، وجاوَرَ بمكّة. واستقرَّ عند ملك الهند، فحظِي لديه، وولَّاه القضاء، وأفاده مالًا جسيمًا. وكانت رحلته على رَسْم الصُّوفية زيًّا وسَجِيَّةً، ثم قَفل إلى بلاد المغرب، ودخل جزيرة الأندلس، فحَكَى بها أحوال المشرق، وما استَفاد من أهله، فكُذِّب. وقال: لقيتُه بغرناطة، وبِتْنا معه ببُسْتان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نِبْلة، وحدَّثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قَبْلها عن البلاد المشرقيّة وغيرها، فأَخْبرَ أنه دخل الكنيسة العُظْمى بالقُسطَنطينية العظمى، وهي على قَدْر مدينةٍ مُسَقَّفة كلها، وفيها اثنا[3] عشر ألف أُسْقُف. قلت: وأحاديثه في الغرابة أَبْعَدُ من هذا. وانتقلَ إلى العُدْوة، فدخل بلاد السُّودان. ثم تُعُرِّف أن ملك المغرب استدعاه، فلحق ببابه، وأمر بتدوين رحلته.

---

(١) نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر.

(٢) يلقب ابن بطوطة بشمس الدين؛ ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ. ترجمته في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٨٠) وهدية العارفين (ج ٢ ص ١٦٩) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٩٩) والأعلام (ج ٦ ص ٢٣٥). وراجع أيضًا مقدمة كتابه المسمى بـ«رحلة ابن بطوطة» بقلم كرم البستاني.

(٣) في الأصل: «اثني» وهو خطأ نحوي.

سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأُمراء وما منهم إلّا طارِئٌ علينا أو غريب

مَزْدَلي بن تيولتِكان بن حمنى بن محمد بن تزقوت بن وَرْبابطن ابن منصور بن نِصاله بن أمية بن واباتن الصَّنهاجي اللّتّموني

حاله: كان الأمير مَزْدَلي عَضُدَ القائم بالدولة اللَّمتونية يوسف بن تاشُفِين، وقريبه لالتقائهما في تَرْقُوت، راشَ به وبَرى، وجَزَّ وفَرَى، فهو شيخ الدولة اللَّمْتُونية، وكبير العِصابة الصَّنهاجية، بطلًا ثَبْتًا، بُهْمة من البُهَم، بعيد الصِّيت، عظيم الجَلَد، شهير الذِّكر، أصِيل الرَّأْي، مُسْتحكم الحُنْكَة. طال عمره، وحَمُدَت مواقعُه، وبَعُدَت غاراتُه، وعظُمت في العدوّ وقائعُه، وشُكرت عن سلطانه نيابتُه.

من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الرُّوم بسَعْيه، وردّه إلى مُلْكَة الإسلام بحميد غِنائه في مُنتصف رجب عام خمس وخمسمائة.

دخوله غرناطة: وُلّي قرطبة وغَرناطة وما إليهما من قِبَل يوسف بن تاشُفِين سنة خمس وخمسمائة.

قال ابن الصَّيرفي: توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وخمسمائة، غازيًا على مقربة من حِصْن قسطانية، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم الأربعاء ثاني يوم وفاته، وصَلّى عليه إثر صلاة العصر الفقيهُ القاضي بقرطبة أبو القاسم بن حَمْدين، ودفنه قرب أبيه، وبُنِيت عليه روضةٌ حسنة. وكان، نضَّر الله وجهه، البقيّة الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهنتاني

السيد أبو عُمران.

حاله: بَيْتُه معروف. وكان أديبًا شاعرًا، جوادًا، واختصّ بالعادِل، فجلّ قَدْرُه في دولته، وأمله الناس بإشبيلية في حوائجهم لمحلّه منهم. ولمّا انصرف عنها العادل إلى طلب الخلافة، قدّمه عليها، فبلغ الغاية.

وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستمائة، كانت على جَيْشه الوقيعة، أوقعها به السيد أبو محمد البيّاسي، وأخباره شهيرة.

وفاته: وتوفي تَغْريقًا في البَحْر بعد أن وُلّي بجاية، رحمه الله وعفا عنه.

شعره: قال: وكان أبو المُطَرِّف بن عَميرة، يَنْشِد له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن حَريق يسْتَحِثُّه على نظم الشعر في عَرُوض الخَبَبْ: [المتدارك]

خُذْ في الأشعار على الخَبَبِ فقُصُورك عنه من العَجَبِ
هذا وبنو الآداب قَضَوا بعُلُوِّ مُجدِك في الرُّتَبِ

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخبب]

أبُعَيْد الشَّيب هَوًى وصَبًا؟ كلَّا لا لَهْوًا ولا لَعِبا
ذَرَتِ السِّتُّون بُرادَتها في مِسْكِ عِذارِك فاشْتَهَبا

ومنها:

يا نفسُ أخيى أخيى تصلي أملًا عيشي روحيا تروي عجبا
وخُذي في شُكْر الكَبْرة ما لاح الإصْباحُ وما ذَهَبا
فيها أحْرَزْتُ معارفَ ما أُبْليتَ بجِدّته الحِقَبا
والخمر إذا أُعْتِقَتْ وصَفَتْ أغلَى ثمنًا منها عِنَبًا
وبقيّةُ عُمْر المرءِ له إنْ كان بها طَبًّا دَرِبَا
هَبْني فيها بإنابته ما هَدَّمَهُ أيامَ صَبَا

دخل غرناطة، فوجَبَ ذكره مع مثله.

مَنْديل بن يعقوب بن عبد الحق بن مَحْيو الأمير أبو زيّان

حاله: كان فاضلًا عاقلًا جوادًا، عيَّنه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحَقّ، للضَّرْبِ على أحواز مالَقة عند الفِتنة، فاضطرب المحلة تجاه سُهيل[1]، وضيَّق على تلك الأحواز، وبَرَز إليه الجيش لنَظِر موسى بن رَحُو من قرابته النّازعين عن إيالة المغرب من بني رَحُو. وكان اللقاء، فوقعت به الدَّبْرة، وانهزم جيشه، وقُبض عليه، وسِيق إلى السلطان، فتلقّاه بالبرّ، ورَعى ما لِبَيْته الكبير من الحقّ، وأسكنه مجاورًا لقصره بحمرائه[2]، مرفَّهًا عليه، مَحْجُوزًا عن التصرُّف، إلى أن كان

(١) سهيل: بالإسبانية Fuengirola، وهي بلدة تقع على شاطىء البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثين كيلومترًا إلى الغرب من مالقة.
(٢) أي قصر الحمراء، مقرّ سلاطين بني نصر بغرناطة.

ما تلاحَق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء، وتصَيُّر الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف. وتجَدَّدَت الأُلفة وتأكَّدت المودَّة، وارتفعت الإحْنَة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تَعْبِئَة إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرْبِلَة[1]، وصُرف الأمير أبو زيان مَحْبُوًّا بما يليق به.

حدَّثني شيخُنا أبو زكريا بن هُذَيل، رحمه الله، قال: نُصب للسلطان أبي يعقوب خِباءٌ احتَفل في اتخاذه له أميرُ سَبْتة، فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سُمُوُّ عماد، وامتدادَ ظلّ، وانفساح ساحة، إلى إحكام الصَّنعة، والإعياء في الزُّخرف. وقَعَد فيه السلطان ملك المغرب، وأجْلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن الغالب بالله، عن يمينه، وأخاه الأمير أبا زيّان عن يساره، وقرأ عِشاره المعروف بالوقّاد، آية الله في حُسن الصَّوت، وبعد مَدى السَّمع، وطيبِ النَّغْمة، قوله عزّ وجَلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزْجَىٰةٖ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[2]. فكان مقامًا مُبهِتًا. كان السلطان، رحمه الله، يقول: لشَدَّ ما جَنى عليّ عدوّ الله بقِحَتِه، والله لقد كان يُشير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله: أنا يوسف وهذا أخي. ثم أجاز للعُدْوة، فطاح بها لعَهْد غير بَعيد.

وكان الإيقاعُ بجيش الأمير أبي زيّان في أُخْرَيات ذي الحجة عام أربعة وثمانين وستمائة، فاتصل بذلك موتُ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده، وكان لِقاء السُّلْطانين بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه، وكان اللُّقاءُ، كما ذُكر، في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

---

(١) مَرْبِلّة: بالإسبانية Marbella، وهي مدينة صغيرة مسورة، تبعد ستين كيلومترًا إلى الغرب من مالقة. الروض المعطار (ص ٥٣٤).

(٢) سورة يوسف ١٢، الآيات ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

ومن الطارئين

المُطَرِّف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[١]

حاله: كان المطرِّف، ولد الخليفة[٢] عبد الله أمير المسلمين بالأندلس، شجاعًا مِقْدامًا، جَرِيًّا، صَرَفَه والده الخليفة في الغَزَوات وقَوْد العساكر، وهو الذي بنى حصن لَوْشَة، ووَقَم كثيرًا من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة: قال ابن حيَّان[٣]: غزا المطرِّف بِبُشْتر[٤] بسبب ابن حَفْصون، إذ كان صالح الأمير عبد الله، ودَفع رهينة ابنه، فلما امتُحن الطِّفلُ وُجد غير ابنه، فنهض إليه المطرِّف، وكان القائد على العسكر قَبْله عبد الملك بن أمية، فنهض صُحبته، ونازل المطرِّف ابن حفصون، فهَتَك حَوْزَته، وتقدَّم إلى بِنْيَةٍ كان ابْتَناها بموضع يعرف باللُّوَيَّات[٥]، فشرع في خرابها، وخرج ابن حفصون ومن معه من النَّصرانية يُدافع عنها، وعن كنيسةٍ كانت بقُرْبها، فغُلب ابن حفصون، وهُدمت الكنيسة، وقُتل في هذه الحرب حفصُ بن المُرَّة، قائدُه ووُجُوه رجاله، وعند الفراغ من ذلك انصرف المطرِّف، فدخل كُورَة إلبيرة، وبنا لَوْشَة، وتقدَّم منها إلى إلبيرة ودخلها، ثم طاف بتلك الجهات والحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أُمية وسبب الإحنة بينه وبين أبيه.

قال[٦]: وفي هذه الحركة أَوْقَع بعبد الملك بن أُمية؛ لما كان في نفسه لصَرْف والده عن عَقْد البَيْعة له وتمزِيق العَهْد في خبر يطُول. وكان والدُه قد أخذ عليه

---

(١) ترجمة المطرف وأخباره في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٠٢ - ١٠٥، ١٣١ - ١٣٧) والمغرب (ج ١ ص ١٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال (ص ٢٨ - ٢٩) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٠).

(٢) لم يكن عبد الله بن محمد خليفة، بل كان أميرًا، وقد حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٣٠ - ١٣١) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف.

(٤) ببشتر: بالإسبانية Bobastro، وهي حصن منيع بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلًا. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) في المقتبس: «المعروف بالعرمات».

(٦) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف. ومقتل عبد الملك بن أمية كان في سنة ٢٨٢ هـ.

الميثاق عند خروجه إلى شَذُونة[1] ألّا يَعْرِض إليه بمكروه، وأقسم له بالأيمان، لئن نال منه شيئًا ليعاقِبَنَّه بمثله، فلمّا قتله، عقد الوثائق عليه، وأخذ الشّهادات فيها بالظُّلم والشُّؤم خوفًا من أبيه، وكتب إليه يَعْتذِر له، ويُحَكِّمه في نفسِه.

مقتل المطرّف: قال[2]: وظهرت عليه فِعال قبيحة، من أذى جِيرانه بما أكّد غائلة أبيه عليه، وأعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أنّ المطرّف كان قد خلا به، فذكروا أنه نَزَل يومًا عنده بمنزله، وأخَذُوا في حديثِ الأبناءِ، وكان المطرّف عقيمًا، فدعا معاوية بِصَبيّ يَكْلَفُ به، فجات وبرأسه ذُؤابتان، فلمّا نظر إليه المطرّف حَسَده، وقال: يا معاوية، أتتشبَّهُ بأبْناءِ الخلفاء في بَنِيهم؟ وتَناولَ السَّيْفَ فحزَّ به الذُّؤابة، وكان معاوية حيّة قريش دهاءً ومكرًا، فأظْهَر الاستِحْسان لصُنْعه وانْبَسط معه في الأُنْس، وهو مضطغن، فلمّا خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتّصاله إليه، فلما أوْصَله كاشفه في أمر المطرّف بما أزْعَجه، وأقام على ذلك ليلًا أحْكَم أمره عند الخليفة بلُطْفِ حِيلته، فأصاب مقْتَلَه سَهْمُ سِعايته. قال ابن الفيّاض: بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرّف عَسْكرًا للقبض عليه، مع ابن مُضَر، فقُوتِل في داره حتى أُخِذ، وجيء به إليه، فَتَشاور الوزراءُ في قَتْله، فأشار عليه بعضهم أن لا يَقْتُلَه، وقال بعضهم: إن لم تَقْتُلْه قَتَلك، فأمر ابن مُضر بصَرْفه إلى داره، وقَتْله فيها، وأن يَدْفِنه تحت الرّيحانة التي كان يشربُ الخمر تحتها، وهو ابن سبع وعشرين وسنة، وذلك في يوم الأحد ضُحًى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

مُنذِر بن يحيىٰ التُّجِيبي[3]

أمير الثّغر، المُنتزي بعد الجماعة بقاعدة سَرَقُسطة، يكنى أبا الحكم، ويُلقّب بالحاجب المنصور، وذي الرّياستين.

حاله: قال أبو مروان[4]: وكان أبو الحكم رجلًا من عُرْض الجُند، وترقّى إلى القيادة آخِرَ دولة ابن أبي عامر، وتناهى أمْرُه في الفِتنة إلى

(١) شذونة: بالإسبانية Sidona وهي كورة متصلة بكورة موررر، نزلها جند فلسطين من العرب بعيد الفتح. الروض المعطار (ص ٣٣٩).

(٢) القول لابن حيان، والنص في المقتبس بتحقيق إسماعيل العربي (ص ١٣٣ ـ ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف.

(٣) ترجمة منذر بن يحيىٰ التجيبي في المغرب (ج ٢ ص ٤٣٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال) (ص ١٩٦) والذخيرة (ق ١ ص ١٨٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥).

(٤) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨٠ ـ ١٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥ ـ ١٧٦) وأعمال=

الإمارة[١]. وكان أبوه من الفرسان غير النُّبهاءِ. فأمّا ابنُهُ منذر، فكان فارسًا نقيَّ الفُرُوسة[٢]، خارجًا عن مدى الجهل، يتمسك بطَرَف من الكتابة السّاذجة. وكان على غَدْره، كريمًا، وهَبَ قُصّاده مالًا عظيمًا، فوفَدوا عليه، وعَمُرَتْ لذلك حَضرَتُه سَرَقُسْطة، فَحَسُنَتْ أيامُه، وهَتَفَ المُدّاحُ بذكره.

وفيه يقول أبو عمرو بن درّاج القَسْطَلّي قصيدته المشهورة، حين صَرَفَ إليه وجهه، وقَدِمَ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[٣]: [الكامل]

بُشْراكَ مِنْ طُولِ التَّرَحُّلِ والسُّرى ... صُبْحٌ بِرَوْحِ السَّفْرِ لاحَ فَأَسْفَرا
مِنْ حاجبِ الشمسِ الذي حَجَبَ الدُّجى ... فَجرًا بأنهار الذُّرَى[٤] مُتَفَجِّرا
نادى[٥] بحيَّ على الندى ثم اعتلى ... سُبُلَ[٦] العُفاة مُهَلِّلًا ومُكَبِّرا
لَبَّيكَ أَسْمَعَنا نِداكَ ودوننا ... نَوْءُ الكواكبِ مُخْوِيًا أو مُمْطِرا
مِنْ كلِّ طارقِ لَيْلِ هَمٍّ[٧] يَنْتحي ... وَجْهي بوجهٍ مِنْ لقائكَ أَزْهَرا
سارٍ ليَعْدِل عن سمائك أَنْجُمي ... وقد ازْدَهاها عن سَناكَ مُحيِّرا
فكأنما أغدَتْه[٨] أسبابُ النّوى ... قَدَرًا لِيُعْدِيَ عن يديك مُقَدَّرا[٩]
أو غارَ مِنْ هِمَمي فأنحى شأوَها ... فَلَكَ البروج مُغَرِّبًا ومُغَوِّرا
حتى عَلِقْتُ النَّيِّرَيْنِ فأَعْلَقا ... مَثْنَى يدي مَلِكَ الملوك النَّيِّرا
فَسَرَيْتُ في حَرَمِ الأهِلَّةِ مُظْلِمًا ... ورَفَلْتُ في خِلَعِ السُّمُوم مُهَجِّرا
وشَعَبْتُ أفلاذَ الفؤادِ ولم أكَدْ ... فَحَذَوْتُ من حَذْوِ الثُّرَيّا مَنْظَرا
سِتٌّ تَسَرّاها[١٠] الجَلاءُ مُغَرِّبًا ... وحَدا بها حادي النَّجاءِ[١١] مُشَمِّرا
لا يَسْتَفيقُ الصُّبْحُ منها ما بَدا ... قَلَقًا ولا جَذْيُ الفَراقِدِ ما سَرى

= الأعلام (ص ١٩٦).
(١) في الذخيرة: «إلى نيل الإمارة».
(٢) في الذخيرة وأعمال الأعلام: «لَبِق الفروسيّة».
(٣) القصيدة في ديوان ابن دراج القسطلي (ص ١٢٤ - ١٣١) وفي أعمال الأعلام (ص ١٩٨ - ٢٠٠) ٥١ بيتًا. وقد أورد منها ابن بسام في الذخيرة (ص ١٨٠ - ١٨١) ٢٤ بيتًا لم ترد هنا.
(٤) في الديوان وأعمال الأعلام: «النّدى».
(٥) في أعمال الأعلام: «ناديت حَيّ».
(٦) في أعمال الأعلام: «سبل».
(٧) في الديوان: «هَمّي».
(٨) في الديوان: «أغرتْه».
(٩) رواية عجز البيت في الأصل هي:

نور الهدى عن يديك منوّرا

وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من الديوان.
(١٠) في أعمال الأعلام: «تسدّاها».
(١١) في المصدر نفسه: «النواء».

ظُعُنٌ أَلِفْنَ القَفْرَ في غَوْلِ الدُّجى ... وتَرَكْنَ مألوفَ المعاهِدِ مُقْفِرا

يَطْلُبْنَ لُجَّ البَحْرِ حيث تقاذفتْ ... أمواجُهُ والبَرُّ حيث تَنَكَّرا

هِيمٌ وما يَبْغِينَ دونك مَوْرِدًا ... أبدًا ولا عن بَحْرِ جُودِكَ مَصْدرا

مِنْ كلِّ نِضْوِ الآلِ مَحْبُوكِ المُنى ... يُزجيه نحوكَ كلُّ مَحْبُوكِ القَرَا[1]

بُدُنٌ فَدَتْ مِنَّا دماءَ نُحُورِها ... بِبِغائها[2] في كلِّ أُفْقٍ مَنْحَرا

نَحَرَتْ بنا صَدْرَ الدَّبُورِ فأَنْبَطَتْ ... قَلَقَ المضاجعِ تحت جَوٍّ أكْدَرا

وصَبَتْ إلى نَحْوٍ[3] الصَّبا فاستَخلصتْ ... سَكَنَ الليالي والنهارَ المُبْصِرا

خُوصٌ نَفَخْنَ بنا البُرى حتى انْثَنَتْ ... أشلاؤهن كمِثْلِ أنصافِ البُرا

نَذَرَتْ لنا أن لا تُلاقيَ راحةً ... مما تُلاقي أو تُلاقيَ مُنْذِرا[4]

وتقاسَمَتْ أن لا تُسِيغَ حياتَها ... دون ابن يحيى[5] أو تموتَ فتُعْذَرا

لله أيُّ أهِلَّةٍ بَلَغَتْ بنا ... يُمْناكَ يا بَدْرَ السماءِ المُقْمِرا

بل أيُّ غِصْنٍ في ذَراكَ هَصَرْتَهُ ... فجرى[6] فأوْرَقَ في يديكَ وأَثْمَرا

فلئن صَفا ماءُ الحياة لديكَ لي ... فبما شَرِقْتُ إليك بالماءِ الصَّرى[7]

ولئن خَلَعْتَ عليَّ بُرْدًا أخضَرا ... فلقد لبِسْتُ إليكَ عَيْشًا أغبَرا

ولئن مَدَدْتَ عليَّ ظِلًّا باردًا ... فلكَمْ صَلِيتُ إليكَ جَوًّا[8] مُسْعَرا

وكفى لمن[9] جَعَلَ الحياةَ بضاعةً ... ورأى رِضاكَ بها رخيصًا فاشْتَرى

فَمَنِ المُبلِّغُ عن غريبٍ نازحٍ ... قَلْبًا يكادُ عليَّ أن يَتَفَطَّرا

لَهْفانَ لا يَرْتَدُّ طَرْفُ جفونه[10] ... إلّا تذكَّر عَبْرتي فاسْتَعْبَرا

أَبُنَيَّ، لا تَذْهَبْ بنفسك حَسْرَةٌ ... عن غَوْلِ رَحْلي مُنْجِدًا أو مُغْوِرا

فلئن تَرَكْتَ الليلَ فَوْقيَ داجيًا ... فلقد لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرا

ولقد وَرَدْتُ مياهَ مأرِبَ حُفَّلًا ... وأَسَمْتُ خيلي وَسْطَ جنَّةِ عَبْقَرا

ونَظَمْتُ للغِيدِ الحِسانِ قلائدًا ... مِنْ تاجِ كِسْرى ذي البهاءِ وقَيْصَرا

---

(١) القرا: الظهر.

(٢) في أعمال الأعلام: «ببقائها». والبِغاء: الطلب.

(٣) في المصدر نفسه: «نَحْرِ».

(٤) هو منذر بن يحيى، ممدوحُ ابن دراج.

(٥) ابن يحيى: هو منذر بن يحيى، المقدّم ذكره.

(٦) في الديوان: (نَخِرٍ).

(٧) الماء الصَّرى: الذي طال استنقاعه.

(٨) في أعمال الأعلام: «حرًّا».

(٩) في الديوان: «وكفاك مَنْ».

(١٠) في أعمال الأعلام: «لا يرتد في أجفانه».

وحَلَلْتُ أرضًا بُدِّلَتْ حَصْبَاؤُها   ذَهَبًا يَرِفُّ[1] لناظِرِيَّ وجَوْهَرا
وَلْيَعْلَمِ[2] الأمْلاكُ أنّيَ بَعْدَهُمْ   أَلْفَيْتُ كلَّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا[3]
ورمى عليٌّ رداءَهُ مِنْ دونِهِمْ   مَلِكٌ تُخُيِّرَ للعُلا فَتَخَيَّرا
ضَرَبُوا قِداحَهُمُ عليٌّ ففاز بي   مَنْ كان بالقِدْحِ المُعَلّى أجْدَرا
مَنْ فكَّ طِرْفي من تكاليفِ الفَلا   وأجارَ طَرْفي من تباريحِ السُّرى
وكفى عِتابي من ألامَ مُعَذِّرا   وتَذَمُّمِي مِمَّنْ تَجَمَّلَ[4] مُعْذِرا
ومُسائلٍ عنّي الرفاقَ وَوُدُّهُ   لو تنبذُ الساحاتُ[5] رَحْلِيَ بالعَرا
وبَقِيتُ في لُجَجِ الأسى مُتَضَلِّلا   وعَدَلْتُ عن سُبُلِ الهُدى مُتَحَيِّرا
كَلّا وقد آنسْتُ من هُودٍ هُدًى   ولَقِيتُ يَعْرُبَ في القُيول وحِمْيرا
وأَصَبْتُ في سبإٍ مُوَرِّثَ مُلْكِهِ   يَسْبي الملوكَ ولا يَدِبُّ لها الضَّرا
فكأنما تابَعْتُ تُبَّعَ رافِعًا   أعلامَهُ مَلِكًا يَدينُ له الوَرى
والحارثَ الجَفْنِيَّ ممنوعَ الحِمى   بالخَيْلِ والآسادِ مَبْذُولَ القِرى
وحَطَطْتُ رَحْلي بين نارَيْ حاتِمٍ   أيامَ يَقْرِي مُوسِرًا أو مُعْسِرا
ولَقِيتُ زَيْدَ الخَيْلِ تحت عَجاجةٍ   تكسو[6] غلائلُها الجيادَ الضُّمَّرا
وعَقَدْتُ في يَمَنٍ مَواثِقَ ذِمَّةٍ   مشدودةِ الأسبابِ مُوثَقَةِ العُرى
وأتيتُ بَحْدَلَ[7] وهو يَرْفَعُ مِنْبرا   للدِّينِ والدُّنيا ويَخْفِضُ مِنْبَرا
وحَطَطْتُ[8] بين جِفانِها وجُفُونِها   حَرَمًا أبَتْ حُرُماتُهُ أن تُخْفَرا
تلك البُحُورُ[9] تَتَابَعَتْ وخَلَفْتَها   سَعْيًا فكنتَ الجَوْهَرَ المُتَخَيَّرا
ولقد نَمَوْكَ وِلادةً وسِيادةً   وكَسَوْكَ عِزًّا وابْتَنَوْا لكَ مَفْخَرا

---

(١) في أعمال الأعلام: «يَرُوقُ».   (٢) في أعمال الأعلام: «ولتَعْلَم».

(٣) أخذه من المثل: «كلُّ الصَّيْد في جَوْف الفَرا». يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه فِراء. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).

(٤) في الأصل: «تحمّل» بالحاء المهملة، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الأصل: «السانحات» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من أعمال الأعلام. وفي الديوان: «السادات».

(٦) في الأصل: «يكسو»، وكذا في الديوان، والتصويب من أعمال الأعلام.

(٧) هو بَحْدل بن أنيف الكلبي، الذي تزوج معاوية بن أبي سفيان من بنته ميسون والدة ابنه يزيد، وقد كان لقبيلة كلب اليمنية التي ينتسب إليها بحدل أعظم البلاء في نصرة الدعوة الأموية.

(٨) في أعمال الأعلام: «وخططت» بالخاء المعجمة.

(٩) في المصدر نفسه: «البدور».

فَـمَـمَـرْتَ بـالآمـال[١] أَكْـرَمَ أَكْـرَمٍ مُـلْكًـا وَرِثْـتَ عُـلاه أَكْـبَـر أَكْـبَـرَا

وشَـمـائلٍ عَـبِـقَـتْ بـهـا سُبْـلُ الـهُـدى وذَرَتْ عـلى الآفـاقِ مِـسْـكًـا أَذْفَـرا

أَهْدَى إلى شَغَفِ القلوبِ مِنَ الهَوى وأَلَـذُّ فـي الأَجْـفـان مـن طَـعْـمِ الـكَـرى

ومَـشـاهِـدٍ لـكَ لـم تَـكُـنْ أَيـامُـهـا ظَـنًّـا يَـرِيـبُ ولا حَـدِيـثًـا يُـفْـتَـرَى

لاقَيْتَ فِيها الموتَ أَسْوَدَ أَدْهَمًا فَـذَعَـرْتَـهُ بـالـسَّـيْـفِ أَبـيضَ أَحْـمَـرا

ولـو اجْـتـلى فـي زِيِّ قِـرْنِـك مُـعْـلَمًا لَتَـرَكْـتَـه تـحـت الـعَـجـاج مُـعَـفَّـرا

يـا مَـنْ تَـكَـبَّـر بـالـتَّـكَـرُّم[٢] قَـدْرُهُ حـتـى تَـكَـرَّمَ أَنْ يُـرى مُـتَـكَـبِّـرا

والـمُـنْـذِرُ الأَعـداءَ بـالـبُـشْـرى لـنـا صَـدَقَـتْ صِـفـاتُـك مُـنْـذِرًا ومُـبَـشِّـرا

مـا صُـوِّرَ الإيـمـانُ فـي قَـلْـبِ امـرئٍ حـتـى يَـراكَ الله فـيـه مُـصَـوَّرا

فـارْفَـعْ لـهـا عَـلَـمَ الـهُـدى فَـلِـمِـثْـلِهـا رَفَـعـتْـكَ أَعـلامُ الـسـيـادة فـي الـذُّرَى

وانْـصُـرْ نُـصِـرْتَ مـن الـسـمـاءِ فـإنـمـا نـاسـبْـتَ أَنـصـارَ الـنـبـيِّ لِـتُـنْـصَـرا

واسْـلَـمْ ولا وَجَـدُوا لِجَـوِّكَ مَـنْـفَـسًـا فـي الـنـائـبـات ولا لِـبَـحْـرِكَ مَـعْـبَـرا

سيرته: قال[٣]: وساسَ لأول ولايته عظيمَ الفِرَنْجة[٤]، فحُفِظت أَطرافُه، وبلغ من استمالته طوائفَ النَّصرانية، أن جرى على يديه بَحضرَته عقد مصاهرة بعضهم[٥]، فقَرفَته الألسنة لسَعْيه في نظام سِلْك النصارى. وعَمُر به الثَّغر إلى أن أَلْوت به المَنِيَّة. وقد اعترف له الناس بالرَّأي والسِّياسة.

كُتَّابه: واستكتب عدَّة كتّاب كابن مُدَوِّر، وابن أَزْرَق، وابن واجب، وغيرهم.

وصوله إلى غرناطة: وصل غَرْناطة صُحْبة الأمير المُرْتَضى الآتي ذكره، وكان ممن انهزم بانهزامه. وذكروا أنه مَرَّ بسليمان بن هُود، وهو مُثْبِت للإفرنج الذين كانوا في المحَلّة لا يريم موقفه[٦]، فصاح به النجّاة: يا ابن الفاعلة، فلستُ أقف عليك، فقال له سليمان: جئت والله بها صَلْعًا، وفَضَحْتَ أهل الأندلس، ثم انْقَلع وراءه.

---

(١) في الديوان: «فَمَرَرْتَ بالإقبال». (٢) في أعمال الأعلام: «يا من تكرَّم بالتكبُّر».

(٣) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨١) وأعمال الأعلام (ص ١٩٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٤) في الذخيرة والبيان المغرب: «عظماء الإفرنج»، وفي أعمال الأعلام: «عظماء الفرنجة».

(٥) أجرى منذر مصاهرة بين ريموند الجليقي وشانجه القشتالي، حيث تزوج شانجه بابنة ريموند، حسبما جاء في الذخيرة.

(٦) لا يريم موقفه: لا يبرحه.

وفاته: وكانت[1] على يَدَيْ رجل من أبناءِ عمّه يدعى عبد الله بن حَكَم، كان مُقَدَّمًا في فُوّاده، أضمر غَدْره، فدخل عليه، وهو غافل في غِلالة، ليس عنده إلّا نفرٌ من خواصّ خَدَمه الصُّقْلُب، قد أكبَّ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسِكّين أجهز به عليه. وأجْفَل الخدم إلّا شَهْمٌ منهم أكبَّ عليه فمات معه. ومَلَك سَرَقُسطة، وتمسّك بها أيامًا، ثم فَرّ عنها، ومَلَكها ابن هُود. وكان الإيقاع به غرة ذي حجة سنة ثلاثين وأربعمائة، رحمة الله عليه.

موسى بن يوسف بن عبد الرحمٰن بن يحيىٰ ابن يَغْمراسِن بن زيّان[2]

الأمير بتِلمسان، يكنى أبا حَمُّو.

أوليته: أوّليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مُجمعٌ على حَزمه، وضمّه لأطراف مُلكه، واضطلاعه بأعباء مُلْك وطنه، وصَبره لدولة قومه، وطلُوعه بسعادةِ قَبِيله. عاقلٌ، حازمٌ، حَصيفٌ، ثابتُ الجَأش، وقورٌ مَهيب، جمّاعةٌ للمال، مباشر للأمور، هاجر للّذات، يَقِظ، مُتَشَمِّر. قام بالأمر غُرّة ربيع الأول في عام ستين[3]، مُرتاش الجَناح بالأحلاف من عَرَبِ القِبْلةِ، معوّلًا عليهم عند قصد عَدُوِّه، وحَلَب ضِرع الجِباية، فأثرى بيتُ ماله، ونَبُهَت دولتُه، واتّقَتْه جيرتُه، فهو اليوم ممن يُشار إليه بالسّداد.

أدبه وشعره: ووجّه لهذا العهد في جُملة هدايا وُدّية، ومقاصِدَ سنِيّة، نسخة من كتابه المسمى بـ«واسِطَة السُّلوك، في سياسة الملُوك»[4]، افتتحه بقوله:

«الحمد لله الذي جعل نِعْمته على الخَلْق، بما ألْفهم عليه من الحقّ، شاملةً شائعةً، ويسَّر طوائِفَ من عِباده لليُسْرى فأتَتْ إليها مُساعدة مُسارعةً، وحضّهم على الأخذِ بالحُسْنى ولا أحْسَنُ من نفوس أرْشِدَت فأقبلت لإرْثها طالبةً ولربِّها طائعة، ولا أسْمَى من هِمَمٍ نَظرت بحُسْن السِّياسة في تدبير الرِّياسة التي هي لأشْتاتِ الملك

(١) قارن بالذخيرة (ق ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٨).
(٢) ترجمة أبي حَمّو موسى بن يوسف الزياني في التعريف بابن خلدون (ص ٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٣٨، ٢٤٤) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٤، ٣٤٢) وهدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٣٢٨) والأعلام (ج ٧ ص ٣٣١).
(٣) أي سنة سبعمائة وستين.
(٤) هذا الكتاب مطبوع، وجاء في هدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) أن له كتابًا اسمه. «قلائد الدرر في سياسة الملك».

جامعةً، ولأسباب المَلْك مانعة، وأظهرت من معادنها دُرَر الحِكَم وغُرَر الكَلِم لائحةً لامعةً، فاجتلت أقمارها طالعةً، واجتنَتْ أزهارَها يانعة. وصَلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البيِّنات ساطِيةً ساطِعةً، والمُعجزات المُعْجِمات قاصِمةً لظهور الجاحِدين قاطعة، الذي زُوِيت له الأرضُ فتدانَتْ أفكارها وهي نابِيةٌ شاسعة، واشتاقت له المياه فَبَرَزَتْ بين أصابعه يانعة، وامْتَثَل السَّحاب أَمْرَه فسحَّ باسْتِسْقائه دُررًا هاميةً هامعةً، وحنَّ الجِذْع له وكان حنينُه لهذه الآيات الثَّلاث آيةً رابعة، إلى ما لا يُحصى مما أَتَتْ به مُتَواترات الأخبار وصَحيحات الآثار ناصرةً لنبوَّته ساطعةً، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وعِتْرَتِه التي أجابت داعيَ الله خاشيةً خاشعةً، وأذعنت لأوامر رسول الله ﷺ فكانت من الاسْتِبْداد خالية وللأنداد خالعةً، صلاة ديمَتُها دائمةٌ مُتَتابعةً، وسلّم كثيرًا».

جَمَع فيه الكثير من أخبار الملوك وسِيَرِهم، وخصَّ به ولَدَه ووليَّ عهده، فجاء مجْمُوعًا يُسْتَظْرَفُ من مِثْله، ويدلُّ على مكانه من الأدب ومحلِّه.

وثَبَتَ فيه الكثيرَ من شِعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحدَ رؤوس القبائل، وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سِلْك جماعته، وهي: [الطويل]

تـذكَّـرتُ أطْـلال الـرُّبـوع الـطَّـواسـم ... وما قد مضى من عهدها المُتَقادمِ
وَقَفْـتُ بـها من بَعْـدِ بُعْـدِ أنيسها[1] ... بـصَـبْـرٍ مُـنـافٍ أو بـشـوقٍ مُـلازم
تَـهـيـم بـمَـغْـنـاهـمْ وتَـنْـدبُ رَبْـعـهـمْ ... وأيّ فُـؤاد بَـعْـدهـمْ غـيـرُ هـائـم؟
تَـحِـنُّ إلى سلمى ومن سَكَن الحِمى ... وما حبُّ سَلمى للفتى بمُسالمِ
فـلا تَـنْـدِبِ الأطْـلال واسْـلُ عن الـهـوى ... ولا تَـقْـلِ فـي تَـذْكـار تـلك الـمعالـمِ
فـإنّ الـهـوى لا يَـسـتَـفِـزُّ ذوي الـنُّـهـى ... ولا يَـسْـتَـبـي إلّا الـضَّـعـيـفَ الـعَـزائـم
صبورٌ على البَلْوى طَهُورٌ من الهوى ... قـريـبٌ مـن الـتَّـقـوى بـعـيـدُ الـمـآثـم
ومـن يَـبْـغِ دَرْكَ الـمُـعْـلَـوات ونَـيْـلـهـا ... يُـسـاق بـخَـلْـق الـشَّـهـد مُـرَّ الـعَـلاقـم
ولائـمـةٍ لـمّـا رَكِـبْـنـا إلـى الـعُـلا ... بـحـارَ الـردى فـي لُـجِّـهـا الـمُـتَـلاحـم
تـقـول بـإشـفـاقٍ: أتَـنْـسـى هـوى الـدُّمـا ... وتَـنْـثُـرُ دُرًّا[2] مِـنْ دمـوعٍ سَـواجـم؟
إلـيـك فـإنّـا لا يَـرُدُّ اعـتـزامَـنـا ... مـقـالـةُ بـاك أو مـلامَـةُ لائـم
ألـم تَـدْرِ أنّ الـلومَ لـومٌ وأنّـنـا ... لـنـجـتـنـب الـلّـوم اجـتـنـاب الـمـحـارم؟

---

(١) في الأصل: «أُنْسها» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «دُرَرًا»، وكذا ينكسر الوزن.

فما بسوى العَلْياء[١] هِمْنا جلالةً ... إذا هام قوم بالحسان النّواعم
بروق السُّيوف المشرفيّات والقنا ... أحبُّ إلينا من بروق المباسم
وأمّا صَميل السّابحات لذي الوَغى ... فأشجى لدينا من غِناءِ[٢] الحمائم
وأحسنُ من قدّ الفتاة وخدِّها ... قدود العوالي أو خدود الصوارم
إذا نحن جَرّدْنا الصوارمَ لم تَعُدْ ... إلى غِمْدِها إلّا بجرِّ الغَلاصم[٣]
نواصل بين الهندواني الطُّلاءِ[٤] ... بتفريق ما بين الطُّلى والجماجم
فيرغب منّا السِّلْمَ كلُّ مُحارب ... ويَرْهبُ منّا الحربَ كلُّ مُسالم
نقود إلى الهيجاء كلَّ مُضَمَّر ... ونُقْدِمُ إقْدام الأسود الضّراغم
وما كلُّ مَن قاد الجيوش إلى العدا ... يعود إلى أوطانه بالغنائم
وننصر مظلومًا ونمنع ظالمًا ... إذا شيك مظلوم بشَوْكة ظالم
ويأوي إلينا المُسْتجير ويلتجي ... ويحميه منّا كلُّ ليثٍ ضُبارِمِ[٥]
ألم تَرَ إذ جاءَ السُّبَيْعيُّ قاصدا ... إلى بابنا يَبْغي التماسَ المَكارمِ؟
وذلك لمّا أن جَفاه صِحابُه ... وكلُّ خليل وُدُّه غير دائمِ
وأَزْمَع إرسالًا إلينا رسالةً ... بإخلاصِ وُدٍّ واجبٍ غيرِ واجم
وكان رَأى أنّ المهامه بيننا ... تَخَلَّى لذات الخُفِّ ذَات المنَاسِم
وقال ألا سَلْ من عَليم مجرِّبٍ ... أبثُّ له ما تحت طيِّ الحيّازم
فيبلغُ عنه الآن خَيْرَ رسالةٍ ... تُؤدّي إلى خير الملوك الأعاظم
على ناقةٍ وَجْناءَ كالحرفِ ضامرٍ ... تَخَيَّرها بين القِلاصِ الرّواسم
من اللائي يُظْلِمْنَ الظليمَ إذا عَدى ... ويُشْبِهُه في جِيده والقوائم
إذا أتْلَعَتْ فوق السّحاب جوابَها ... تخيَّلْتُها بعض[٦] السحابِ الرّواكم
وإن هَمْلَجَتْ بالسَّير في وَسْطِ مَهْمَهٍ ... نَزَلْتُ كمِثل البَرْق لاح لشائم
ولم يأمن الخُلّان بعد اختلالهم ... فأمْسَى وفي أكبادها أيُّ جاحم

(١) في الأصل: «العَلْيا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «غِنا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) رواية عجز البيت في الأصل هي:
إلاّ غِمادُها الأبحرُ الغلاصم
وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والغِمْد: جَفْن السيف. والغلاصم: جمع غَلْصمة وهو اللحم ما بين الرأس والعنق، والمراد قطع الرقاب.
(٤) في الأصل: «الطُّلا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «صيارم»، وكذا لا معنى له. والأسد الضُّبارِم: المجتمع الخَلْق مُوَثَّقهُ.
(٦) في الأصل: «تعضُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فقالوا فَحَمِّلْها الحَمائِمَ قال لا ... لبُعْد المدى أو خَوْف صَيْد الحَمائم
وما القَصْدُ إلّا في الوصول بسرعة ... فقالوا: فَحَمِّلْها أُكُفَّ النواسم
فقال: لَنِعْمَ المُرْسلات وإنّما ... لها ألْسُنٌ مشهورة بالنَّمائم
فلم يَلْفَ فيها للأمانة مَوضعا ... وكلُّ امرئٍ للسِّرِّ ليس بكاتم
فحينئذ وافى إلينا بنفسه ... فكان لدَيْنا خيرَ وافٍ وقادم
يجوب إلى[1] البَيْداءِ قَصْدًا وبِشْرُنا ... يُضيءُ له الظَّلْماءَ في كلِّ عاتم
طِلابُ العلا تَسْري مع الوحش في الفلا ... ويَصْحبُ منها كلَّ باغٍ وباغِم
على سَلْهَبٍ[2] ذي صورتين مُطَعَّم[3] ... من المُغْربات الصّافنات الصّلادم[4]
إذا شاء أيَّ الوَحْشِ أدْرَكَهُ به ... فتحسبه في البيد بعضَ النّعائم
ويُقْدِمُه طوعًا إلينا رجاؤه ... حمايتُنا إيّاهُ من كلّ ظالم
ألا أيها الآتي لِظِلِّ حَنانِنا ... نَزَلْتَ برَحْبٍ في عِراص المكارم
وقُوبِلْتَ منّا بالذي أنتَ أهلُه ... وفاض عليك الجُودُ فَيْضَ الغَمائم
كذا دأبُنا للقادمين محَلَّنا ... حِمًى ونَدًى يُنسَى به جُودُ حاتِم
وهذا جوابٌ عن نظامك إنّنا ... بُعِثْنا به كاللؤلؤ المُتَناظِم
ونحن ذوو التيجان من آل حِمير ... لَعَمْرُك من التّيجان غيرُ العَمائم
بهِمَّتِنا العَلْيا سمونا إلى العُلا ... وكم دُون إدراك العُلا من مَلاحم
شَدَدْنَا لها أزْرًا وشِدْنا بناءها ... وكم مَكَثَتْ دهرًا بغير دَعائم
نَظَمْنا شَتِيت المَجْد بعد افتراقه ... وكم باتَ نَهبًا شَمْلُه دون ناظم
ورُضْنا جياد المُلْك بعد جِماحها ... فذَلَّتْ وقد كانت صِعاب الشَّكائم
مناقِبُ زَيّانيّةٌ[5] مُوسَوِيَّةٌ ... يُذِلُّ لها عِزُّ الملوك القَماقِم
يُقَصِّرُ عن إدراكها كلُّ مُبْتَغٍ ... ويعجز عن إحصائها كلُّ ناظم
فلله منّا الحَمْدُ والشُّكْر دائمًا ... وصلّى[6] على المختار من آل هاشم
ونختَصُّكم منّا السّلام الأثيرَ ما ... تضاحك روضٌ عن بُكاءِ الغَمائم

(١) في الأصل: «إلينا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) الفَرَسُ السَّلْهَبُ: الطويل.
(٣) في الأصل: «ذي صوتين مُطعم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) الصافنات: الخيل القائم على ثلاث. والصلادم: جمع صِلْدِم وهو الصّلْب الشديد.
(٥) نسبة إلى زيّان الذي ينتمي إليه الأمير أبو حَمّو موسى بن يوسف بن زيّان.
(٦) في الأصل: «وصلّى الله على...»، وكذا ينكسر الوزن.

قلت: ولمّا تعرّفْتُ كَلَفَه بالأدب والإلمام بمُجاورته، عزمْتُ على لقائه، وتشوّقْتُ عند العَزْم على الرّحلة الحجازية، إلى زيارته، ولذلك كنت أُخاطبه بكلمة منها: [الطويل]

على قَدَرٍ قد جئتَ قومَك يا موسى فَجَلَّتْ بك النُّعْمى وزالتْ بك البُوسى

فحالَتْ دون ذلك الأحوال، وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، وفّقه الله، وسائر مَن تولّى أمرًا من أمور المسلمين.

وجرى ذكره في رجز الدول[1] من نظمي: [الرجز]

بادَرَها المُفْدي الهمامُ موسى فأذْهَبَ الرحمٰنُ عنها البُوسى
جدَّد فيها المُلْكَ لمّا أخْلقا وبعث السّعد وقد كان لقا
ورتَّبَ الرُّتَبَ والرُّسُوما وأطْلَع الشُّموس والنُّجوما
واحْتَجَنَ المال بها والعُدَّهْ وهو بها باق لهذي المُدَّهْ

ولادته: ولد بمدينة غَرْناطة حسبما وَقَعْتُ عليه بخط الثّقة من ناسه، في أول عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة[2].

مُبارك ومُظَفَّر الأميران مَوْليا المنصور بن أبي عامر[3]

حالهما: قال أبو مروان[4]: تَرَقّيا إلى تَمَلُّك بَلَنْسية من وكالة السّاقِية، وظَهر من سياستهما وتعاوُضِهما[5] صحّة الأُلْفة طولَ حياتهما، ما فاتا به في معناهما[6] أشِقّاءَ الأُخُوّة وعُشّاق الأحبّة، إذ نَزَلا معًا بقصر الإمارة مُخْتَلِطَيْن، تَجْمَعُهُما مائدةٌ واحدة من غير تميُّزٍ في شيء، إلّا الحُرَم خاصّة. وكان التّقَدُّم لمُبارك في المُخاطبة، وحفظ رسوم الإمارة، أفضل صرامةً وذِكْرًا، قَصَرَ عنهما مُظَفَّر، لدماثة خُلُقه، وانحِطاطِه

---

(١) رجز الدول: هو نفسه كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٢) قُتل أبو حمو في معركة دبّرها ابنه عبد الرحمٰن بالاتفاق مع بني مرين، وذلك بموضع يقال له «الغيران» يبعد نصف يوم عن تلمسان، في ٤ ذي الحجة سنة ٧٩١ هـ.

(٣) أخبار مبارك ومظفر في أعمال الأعمال القسم الثاني ص ٢٢٢) والذخيرة (ق ٣ ص ١٤) والمغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٥٨).

(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ١٤ ـ ١٥، ١٨) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٥٨ ـ ١٥٩) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٢).

(٥) في أعمال الأعلام: «وتقارضهما».

(٦) في الأصل: «معناها» والتصويب من المصادر.

لصاحبه في سائر أمره، على نِحْلته[١] بكتابة ساذجة وفروسة[٢]، فَبَلَغا الغايةَ من اقتِناءِ الأسلحة والآلات الملوكية، والخَيْل المُعْرِبات، ونفيس الحلي والحُلَل، وإشادَة البناء للقُصور. واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، ومَن تعلَّق بهما من وُزرائهما وكُتّابهما، ولم يَعْرِض لهما عارضُ إنفاق[٣] بتلك الآفاق، فانْغَمسا في النَّعيم إلى قِمَم رؤوسِهما حتى انقضى أمرُهما.

قال[٤]: وكان موتُ مبارك أنه ركب يومًا من قصر بَلَنْسية، وقد تَعرَّض أهلُها مُسْتَغيثين من مالٍ افتَرَضَه عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنْفاقه فيما يَعُمُّ المسلمين نَفعُه فلا تُؤَخّر عقوبتي يومي هذا. ورَكب إِثْرَ ذلك، فلما أتى القنطرة، وكانت من خشب، خرَجَت رِجْلُ فَرَسِه من خَدّها فرمى به أسْفَلَها، واعترضته خَشَبَةٌ ناتِئَةٌ[٥] شَرَخَتْ وجهه، وسَقط الفرسُ عليه، ففاضَتْ نَفْسُه، وكفاهم الله أمرَه يومئذ.

وفي مُبارك ومُظَفَّر يقول أبو عمرو بن درّاج القَسْطَلّي، رحمه الله[٦]: [الطويل]

أنُـــورُكِ أم أوْقَـــدْتِ بـــالـــلـــيـــلِ نـــارَكِ
لـــبـــاغِ قِـــراكِ أو لـــبـــاغِ جِـــوارَكِ؟
ورَيّـــاكِ أم عَـــرْفُ الـــمَـــجـــامِـــرِ أشْـــعَـــلَـــتْ
بِـــعُـــودِ الـــكِـــبـــاءِ والألُوّةِ[٧] نـــارَكِ؟
ومَـــبْـــسِـــمُـــكِ الـــوَضّـــاحُ أم ضـــوءُ بـــارِقٍ
حَـــداهُ دُعـــائـــي أن يـــجـــودَ ديـــارَكِ؟
وخَـــلْـــخـــالُكِ اسْـــتَـــنْـــضَـــيْـــتِ أم قَـــمَـــرٌ بـــدا؟
وشَـــمْـــسٌ تَـــبَـــدَّتْ أم ألَـــحْـــتِ سِـــوارَكِ؟

---

(١) في أعمال الأعلام: «على تحلّيه». (٢) في المصادر: «وفروسيّة».
(٣) في أعمال الأعلام: «اتفاق».
(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ٢٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٣) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٥).
(٥) في الذخيرة: «نابية شَدَخَتْ». وفي أعمال الأعلام: «ثانية شدخت».
(٦) ديوان ابن دراج القسطلي (ص ١٠١ ـ ١٠٨). وورد منها في الذخيرة (ق ٣ ص ١١ ـ ١٢) فقط خمسة أبيات. وفي المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) بيت واحد. وورد معظمها في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥) ولكن بروي مختلف، فجاء بكاف مفتوحة تتبعها ألف، أي باستعمال ضمير المخاطب المذكر، هكذا: (جوارِكا).
(٧) الكِباء: ضرب من العود يتبخّر به. وكذلك الألُوّة.

وطُرَّةُ صُبْحٍ أم جَبينُكِ سافِرًا
أَغَرْتِ الصَّباحَ نُورَه أم أعارَكِ؟

وأنتِ هجرتِ[1] الليلَ إذ هَزَمَ الضُّحى
كتائِبَه والصُّبْحَ لمّا استَجارَكِ

فللصُّبحِ فيما بينَ قِرْطَيْكِ مَطْلَعٌ
وقد سَكَنَ الليلُ البَهيمُ خِمارَكِ

فيا لنهارٍ لا يغيضُ[2] ظَلامُهُ
ويا لظلامٍ لا يُغيضُ[2] نهارَكِ

ونَجْمُ الثُّرَيّا أم لآلٍ تَقَسَّمَتْ
يمينَكِ إذ ضَمَّخْتِها أم يَسارَكِ؟

لسلطانِ[3] حُسْنٍ في بديعِ محاسِنٍ
يَصيدُ القلوبَ النّافِراتِ نِفارَكِ

وجُندِ غرامٍ في دروعِ[4] صَبابَةٍ
تَقَلَّدْنَ أقدارَ الهوى واقتدارَكِ

هو المُلْكُ لا بَلْقيسُ أدرَكَ شأوُها
مَداكِ ولا الزَّبّاءُ شَقَّتْ غُبارَكِ

وقادحةُ[5] الجَوْزاءِ راعَيْتُ مَوْهِنًا
بِسَحْرٍ هواكِ أم تَرَسَّمْتُ[6] دارَكِ؟

وطَيفُكِ أسْرَى فاستثارَ تَشَوُّقي
إلى العَهْدِ أم شَوْقِي إليكِ استثارَكِ؟

ومُوقَدُ[7] أنفاسي إليكِ استطارَني
أمِ الرُّوحُ لمّا رُدَّ فيَّ استطارَكِ؟

فكم جُزْتِ من بَحْرٍ إليَّ ومَهْمَهٍ
يكادُ يُنَسّي المُسْتَهامَ ادِّكارَكِ

---

(١) في الديوان وأعمال الأعلام: «أجَزْتِ».
(٢) في أعمال الأعلام: «لا يغيظ».
(٣) في أعمال الأعلام: «بسلطان».
(٤) في أعمال الأعلام: «ضلوع».
(٥) في الديوان وأعمال الأعلام: (وقادمة).
(٦) في أعمال الأعلام: «توسّمْتُ».
(٧) في الديوان وأعمال الأعلام: «ومُرْتَدُّ».

أَذُو[١] الحَظِّ من عِلْمِ الكتابِ حَذَاكِ[٢] لي؟
أَمِ الفَلَكُ الدَّوَّارُ نَحْوي أَدارَكِ[٣]؟
وكيفَ كَتَمْتِ الليلَ وَجْهَكِ مُظْلِمًا
أَشَعْرَكِ أَغْشَيْتِ[٤] السَّنا أم شِعارَكِ؟
وكيفَ اعتَسَفْتِ[٥] البِيدَ لا في ظَعائِنٍ
ولا شَجَرُ الخَطِّيِّ حَفَّ شِجارَكِ[٦]؟
ولا أَذَّنَ الحَيُّ الجَميعُ برِحْلَةٍ
أَراحَ لها راعي المَخاضِ عِشارَكِ[٧]
ولا أَرْزَمَتْ[٨] خُوصُ المَهاري مُجِيبَةً
صَهِيلَ جِيادٍ يَكْتَنِفْنَ قِطارَكِ[٩]
ولا أَذْكَتِ الرُّكْبانُ عنكِ عيونَها[١٠]
حِذارَ عيونٍ لا يَنَمْنَ حِذارَكِ
وكيفَ رَضِيتِ الليلَ مَلْبَسَ طارِقٍ
وما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ إلّا استَنارَكِ؟
وكم دون رَحْلي من بروجٍ[١١] مشيدةٍ
تُحَرِّمُ مِنْ قُرْبِ المَزارِ مَزارَكِ
وقد زَأَرَتْ حولي أُسُودٌ تَهامَسَتْ
لها الأُسْدُ أنْ كُفِّي عن السَّمْعِ زارَكِ
وأَرْضِي سُيولٌ مِنْ خُيولٍ مُظَفَّرٍ
ولَيْلي[١٢] نُجومٌ من سماءٍ[١٣] مُبارَكِ

---

(١) في أعمال الأعلام: «إذا». (٢) في الذخيرة: «هداك».
(٣) في أعمال الأعلام: «يحمي ادّكارك».
(٤) في الديوان وأعمال الأعلام «أغشيت» بالغين المعجمة.
(٥) في أعمال الأعلام: «عسفت».
(٦) الشِّجار، بفتح الشين وكسرها: هو خشب هوادج النساء.
(٧) العشار من الإبل: الحوامل التي مضت عليها عشرة أشهر.
(٨) في أعمال الأعلام: «أزحت».
(٩) القطار: هو أن تشدّ الإبل على نسقٍ واحدًا خلف واحد.
(١٠) إذكاء العيون: هو إرسال الطلائع. (١١) في الديوان: «قصور».
(١٢) في أعمال الأعلام: «وليلٌ».
(١٣) في الذخيرة: «رماح». وفي أعمال الأعلام: «سيوف».

بحيثُ وَجَدْتُ الأَمْنَ يَهْتِفُ بالمُنى
هَلُمّي إلى عَيْنَينِ[1] جادا سَرارَكِ[2]
هلُمّي إلى بَحْرَيْنِ قد مَرَجَ النّدى
عُبابَيْهِما لا يَسْأَمانِ انتظارَك
هلُمّي إلى سَيْفَيْنِ والحَدُّ واحِدٌ
يُجيرانِ مِنْ صَرْفِ الحوادثِ جارَك
هلُمّي إلى طِرْفَيْ رِهانٍ تَقَدَّما
إلى الأمَدِ الجالي عليكِ اختيارَك
هلُمّي إلى قُطْبي نجومِ كتائبٍ
تنادي نجومَ الشمس غُوري مَغارَك[3]
وحَيّي على دَوْحَينِ جادَ[4] نَداهُما
ظِلالَكِ واسْتَدْنى إليكِ[5] ثِمارَك
وبُشْراكِ قد فازَتْ قِداحُكِ بالعُلا[6]
وأُعْطِيتِ من هذا الأنامِ خِيارَك
شريكانِ في صِدْقِ المُنى وكلاهُما
إذا قارَنَ[7] الأقرانَ غيرُ مُشارَكِ
هما سَمِعا دَعْواكِ يا دعوةَ الهدى
وقد أَوْثَقَ الدهرُ الخؤونُ إسارَك
وسَلّا سيوفًا لم تزلْ تَلْتَظي أسًى[8]
بثأرِكِ حتى أدْرَكا لكِ ثارَك
ويَهْنيكِ يا دارَ الخلافةِ منهما
هِلالانِ لاحا يَرْفَعانِ منارَكِ
كلا القَمَرينِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرّةٌ
أنارتْ[9] كُسُوفَيْكِ وجَلَّتْ سِرارَكِ

(١) في أعمال الأعلام: «غَيْثين».
(٢) سَرار الأرض: أوسطها وأكرَمُها.
(٣) هذا البيت ساقط في الديوان.
(٤) في أعمال الأعلام: «مَدَّ».
(٥) في الديوان «إليّ».
(٦) في الديوان وأعمال الأعلام: «بالمنى».
(٧) في الديوان «بارز». وفي أعمال الأعلام: «بارزًا».
(٨) في أعمال الأعلام: «أذى فثارك حتى أدركاك فثارك».
(٩) في الأصل: «أثارت» والتصويب من الديوان.

فقادَ إليكِ الخيلَ شُعْثًا شَوازِيا
يُلَبِّينَ بالنَّصْرِ العزيزِ انتصارَك
سوابِقَ هَيْجاءٍ كأَنَّ صَهِيلَها
يُجاوبُ تحت الخافِقاتِ شِعارَك
بكلِّ سَرِيٍّ العِشْقِ سَرَى عن الهُدى
وكلِّ حَمِيِّ الأَنفِ أَحْمى ذِمارَك
تَحَلَّوا من المنصور نَصْرًا وعِزَّةً
فأبْلَوْكِ في يوم البلاء اختيارَكِ
إذا انتسَبُوا يومَ الطِّعانِ لعامرٍ
فعُمْرَكِ يا هامَ العِدى لا عَمارَك!
يقودُهُمُ مِنْهُمْ سِراجا كتائبٍ
يقولان للدُّنيا: أَجِدِّي افتخارَك
إذا افتَرَّتِ الراياتُ عن غُرَّتَيْهِما
فيا للعِدى أَضْلَلْتِ منهمْ فِرارَك
وإن أشْرَقَ النادي بنورِ سَناهُما
فبُشْرى الأماني: عَيْنَكِ[١] لا ضِمارَك[٢]
وكم كَشَفا[٣] من كُرْبةٍ بَعْدَ كُرْبَةٍ
تقولُ لها النيرانُ: كُفِّي أُوارَك
وكم لَبَّيا من دعوةٍ وتداركا
شَفَى رَمَقٍ ما كان بالمُتَدارَك
ويا نَفْسَ غاوٍ، كم أقرّا نفارَك
ويا رِجْلَ هاوٍ، كم أقالا عِثارَك
ولستُ بِبِدْعٍ حين قلتُ لِهِمّتي
أَقِلّي لإعتابِ الزّمانِ انتظارَك

(١) كذا في الأصل وفي الديوان، ولكي يستقيم الوزن ينبغي أن ننطق هذه الكلمة بإشباع كسرة الكاف هكذا: «عَيْنيكي».
(٢) الضمار: خلاف العيان.
(٣) في الأصل: «كشفنا» ونعتقد أنه خطأ في الطبع.

فللّه صِدْقُ العَزْم أَيَّةُ[(١)] غِرَّةٍ
إذا لم تُطيعي في «لَعَلّ» اغتِرارَك

فإنْ غالتِ البِيدُ اصطبارَك والسُّرى
فما غالَ ضَيْمُ الكاشِحينَ اصطبارَك

ويا خُلَّةَ التَّشويفِ، قُومي فأَغْدِفي[(٢)]
قِناعَكِ من دوني وشُدِّي إزارَك

وحسبُك بي يا خُلَّةَ النَّاي خاطِري
بِنَفْسِي إلى الحظِّ النَّفيس خِطارَك

فقد آن إعطاءُ النَّوى صَفْقَةَ الهوى
وقولُك للأيّام: جُوري مَجارك[(٣)]

ويا سُتُرَ البِيضِ النَّواعمِ، أعْلِني[(٤)]
إلى اليَعْمَلاتِ والرِّحالِ بدارَك[(٥)]

نَواجيَ واستَوْدَعْتُهُنَّ نَواجِيًا
حِفاظَكِ يا هذي بذي وازدِهارَك[(٦)]

ودُونَكِ أفلاذَ الفؤادِ فَشَمِّري
ودونَكِ يا عَيْنَ اللَّبيبِ اعتبارَك

صَرَفْتُ الكَرى عنها بمُغْتَبَقِ السُّرى
وقلتُ: أَدِيري والنجومَ عُقارَك

فإن وَجَبَتْ للمَغْرِبَيْنِ جُنُوبُها[(٧)]
فداوي بِرَقْراقِ السَّرابِ خُمارَكِ

فأوْري[(٨)] بِزَنْدَيْ سُدْفَةٍ ودُجُنَّةٍ
إذا كانتا لي مَرْخَكِ وعَفارَكِ[(٩)]

---

(١) في أعمال الأعلام: «آية».

(٢) في الأصل: «فأغدقي» والتصويب من المصدرين. وأَغْدَفَ القناع: أرسله.

(٣) في الديوان: «حوري محارك» بالحاء المهملة.

(٤) في أعمال الأعلام: «اعملي».

(٥) في الديوان: «سِرارَك».

(٦) الازدهار بالشيء: الاحتفاظ به.

(٧) في أعمال الأعلام: «وجوبَها».

(٨) في الديوان: «وأَوْري».

(٩) المَرْخ والعَفار: ضربان من الشجر، ذكرهما الشاعر؛ لأن النار تقدح من أغصانهما، ولهذا فالعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. ونلاحظ هنا أن «مَرْخَك» ينبغي أن تنطق بإشباع كسرة الكاف حتى يستقيم الوزن.

وإنْ خَلَعَ السليلُ الأصائِلَ فاخْلعي
إلى المَلِكَيْنِ الأكْرَمَيْنِ عِذارَك
بَلَنْسِيَةٌ مَثْوى الأمانيّ فاطْلُبي
كُنُوزَكِ في أقطارها[1] وادّخارَك
سَيُنْبِيكِ زَجْري عن بلاءٍ نَسِيتُهُ
إذا أصْبَحَتْ تلك القصورُ قُصارَك
وأظْفِرَ سَعْيَيّ بالرّضا مِن مُظَفَّر
ويُوْرِكَ لي في حُسْنِ رأي مُبارَك[2]
قَصِيٌّ[3] المنى قد شامَ بارِقَةَ الحَيا
وأُنْشِقْتِ يا ظِئْرَ الرَّجاءِ حُوارَك[4]
وحَمْدًا يميني قد تَمَلأتِ بالمُنى
وشُكْرًا يساري قد حَوَيْتِ يَسارَك
وقُلْ لسماءِ المُزْنِ: إن شئتِ أقْلِعي
ويا أرْضها[5] إن شئتِ غِيضي بحارك
ولا تُوحِشي يا دولةَ العِزّ والمُنى[6]
مساءَكِ من نُورَيْهما وابتِكارَك

وصولهما إلى غرناطة: وصلا مع أمثالهما من أمراءِ الشّرق صحبة المُرْتَضى، وكان من انهزام الجميع بظاهرها، وإيقاع الصناهجة[7] بهم ما هو معلوم حسبما مَرّ ويأتي بحول الله.

---

(١) في أعمال الأعلام: «أعطانها».
(٢) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد في المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) وجاءت فيه رواية صدر البيت هكذا:
وأظْفَرْتُ آمالي بقَصْدِ مُظَفّرِ
(٣) في الديوان: «فَظِمْءُ».
(٤) الظِّئْر: المرضعة، والحُوار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم. وأنشق الدابة ولدَها: قرّبه إليها حتى تشمّه.
(٥) في الديوان: «ويا أرضًا».
(٦) في الديوان وأعمال الأعلام: الندى.
(٧) أي الإيقاع بجند صِنهاجة.

ومن ترجمة الأعيان والوزراء

بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَحْيُو

يكنى أبا علي.

أوليته: معروفة، قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه.

حاله: كان، رحمه الله، فتَى القوم، لسِنًا، مُفَوّهًا، مُدركًا، متعاطيًا للأدب والتاريخ، مُخالطًا للنُبلاءِ، مُتَسَوِّرًا خُلُقَ العلماء، غَزِلًا، كَلِفًا بالدُّعابة، طُرْفَة من طُرَف أهل بيته، قويَّ الشَّكيمة، جوادًا بما في وُسْعه، مُتناهيًا في البَدانة. دخل غرناطة في الجُمْلة من إخوانه وبني عمِّه، مُغَرَّبين عن مَقَرِّ الملوك بالمغرب، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. ورَكِب البحر في الخامس والعشرين منه، عندما لَحِق أخوه عبد الحكيم بالمغرب. وبايَعه الناس، ولاحَتْ له بارقةٌ لم تَكد تَقد حتى خَبَتْ، فبادر إلى مُظاهرته في جَفْنٍ غَزْوي[1] من أُسطول الأندلس، وصَحِبه قومٌ ممن يَخْطُب الخُطط، ويبْتَدر رَمَق الدول، وهال عليهم البحر، فطَرَح الجَفْن بأحواز غسَّاسة، وقد عادتها مُلْكة عدُوّهم، فتُقُبِّض عليه، وأُدخل مدينة فاس في الثاني لربيع الآخر من العام، مَشْهُور المَرْكِب على الظَّهر، يُضرب بين يديه طبلٌ للشُّهْرة، وناقورُ المُثلة، وأُجلس بين يدي السلطان، فأَبْلَى بما راق الحاضرين من بيانه من العُذْر للخروج بالاستِمالة حتى لرُجي خلاصُه، واستقرّ مُثَقَّفًا تَتعلّق به الأراجيف، ويحُوم حول مَطْرحة الاختبار إلى حين وفاته.

شعره: أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطْبة من شِعره، وكان صاحبه في الرّحلة، ومُزامِله في أُسطول المَنْحسَة، وذلك قوله: [مخلع البسيط]

سوف نَنالُ المُنى ونَرْقى ... مَراقيَ العزِّ والمعَالي

إذا حَطَطْنا بأرض فاس ... وحُكِّمَتْ في العِدَى العوالي

فأنت عندي بها حَقِيقٌ ... يا حائز الفَضْل والكمالِ

---

(١) الجَفْن والجَفْنة: واحدة الأجفان، وهو سفينة حربية دائرية شبيهة بالقصعة، من سفن الغزو والحرب، اهتمّ بها المغرب الإسلامي وكثر استعماله لها. وإذا أضيفت لفظة «جفن» هنا إلى صفة «غزوي» فإنها تضاف أيضًا إلى «بحري» و«حربي»، فيقال: جفن بحري، وجفن حربي. كذلك استعمل الجفن إلى جانب الحروب، في نقل المتاجر. راجع السفن الإسلامية على حروف المعجم (ص ٢٣ ـ ٢٧) وتكملة المعاجم العربية (ج ٢ ص ٢٣١).

وفاته: في وسط جمادى الأولى من العام[١]، دُخل عليه في بيت مُعْتَقله فقُتل، ودُفن ببعض مدافنهم، رحمة الله عليه.

مُقاتل بن عطية البِرْزالي

يكنى أبا حرب، وقال فيه أبو القاسم الغافقي: من أهل غرناطة، ويُلَقَّب بذي الوَزارتين، ويعرف بالرُّيُه[٢] لحُمْرةٍ كانت في وجهه.

حاله: كان من الفُرسان الشجعان، لا يُصْطَلى بناره، وكان معه من قومه نحوٌ من ثلاث مائة فارس من بني بِرزال. وولّاه الأمير عبد الله بن بُلُقّين بن باديس مدينة أَلْيُسَانة[٣]، والتقى به ابن عباد وأخذ بمُخَنَّقها، وكان عبد الله يَحْذَرُه. وعندما تحقَّق حركة اللَّمتونيين[٤] إليه، صَرَفَه عن جهته، فقلَّ لذلك ناصِرُه، وأسرع ذهابُ أمره.

شجاعته: قال: وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلُقّين، أمير غرناطة، وقيعةَ النَّبيل في صدر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فأَبْلى فيها بلاء عظيمًا، وجُرح وجهُه، ومُزِّق دِرْعه بالطَّعْن والضَّرْب. وذَكر من حضرها ونجا منها، قال: كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر، وحَمَلْتُ التّرس ولم أعلم به، وحَمَلني الله إلى طريق مَنْجاة فرَكِبْتُها، مرّة أقع ومرّة أقوم، فأدركْتُ فارسًا على فرس أدْهَم ورُمْحه على عاتِقه، ودَرَقَتُه على فَخِذِه، ودِرعه مُهتّكة بالطَّعن، وبه جُرْح في وجهه يُثْعب دمًا تحت مِغْفَره، وهو مع ذلك ينهض على رَسْله، فرجعت إلى نفسي فوجدْتُ ثِقْلًا، فتذكرت التّرس، فأخرجْتُ حِمالته عن عاتِقي، وألْقيْتُه عني، فوجدْتُ خِفّة، وعدْتُ إلى العَدْو، فصاح ذلك الفارس: خُذ التّرس، قلت: لا حاجة لي به، فقال: خُذْه، فتركْتُه ووليْتُ مسرعًا، فهمز فَرَسه ووضع سِنان رمحه بين كتِفَيّ، وقال: خذ الترس، وإلّا أخرجْتُه بين كتفيك في صَدرْك، فرأيت الموت الذي فررت منه، ورجعت إلى الترس فأخذته، وأنا أدعو عليه، وأسرعت عَدْوًا، فقال لي: «على ما كنتَ فليكن عدوّك»، فاستَعَذْتُ

---

(١) أي عام ٧٦٣ هـ.

(٢) هذه الكلمة إسبانية El Rojo، ومعناها الأحمر.

(٣) أليُسانة أو اللُّسَانة: بالإسبانية Lucena، وهي إحدى مدن غرناطة، وتسمى مدينة اليهود؛ لأن اليهود كانوا يسكنون بجوفها ولا يداخلهم فيها مسلم ألبتة، وكان لها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود. راجع مملكة غرناطة (ص ٦٣).

(٤) اللمتونيّون: هم المرابطون، إذ تحرّكوا إلى غرناطة سنة ٤٨٣ هـ لمقاتلة أميرها عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الزيري. راجع مملكة غرناطة (ص ٢٢٠ ـ ٢٢١).

وقلت: ما بعثه الله إلّا لهلاكي، وإذا قطعة من خَيْلِ الروم قد بَصرت به، فوقع في نفسه أنه يُسْرِع الجري فَيسْلم وأُقتل، فلمّا ضاق الطَّلَق ما بينه وبين أَقْرَبِهم منه، عَطَف عليه كالعُقاب، وطعنه ففطره، وتخلّص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، ومال على الثالث فانهزم منه، فرجع إليّ، وقد بهتُّ من فعله، ورشاش دم الجُرح يتطاير من قناع المِغْفَر لشدّة نفسه، وقال لي: يا فاعل، يا صانع، أتُلقِي الرُّمح ومعك مقاتل الرِّيْه؟

انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين
يتلوه في اختصار التاسع بعده
ومن ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من إلبيرة

* * *

ومن السِّفر التاسع من ترجمة القضاة

مُؤمَّل بن رجاء بن عِكْرِمة بن رجاء العُقيلي

من إلبيرة.

حاله: كان شيخًا مَضْعُوفًا يَغْلِب عليه البَلَه، من أهل التَّعَيُّن والحَسَب والأصالة، عريقًا في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. وُلّي قضاء إلبيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رَفَعَتْ إليه امرأة كتابَ صَداقها، فقال: الصَّداق مفسوخٌ، وأنتما على حَرام، فافترقا، فرّق الله بينكما. ثم رمى بالصَّداق إلى مَن حوله، وقال: عجبًا لمن يدّعي فِقْهًا ولا يعلمه، أو يزعم أنه يُوثِّق ولا يُتْقنه، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصَّداق، وهو مفسوخ، ما أحقَّه أن يُغَرَّم ما فيه. فدار الصَّداق على يَدَيْ كل مَن حضر، وكل يقول: ما أرى موضع فَسْخ، فقال: أنتم أجهلُ من كاتبه، لكنني أعْذُرُكم؛ لأن كل واحد منكم يَسْتُر على صاحبه خطأه، انظروا وأمنحكم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئًا يوجب فَسْخًا. فدنا منه محمد بن فُطَيس الفقيه، فقال: أصلح الله القاضي، إن الله مَنَحك من العلم والفهم ما نحن مُقِرُّون بالعجز عنه، فأَفِدْنا هذه الفائدة، فقال: اذنُ، فدنا منه، فقال: أوليس في الصداق: «ولا يمنعها زيارة ذوي محارمها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ ولولا معرفتي بمحبَّتك ما أعلمْتُك. فشكره الشيخ، وأخذ بطَرفِ لحيته يجرّه إليه حتى قبّلها، وكان عظيم اللحية طويلَها، شيمة أهل هذه الطَّبقة. قال ابن فُطَيس: أنا المخصوص بالفائدة، ولا أعرِّفُ بها إلّا مَنْ تأذنُ بتعريفه إياها، فتبسّم القاضي معجبًا بما رأى،

وشفَعوا إليه أن لا يفسخ الصَّداق، وقيل للزوجين: لا تَطْلُبا به عنده شيئًا. ووُلّي قضاء جيّان.

ومن الطارئين والغرباء

المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسَدي

من أهل ألمريّة، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس وأفصَحِهم، ومن أهل التَّعَيُّن والعناية التامة، واستُقْضي بألمريّة.

مشيخته: سمع من أبي محمد الإصبهاني، ورحل وروى عن أبي ذرّ الهَرَوي.

تواليفه: ألّف كتابًا في «شرح البخاري»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وقيل سنة...[1].

ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليّون

مالك بن عبد الرحمٰن بن علي بن عبد الرحمٰن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج[2]

المُنْزل بوادي الحِجارة بمدينة الفَرَج المنسوبة إليه الآن.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لي بخطّه بسَبْتَة، وهو مصمودي ثم شصّادي مولى بني مخزوم، مالَقي، سكن سَبْتَة طويلًا ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سَبْتَة مرة أخرى، وبآخرةٍ فاس، يكنى أبا الحكم وأبا المجد، والأولى أشهر، ويعرف بابن المُرحِّل، وَصْفٌ جرى على جَدِّه علي بن عبد الرحمٰن لمّا رحل من شَنْتَمرِيَّة[3]، حين إسْلامها للروم عام خمسة وستين وخمسمائة.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة مالك بن عبد الرحمٰن بن الفرج، المعروف بابن المرحل، في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨٤) وجذوة الاقتباس (ص ٢٢٣) وهدية العارفين (ج ١ ص ١).

(٣) شنتمرية: بالإسبانية Santa Maria de Algarve، وتسمى أيضًا: شنتمرية الشرق، وهي من مدن أكشونبة، ومن حصون بنبلونة، على ضفة نهر أرغون. الروض المعطار (ص ٣٤٧).

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعرٌ رقيقٌ مطبوعٌ، مُتقدِّمٌ، سريعُ البديهة، رشيقُ الأغراض، ذاكر للأدب واللغة. تحرَّف مدَّةً بصناعة التَّوثِيق ببلده، ووَلِّي القضاء مراتٍ بجهات غرناطة وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كَتَب، والشِّعْرُ أغْلَبُ عليه. وذكره ابن خلاد، وابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يسْتَوْفِ له ما استَوفى لغيره، وأما ابن خلّاد، فقَصَّر به، إذ قال: كانت نشأته بمالَقة بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميَّز بحسب، ولم يتقدَّم في ميدان نَسَب، وإنما أنْهَضَهُ أدبُه وشعرُه، وعوَّضه بالظُّهور من الخُمول نَظْمُه ونَثْرُه، فطَلَع في جَبِينِ زمانه غُرَّةً مُنيرة، ونَصَع في سِلْك فُصحاءِ أوانِه دُرَّةً خطيرة، وحاز من جِيله رُتْبَةَ التقْديم، وامتاز في رَعِيله بإدْراك كلِّ معنى وَسِيم. والإنْصاف فيه ما ثَبَتَ لي في بعض التقْييدات، وهو الشيخ المُسِنُّ المُعَمَّر الفقيه، شاعرُ المغرب، وأديب صُقْعه، وحامل الرّاية، المُعَلَّم بالشُّهرة، المثلُ في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، وسَلاسَة المعنى، وإفادة التَّوليد، وإحكام الاختراع، وانْقِياد القَريحة، واسْتِرسال الطَّبع، والنَّفاذ في الأغراض. استعان على ذلك بالعِلْم، بالمقاصد اللِّسانية لغةً وبيانًا وعربيّةً وعَروضًا، وحِفْظًا واضطلاعًا، إلى نفوذ الذِّهن، وشدَّة الإدراك، وقُوَّة العارِضة، والتَّبْريز في ميدان اللّوذعية، والقِحة والمجَانة، المؤيِّدُ ذلك بخفَّة الرُّوح، وذكاء الطَّبع، وحرارة النّادرة، وحلاوة الدُّعابة، يقوم على الأغْرِبة والأخبار، ويُشارك في الفقه، ويتقدَّم في حفظ اللغة، ويقوم على الفَرائض. وتولَّى القضاء. وكتَبَ عن الأمراءِ، وخَدَم واسْتَرْفَد، وكان مقصودًا من رُواة العِلم والشِّعر، وطُلّاب المُلَح، ومُلْتَمِسي الفوائد، لِسَعَةِ الذَّرع وانفِساح المعرفة، وعلوِّ السِّن، وطِيب المجالسة، مَهيبًا مَخطُوبَ السَّلامة، مرهوبًا على الأعْراض، في شَدْقه شَفْرَتُه ونارُه، فلا يتعرَّض إليه أحد بِنَقد، أو أشار إلى قناته بغَمْز، إلّا وناط به آبدَة، تركته في المثلات، ولذلك بَخَس وزنُه، واقتُحم حِماه، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسَّبع على أبي جعفر بن علي الفخّار[1]، وأخذ عنه بمالقَة وعن غيره. وصحب وجالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمٰن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الإستجي، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد[2]، وانتفع بهم في الطريقة، وبفاس أبا زيد اليرناسني الفقيه. ولقي بإشبيلية أبا

---

(١) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): المقرىء أبو جعفر الفحام.

(٢) رضوان بن خالد المخزومي من مالقة، كان أديبًا شاعرًا مجيدًا، توفي سنة ٦٤٢ هـ. ترجمته في التكملة (ج ١ ص ٢٥٩) واختصار القدح المعلى (ص ١٨٥).

الحسن بن الدّباغ، وأبا علي الشّلوبين، وأبا القاسم بن بَقِي، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك، وجماعة.

دخوله غرناطة: قال ابن الزبير[1]: تكرّر قدومه علينا بغرناطة، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمائة. وقال لي حفيدُه أبو الحسين التّلمساني من شيوخنا: أنْشَد السلطانَ الغالبَ بالله، بمجلسه للنّاس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. وقال غيره: أقام بغرناطة، وعقد بها الشروط مدة. وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيّاب: وُلي القضاء بجهات من البشارات[2]، وشكى للسّلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكُر[3]، يا مَتْشُو[4]، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكّل، فقال أبو الحكم، رحمه الله، عند وقوفه عليه: قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» وهي من المقاصد النبيلة.

تواليفه: وهي كثيرة متعدّدة، منها شِعره، والذي دَوّن منه أنواع، فمنه مختارُه، وسمّاه بالجَولات، ومنه الصدور والمَطالع. وله العَشْرِيات والنّبويّات على حروف المُعجم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الرّوي، وسمّاها، «الوَسِيلة الكبرى المرجو نفعُها في الدُّنيا والأُخرى». وعَشْرياته الزُّهديّة، وأرجوزته المسماة «سلك المُنَخَّل، لمالك بن المُرحّل» نظم فيها مُنخل أبي القاسم بن المَغْربي، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة، والأرجوزة المسماة «اللُّؤلؤ والمَرْجان» والمُوَطَّأة لمالك. والأرجوزة في العروض. وكتابه في كان ماذا، المسمّى «بالرّمي بالحصا»، إلى ما يَشُقّ إحصاره، من الأغراض النّبيلة، والمقاصد الأدبية.

شعره: قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: كان مُكثرًا من النَّظْم، مُجيدًا، سريع البديهة، مُسْتَغْرِق الفكرة في قَرْضه، لا يَفْتُر عنه حينًا من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، وأخبرني أنّه دأبه، وأنه لا يَقدر على صَرْفه من خاطره، وإخلاءِ باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرضٌ من الأمراض المُزمنة. واشتهر نظمه، وذاع شعره، فكَلِفَت به ألسنة الخاصّة والعامّة، وصار رأسَ مال المُسْتمعين

---

(١) قارن بالذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧).

(٢) في الذيل والتكملة: «وُلّي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها». والبشارات أو البشارة أو البُشُرات، Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

(٣) أشكر، بالإسبانية Huescar؛ وهو حصن يقع شمال شرقي غرناطة.

(٤) في الأصل: «نتشر» وهو تحريف. ومَتْشو: كلمة إسبانية: Macho وتعني: التّيس.

والمُغنِّين، وهجيرَ الصّادرين والواردين، ووسيلة المُكِدِّين، وطِراز أوراد المؤذّنين وبطائقة البطالين، ونحن نجتزىء منه بنبذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء الله. فمن ذلك في غرض النّسيب: [الكامل]

دَنِفٌ تَسَتَّر بالغرام طويلا ... حتى تغيّر رِقّةً ونُحولا
بُسِط الوِصال فما تمكّن جالسا ... حتى أُقيم على البِساط دليلا
يا سادتي، ماذا الجَزاء[1] فَدَيْتُكُمْ ... الفضلُ لو غَيْرُ الفتى ما قيلا
قالوا تعاطَى الصَّبْر عن أحبابه ... لو كان يصبر للصُّدود قليلا
ما ذاق إلّا شَرْبةً من هجرنا ... وكأنّه شَرِبَ الفُرات شَمُولا
أيقول: عِشْتُ وقد تملكّه الهوى؟ ... لو قال مُتُّ لكان أقْوَم قيلا
حَلَفَ الغرامُ بحبِّنا وجَمالنا ... إن لم يَدَعْه ميّتا فعليلا
إنّ الجُفونَ هي السُّيوف وإنما ... قَطَعَتْ فلم تسمعْ لهنّ صَليلا
قُلْ لِلْحبيبِ ولا أُصَرِّحُ باسمه ... ماذا المَلال وما عهدْتُ مَلُولا
بيني وبينك ذِمّةٌ مَرْعِيّة ... أتراك تقطع حَبْلها المَوْصولا؟
ولكم شَرِبْتُ صفاءَ[2] وُدّك خالصًا ... ولَبِسْتُ ظِلّا من رِضاك ظليلا
يا[3] غُصْنَ بانٍ بانَ عنّي ظِلُّهُ ... عند الهَجِير فما وجدْتُ مَقيلا
اعْطِفْ على المُضنى الذي أحْرَقْتَه ... في نار هجرك لوعةً وغليلا
فارقْتَه فتقطَّعتْ أفلاذُه ... شوقًا وما أَلْقَى إليك سبيلا
لو لم يكن منك التَّغيُّر لم يَسَلْ ... بالناس لو حَشَروا إليه قَبيلا
يا راحلًا عني بقلبٍ مُغْضَبٍ ... أيطيقُ قلبي غَضْبَةً ورَحيلا؟
قل للصَّبا: هَيَّجْتَ أشجانَ الصَّبا ... فوجدْتَ يا ريحَ القبول قبولا
هل لي رسولٌ في الرياح؟ فإذا[4] مَنْ ... فارَقْتُه بَعَثَ النسيمَ رسولا؟
يا ليت شِعْري، أينَ قَرَّ قرارُه؟ ... يا قلبُ، وَيْكَ أما وَجَدْتَ دليلا؟
إنْ لم يَعُدْ ذاك الوصالُ كَعَهْدِنا ... ثَكِلَتْ عَيْني بالبُكا تَثْكيلا

وقال نسيبًا ومدحًا: [الكامل]

أَعَدَى عليَّ هواهُ خَصْمَ جفونه ... ما لي به قِبَلٌ ولا بفنونِهِ

---

(١) في الأصل: «الجزاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «صفا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «فيا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «فاذ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

إن لم تُجِرْني منه رحمةُ قَلْبه | من ذا يُجير عليه مِلْكُ يَمينه؟
صابٍ من الأتراك أصبى مُهْجتي | فعَبَدْتُ نور الحُسْن فوق جَبينه
مُتَمَكِّنٌ في الحُسن نون صِدغه | فتبيَّنَ التَّمكينُ في تَنْوينه
تَنْساب عَقْرَبُ صِدغه في جنَّة | لم يَجْنِ منها الصَّبُّ غيرَ مَنونه
ولَوى ضَفِيرَتَهُ فولّى مُدْبِرًا | فِعْلَ الكَليم ارْتاعَ مِنْ تَبْيينه
قد أطْمَعَتْني فيه رقَّةُ خدِّه | لو أمْكَنَتْني فيه رقَّةُ دينه
ورَجَوْتُ لِينَ قِوامه لو لم يكن | كالرُّمح شِدَّةُ طَعْنه في لِينه
شاكي السِّلاح وما الذي في جَفْنه | أعْدَى عليَّ من الذي بِجُفُونه
ناديْتُه لمّا نَدَتْ ليَ سِينُه | وشَعَرْتُ من لفظ السلام بسِينه
رُحْماك في دَنِفٍ غَدَا وحياتُهُ | مَماتُهُ وحِراكه كسُكونه
إنْ لم تَمُنَّ عليّ منّةَ راحم | فمُناه أن يَلْقاه رَيْبُ مَنونه
ولذا أَبيتُ سوى سِمات عدوّه | فأمانُه من ذاك ظَهْرُ أمونه
سَنُنِيخُها في بابِ أروعَ ماجدٍ | فيرى مَحَلَّ الفَضْل حَقَّ يَقينه
حيث المعارف والعوارف والعلا | في حدِّ مجد جامعٍ لفُنونه
بَدْرٌ وفي الحسن بن أحمد التَقَتْ | نُجُبٌ مَرَزْنَ على العطا بركوبه
تَبْغي مُناها في مِناها عنده | وتطوف بالحاجات عند حَجونه
فرعٌ من الأصل اليماني طيِّبٌ | وَرِثَ البيان وزاد في تَبْيينه
يُبْدي البشاشة في أسِرَّة وجهه | طَورًا ويحمي العزَّ في عِرْنينه
بسطَتْ شمائله الزمان[1] كمثل ما | بَسط الغِناء[2] نفوسَنا بلُحونه
يُثْني عليه كلُّ فِعْلٍ سائر | كالمِسْك إذ يثني على دارينه

ومن النَّسيب قوله: [البسيط]

هو الحبيب قضى بالجور أم عَدَلا | لبّى الخيار وأمّا في هواه فلا
تالله ما قصّر العُذّالُ في عَذَلي | لكنْ أَبَتْ أُذُني أن تسمعَ العَذَلا
أمّا السُّلُوُّ فشيءٌ لست أعرفه | كفى بخِلّك عُذرًا أن يُقال سلا
جُفون غيريَ أضحَتْ بعدما قطرت | وقَلْبُ غيري صحا من بعد ما ثَمِلا
وغُصْن بانٍ تثنّى من معاطفه | سَقَيْتُه الدَّمْعَ حتى أثمرَ العَذَلا

(١) في الأصل: «للزمان»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «الغنا».

آثَرْتُه(١) ونسيمَ الشَّعْرِ آونةً ... فكلّما مال من أعْطافه اعتَدلا

أمّلْتُ والهِمّةُ العلياءُ طامحةٌ ... وليس في الناس إلّا آمِلٌ أملا

وقال: إيهًا طُفيليٌّ ومُقترِحٌ ... ألستَ عَبْدي ومملوكي؟ فقلْتُ: بَلى

يا مَنْ تَحَدَّث عن حُسني وعن كَلَفي ... بِحُسْنه وبحبّي فاضرِبِ المَثلا

نَيَّطْتُ خدّيَ خوفَ القبضِ من ملكه ... إذا أشار بأدنى لَحْظِه قَتَلا

تُقَبِّلُ الأرضَ أعضائي وتخدمه ... إذا تجلّى بظهرِ الغيبِ واتَّصلا

يا مَنْ له دولةٌ في الحُسْنِ باهرةٌ ... مِثلي ومثلُ فؤادي يخدم الدُّوَلا

ومن نظمه في عَروض يخرج من دوبيتي مجزوًا، مُقَصرًا قوله ومُلَحه في اختراع الأعاريض كثيرة:

الصَّبُّ إلى الجمال مائلْ ... والحبُّ لصدقه دلائلْ

والدَّمْعُ لسائلي جواب ... إنْ رُوجع سائلٌ بسائلْ

والحُسْنُ على القلوب والٍ ... والقلبُ إلى الحبيب وابلْ

لو ساعد مَنْ أُحِبُّ سَعْدٌ ... ما حال من الحبيب حَائلْ

يا عَاذِلي، إليك عنّي لا ... تُقرِّب ساحتي العواذلْ

ما نازلني كمثل ظَبْيٍ ... يَشْفي بلحظة المُنازل

ما بين دفونه حُسام ... مخارقه له حمائل

والسيف يَبِتُّ ثم يَنْبُو ... واللحظ يُطبق المَفاصل

والسهم يُصيب ثم يُخْطي ... واللحظ يمرُّ في المقاتل

مَهْلًا فدمي له حلال ... ما أقْبَلُ فيه قولَ قائل

إنْ صدَّني فذاك قَصْدي ... أو جدَّلني فلا أُجادل

يا حُسْنَ طلوعِهِ علينا ... والسُّكْرُ بمعطفيه مائلْ

ظمآنُ مُخَفَّفُ الأعالي ... ريَّانُ مُثَقَّلُ الأسافلْ

قد نَمَّ به شذا الغوالي ... إذ هبَّ ونمَّتِ الغَلائل

والطِّيب منبّهٌ عليه ... من كان عن العِيان غافل

والغَنْجُ مُحرِّكٌ إليه ... من كان مُسَكِّن البلابل

والسِّحْرُ رسولُ مُقْلتيه ... ما أقرب عهده ببابل!

(١) في الأصل: «آثره نسيم»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

والروض يعير وَجنتَيه   وَرْدًا كهواي غير حائل
والليـن يَهُزُّ مِعطَفَيه   كالغُصن تَهزُّه الشَّمائل
والكأس تلوح في يديه   كالنَّجم بأسعد المنازل
يُسقِيك بِرِيقِهِ مُداما   ما أَمْلَحَ ساقيًا مُواصِل
يُشبيك برقَّة الحواشي   عِشقًا ولكافَّة الشمائل
ما أحسن ما وَجدْتُ خَدًّا   إذ نَجمُ صِبايَ غيرُ آفِلْ

ومن مستحسن نزعاته: [البسيط]

يا راحِلين وبي مِنْ قُربِهِم أَمَلُ   لو أَغنَتِ الحِلْيتانِ القولُ(1) والعملُ
سِرتُمْ وسار اشتياقي بَعدَكُمْ مثلًا   من دونه السّامِرانِ الشِّعرُ والمثَل
وظلَّ يَعذِلُني في حبِّكُمْ نَفرٌ   لا كانت المِحنتانِ الحُبُّ والعَذَل
عَطفًا علينا ولا تَبغُوا بنا بَدَلًا   فما استوى التّابعانِ العطف والعمل
قد ذُقتُ فَضلَكُمُ دَهرًا فلا وأبي   ما طاب لي الأحمرانِ الخمر والعسل
وقد هَرِمْتُ أَسًى من هجركم وجوًى   وشَبَّ مني اثنتان الحِرصُ والأملُ
غَدَرْتُمُ أو مَلَلْتُمْ يا ذوي ثِقتي   لَبِئْتُكُمُ(2) الخَصلتانِ الغَدْرُ والمَلَلُ
قالوا: كَبِرْتَ ولم تَبرَحْ كذا غَزِلًا   أَزْرَى بك الفاضحانِ الشَّيب والغَزَل
لم أَنسَ يومَ تنادوا(3) للرحيل ضُحى   وقَرَّبَ المركَبانِ الطِّرْفُ والجَمَلُ
وأَشرَقَتْ بهواديهم هوادِجُهُم   ولاحتِ الزِّينتانِ الحَلْي والحُلَل
وودَّعوني بأجفانٍ مُمَرَّضَةٍ   تَغُضُّها الرِّقبتانِ الخوفُ والخَجَل
كم عفَّروا بين أيدي العِيس من بطل   أصابه المُضنِيان الغَنجُ والكَحَل
دارَتْ عليهمْ كؤوسُ الحُبِّ مُترعةً   وما أبى(4) المُسكرانِ الخَمْرُ والمُقَل
وآخرين اشتَفَوا منهمْ بضمِّهمُ   يا حبَّذا الشافيان الضَّم والقُبَل
كأنما الرَّوضُ منهمْ روضةٌ أُنُفٌ   يُزهى بها المُنبتانِ السَّهل والجبل
مِنْ مُستَرِقٍّ(5) الرَّوابي والوِهاد بهمْ   ما راقه المُعجبان الخَصْرُ والكَفَلُ

(١) في الأصل: «لي القول...» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٢) في الأصل: «لبيست» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.
(٣) في الأصل: «مانادوا»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٤) في الأصل: «وأبا» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «المسترق» وكذا ينكسر الوزن.

يا حاديَ العِيس خُذْني مأخذًا حسنا … لا يستوي الضاديانِ[1] الرَّيْثُ[2] والعَجَلُ
لم يبق لي غير ذكر أو بُكا طَلَل … لو ينفع الباقيان الذِّكر والطَّلَلُ
يا ليت شعري ولا أُنسٌ ولا جَذَل … هل يُرْفَع الطِّيِّبان الأُنس والجَذَل؟

ومن قوله على لسان ٱلْثَغ ينطق بالسِّين ثاءً ويقرأ بالرَّوِيَّين: [مخلع البسيط]

عَمَرْتُ رَبْع الهوى بقلبٍ … لقوَّةِ الحُبِّ غير ناكسْ ث
لبِثْتُ فيه أجرُّ ذيلَ النُّـ … ـحولِ أحْسِبْ به لِلابسْ ث
إنْ مِتُّ شوقًا فلي غرام … نَباتُه بالسَّقام وادِسْ ث
أمَّا حديث الهوى فَحقٌّ … يصرف بَلْواه كلَّ حادِسْ ث
تَعِبْتُ بالشَّوق في حبيب … أنا به ما حُيِيت يائسْ ث
يَخْتال كالغُصْن ماسَ فيه … طَرْفٌ فأَزْرَى بكلِّ[3] مائسْ ث
دُنْيا تَبَدَّتْ لكلِّ رَأْيٍ … فهو لِدُنْياه أيُّ حارِسْ ث
يلعب بالعاشقين طُرًّا … والكلُّ راضون وهو عابِسْ ث

ومن شعره في الزهد يصف الدنيا بالغَرُور والكذب[4] والزُّور: [الكامل]

يا خاطب الدنيا، طَلَبْتَ غَرُورا … وقَبِلْتَ من تلك المحاسن زُورا
دنياكَ إمَّا فِتْنَةٌ أو مِحْنَةٌ … وأراك في كِلْتيهما مقهورا
وأرى السنين تمرُّ عنك سريعةً … حتى لأَحْسَبُهُنَّ صِرْنَ شهورا
بينا تُرِيكَ أهلَّةً في أُفْقها … أبْصَرْتَها في إثر ذاك بُدورا
كانت قِسِيًّا ثم صِرْنَ دوائرا … لا بدَّ أن تَرْمي الورى وتَدُورا
يأتي الظلام فما يُسَوِّدُ رُقْعةً … حتى ترى مَسْطُورها مَنْشُورا
فإذا الصباح أتى ومَدَّ رداءه … نَفَضَ المساءُ رداءه المنشورا
يتعاقبان عليك، هذا ناشر … مِسْكًا وهذا ناشر كافورا
ما المِسْكُ والكافورُ إلَّا أن ترى … من فِعْلك الإمْساك والتَّكْبيرا
أمْسَى على فَوْدَيْك من لونَيْهما … سِمَةٌ تَسُوم كآبةً ويُسورا

(١) في الأصل: «الضِّدّان» وكذا لا يستقيم الوزن، والضادي: اسم فاعل ضادى؛ يقال ضاداه أي ضادّه.
(٢) الرَّيْث: الإبطاء، وهو ضد العَجَل.
(٣) في الأصل: «كل» وكذا لا يستقيم الوزن.
(٤) في الأصل: «والحذايح» وهو ما لا معنى له.

حتى متى لا تَرْعوي وإلى متى؟ أوَ ما لقِيتَ من المشيب نَذِيرا؟
أخشى عليك من الذُّنوب فربما تَلْقَى الصَّغير من الذنوب كبيرا
فانظرْ لنفسك إنني لك ناصح واستَغْفِرِ المولى تَجِدْه غفورا
مِنْ قَبْلِ ضَجْعَتِك التي تَلْقَى لها خدَّ الصِّغار على التُّراب حَقيرا
والهَوْلُ ثم الهول في اليوم الذي تجدُ الذي قَدَّمْتَه مَسْطورا

وقال في المعنى[١] المذكور: [الوافر]

واشْفي[٢] الوَجْدَ ما أَبكى العُيونا وأَشْفِي الدَّمْعَ ما نَكَأَ الجُفُونا
فيا ابن الأربعين ارْكَبْ سفينًا من التَّقوى فقد عَمَّرْتَ حِينا
ونُحْ إن كنت من أصحاب نوح لكي تنجو نجاة الأربعينا
بدا للشَّيْبِ[٣] في فَوْدَيك رَقْمٌ فيا أهل الرَّقيم، أتَسْمَعُونا؟
لأنتم أهلُ كَهْفٍ قد ضَرَبْنا على آذانِهِمْ فيه سنينا
رأيتُ الشَّيْبَ يجري في سواد بياضًا لا كعَقْلِ الكاتِبينا
وقد يجري السَّواد على بياض فكان[٤] الحُسْنُ فيه مستبينا
فهذا العكس يؤذن بانعكاس وقد أُشْعِرتُمُ لو تشعرونا
نباتٌ هاج ثم يُرى حُطامًا وهذا اللَّحْظُ قد شمل العُيونا
نذيرٌ جاءكم عريانُ يعدو وأنتمْ تضحكون وتلعبونا
أخي، فإلى[٥] متى هذا التَّصابي؟ جُنِنْتُ بهذه الدنيا جُنونا
هي الدنيا وإن وَصَلَتْ وبَرَّتْ فكم قطعتْ وكم تركتْ بنينا!
فلا تَخْدَعْك[٦] أيامٌ تليها ليالٍ واخْشَها بيضًا وجونا
فذاك إذا نَظَرْتَ سلاحُ دنيا تُعيد حراك ساكنها سُكونا
وبين يديك يومٌ أيُّ يوم يدينُك فيه ربُّ الناس دينا
فإمّا دار عِزٍّ ليس يَفْنى وإمّا دار هَوْنٍ لن يَهُونا
فطُوبى في غَدٍ للمتَّقِينا وويلٌ في غد للمُجْرمينا

---

(١) في الأصل: «المنى» وكذا لا معنى له. (٢) في الأصل: «إشف» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «الشيبُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «فكانْ»، وكذا لا يستقيم الوزن.
(٥) في الأصل: «إلى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «تخدعنك»، وكذا ينكسر الوزن.

وآهٍ ثــم آهٍ ثــم آهٍ — علـى نـفـسي أكـرّرها مِـئـيـنـا
أُخيّ، سَمِعْتَ هذا الوعظ أم لا؟ — ألا يا[1] لَيتني في السامعينا
إذا ما الـوَعْـظُ لم يُورد بـصـدق — فـلا خُسْرٌ كـخُسْر الواعظينا

وقال يتشوّق إلى بيت الله الحرام، ويمدح رسول الله ﷺ: [البسيط]

شوق كما رُفِعَتْ نارٌ على عَلَم — تَشِبُّ بين فروع الضَّال والسَّلَم
ألِفْه بـضـلوعي وهـو يُـحرقـهـا — حتى يَراني بَرْيًا ليس بالقَلم
من يَشْتريني بالبُشرى ويَمْلِكُني — عَبْدًا إذا نَظَرَتْ عيني إلى الحَرَم؟
دَعْ للحبيب ذِمامي واحْتَمِلْ رَمَقي — فليس ذا قَدَم من ليس ذا قِدَم
يا أَهْلَ طِيبَةَ، طاب العَيْشُ عندكُمُ — جاوَرْتُم خيرَ مبعوثٍ إلى الأمم
عايَنْتُمُ جنّةَ الفِردوس من كَثَب — في مَهْبِط الوحي والآيات والحِكَم
لـنَـتْـرُكَـنّ بـهـا الأوطـان خـالـيـة — ونَسْلُكَنّ لها البَيْداءَ في الظُّلَم
رِكـابُـنـا تـحـمـل الأوزار مُـثْـقَـلـة — إلى محطّ خطايا العُرْب والعَجَم
ذنوبنا، يا رسول الله، قد كَثُرَتْ — وقد أتَيْناك فاستغفرْ لمجْتَرِم
ذنـبٌ يـلـيـه عـلـى تَـكْـراره نَـدَمٌ — فقد مضى العُمْر في ذَنْبٍ وفي نَدَم
نبكي فَتُشْغِلُنا الدنيا فَتُضْحِكنا — ولو صَدَقْنا البكا شِبْنا دمًا بِدَم
يا ركْبَ مِصْرَ، رُوَيدًا يلتحقْ بكُمُ — قـومٌ مـغـاربـةٌ لـحـمٌ عـلـى وَضَـم
فيهمْ عُبَيْدٌ تسوق العِيسُ زَفْرَتَه — لم يَلْقَ مولاه قد ناداه في النَّسَم
يـبـغـي إلـيـه شـفـيـعًـا لا نَظير له — في الفضل والمجد والعَلياءِ والكرم
ذاك الحبيب الذي تُرْجى شفاعتُه — مـحـمـدٌ خـيـر خَـلْـقِ الله كـلِّـهـم
صلّى عليه إلٰهُ الخَلْق ما طَلَعَتْ — شمسٌ وما رُفِعَتْ نارٌ على علم

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، وهي نقطة من قَطْر، وبَلالة من بَحْر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، وقد كَلِف بذلك غيره من الشعراء بِسَبْتَة، فلمّا رآها أخفى كل منظومه، وزعم أنه لم يأت بشيءٍ، وهو المخترع المُرْقِص: [البسيط]

جـمـالـه كـريـاض جـاورتْ نـهـرا — فـأَنْـبَـتَـتْ شـجـرًا راقـتْ أزاهِـرُهـا
كحيّةِ الماءِ عامَتْ فيه وانصرفتْ — فـغـاب أوّلُـهـا فـيـه وآخـرُهـا

(١) كلمة: «يا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

وقوله، وقد تناول الرئيس ابن خلاص[١] بيده مِقَصًّا فأدمى يده فأنشده: [الوافر]

عداوةٌ لا لكفِّك من قَدْ نَمّ[٢]   فلا تَعْجَبْ لِقرّاضٍ لئيمِ
لئن أدماك فهو لها شبيهٌ   وقد يسطو اللَّئيمُ على الكريمِ

وقوله في الخِضاب: [الطويل]

سَتَرْتُ مَشيبي بالخِضاب تَعَلُّلًا   فلم يَحْظَ شَيْبي[٣] وراب خِضابي
كأنّي وقد زَوّرْتُ لونًا على الصِّبا   أُعَنْوِنُ طِرْسًا ليس فيه كتابي
غُرابُ خِضابٍ لم يقفْ من حِذاره   وأَغْرَبُ شيءٍ في الحِذار غُرابي

وقوله وهو من البديع المخترع: [الكامل]

لا بُدَّ من مَيْلٍ إلى جهةٍ فلا   تُنْكِرْ على الرجلِ الكريم مميلا
إنَّ الفؤاد وإن توسَّط في الحشا   ليميلَ في جهة الشِّمال قليلا

وقوله وهو معنى قد قيل فيه: [الكامل]

لا تعجبوا للمرءِ يَجْهَلُ قَدْرَهُ   أَبدًا ويعرفُ غيره فَيَصْبِرُ
فالعينُ تُبْصِرُ غَيْرَها مع بُعْده   لكنَّ بؤبوَ نَفْسِها لا تُبْصِرُ[٤]

وقوله: [الوافر]

أرى المتعلِّمين عليك أعْدا[٥]   إذا أعْلَمْتَهُمْ مِنْ كلِّ عادِ
فما عند الصَّغير سوى عُقوق   ولا عند الكبير سوى عِنادِ

وقوله في وصفه ذي الجاه: [الخفيف]

يضع الناس صاحب الجاه فيهمْ   كل يوم في كفَّة الميزانِ

---

(١) هو أبو علي الحسن بن أبي جعفر بن خلاص، تولّى سبتة سنة ٦٣٧ هـ، ثم ثار فيها في عهد السعيد أبي الحسن المعتضد بالله الموحدي سنة ٦٤١ هـ، وبايع للأمير أبي زكريا الحفصي، صاحب تونس. توفي سنة ٦٤٦ هـ. البيان المغرب، قسم الموحدين (ص ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٨).

(٢) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فشيبٌ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) رواية عجز البيت في الأصل هي: «ولكن نَفْسها لا تبصُر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) أصل القول: «أعداء»، وكذا ينكسر الوزن.

إن رأوه يــومًــا تــرَجّــح وَزْنًــا ضــاعـفـوا البرّ فـهـو ذو رُجـحـان
أو رأوا مـنـه نَـقْـصَ حـبّـة وزن مـا كـسـوه فـي حـبّـة الـجُـلْـجُـلانِ

وأنشدنا عنه غير واحد من شيوخنا وقد بلغ الثمانين: [السريع]

يـا أيـهـا الـشـيـخ الـذي عُـمْـرُه قـد زاد عَـشْـرًا بـعـد سَـبْـعـيـنـا
سَكِرْتَ من أكؤس خَمْر الصِّبا فَـحَـدَّكَ الـدَّهْـرُ ثـمـانـيـنـا

وقال: هيهات! ما أظنّه يُكملها، وقال في الكَبْرة: [الكامل]

يا من لشيخ قد أسَنَّ وقد عفا مذ جاوز السَّبعين أضحى مُدْنَفا
خانتْه بـعـد وفـاتـهـا أعـضـاؤه فـغـدا قَـعـيـدًا لا يُـطـيـق تـصرُّفا
هَـرِمًـا غـريـبًـا مـا لـديـه مُؤانس إلّا حديث محمد والمصطفى

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطُّرسوني في مراجعة: [السريع]

يـا سـيـدي، شـاكِـرُكُـمْ مَـالِكٌ قـد صَـيَّـرَتْ مـيـمَ اسـمِـهِ هـاءَ
ومـن يَـعِـشْ خـمـسًـا وتـسـعـيـن قـد أنْـهَـتِ[1] الـتـعـمـيـرَ إنـهـاءَ

ومن نظمه في عِرْسٍ صَنعَها بسَبْتَة على طريقه في المجَانة: [الكامل]

الله أكْـبَـرُ فـي مـنـار الـجـامـعِ مِـنْ سَـبْـتـةٍ تـأذيـنُ عَـبْـدٍ خـاشـعِ
الله أكـبـر لـلـصَّـلاة أُقِـيـمُـهـا بين الصُّفوف من البلاط الواسع
الله أكـبـر مُـحْـرِمًـا ومُـوَجِّـهًـا دِبْري[2] إلى ربِّي بقلبٍ خاضع
الـحـمـد لله الـسـلامُ عـلـيـكُـمُ آمـيـن لا تـفْـتَـحْ لـكـلِّ مـخـادع
إن النِّساءَ خَدَعْنَني ومَكَرْن بي ومَلأْن من ذكر النساءِ مَسامعي
حتى وَقَعْتُ وما وَقَعْتُ بجانب لـكـنْ عـلـى رأسٍ لأمْـرٍ واقـع
والله مـا كـانـت إلـيـه ضـرورة لـكـنَّ أمْـرَ الله دون مُـدَافـع
فَخَطَبْنَ لي في بيت حُسْنٍ قُلْن لي وكَذَبْن لي في بنت قُبْح شانع
بِكْرًا زَعَمْنَ صغيرةً في سنّها حسـنـاء تُـسْـفر عن جمال بارع
خـودًا لـهـا شَـعَـرٌ أثِـيـثٌ حـالـك كالليل تُجْلى عن صباحٍ ساطع

---

(١) في الأصل: «قد أنهى في التعمير» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «ودِبْرَةً» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

حَوْراء يرتاع الغزال إذا رَنَتْ ... بجُفون خَشْفٍ[1] في الخمائل رافعِ
تتلو الكتاب بغُنّة وفصاحة ... فيميل نحو الذِّكر قَلْبُ السامع
بسّامة عن لؤلؤ متناسق ... في ثغرها في نظمه مُتَتابع
أنفاسُها كالرّاح فضّ ختامُها ... من بعد ما خُتِمَتْ بمسْكٍ رائع
شمّاءَ دون تفاوت عربيّة ... ببسالة وشجاعة ومَنازع
غَيْداء كالغصن الرّطيب إذا مَشَتْ ... ناءَت بردْفٍ للتعجّل مانع
تخطو على رِجْلَيْ حَمامةِ أيكةٍ ... مَخْضُوبة تُسْبي فؤاد السامع
وَوَصَفْن لي من حسنها وجمالها ... ما البعض منه يُقِيم عُذْر الخالع
فدَنَوْتُ واستأمَنْتُ بعد توحُشي ... وأطاع قلبٌ لم يكن بمطاوع
فحَمَلْنني نحو الوليّ وجئْنني ... بالشّاهدين وجِلْدِ كبشٍ واسع
ويعرفه من نافع لتعادل ... والله عَزَّ وجَلّ ليس بنافع
فشَرَطْن أشراطًا عليّ كثيرة ... ما كنت في حَمْلي لها بمطاوع
ثم انفصلْتُ وقد علمْتُ[2] بأنني ... أوثِقْتُ في عنقي لها بجوامع
وتَرَكْنَني يومًا وعُدْن وقلْن لي ... خُذْ في البناءِ ولكنْ بمرافع
واصنعْ لها عُرْسًا ولا تحوجْ إلى ... قاضٍ عليك ولا وكيلٍ رافع
وقرِعْتُ سِنّي عند ذاك ندامةً ... ما كنت لولا أنْ[3] خُدِعْتُ بقارع
ولزِمْتُني حتى انفصلْتُ بموعد ... بعد اليمين إلى النهار الرابع
فَلَوَ انني طَلَّقْتُ كنت موفَّقًا ... ونَفَضْتُ من ذاك النكاح أصابعي
لكنْ طمعْتُ بأن أرى الحُسْن الذي ... زَوَّرْن لي فذَمَمْتُ سوءَ مطامعي
فنظرْتُ في أمر البناءِ مُعَجِّلا ... وصنعْتُ عُرْسًا يا لها من صانع!
وطمعْتُ أن[4] تُجْلى ويُبْصَرَ وَجْهُها ... ويَقَرُّ عيني بالهلال الطّالع
وظننْتُ ذاك كما ذُكِرْنَ ولم يكن ... وحَصَلْتُ أيضًا في مقام الفازعِ
وحَمَلْنني ليلًا إلى دار لها ... في موضع عن كل خير سامع
دارٌ خرابٌ في مكان تَوَحُّشٍ ... ما بين آثارٍ هناك بَلاقِع
فقعدْتُ في بيت صغير مظلم ... ولا شيء فيه سوى حَصِير الجامع

---

(١) الخَشْف: ولد الظّبي.
(٢) في الأصل: «وعلمتُ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.
(٤) في الأصل: «بأن»، وكذا ينكسر الوزن.

فسمعتُ حِسًّا عن شمالي مُنْكَرًا ... وتنخنخًا يحكي نَقِيق ضفادع

فأردْتُ أن أنجو بنفسي هاربًا ... ووثبْتُ عند الباب وَثْبَة جازع

فَلَقِيتُهنّ وقد أَتَيْنَ بجَذْوة ... فردَدْنني وحبَسْنَني بمجامع

ودخَلْن بي في البيت واسْتَجْلَسْنني ... فجلسْتُ كالمضرور يوم زَعازع

وأشَرْن لي نحو السّماء[1] وقلْن لي ... هذي زُوَيبعةٌ وبنتُ زوابع

هذي خَليلتُكَ التي زَوَّجتَها ... فاجْلِسْ هنا معها ليومٍ سابع

بِتْنا مِنَ[2] النُّعمى التي خُوِّلتها ... فلقد حَصَلْتُ على رياض يانع

فنظرْتُ نحو خَليلتي متأمِّلا ... فَوَجَدْتُها محجوبةً ببراقع

وأتيتُها وأردْتُ نَزْعَ خِمارها ... فغَدَتْ تُدافعني بجدٍّ وازع

فوجَلتُها في صدرها وحذوته ... وكشفْتُ هامَتَها بغيظ صارع

فوجدْتُها قَرْعاءَ تحسب أنّها ... مَقْروعة في رأسها بمقارع

حَوْلاء تنظر فوقها في ساقها ... فتخالُها مَبهوتةً في الشارع

فَطْساء تحسبُ أنّ رَوْثة أنفها ... قُطِعَتْ فلا شُلَّتْ يمين القاطع

صمّاء تُدْعى بالبريح وتارة ... بالطَّبْل أو يُؤتى لها بمقامع

بَكْماء إن رامَتْ كلامًا صَوَّتَتْ ... تصويتَ مِعْزَى نحو جَدْي راضع

فَقْماء إنْ ما[3] تَلْتقي أسنانُها ... تفْسُو إذا نَطَقَتْ فساء الشابع

عَرْجاء إن قامتْ تعالج مَشْيَها ... أبْصَرْتَ مِشْية ضالعٍ أو خامع

فلقيتُها وجعلتُ أبْصقُ نحوها ... وأفرُّ نحو دُجى وغيثٍ هامع

حيرانُ أغدو في الزُّقاق كأنني ... لصٌّ أحِسُّ بطالب أو تابع

حتى إذا لاح الصباح وفتحوا ... باب المدينة كنت أوّل كاسع

والله ما لي بعد ذاك بأمرها ... علمٌ ولا بأمور بَيْتي الضّائع

نثره: وفضَّل الناس نظمه على نثره، ونحن نُسَلِّم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. وهذه الرسالة مُعْلمة بالشهادة بحول الله.

كتب إلى الشيخين الفقيهين الأديبين البليغين أبي بكر بن يوسف بن الفخّار، وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري:

---

(١) في الأصل: «السما».

(٢) في الأصل: «وبتا النعمى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

«لله دَرُّكُما حَليفَي صفاء، وأليفي وفاء، يتنازعان كأس المودّة تنازُع الأكْفاء، ويتهاديان رَيحان التحية تهادِي الظُّرفاء. قَسِيمَيْ نَسَب، وقريعي حَسَب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب ومُكْتَسب، ويتواردان على عَلَم من الظَّرْف ونسب، رَضِيعَيْ لِبان، ذَرِيعي لُبان، يَحْرزان ميراث قُسّ وسَحْبان، ويُبرزان من الذّكاء ما بان على أبان، قَسِيمي مجال، فَصيحي رويّة وارتجال، يَتْرعان في أشطان البلاغة سجالًا بعد سجال، ويَصْرعان في ميدان الفصاحة رجالًا على رجال. ما بالكما؟ لا حُرِمت حبالُكما ولا قُصمت نبالُكما، لم تَسْمحا لي من عُقُودِكما بِدُرَّة، ولم تُرشِّحاني من نُقُودكما بَذْرة، ولم تفسحا لي بحُلْوة ولا مُرَّة. لقد ابتُلِيتُ من أدبكما بنهر أقربُه ولا أشرَبُه، وما أرده ولا أتبرَّده. ولو كنت من أصحاب طالوت لا فُسِحت لي غُرفة، وأُتِيحَت لي تُرفة. بل لو كنت من الإبل ذوات الأظماءِ، ما جُليت بعد الظِّمإ على الماء، ولا دخلْتُ بالإشفاق مدخل العجماءِ. كيف وأنا ولا فخر في صورة إنسان، ناطق بلسان، أُفرِّق بين الإساءة والإحسان. وإن قلت إنّ باعي في النَّظم قصير، وما لي على النَّثر وليٌّ ولا نصير، وصَنْعة النحو عني بمعْزِل، ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل، ولم أُقدِم على العِلم القديم، ولا استأثرت من أهله بنديم. فأنا والحمد لله غنيٌّ بصَنْعة الجَفْر، وأقتني اليَراع كأنها شبابيك التِّبْر، وأبري البريّة التي[1] تنيف على الشِّبْر، وأزين خُدود الأسطار المُسْتوية، بعقارب اللّامات المُلْتوية، ولا أقول كأنها، فلا ينكر السيدان أعزّهما الله أنها نعم بعود أزاعم، ويمثل شَكْسي تُخْضَر الملاحم. فما هذا الازدراءُ والاجتراءُ في هذا الأمر مرّ المواقير. تالله لقد ظَلَمتماني على عِلم، واستَنْدتما إلى غير حِلم، أما رَهِبْتُما شَبابي، أما رغبتما في حسابي، أما رفعتما بين نفح صبابي، ولَفْح صِبابي. لعمري لقد رَكِبتما خطرًا، وهِجْتُما الأسد بَطَرًا، وأبحتما حِمًى مُحْتضرًا، ولم تمعنا في هذا الأمر نَظَرًا: [الطويل]

أعِدْ نظرًا يا عبدَ قيس لعلَّما ... أضاءَت لك النّار الحِمار المقَيَّدا

ونفسي عينُ الحمار، في هذا المضمار، لا أعرف قبيلًا من دَبير، ولا أُفرِّق بحِسِّي بين صغير وكبير، ولا أعهد أنَّ حصاة الرَّمْي أخفُّ من ثَبير، أليس في ذوي كبد رُطْبة أجْر، وفي معاملة أهل التَّقوى والمغفرة تَجْر؟ وإذا خَوَّلْتُماني نِعْمة أو نَفَّلْتماني نَفَلًا، فاليَدُ العُليا خير من اليد السُّفْلى، وما نَقَص مال من صَدَقَةٍ، ولا جمالٌ من لَمْح حَدَقة، والعِلْم يزيد بالإنفاق، وكَتْمُه حرامٌ باتفاق، فإن قلتما لي إنّ فهمك سَقيم، وعِوَجَك على الرِّياضة لا يستقيم، فلعلّ الذي نَصَب قامتي، يمنُّ

(١) في الأصل: «المغا».

باسْتِقامتي، وعسى الذي يَشُقُّ سمعي وبصري، أن يزيل عِيِّي وحَصَري، فأَعِي ما تَقُصّان، وأجْتَلي ما تَنُصّان، وأجْني ثِمار تلك الأغصان، فقد شاهَدْتما كثيرًا من الحيوان، يُناغى فيتعلّم، ويُلَقّن فيتكلّم. هذا والجِنْسُ غير الجنس، فكيف المُشارك في نَوْعِيّة الإنس؟ فإن قلْنا إن ذلك يَشُقُّ، فأين الحقُّ الذي يَحِقُّ، والمَشَقَّة أُخْتُ المروّة، وينعكس مَساق هذه الأُخُوّة، فيقال المروّة أُختُ المشقَّة، والحَجيج يصبر على بُعْد الشُّقَّة، ولولا المشقَّة كثُر السّادة، وقلّت الحَسادة، فما ضرَّكما أيها السيِّدان أن تَحْسِبا تحويجي، وتكتسبا الأجر في تدْريجي؟ فإنكما إن فعلتما ذلك نُسِبت إلى ولائكما، كما حُسِبت على علائكما، وأُضِفْتُ إلى نَدِيِّكما، كما عُرِّفت بمنْتَداكما. ألم تعلما أنّ المرءَ يُعْرف بخَليله، ويُقاس به في كثِيره وقَليله؟ ولعلّي أُمْتَحن في مَرام، ويَعْجِم عودي رام، فيقول هذا العُود من تلك الأعْواد، وما في الحَلْبة من جَواد، فأَكْسُوكُما عارًا، وأكون عليكما شِعارًا. على أني إذا دُعيت باسمكما اسْتَرَبْتُ من الادّعاءِ، فلا أستجيب لهذا الدُّعاءِ، ولكن أقول كما قال ابن أبي سفيان حين عرف الإدارة، وأنكر الإمارة، نعم أُخُوّتي أصحّ، وأنّها بها أشحّ، إلا أنّ غيري نُظم في السِّلك، وأُسْهم في المُلْك، وأنا بينكما كالمحجوب بين طُلّاب، يشاركهم في البُكا لا في التُّراب[1]، إن حضرت فكنتم في الإقحام، أو لمقعدٍ في زحام، وإن غِبْت فيُقْضى الأمر، وقد سَطَر زيد وعمرو. ناشدْتُكما الله في الإنصاف أن تَرْبعا بوادٍ من أَوْدِيَة الشَّحْر، في نادٍ من أندية الشِّعْر بل السِّحْر، حيث تَندرج الأنهار، وتتأرّج الأزهار، ويتبرّج الليل والنهار، ويقرأُ الطير صُحُفًا مُنتشرة، ويجلو النور ثُغورًا مؤشّرة، ويُغازل عيونَ النّرجس الوَجِل، خدُود الورد الخَجِل، وتتمايل أعطاف البان، على أرْداف الكُثْبان، فيرقد النسيم العليل، في حِجْر الرّوض وهو بَليل، وتَبْرُز هوادج الرّاح، على الرّاح، وقد هُدِيت بأقمار، وحُدِيت بأزهار ومِزْمار، وركبتها الصَّبا والكُمَيت في ذلك المِضْمار، ولم تزالا في طيبٍ، وعيش رطيبٍ، من قباب وخُدور، وشموس وبُدور، تَصِلان الليالي والأيام أعجازًا بصُدور، وأنا الطَّريدُ منبوذٌ بالعراءِ، موقوذٌ في جهة الوراءِ، لا يُدْني مَحلّي، ولا يُعتَنى بعَقْدي ولا حَلّي، ولا أدرج من الحَرور إلى الظِّل، ولا أُخرج من الحرام إلى الحِلّ، ولا يُبْعث إليّ مع النَّسيم هَبّة، ولا يُتاح لي من الآتي عَبّة. قد هلكت لغْوًا، ولم تُقيما لي صَفْوًا، ومتُّ كَمَدًا، ولم تَبْعثا لبَعْثي أَمَدًا. أتراه خَلَفْتُماني جَرَضًا، وأَلْقَيْتُماني حَرَضًا؟ كم أَسْتَسقي فلا أُسقى، وأَسْتَرْقي فلا أُرقى، لا ماء أشْرَبُه، ولا عمل في وَصْلِكما

---

(١) في الأصل: «التراث».

أُدرِبُه. لم يبق لي حيلة إلّا الدُّعاءَ المجاب، فعسى الكرب أن يَنجاب. اللهمّ كما أمْدَدْتَ هذين السَّيِّدين بالعِلم الذي هو جَمال، وسدَّدتهما إلى العمل الذي هو كمال، وجَمَعْت فيهما الفضائل والمكارم، وخَتَمْتَ بهما الأفاضل والمكارم، وجعلْتَ الأدب الصَّريح أقلّ خِصالهما، والنَّظر الصحيح أقلّ نِصالهما، فاجْعَل اللهمّ لي في قلوبهما رحمة وحنانًا، وابسُط لي منهما وَجْهًا واشرح لي جَنانًا، واجعلْني اللهمّ ممّن اقتدى بهما، وتعلّق بأهدابهما، وكان دأْبُه في الصَّالحات كَدَأْبهما، حتى أكون بهما ثالثَ القَمَرين في الآيات، وثالث العُمَرين في عمل البرّ وطول الحياة، اللهمّ آمين، وصلّى الله على محمد خاتم النبيّين. وكأنّي أنظر إلى سيديّ عزّهما الله إذا وقفا على هذا الخطاب، ونظرا إلى هذا الاحتِطاب، كيف يُديران رَمْزًا، ويسيران غَمْزًا؟ ويقال: استَتَبَّ الفِصال، وتعاطى البيذَق ما تفعل النِّصال، وحَنَّ جِذْعٌ ليس منها[1]، وخُذْ عجفاءَكَ وسَمِّنها، فأقول وطَرْفي غَضِيض، ومَحلّي الحضيض، مثلي كمثل الفروج أو ثاني البُروج، وما تقاس الأكُفُّ بالسُّروج، فأَضرِبا عني أيها الفاضلان، ما أنا ممّن تُناضلان، والسلام».

مولده: قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله ابن القاضي المُتَبحّر العالم أبي عبد الله بن عبد الملك: سألته عن مولده فأنشدني: [الرجز]

يا سائلي عن مولدي كي أذْكُرَهْ ... وُلِدْتُ يوم سبعةٍ وعَشَرهْ

مِنَ المُحَرَّمِ افتتاحُ أَرْبَعِ ... من بعد ستمائة مُفَسَّرهْ

وفاته: في التاسع[2] عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستمائة، ودفن بمقبرة فاس، وأمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

زُرْ غريبًا بمقبره ... نازحًا ما له وَلي[3]

تركوه مُوَسَّدًا ... بين تُرْبٍ وجَندلِ

ولْتَقُلْ عند قَبْرِهِ ... بلسانِ التَّذَلُّلِ

يَرْحَمُ اللهُ عَبْدَهُ ... مالك بن المُرَحّلِ

---

(١) في الأصل: «منهما».

(٢) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): «كانت وفاته بمدينة فاس في الثامن عشر لرجب الفرد من سنة تسع وتسعين وستمائة». وفي هدية العارفين: توفي سنة ٦٧٢ هـ.

(٣) في الأصل: «ول» بدون ياء.

ومن طارئي المقرئين والعلماءِ

منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبُنا، يكنى أبا علي.

حاله: هذا الرجل طِرْفٌ في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصَّون والطهارة والعفّة، قليل التصنُّع، مؤثرٌ للاقتصاد، مُنقبض عن الناس، مكْفوف اللسان واليد، مُشْتَغل بشأنه، عاكفٌ على ما يَعْنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، مُنصِف في المذاكرة، مُوجبٌ لحقّ الخَصْم، حريصٌ على الإفادة والاستِفادة، مثابرٌ على تعلُّم العِلم وتعليمه، غير أنِفٍ عن حَمْله عمّن دُونه، جُملةٌ من جُمل السَّذاجة والرُّجولة وحسن المعاملة، صَدْر من صدور الطَّلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العَقْلية والنَّقلية، واطِّلاعٌ وتقييد، ونظر في الأُصول والمنطق وعِلْم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشِّعْر فلا يعدو الإجادة والسَّداد.

قَدِمَ الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رَحْبًا، وعُرف قَدْره، فتقدم مُقرئًا بالمدرسة[1] تحت جراية نبيهة، وحَلّق للناس متكلّمًا على الفروع الفقهية والتفسير، وتصدّر للفُتْيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جَرَّبْتُه وصَحِبْتُه، فبَلَوْتُ منه دِينًا ونَصَفَة، وحسن عِشْرة.

محنته: امتُحن في هذا العهد الأخير بمطالبةٍ شرعيّة، لمُتَوقّف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنّظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنُّبوّة، وشكّ في القول بتَكْفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولَطْخِه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاحّة لجماعتهم، فأَجْلَت الحال عن صَرْفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعمائة.

مشيخته: طلبتُ منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما نصه:

«يتفضّلُ سيدي الأعلى الذي أهتَدِي بمِصْباحه، وأعْشُو إلى غُرَره وأوْضاحه، جامعُ أشْتات العلوم، وفاتِقُ رَتْق الفهوم، حامل راية البديع، وصاحبُ آيات التّورية فيه

(١) هي المدرسة العجيبة التي بُنيت في عهد سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، الذي حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ، وقد عدّها ابن الخطيب بكر المدارس في حضرته غرناطة. اللمحة البدرية (ص ١٠٩).

والتَّرْصيع، نُخْبة البلغاء، وفخر الجهابِذة العلماء، قائدُ جِياد البلاغة من نواصِيها، وسائق شَوارد الحِكَم من أقاصيها، أبو عبد الله بن الخطيب أبقاه الله للقَريض يَقْطِف زَهْره، ويَجْتَني غُرَره، وللبديع يُطْلع قَمَره، وينظم دُرَره، وللأدب يَحُوك حُلَله، ويجمع تَفاصيله وجُمَله، وللمعاني يَجُوس بجيوش البراعة خِلالها، ويفتَتِح بعوامل البراعة أقْفالها، وللأسْجاع يُقَرّطُ الأسماع بفرائدها، ويُحلّي النحور بقلائدها، وللنَّظْم يُورد جياده أحْلى الموارد، ويُجيلها في مِضْمار البلاغة من غير مُعاند، وللنَّثر يَفْتَرع أبْكاره، ويودعها أسْراره، ولسائر العلوم يَصوغها في مَفْرق الآداب تاجًا، ويَضَعُها في أسْطُر الطُّروس سراجًا، ولا زال ذا القلم الأعلى، وبَدْر الوزارة الأوْضح الأجْلى، ببقاءِ هذه الدولة المولوية والإمامة المحمدية كعبةً لملوك الإسلام، ومَقْصِدًا للعلماءِ الأعلام، ورضى عنهم خَلَفًا وسَلَفًا، وبُورك لنا فيهم وسَطًا وطَرَفًا، ولا زالت آمالنا بِعَلائهم منُوطة، وفي جاههم العريض مبْسُوطة، بقبول ما نَبّه عليه، من كُتُب شيوخي المشاهير إليه، فها أنا أذكر ما تيسّر لي من ذلك بالاختصار، إذ لا تفي بذكرهم وحُلاهم المجلّدات الكِبار.

فمنهم مولاي الوالد علي بن عبد الله لقاه الله الرُّوح والريحان، وأوسعه الرِّضا والغفران. قرأت عليه القرآن وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط. ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام عَلَم العلماءِ، وقُطْب الفقهاء، قُدْوة النُّظار، وإمام الأمْصار، منصور بن أحمد المشدالي، رحمه الله وقدّس روحه، فوجدته قد بلغ السّنُّ به غاية أوْجَبت جلوسه في داره، إلّا أنه يُفيد بفوائده بعض زُوّاره، فقرأْت من أوائل ابن الحاجب[1] عليه لإشارة والدي بذلك إليه، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين وسبعمائة. واشتدّ الحصار ببجاية لسماعنا أنّ السلطان العَبْد الوادي[2] ينزل علينا بنفسه، فأمرني بالخروج، رحمه الله، فعاقني عائق عن الرجوع إليه؛ لأُتمم قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه الله، عام أحد وثلاثين وسبعمائة، فخَصّ مصابه البلاد وعمّ، ولفّ سائر الطلبة وضمّ، إلّا أنه ملأ بجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم النقلية والعقلية فصار من طلبته شيخنا المعظم، ومفيدنا المُقَدَّم، أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ الباهلي المعروف بالمُفَسِّر، رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، والكتابة الشرعية والأدبية، مع فضل السّنّ وتَقْرير حَسَن، إلى معارف تحلّاها،

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن يونس المصري، المتوفّى سنة ٦٤٦ هـ. له مختصر في الفقه المالكي يسمّى المختصر الفقهي، والفرعي، والجامع بين الأمهات. حسن المحاضرة (ج ١ ص ٢١٥) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٩) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٢٦).

(٢) نسبة إلى بني عبد الواد، أصحاب تلمسان بالمغرب الأوسط.

ومحاسن اشتمل حُلاها. واستمرّ في ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام السَّجْع، وتقرير الحَليْ، فأجاد، وتجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيىٰ الباهلي المذكور، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأفرَده بقراءة الإرشاد؛ والأستاذ أبا علي بن حسن البَجْلي، وقرأ عليه جملة من الحاصل، وجملة من المعالم الدينية والفقهية، والكتب المنطقية، كالخَوْنجي، والآيات البيّنات؛ والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف، قاضي الجماعة ببجاية؛ وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي اليانيولي. قال: ثم ثنيت العِنان بتوجُّهي إلى تلمسان، راغبًا في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية، فأول مَن لقيت شيخنا الذي عُلِمت في الدنيا جلالته وإمامته، وعُرفت في أقاصي البلاد سِيادته وزعامته، وذكر رئيس الكُتّاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحَضْرَمي، والمحدِّث البقيّة أبا العباس بن يَربوع، والقاضي أبا إسحٰق بن أبي يحيىٰ، وقرأ شيئًا من مبادىء العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرُّندي. ولقي بالأندلس جلّة؛ فممّن قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفخّار الشهير بالبيري، ولازمه إلى حين وفاته، وكتب له بالإجازة والإذن له في التّحليق بموضع قُعُوده من المدرسة بعده. وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، نسيجُ وحده، ولازمه، وأخذ عنه تواليفه، وقرأ عليه تسْهيل الفوائد لابن مالك، وقيّد عليه، وروى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات ابن الحاج، وعن الخطيب المحدِّث أبي جعفر الطّنجالي، وهو الآن بالحال الموصوفة. أعانه الله وأمتع به.

شعره: زُرنا معًا والشيخ القاضي المتفنّن أبو عبد الله المُقْرِىء، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب[1]. واسْتَنْشَدْتُ القاضي، وكتب لي يومئذ بخطّه: اسْتَنْشدني الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب، أطال الله بقاه كما أطال ثناه، وحفظ مُهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسي: [البسيط]

لمّا رأيناك بعد الشَّيْب يا رَجُلُ	لا تستقيم وأمر النفس تمتثلُ
زدْنا يقينًا بما كنّا نُصَدِّقه	عند المشِيب يَشِبُّ الحِرْصُ والأمَلُ

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتب الشيخ الأُستاذ أبو علي يقول: منصور بن علي الزّواوي، في رابطة العقاب في كذا، أجَزْتُ صاحبنا

---

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب كانت تخصّص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٢٩) حاشية رقم ١، من تعليق المحقق محمد عبد الله عنان.

الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمدًا، وعليًا، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعنّي روايته، وأنشدته قولي أُخاطب بعض أصحابنا: [الطويل]

يُحَيِّيك عن بعض المنازل صاحبٌ ... صديقٌ غَدَتْ تُهْدى إليك رسائلُهْ
مُقدَّمةً حِفْظَ الوداد وسيلةً ... ولا وُدَّ أن تَصِحَّ وسائلُهْ
يُسائل عنك الدارسين[١] ولم يكن ... تَغيب لبُعْد الدار عنك مسائلُهْ

وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة: [المجتث]

يا مَنْ وَجدْناه لفظًا ... حقيقةً في المعالي
مقدِّمات عُلاكُمْ ... أَنْتَجْن كلّ كمالِ
وكلّ نَظْمٍ قياسٌ ... خَلَوْت منه فَخالِ

وهو من لدُنْ أُزعِج عن الأندلس، كما تقدّم ذكره، مقيمٌ بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء والتدريس.

مسلم بن سعيد التِّنملّي[٢]

حاله: كان غَيْرَ نَبيه الأُبوّة. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر[٣]، بمزيد كفاية، فقلّده خُطّة الجِفازة، وهي تعميم النظر في المَجابي، وضمّ الأموال، وإيقاع النَّكير في محلّ التَّقصير، ومظانّ الريب، فنَمَت حاله، وعَظُم جاهه، ورُهِبتْ سَطْوته، وخِيف إيقاعه، وقَرُبت من السلطان وسيلته، فتقدّم الخُدّام، واستوعب أطراف الحُظوة، واكتَسب العَقار، وصاهر في نَبيه البيوتات، وأورث عنه أخبارًا تشهد له بالجُود وعلوّ الهمة، وشرف النفس، إلى أن قَضَى على هذه الوتيرة.

ذكروا أن شخصًا جلَب سِلعة نفيسة مما يُطْمع في إخفائها، حِيدَةً عن وظيفة المغْرم الباهظة في مثل جِنسه، فبينما هو يروم المحاولة، إذ بَصُر بنبيه المَرْكب والبِزة،

(١) في الأصل: «الدارَين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) نسبة إلى تِين مَلّل، سرير ملك بني عبد المؤمن الموحدي، بها كان أول خروج المهدي محمد بن تُومَرْت، الذي أقام بالدولة، ومات فصارت لعبد المؤمن ثم لولده. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).
(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

يَنْفَضُ في زوايا الفَحْص عن مثل مُضْطبنه، فظنّه رئيسًا من رؤساء الجند، فقصده ورغب منه إجازة خَبِيئته بباب المدينة، وقرّر لتخوُّفه من ظُلم الحافز الكذا مُسلم، فأخذها منه وخبّأها تحت ثيابه، ووكّل به. ولم يذهب المسكين إلّا يسيرًا، حتى سأل عن الرجل، فأُخبر أنّه الذي فرّ عنه، فسُقِط في يده. ثم تحامل، فألفاه ينظره في داخل السور، فدفع إليه أمانته، وقال: سِرْ في حفظ الله، فقد عَصَمَها الله من ذلك الرجل الظالم. فخَجِل الرجل، وانصرف متعجِّبًا. وأخباره في السَّراوة ونُجح الوسيلة كثيرة.

وفاته: توفي في عام ثمانية وتسعين وستمائة، وشهد أميرُه دفنه، وكان قد أسَفَّ ولي العهد بأمور صانعه فيها من باب خدمة والده، فكان يتَلمَّظ لنكبته، ونصب لثاته لأكله، فعاجله الحِمام قبل إيقاع نقمته به. ولمّا تصيّر إليه الأمر، نبش قَبْره، وأخرج شِلْوه، فأحرِق بالنار، إغراقًا في شهوة التَّشفي، رحمة الله عليه.

ومن العمال الأثراء

مُؤمّل، مولى باديس بن حَبُّوس

حاله ومحنته: قال ابن الصَّيرفي: وقد ذكر عبد الله بن بُلُقّين، حفيد باديس، واستشارته عن أمره، لمّا بلغه حركة يوسف بن تاشُفِين إلى خَلعه. وكان في الجُملة من أحبابه، رجل من عبيد جَدِّه اسمه مؤمّل، وله سِنٌّ، وعنده دهاء وفِطنة، ورأي ونَظَر. وقال في موضع آخر: ولم يكن في وزراء مملكته وأخبار دولته، أصيلَ الرأي، جَزل الكلمة، إلّا ابن أبي خَيْثَمة[1] من كتَبَته، ومؤمّل من عبيد جَدِّه، وجعفر من فِتْيانه. رجع، قال: فألْطَف له مؤمّل في القول، وأعلمه برِفق، وحُسن أدب، أن ذلك غيرُ صواب، وأشار إليه بالخروج إلى أمير المسلمين إذا قَرُب، والتّطارُح عليه، فإنه لا تُمْكنه مُدافعته، ولا تُطاق حَرْبُه، والاسْتِجْداءُ له أحمدُ عاقبة وأيمنُ مَغبّة. وتابعه على ذلك نُظراؤه من أهل السِّن والحُنكة، ودافع في صدِّ رأيه الغِلْمة والأغمار، فاستشاط غيظًا على مؤمّل ومن نحا نحوه، وهمَّ بهم، فخرجوا،

(١) أغلب الظن أنه أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب، المعروف بابن أبي خيثمة، الذي ذكره ابن خير مُصَنِّفًا لكتاب تاريخ هام. فهرسة ابن خير (ص ٢٥١ ـ ٢٥٢). راجع أيضًا مذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٨) ومملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٢٢٢).

وقد سلّ بهم فرَقًا منه. فلمّا جنّهم الليل فرّوا إلى لَوْشة، وبها من أبناء عَبيد باديس قائدُها، فملكوها وثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشُفين. وبادر مؤمّل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور وقد كان سَفَر إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلًا ونُبلًا، فاهتزّ إليه، وكان أقوى الأسباب على حَرَكته. وبادر حفيد باديس الأمر، فأشْخَص الجيش لنظر صِهْره، فتغلّب عليهم، وسِيق مؤمّل ومن كان معه شرّ سوْق في الحديد، وأُرْكِبوا على دواب هِجن، وكُشفت رؤوسهم، وأُرْدِف وراء كلّ رجل من يصْفَعُه. وتقدّم الأمر في نَصْب الجُذوع وإحضار الرُماة. وتلطّف جعفر في أمرهم، وقال للأمير عبد الله: إن قَتلتّهم الآن، أطْفَأت غضبك، وأذْهَبْتَ مُلْكك، فاستخرِج المال، وأنت من وراء الانتقام، فثقّفهم، وأُطْمِعوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، وأنفَذَ إليه يوسف بن تاشفين في حلّ اعتقالهم، فلم تَسَعْه مخالفته وأطلقهم. ولمّا ملك غرناطة على تَفِيئة تلك الحال، قدّم مؤمّلًا على مُسْتَخْلصه[1] وجعل بيده مفاتيح قَصْره، فنال ما شاء من مال وحُظوة، واقتنى ما أراد من صامتٍ وذخيرة. ونُسبت إليه بغرناطة آثار، منها السّقاية بباب الفخّارين، والحَوْز المعروف بحوز مُؤمّل[2]، أدْرَكْتُها وهي بحالها.

وفاته: قال ابن الصّيرفي: وفي ربيع الأول من هذا العام، وهو عام اثنين وتسعين وأربعمائة، توفي بغرناطةَ مؤمّل مولى باديس بن حَبُوس، عبد أمير المسلمين، وجابي مُسْتَخْلصه، وكان له دهاءٌ وصبر، ولم يكن بقارىءٍ ولا كاتب. رَزَقه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلةً لطيفة ودرجة رفيعة. ولمّا أشرف على المَنِيّة، أحضر ما كان عنده من مال المُستخلص، وأشهد الحاضرين على دَفْعه إلى مَن اسْتَوْثقه على حَمْله، ثم أبْرَأ جميع عماله وكتّابه. وأنفذَ رجلًا من صنائعه إلى أمير المسلمين بجُمْلَة من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكْتَسَبَه في دولته، أيام خِدمته، وأن بَيْت المال أولى به، ورغب في سَتْر أهله وولده، فلمّا وصل إليه، أظهر الأسف عليه، وأمضى تقديم صَنِيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من مُحْتَجنه، وشقاء من خَلِفه بسببه، وعدّد مالًا وذخيرة.

---

(١) المستخلص: أملاك السلطان وأمواله.

(٢) حور مؤمل أو حوز مؤمل: كان من أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها، سمي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خدام ملك غرناطة باديس بن حبوس، ولاحتوائه على سطر من شجر الحوز. مملكة غرناطة (ص ٣٥).

حرف النون

الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري[(١)]

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجدّه وأخيه، يُكنى أبا الجيوش، وقد تقدم من أوليّة هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طُرْفَة العصر في أخبار الملوك من بني نصر» من تَصنيفنا، قال: كان فتى يملأ[(٢)] العيون حُسْنًا وتمام صورة، دَمِث الأخلاق، ليّن العريكة، عفيفًا، مَجبولًا على طلب الهدنة وحبِّ الخير، مُغمد السّيف، قليل الشّر، نافرًا للبَطَر وإراقة الدماءِ، مُحبًا في العلم وأهله، آخذًا من صناعة التّعديل[(٣)] بحظٍّ رغيب، يخُطُّ التقاويم[(٤)] الصّحيحة، ويصنع الآلات الطّريفة[(٥)] بيده، اختصّ في ذلك الشيخ الإمام أبا عبد الله بن الرّقّام، وحيدَ عصره، فجاء واحد دهره ظَرْفًا وإحكامًا. وكان حَسن العهد، كثير الوفاء. حَمَله الوفاءُ على اللّجاج في أمر[(٦)] وزيره المطلوب بِعَزْله، على الاستهداف للخَلْع.

تقدّم يوم خلع أخيه، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وسنُّه ثلاث وعشرون سنة، فكان من تمام الخُلُق، وجمال الصُّورة، والتّأنق في[(٧)] ملوكي اللّباس، آية من آيات الله خالِقه. واقتدى[(٨)] برسوم أبيه وأخيه، وأجْرَى الألقاب والعَوائد لأول دولته. وكانت أيامه، كما شاء الله، أيام نحْس مستمرّ، شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذُّعر، وكلِبَ العدوُّ. وسيمرّ من ذلك ما فيه كفاية[(٩)]. وكان فتًى أيّ فتًى، لو ساعده الجَدُّ، والأمرُ لله من قَبْلُ ومن بَعْدُ.

---

(١) هذه الترجمة الكاملة لأبي الجيوش نصر وردت في اللمحة البدرية (ص ٧٠ ـ ٧٧) كما هنا.

(٢) في اللمحة البدرية (ص ٧٠): «ملأ». (٣) صناعة التعديل: علم الفلك.

(٤) في اللمحة: «التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الظريفة، ويصنع...».

(٥) في اللمحة: «العجيبة».

(٦) كلمة «أمر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية، (ص ٧٠).

(٧) في اللمحة: «في رفيع اللباس وملوكي البزة آيةً...».

(٨) في اللمحة: «واحتذى مرسوم». (٩) في اللمحة: «الكفاية».

وزراء دولته: وزَر له مُقيمُ أمره ومُحْكِم التّدبير على أخيه، أبو[١] بكر عتيق بن محمد بن المَوْل. وبيت بني مَوْل بقرطبة بيتٌ[٢] له ذكر وأصالة. ولما تغلّب عليها[٣] ابن هود اختفى بها أبوه أيامًا عدة[٤]. ولما تملّكها السلطان الغالب بالله تلك البُرْهة، خرج إليه وصحبه إلى غرناطة، فاتّصلت قرْباه بعَقْده على بِنْتٍ للرئيس أبي جعفر المعروف[٥] بالعُجْلب ابن عمّ السلطان. واشتدّ عَضُدُه، ثم تأكّدت القُرْبى بعقد مَوْل أخي هذا الوزير على بِنْت الرئيس أبي الوليد أُخت الرئيس أبي سعيد، مُنْجب هؤلاء الملوك الكرام، فقام[٦] بأمره، واضطلع بأعباء سلطانه، إلى أن كان من تغلّب أهل الدولة عليه، وإخافة سلطانه منه، ما أوجب صرْفه إلى المغرب في غَرض الرسالة، وأُشير عليه في طريقه بإقامته بالمغرب، فكان صَرْفًا حسنًا. وتولّى الوزارة محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج، المُسَيِّر[٧] لخَلْعِه، واجتِثاث أصله وفَرْعه، وكان خِبًّا داهية، أعلم الناس بأخبار الرُّوم وسيرهم وآثارهم. فحدَثَتْ بين السلطان وبين أهل[٨] حَضْرته الوَحْشة بسببه.

قضاته: أقرّ على خطة القضاء بحضرته قاضي أخيه الشيخ الفقيه أبا جعفر القرشي المُنْبز بابن فركون، وقد تقدم التعريف به مستوفى بحول الله[٩].

كُتّابه: شيخنا[١٠] الصدر الوجيه، نسيج وحده أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب إلى آخر مدته.

مَن كان على عهده من الملوك: بالمغرب[١١]، السلطان أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. تصيَّر الأمرُ إليه بعد وفاة أخيه السلطان أبي ثابت عامر بأحواز طَنْجَة، في صفر عام ثمانية وسبعمائة. وكان[١٢] مشكورًا، مُنْبخت الولاية. وفي دولته عادت سَبْتَة إلى الإيالة المرينيّة. ثم توفي بتازى[١٣] في مستهل رجب[١٤] من عام عشرة وسبعمائة. وتولّى الملك بعده عمُّ

(١) في اللمحة: «الوزير القائد أبو...».
(٢) في اللمحة (ص ٧١): «بيت أصالة».
(٣) كلمة «عليها» ساقطة في اللمحة.
(٤) كلمة «عدة» ساقطة في اللمحة.
(٥) في اللمحة: «المنبز بالعُجلب».
(٦) في اللمحة: «قام».
(٧) في اللمحة: «المُيَسِّر».
(٨) في اللمحة: «وأهل».
(٩) في اللمحة: «وقد تقدّم ذكره».
(١٠) في اللمحة البدرية: «شيخنا أبو الحسن بن الجياب نسيج وحده إلى آخر مدته».
(١١) في اللمحة البدرية (ص ٧٢): «بالمغرب من ذلك: كان على عهده بالمغرب السلطان...».
(١٢) في اللمحة: «وكان مشكور الولاية».
(١٣) في اللمحة: «بتازا».
(١٤) في اللمحة: «شهر رجب».

أبيه السلطان الجليل الكبير، خِدْنُ العافية، ووليُّ السلامة، وممهِّد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. واستمرّت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثيرًا[(١)] من أيام مَنْ بعده. وقد تقدَّم من ذكر السلطان أبي يوسف في اسم مَن تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

وبتِلمسان، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغْمِراسِن، [سلطان بني عبد الواد، مذلِّل الصُّقع][(٢)]، والمثل[(٣)] السّائر في الحزم والتيقُّظ، وصلابة الوَجْه، زعموا، وإحكام القِحَة، والإغراب في خُبْث[(٤)] السِّيرة. واستمرّت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة، إلى أن سَطا به ولدهُ عبد الرحمٰن أبو تاشُفِين.

وبتونس، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق[(٥)] يحيىٰ بن المستنصر محمد[(٦)] بن الأمير أبي زكريا بن أبي حَفْص[(٧)]. ثم تُوفي في ربيع[(٨)] الآخر عام تسعة[(٩)] وسبعمائة. فوَلي الأمرَ قريبُه الأميرُ أبو بكر[(١٠)] عبد الرحمٰن بن الأمير أبي يحيىٰ[(١١)] زكريا ابن الأمير [أبي إسحٰق بن الأمير][(٢)] أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حَفْص. ونهض إليه من بِجاية قريبُه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحٰق ابن الأمير أبي زكريا يحيىٰ[(١١)] بن عبد الواحد بن أبي حفص، فالتقيا[(١٢)] بأرض تونس، فَهُزم أبو بكر[(١٣)]، ونجا بنفسه، فدخل بُسْتانًا لبعض أهل الخِدمة، مُخْتفيًا فيه، فسُعِي به إلى أبي البقاء، فجِيءَ به إليه، فأمر بعض القرابة بقَتْله صَبْرًا، نفعه الله[(١٤)]. وتمّ الأمرُ لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد[(١٥)] الشيخ المعظم[(١٦)] أبو يحيىٰ زكريا الشهير[(١٧)]

---

(١) في اللمحة: «وكثير».
(٢) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية.
(٣) في اللمحة: «المثل».
(٤) كلمة «خبث» ساقطة في اللمحة.
(٥) كلمة «الواثق» ساقطة في اللمحة.
(٦) في اللمحة: «أبي عبد الله محمد...».
(٧) في اللمحة: «حفص بن عبد الواحد».
(٨) في اللمحة: «شهر ربيع الآخر من عام...».
(٩) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي.
(١٠) في الأصل: «أبو بكر بن عبد الرحمٰن» والتصويب من اللمحة.
(١١) كلمة «يحيىٰ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية.
(١٢) في اللمحة: «والتقيا».
(١٣) في اللمحة «أبو بكر بن عبد الرحمٰن».
(١٤) جملة «نفعه الله» ساقطة في اللمحة (ص ٧٣).
(١٥) في اللمحة: «وصل».
(١٦) كلمة «المعظم» ساقطة في اللمحة.
(١٧) في اللمحة: «المعروف باللحياني من المشرق».

باللِّحياني، قافلًا من بلاد المشرق، وهو كبير آل أبي حَفْص نَسَبًا[١] وقَدْرًا، فأقام بإطْرابُلس، وأنفَذ إلى تونس خاصَّته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المَزْدُوري[٢] محاربًا لأبي البقاء، وطالبًا للأمر. فتمّ الأمر[٣]، وخُلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة. وتمّ الأمير للشيخ أبي يحيىٰ. واعتُقل أبو البقاء، فلم يزل مُعْتقلًا إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ودفن بالجبّانة المعروفة لهم[٤] بالزلّاج، فضَريحُه[٥] فيما تعرّفنا بإزاء ضريح قَتِيله[٦] المظلوم أبي بكر، لا فاصل بينهما. وعند الله تجتمع الخصوم.

واتّصلت أيامُ الأمير أبي يحيىٰ، إلى أن انقرضت مدةُ الأمير أبي الجيوش. وقد تضمّن الإلماعَ بذلك[٧] الرّجزُ المسمّى بـ«قَطْع السُّلوك»[٨] من نظمي. فمن[٩] ذلك فيما يختصّ بملوك[١٠] المغرب قولي في ذكر السلطان أبي يعقوب: [الرجز]

ثم تقضّى مُعْظَمُ الزمانِ	مواصلًا حَصْرَ بني زيّانِ
حتى أتى أهلَ تِلِمْسانَ الفَرَجْ	ونَشَقُوا من جانب اللُّطْف الأرجْ
لما ترقّى دَرَج السَّعد دَرَجْ	فانفضّ ضيقُ الحصر عنها وانْفَرَجْ
وابْنُ ابْنِه وهو المسمّى عامرا	أصبح بَعْدُ ناهيًا وآمرا
وكان ليثًا داميَ المَخالبِ	تغَلّب[١١] الأمرَ بجدٍّ غالبِ
أباح بالسَّيف نفوسًا عِدّهْ	فلم تَطُلْ في المُلْك منه المُدّهْ
ومات حَتْفَ أنفه واخْتُرما	ثم سليمانُ عليها قُدِّما
أبو الربيع دَهْرُه ربيعُ	يُثْني على سِيرته الجميعُ
حتى إذا المَلْكُ سليمانُ قضى	تصيَّر الملْك[١٢] لعثمانَ الرِّضا
فلاح نور السَّعد فيها وأضا	وَنَسِيَ[١٣] العَهْدَ الذي كان مضى

---

(١) في اللمحة: «حفص إذ ذاك سنًّا وقدرًا».
(٢) في اللمحة: «المزدوري».
(٣) في اللمحة: «له الأمر».
(٤) في اللمحة: «عندهم».
(٥) في اللمحة: «بضريحه».
(٦) كلمة «قتيله» ساقطة في اللمحة.
(٧) في اللمحة: «ببعض ذلك الرجز من نظمنا».
(٨) هو كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.
(٩) في اللمحة: «فمنه».
(١٠) في اللمحة: «بذكر ملوك في ذكر السلطان...».
(١١) في اللمحة: «يقَلِّبُ».
(١٢) في اللمحة: «الأمرُ».
(١٣) في الأصل: «وسنى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة البدرية (ص ٧٤).

وفيما يختصّ ببني زيّان، بعد ذكر أبي زيّان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمانَ سَعْدِهِ ... قام أبو حَمّو بها مِنْ بَعْدِهِ
وهو الذي سَطا عليه ولدُهْ ... حتى انتهى على يَدَيْه أَمَدُهْ[1]

وفيما يختصّ بآل أبي حَفْص بعد ذكر جملة[2] منهم: [الرجز]

ثم الشهيدُ[3] والأميرُ[4] خالدُ ... هيهاتَ ما في الدهر حَيٌّ خالدُ
وزكريّاء[5] بها بَعْدُ ثَوى ... ثم نوَى الرِّحلةَ عنها والنَّوى
وحَلّ[6] بالشرق وبالشرق ثَوى ... وربما فاز امرؤٌ بما نَوى

ومن ملوك النصارى بقَشْتاله: هراندُه بن شانجُه بن ألهنشُه[7] بن هراندُه بن شانجُه. ونازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم أقلع عنها عن ضَرِيبةٍ[8] وشروط، ثم نازل في أُخريات أمره[9] حِصْن القَبْذاق، وأدركه ألَمُ الموت بظاهره، فاحتُمل من المحلّة[10] إلى جيّان، وبقيت المحلّة مُنيخة على الحصن، إلى أن تُمُلّك بعد موت الطّاغية بأيام[11] ثلاثة، كتموا فيها مَوْته. ولسبب[12] هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طُرْفة العصر، في تاريخ دولة بني نصر». وقام بعده بأمر النصرانية ولده ألهنشُه، واستمرّت أيامه إلى[13] عام خمسين وسبعمائة.

بعض الأحداث في أيامه: نازل على أول أمره طاغيةُ قَشْتالة الجزيرةَ الخضراء في الحادي والعشرين من[14] عام تسعة وسبعمائة، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، وأقلع[15] عنها بعد ظهوره على الجَبَل[16] وفوز قِداحه به. ونازل

---

(١) بعد هذا البيت جاء في اللمحة البدرية البيت الآتي:
وأخذ الله له بالثار ... وكلّ نظم فإلى انتثار
(٢) في اللمحة: «جملة في نسق». (٣) في اللمحة: «ثم الأمير والشهيد».
(٤) في الأصل: «الأمير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.
(٥) في الأصل: «وزكريّا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.
(٦) في الأصل: «رحل» والتصويب من اللمحة. (٧) في اللمحة: «ألفونشة».
(٨) في اللمحة: «عن شروط وضريبة». (٩) في اللمحة: «أيامه».
(١٠) المحلّة هنا بمعنى: المعسكر. (١١) في اللمحة: «بعد أيام ثلاثة إذ كتم موته».
(١٢) في اللمحة: «ولموته حكاية غريبة تضمنها كتاب طرفة العصر من تأليفنا».
(١٣) في اللمحة: «إلى عاشوراء من عام...».
(١٤) في اللمحة البدرية (ص ٧٥): «الصفر من...».
(١٥) في اللمحة: «ثم أقلع».
(١٦) في اللمحة: «على جبل الفتح»، وهو جبل طارق.

صاحبُ بَرْجلونة مدينةَ ألمريَّة غرّة ربيع الأول من هذا العام، وأخذ بمُخَنّقها، وتفرّقت الظبا على الخِراش[١]، ووقَعَتْ على جيش المسلمين الناهد إليه وقِيعة[٢] كبيرة، واستمرّت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونفّس الله الحَصْر، وفرّج الكرب. وما كاد أهل الأندلس يستَنْشِقون[٣] ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة[٤]، ونشأت ريحُ الخلاف، واستَفْسد وزيرُ الدولة ضمائر أهلها، واسْتَهدف إلى رعيتها بإيثار النصارى والصاغية إلى العدوّ، وأظهر الرَّئيس[٥] ابن عم الأب صاحب مالَقة أبو سعيد فرج[٦] بن إسماعيل، صِنْو الغالب بالله[٧] ابن نصر، الامْتِساك بما كان بيده، والدعاء لنفسه، وقدّم ولده الذّائل إلى طلب المُلْك. وثار أهل غرناطة، يوم الخامس والعشرين لرمضان[٨] من العام، وأعلن منهم مَن أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، وخَبَطُوا العَشْواء[٩]، ونزل الحَشَم، فلاذ الناس منهم بدِيارهم، وبرَز السلطان إلى باب القلعة، متقدّمًا بالعِفّة عن الناس، وفرّ الحاسرون عن القِناع، فلحقوا بالسلطان أبي الوليد بمالقة، فاستَنْهضوه[١٠] إلى الحركة، وقصد الحَضْرة، فأجابهم وتحرّك، فأطاعته الحصون بطريقه، واحتلّ خارج[١١] غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين لشوال منه[١٢]، فابتدره الناس من صائح ومُشير بثَوْبه، ومُتطارح بنفسه، فدخل البلد من ناحية رَبَض البيّازين، واستقرّ بالقَصبة[١٣]، كما تقدم في اسمه. وفي ظهر يوم السبت التاسع والعشرين من الشهر، نزل[١٤] الحمراء دار الملك، وانفصل السلطان المُترجم به، موفّى له شرط عَقْده من انتقاله إلى وادي آش، مستبدًا بها، وتعْيين مالٍ مخصوص، وغير ذلك. ورَحَل ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. واستمرّت الحال، بين حرب ومُهادنة[١٥]، وجَرَتْ بسبب ذلك أُمور صَعْبة إلى حين وفاته. رحمه الله.

---

(١) في اللمحة: «خداش».

(٢) في اللمحة: «وقعة».

(٣) في اللمحة: «ينتشقون».

(٤) في اللمحة: «نجم شهاب الفتنة».

(٥) في الأصل: «الرَّيْس» والتصويب من اللمحة.

(٦) كلمة «فرج» ساقطة في اللمحة.

(٧) في اللمحة: «بالله تعالى الامتساك بما في يده...».

(٨) في اللمحة: «من رمضان هذا العام».

(٩) في اللمحة: «عشواء».

(١٠) في اللمحة: «واستنهضوه».

(١١) في اللمحة: «خارجها».

(١٢) في اللمحة: «من العام».

(١٣) في اللمحة (ص ٧٦): «بالقصبة القُدْما تجاه الحمراء. وفي ظهر...».

(١٤) في اللمحة: «كان دخوله دار...».

(١٥) في اللمحة: «ومهادنة إلى حين وفاته».

مولده: وُلد[١] في رمضان عام ستة وثمانين وستمائة. وكانت سنُّه ستًا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهرًا واحدًا، ومُقامه بوادي آش تسعة أعوام وثلاثة أيام.

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة بوادي آش، ودفن بجامع القصبة منها، ثم نقل في أوائل[٢] ذي الحجة منه إلى الحَضْرة، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، وبرز إليه السلطان، والجَمْعُ الكثير من الناس، ووُضع[٣] سريره بالمصلّى العِيدي، وصُلّي عليه إثر صلاة العصر، ودفن بمقبرة سلفه بالسُّبيكة، وكان يومًا من الأيام المشهودة، وعلى قبره مكتوب في الرُّخام:

«هذا قبر السلطان المُرَفَّع[٤] المقدار، الكريم البيت العظيم النُّجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصَّريح النَّسب في صميم الأنصار[٥]، الملك الأوْحَد الذي له السَّلَف العالي المنار، في المُلْك المنيع الذِّمار، رابع ملوك بني نصر أنصار دين المصطفى[٦] المختار، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرائم الأموال ونفائس الأعمار، المعظَّم المقدَّس المرحوم أبي الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأحْمَى، الملك العادل، الطَّاهر الشَّمائل، ناصر دين الإسلام، ومُبيد عَبَدَة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدّس، المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله ابن السلطان الجليل[٧]، الملك الشهير، مؤسّس قواعد الملك على التّقوى والرِّضوان، وحافظ كلمة الإسلام وناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل الله، المقدّس المرحوم، أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر، تغمَّده الله برحمته وغُفْرانه، وبوّأه منازل إحسانه، وكتبه في أهل رِضوانه، وكان[٨] مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين وستمائة. وبويع يوم الجمعة غُرّة شوال عام ثمانية وسبعمائة، وتوفي، رحمه الله[٩]، ليلة يوم الأربعاء

---

(١) هذا النص عن مولده ساقط في اللمحة البدرية.

(٢) في اللمحة: «في أول ذي حجة».

(٣) في اللمحة: «وصُلّي على سريره بالمصلّى العيدي إثر صلاة العصر من يوم الخميس السادس من الشهر، ووري بتربة جدّه من مقبرة السبيكة، وكان يومه من الأيام المشهودة وعلى قبره...».

(٤) في اللمحة: «الرفيع».

(٥) في اللمحة: «الأمصار».

(٦) في اللمحة: «المدنيّ».

(٧) في اللمحة البدرية (ص ٧٧): «السلطان الملك الجليل الشهير».

(٨) في اللمحة: «كان».

(٩) جملة «رحمه الله» ساقطة في اللمحة البدرية.

السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فسبحان المَلِك الحقّ المبين، وارث الأرض ومَن عليها، وهو خير الوارثين. وفي جهة[1]: [الكامل]

يا قبرُ، جاد ثَراك[2] صَوبُ غمام ... يَهْمِي عليك برحمةٍ وسلامِ
بُورِكْتَ لَحْدًا فيه أيُّ وديعة ... ملك كريمٌ من نِجار كرام
ما شئت من حلم ومن خلق رضَى ... وزكاء أعراقٍ ومَجْدٍ سام
فاسْعد بنصرٍ رابع الأملاك من ... أبناءِ نصر ناصري الإسلام
من خَزْرَج الفخر الذين مَقامُهُمْ ... في نَصْر خير الخلق خيرُ مقام
يا أيها المولى المؤسَّسُ بيتُه ... في معدن الأحساب والأحلام
ما للمَنِيَّة والشبابُ مساعدٌ ... قد أقصدتك بصائبات سِهام
عَجِلَتْ على ذاك الجمال فغادرت ... ربْعَ المحاسن طامِسَ الأعلام
فمحى الرَّدى من حُسْن وجهك آيةً ... نحو[3] النهار لسَدْفَة الإظلام
ما كنتَ إلّا بَدْرَ تِمّ باهرًا ... أَخْنَى الخسوف عليك عند تمام
فعلى ضريح أبي الجيوش تحيّةٌ ... كالمِسْكِ عَرْفًا عند فَضّ ختام
وتغَمَّدته رحمة الله التي ... تُرضيه من عَدْنٍ بدار مُقام

ومن الأعيان والوزراء

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حِصن أرْيُول من عمل مرسية، ولهم في الدولة النَّصرية مزية خُصُّوا لها بأعظم رُتَب القيادة، واستُعمل بعضهم في ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شِبْرين، قال: وفي السادس عشر لذي قعدة منه، يعني عام عشرة وسبعمائة، توفي بغرناطة القائدُ المبارك أبو الفتح، أحد الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى، أولي النزاهة والوفاء.

نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهري

يكنى أبا الفتح، حَفيد المذكور معه في هذا الباب.

---

(١) قوله: «وفي جهة» ساقط في اللمحة البدرية.

(٢) في اللمحة: «ثراك جاده» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في اللمحة: «محو».

حاله: من كتاب «طُرفة العصر»: نسيجُ وحده في الخير والعَفاف، ولين العريكة، ودماثة الأخلاق، إلى بُعْد الهمّة، وجمال الأبّهة، وضخامة التَّجنُّد، واستجادة المَرْكِب والعُدَّة، وارتباط العبادة. استعان على ذلك بالنِّعمة العريضة بين مُنادية إليه بميراث، ومُكْتَسَب من جرّاء المُتغلِّب على الدولة صِهْرِه ابن المحروق معياشة لُبْنَتِه. ونَمَت حال هذا الشهم النَّجد، وشَمَخت رُتْبته حتى خُطِب للوزارة في أُخريات أيامه، وعاق عن تمام المُراد به إلحاح السُّقْم على بدنه وملازمة الضُّنا لجُثمانه، فمضى لسبيله، عزيز الفَقْد عند الخاصّة، ذائع الثَّناء، نقي العِرْض، صدرًا في الوُلاة، وعَلَمًا في القُوّاد الحُماة.

وفاته: توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال، رَكِب إليها السلطان، ووقف بإزاء لَحْدِه، إلى أن وُوري، تنويهًا بقَدْره، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه. وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته.

ومن الكتّاب والشعراء

نزهون بنت القليعي[١]

قال ابن الأبّار[٢]: وهو فيما أحْسَبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغسّاني، غرناطية[٣].

حالها: كانت[٤] أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودُعابة. وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزْمان[٥]، والمخزومي الأعمى[٦]، وأبي بكر بن سعيد[٧].

---

(١) ترجمة نزهون في المغرب (ج ٢ ص ١٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣) والتكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) وبغية الملتمس (ص ٥٤٦) ورايات المبرزين (ص ١٥٩) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٢) التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨). وانظر أيضًا: الذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٣) في التكملة: «من أهل غرناطة».

(٤) النص في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٥) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٦) هو أبو بكر المخزومي المورروري، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

(٧) أغلب الظن أنه أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد، وقد ترجم له ابن الخطيب في هذا الجزء.

شعرها: دخل[١] الأديب أبو بكر الكُتَندي[٢] الشاعر، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى، فلمّا نظر إليها، قال: أجِز يا أستاذ: [الكامل]

لو كنتَ تُبْصِرُ من تكلِّمُه[٣] ....

فأُفْحم المخزومي زامعًا، فقالت: [الكامل]

.... لَغَدَوْتَ أخْرَسَ مِنْ خلاخِلِهِ

ثم زادت:

البدرُ يَطْلُعُ من أَزِرَّتِهِ والغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلائِلِهِ

ولا خفاء ببراعة هذه الإجازة ورفاعة هذا الأدب.

وكتب إليها أبو بكر بن سعيد، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من الأدباء الأعيان[٤]: [المجتث]

يا من له ألفُ خِلٍّ[٥] من عاشقٍ وعَشِيقِ[٦]
أراكِ خَلَّيتِ للنا سِ سَدَّ ذاكَ الطريقِ[٧]

فأجابته بقولها: [الطويل]

حَلَلْتَ أبا بكرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سواكَ، وهل غيرُ الرفيع[٨] له صَدْري؟
وإن كان لي كم من حبيب فإنما يُقَدِّمُ أهلُ الحقِّ فضلَ[٩] أبي بكر

وهذه غاية في الحُسْن بعيدةٌ. ومحاسنها شهيرة، وكانت من غُرَرْ المفاخِر الغَرْناطية.

---

(١) الحكاية والشعر في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩) ورايات المبرزين (ص ١٥٩ ـ ١٦٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٢١) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٧١ ـ ٧٢) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد العزيز الكتندي، وله ترجمة في رايات المبرزين (ص ١٥٧).

(٣) في التكملة: «من تجالسه». وفي الذيل والتكملة والنفح: «من تجالسه».

(٤) شعر أبي بكر بن سعيد وجواب نزهون في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٥) في المقتضب ورايات المبرزين: «شخص». (٦) في النفح: «وصديق».

(٧) في المصدر نفسه: «. . . للناس منزلًا في الطريق».

(٨) في المصادر الثلاثة: «الحبيب». (٩) في النفح: «حُبّ».

حرف الصاد
من الأعيان والوزراء

الصُمَيل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذي الجوشن الضَبابي الكلبي[1]

وهو من أشراف عَرَب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخَزائني»: جَدُّه[2] أحدُ قَتَلة الحسين بن علي والذي قَدِم برأسه على يزيد بن معاوية، فلمّا قام المختار[3] ثائرًا بالحسين فَرَّ عنه شَمِر ولحق بالشام فأقام بها في عزٍّ ومَنَعة. ولمّا خرج كُلثوم بن عِياض غازيًا إلى المغرب، كان الصُمَيل ممن ضُرب عليه البعث في أشراف أهل الشام. ودخل الأندلسَ في طالِعة بَلْج بن بشر القُشيري، فشرُف ببَدَنِه إلى شرفٍ تقدَّم له، وردٌّ ابن حيّان هذا. وقال في كتاب «بهجة الأنفُس، ورَوْضة الأُنس»: كان الصُميل بن حاتم هذا جدُّه شمر قاتل الحسين، رضي الله عنه، من أهل الكوفة، فلمّا قتله، تمكّن منه المُخْتار فقتله، وهَدَم داره، فارتحل ولدُه من الكوفة، فرأَسَ بالأندلس، وفاق أقرانه بالنجدة والسّخاءِ.

حاله: قال[4]: كان شجاعًا، نَجْدًا، جوادًا، كريمًا، إلّا أنه كان رجلًا أُمّيًا لا يقرأُ ولا يكتب، وكان[5] له في قَلْبِ الدول وتدبير الحروب، أخبارٌ مشهورة.

من أخباره: حكى ابن القوطيّة، قال[6]: مَرّ الصُميل بمعلّم يتلو: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[7]، فوقف يسمع، ونادى بالمعلّم: يا هناه، كذا نَزَلت

---

(١) توفي الصميل بن حاتم سنة ١٤٢ هـ، وترجمته في الحلة السيراء (ج ١ ص ٦٧) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٤ ـ ٤٦، ٥١، ٥٩ ـ ٦١).

(٢) النص في الحلة السيراء (ج ١ ص ٦٧) بتصرف، وجاء فيه أن جَدَّه هو: شَمِرُ بن ذي الجوشن.

(٣) هو أبو إسحٰق المختار بن أبي عبيد الثقفي، المتوفى سنة ٦٧ هـ؛ من زعماء الثائرين على بني أمية، كان همه أن يقتُل من قاتلوا الحسين بن علي، عليهما السلام. الأعلام (ج ٧ ص ١٩٢) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(٤) قارن بالحلة السيراء (ج ١ ص ٦٨). (٥) في الحلة السيراء: «وكانت».

(٦) النص في تاريخ افتتاح الأندلس (ص ٦٠) والحلة السيراء (ج ١ ص ٦٨) بتصرف.

(٧) سورة آل عمران ٣، الآية ١٤٠.

هذه الآية؟ فقال: نَعم، فقال: أرى والله أنْ سيُشْرِكنا في هذا الأمر العبيدُ والأراذل والسَّفلة.

خبره في الجود: قال: كان أبو الأجرب الشاعر[1] وقفًا على أمْداح الصُّميل، وهو القائل: [الوافر]

بنَى لك حاتمٌ بَيْتًا رفيعًا ... رأينَاه على عُمُدٍ طوالِ

وقد كان ابْتَنى شَمِرٌ وعمرو ... بيوتًا غيْرَ ضاحيةِ الظِّلالِ

فأنت ابنُ الأكارم من معدٍّ ... تَغلَّجُ للأباطح[2] والرِّمالِ

وقارضه بإجزاله لعَطائه وانتِمائه في ثَوابه، بأن أغْلَظَ القَسَم على نفسه بأن لا يراه إلّا أعطاه ما حَضَره، فكان أبو الأجرب قد اعتمد اجْتِنابه في اللقاء حياءً منه وإبقاءً على ماله، فكان لا يزوره إلّا في العِيديْن قاضيًا لحقِّه. وقد لقيه يومًا مواجَهةً ببعض الطريق، والصُّميل راكبٌ، ومعه ابناه، فلم يحْضرُه ما يُعطيه، فأَرْجَل أحدَ ابنَيْه، وأعطاه دابّتَه، فضَرَب في صُنْعه، وفيه يقول من قصيدة: [الكامل]

دون الصُّميل شريعةٌ مَوْرُودَةٌ ... لا يستطيع لها العَدُوُّ ورودا

فُتَّ الورى وجَمَعْتَ أشتات العلا ... وحَوَيْتَ مَجدًا لا يُنالُ وجُودا

فإذا هَلَكْتَ فلا تَحَمَّلَ فارسٌ ... سَيْفًا ولا حَمَلَ النساءُ وليدا

وكان صاحب أمرِه ولّاه الأندلس قَبْل الأمويين؛ لهم الأسماء وله مَعْنى الإمرة، وكان مُظفَّر الحروب، سديدَ الرأي، شهيرَ الموقف، عظيمَ الصبر. وأوْقعَ باليمانيّة وقائع كثيرة، منها وقيعة شَقُنْدَة، ولم يكن بالأندلس مثلَها، أثخنَ فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: وكان أبيًا للضَّيم، مُحاميًا عن العشيرة، كلّم أبا الخطّار الأمير في رجل من قومه انتصر به، فأفجمه، وردَّ عليه، فأمرَ به، فتَعْتَع ومالت عمامته، فلمّا خرج قال له بعض مَن على باب الأمير: يا أبا الجَوْشن، ما باب عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لي قومٌ فَسَيُقِيمونها، وخرج من ليلته، فأفْسَد مُلكه.

---

(١) أبو الأجرب هو جَعْونة بن الصِّمّة الكلابي، من قدماء شعراء الأندلس، وترجمته في جذوة المقتبس (ص ١٨٩) وبغية الملتمس (ص ٢٦١) والمغرب (ج ١ ص ١٣١).

(٢) في الأصل: «تتعلج الأباطح...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. ويَغْلَج الرجل: يشتدّ.

وفاتُه: وخبَرُ وفاته مشهور، فيما كان من جوابه لرسُولَيْ عبد الرحمٰن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهَوادة في أمْرِ أميره يوسف بن عبد الرحمٰن الفِهري، والتَّستُّرُ مع ذلك عليهما، فليُنظَر في كتاب «المُقتَبس».

دخوله غرناطة: ولما صار الأمر إلى عبد الرحمٰن بن معاوية، صَقْر بني أمية، وقَهَر الأمير يوسف الفِهري ووزيره الصُّميل، إذ عَزَله الناس، ورجع معه يوسف الفهري والصميل إلى قرطبة، ولم يلبثا أن نَكثا، ولحقا فَحصَ غرناطة، ونازلهما الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية في خَبر طويل، واستَنْزَلهما عن عَهْد، وعاد الجميع إلى قرطبة، وكان يوسف والصميل يَرْكبان إلى القَصْر كل جُمعة إلى أنْ مضيا لسبيلهما. وكان عبد الرحمٰن بن معاوية يسْتَرجع ويقول: ما رأيت مثله رجلًا. لقد صَحِبَني من إلْبيرة إلى قرطبة، فما مسّت رُكْبَتي رُكْبتَه، ولا خرجت دابّتُه عن دابّتي.

ومن الكتّاب والشعراء

صَفْوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عيسى ابن إدريس التُّجيبي[1]

من أهل مُرْسية، يُكنى أبا بجر[2].

حاله: كان[3] أديبًا، حَسِيبًا جليلًا، أصيلًا، مُمْتِعًا من الظَّرْف، ريّان من الأدب، حافظًا، حسن الخَطِّ، سريعَ البديهة، تَرِفَ النَّشأة، على تصاوُن وعَفاف، جميلًا سَرِيًّا، سَمْحًا ذكيًا، مليح العِشرة، طيّب النفس، ممّن تساوى حظُّه في النظم والنثر، على تبايُن الناس في ذلك.

مشيخته: روى عن أبيه وخاله، ابن عمّ أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس، وأبي بكر بن مُغاور، وأبي الحسن بن القاسم، وأبي رجال بن غَلْبُون، وأبي عبد الله بن حُميد، وأبي العباس بن مَضاء، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمد الحِجْري، وابن حَوْط الله، وأبي الوليد بن رُشْد، وأجاز له أبو القاسم بن بَشْكُوال.

---

(١) ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة (ج ٢ ص ٢٢٤) والمغرب (ج ٢ ص ٢٦٠) ورايات المبرزين (ص ٢٠١) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١١٧) والوافي بالوفيات (ج ١٦ ص ٣٢١) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٥٥، ٢٠٦) والذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٥٧).

(٢) في النفح: «أبو بحر».

(٣) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) والنفح (ج ٧ ص ٥٧ ـ ٥٨).

مَن روى عنه: أبو إسحٰق اليابُري، وأبو الربيع بن سالم، وأبو عبد الله بن أبي البقاء، وأبو عمرو بن سالم، ومحمد بن محمد بن عَيْشون.

تواليفه: له تواليف أدبيّة منها، «زاد المسافر»، وكتاب «الرحلة»، وكتاب «العِجالة» سِفْران يتضمنان من نظمه ونثره أدبًا لا كَفاء له. وانفرد من تأبين الحسين، رضي الله عنه، وبُكاء أهل البَيت، بما ظهرت عليه بركتُه في[1] حكايات كثيرة.

شعره: ثبتٌ من ذلك في العِجالة قوله[2]: [الكامل]

جادَ الزمانُ بأنّةِ الجَرْعاءِ ... تَوْقانِ مِنْ دَمْعي وغَيْث سماءِ[3]

فالدَّمْعُ يقضي عندها حَقَّ الهوى ... والغَيْمُ حَقَّ البانةِ الغَيْناءِ[4]

خَلَتِ الصُّدور من القلوبِ كما خَلَتْ ... تلك المقاصِرُ من مَهًا وظِباءِ

ولقد أقولُ لصاحبيَّ وإنما ... ذُخِرَ الصَّديقُ لأمجد[5] الأشياء

يا صاحبيَّ، ولا أقلَّ إذا أنا ... ناديتُ من أنْ تُصغِيا لندائي[6]

عُوجا بحار[7] الغَيْم في سَقْي الحِما ... حتى ترى[8] كيف انسكابُ الماء

ونَسُنّ في سَقْي المنازلِ سُنّةً ... نُمْضي بها حُكْمًا على الظُّرفاء

يا منزلًا نَشَطتْ إليه عَبْرتي ... حتى تَبَسَّمَ زَهْرُهُ لبكائي[9]

ما كنتُ قبل مَزارِ رَبْعِكَ عالمًا ... أنَّ المَدامعَ أصدقُ الأنواء

يا ليتَ شعري والزَّمانُ تَنَقُّلٌ ... والدَّهْرُ ناسِخُ شِدَّةٍ بِرَخاء

هل نلتقي في رَوْضةٍ مَوْشِيَّةٍ ... خفّاقةِ الأغصانِ والأفياء؟

وننالُ فيها من تألُّفِنا ولو ... ما فيه سُخْمة[10] أعيُن الرُّقباء؟

في حيثُ أتلَعَتِ الغُصون سوالفًا ... قد قُلِّدَتْ بلآلىء الأنداء

وجَرَتْ[11] ثغورُ الياسمين فَقَبَّلَتْ ... عني[12] عِذارَ الآسَة المَيْساءِ

---

(١) في النفح: «من».

(٢) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٣) رواية البيت في النفح هي:

جاد الرُّبا من بانةِ الجَرْعاءِ ... نَوْءانِ مِنْ دمعي وغيم سماءِ

(٤) في النفح: «الغَنّاء».

(٥) في النفح: «لآكد».

(٦) في الأصل: «النداء» والتصويب من النفح.

(٧) في النفح: «نُجاري».

(٨) في النفح: «يُرى».

(٩) في الأصل: «البكاء» والتصويب من النفح.

(١٠) في النفح: «سخنةٌ».

(١١) في النفح: «وبَدَتْ».

(١٢) في الأصل: «عَيْني» والتصويب من النفح.

والوردُ في شَطِّ الخليج كأنّه رَمَدٌ أَلَمَّ بمُقلةٍ زرقاءِ
وكأنّ غصنَ[1] الزّهر في خُضر الرُّبى زُهرُ النجوم تلوحُ بالخضراءِ
وكأنما جاء النّسيمُ مُبَشِّرًا للرّوض يُخبره بطولِ بَقاءِ
فكَساهُ خِلْعَةَ طِيبِهِ ورمى له بدراهم الأزهارِ رَمْيَ سَخاءِ
وكأنّما احتَقَرَ الصَّنيعَ فبادرتْ بالعُذْرِ[2] عنه نَغمَةُ الوَرْقاءِ
والغُصْنُ يرقصُ في حُلى أوراقِهِ كالخُودِ في مَوْشِيَّةٍ خضراءِ
وافْتَرَّ ثَغْرُ الأُقْحُوانِ بما رأى طربًا وقَهْقَهَ منه جَرْيُ الماءِ
أفديهِ من أُنسٍ تَصَرَّمَ فانقضى فكأنّه قد كان في الإغفاءِ
لم يَبْقَ منه غير ذِكْرٍ أو مُنًى وكلاهما سببٌ لطول عَناءِ
أو رُقعة من صاحبٍ هي تُحْفَةٌ إنّ الرِّقاعَ لَتُحْفَةُ النُّبَهاءِ
كبطاقةِ الوَسْميِّ[3] إذ حَيّا بها إنّ الكتابَ تحيّةُ الظُّرفاءِ[4]

وهي طويلة[5]. وقال مراجعًا عن كتاب أيضًا: [الوافر]

ألا سَمَحَ الزمانُ به كتابا ذرى بوروده أُنسي قِبابا
فلا أدري أكانا تحت وَعْدٍ دعا بهما لِبُرْئي فاستجابا؟
وقد ظَفِرَتْ يدي بالغُنْم منه فليت الدهر سَنّى لي إيابا
فلو لم أستَفِدْ شيئًا سواه قَنِعْتُ بمثله عِلْقًا لُبابا
إذا أحرَزْتُ هذا في اغترابي فَدَعْني أقطَعُ العُمْرَ اغترابا
رَجَمْتُ بأُنسه شيطانَ هَمّي فهل وَجَّهْتَ طِرْسًا أم شِهابا؟
رَشَفْتُ به رُضابَ الوُدِّ عذبًا يُذكّرني شمائلَك العِذابا
وكِدْتُ أجرُّ أذيالي نشاطًا ولكنْ خِلْتُ قَوْلَهُمُ تَصابى
فَضَضْتُ ختامه عنّي كأنّي فَتَحْتُ بفَضِّه للروض بابا
فكِدْتُ أبُثُّهُ في جَفْن عيني لكي أستودعَ الزَّهْرَ السَّحابا
وكنت أصونه في القلب لكنْ خَشِيتُ عليه أن يَفْنى التهابا
ولو أنّ الليالي سامَحَتْني لكنْتُ على كتابكمُ الجوابا

(١) في النفح: «غَضّ».
(٢) في النفح: «لِلعُذْرِ».
(٣) في النفح: «الوشْقيّ».
(٤) في النفح: «الخلطاء».
(٥) أورد منها المقري ستة وأربعين بيتًا.

فأبْلي عندكم بالشُّكر عُذْرًا وأَجْزِلُ من ثَنائكمُ الثَّوابا
ولكنَّ الليالي قَيَّدَتْني وقَيَّدَ عُدّتي[1] إلّا الخِطابا
فما تَلْقانِيَ الأحباب إلّا سلامًا أو مَنامًا أو كِتابا
لأمرٍ ما يقصُّ الدهرُ رِيشي لأنَّ السَّهْمَ مهما رِيش صابا
وعاذلة تقول ولست أُصْغِي ولو أَصْغَيْتُ لم أرفع جوابا
تُخوِّفني الدّواهي وَهْيَ عندي أقلُّ من أن أُضِيق بها جَنابا
إذا طَرَقت أُعدُّ لها قِراها وقارًا واحتسابًا واضطبارا
وما مثلي يُخَوَّفُ بالدواهي عرينُ اللَّيث لا يخشى الذُّبابا
تُعاتبني فلا يَرْتَدُّ طَرْفي وهل تَسْتَرْقِص الرِّيح الهِضابا؟
ولو أنَّ العِتاب يُفيد شيئًا مَلأْتُ مسامعَ الدُّنيا عِتابا
وقد وَصَّيْتُها بالصَّمْت عني فما صَمَتَتْ ولا قالتْ صوابا
تُعَنِّفُني على تَرْكي بلادًا عَهِدْتُ بها القَرارة والشَّبابا
تقول: وهل يفلُّ السَّيف إلّا إذا ما فارق السيفُ القِرابا
فقلت: وهل يضرُّ السيف فَلٌّ إذا قطَّ الجماجم والرِّقابا؟
بِخَوْض الهول تُكْتسب المعالي يَحِلُّ السَّهْل من رَكِبَ الصِّعابا
فلَيْثُ الغاب يفترسُ الأناسي وليثُ البَيْت يفترس الذُّبابا
ولو كان انقِضاض الطَّير سَهْلًا لكانت كلُّ طائرة عُقابا
دعيني والنهار أسير فيه أسير عزائمٍ تَفْري الصِّلابا
أُغازل مِنْ غزالته فتاةً تَبَيَّضَ فَوْدُها هَرَمًا وشابا
إذا شاءت مُواصَلتي تَجَلَّتْ وإنْ مَلَّتْ توارَتْ لي احتجابا
وأَسْري اللَّيلَ لا ألوِي عِنانا ولو نيل الأماني ما[2] أصابا
أُطارح من كواكبه كَماما وأزجر من دُجُنَّتِهِ غُرابا
وأرْكَبُ أشهَبًا[3] غُبْرًا كباعي وخُضْرًا مثل خاطريَ انْسِيابا
وآخذ من بَنات الدَّهر حقّي جهاز البيتِ اسْتُلِبَ استلابا
ولست أُذِيلُ بالمدحِ القوافي ولا أرضى بخُطَّتِها اكتسابا

---

(١) في الأصل: «وقيدت عرضي»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «لما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «شُهبًا»، وكذا لا يستقيم الوزن.

آمدح من به أهجو مديحي إذا طَيَّبْتُ بالمِسْك الكلاما
سأخْزُنها عن الأسماع حتى أردَّ الصَّمْت بينهما حِجابا
فلست بمادح ما عِشتُ إلّا سيوفًا أو جيادًا أو صِحابا
أبا موسى، وإنّي ذو[1] وداد أُناجي لو سمعت إذا أجابا
ولكنْ دون ذلك مَهْمَهٌ لو طَوَتْه الريح لم تَزجُ الإيابا
أخي، برُّ المودّة كلّ بِرٍّ إذا بَرَّ الأشقَّا[2] الانتِسابا
بَعَثْتُ إليكَ من نَظْمي بِدُرٍّ شقَقْتُ عليه من فِكري عُبابا
عداني الدهر أنْ يَلْقاك شخصي فأغنَى الشِّعْر عن شَخْصي ونابا

وقال في الغرض الذي نظم فيه الرُّصافي[3] من وصفِ بلَده، وذكر إخوانه ومعاهده، مساجلًا في العَروض والرَّوِي، عَقِب رسالة سماها «رسالة طِراد الجياد في الميدان، وتنازع اللُّدان والإخوان، في تَنْفيق مُرْسية على غيرها من البُلدان»[4]: [الطويل]

لعلّ[5] رسولَ البَرْقِ يَغْتَنِمُ الأجْرا فَيَنْشُر[6] عنّي ماءَ عَبْرَتِهِ نَشْرا!
معاملةَ أرْبُو[7] بها غيرَ مُذْنِبٍ فأقْضِيه دمعَ العين من نقطةٍ بَحْرا
ليَسْقِيَ[8] من تُدْميرَ قَطْرًا مُحَبَّبًا يَقِرُّ بعين القَطْر أن تشرب القطرا
ويَقْرِضُه ذوب اللُّجين وإنما تُوَفّيه عَيْني من مدامعها تِبْرا
وما ذاك تقصيرًا بها غير أنه سَجِيَّةُ ماءِ البَحْر أن يُذْوِيَ الزَّهْرا
خليليَّ، قُوما فاْحْبِسا طُرُقَ الصَّبا مَخافةَ أن تحْمي[9] بزَفْرتي الحَرَّى
فإنّ الصَّبا ريحٌ عليَّ كريمةٌ بآيةِ ما تَسْري من الجنَّة الصُّغْرى

(١) في الأصل: «أخيّ»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «الأشقّة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) تقدمت قصيدة الرصافي الرائية في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة محمد بن غالب الرصافي ومطلعها: [الطويل]
خليليّ، ما للبيدِ قد عَبِقَتْ نَشْرًا وما لرؤوسِ الرَّكْب قد رجحتْ سُكْرا
(٤) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٥٨ ـ ٦١).
(٥) في الأصل: «هل رسول...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في الأصل: «فينشرا»، والتصويب من النفح. (٧) في النفح: «أزبي».
(٨) في الأصل: «ليسقني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «يحمي».

خليليّ، أغنِيي أرضَ مُرسيةِ المُنى ... ولولا توخّي الصّدق سمّيتُها الكُبرى

محلّيَ بل جوّي الذي عبِقَتْ به ... نواسمُ آدابي مُعطَّرَةً نَشْرا

ووَكْري الذي منه دَرَجْتُ فليتني ... فُجِعْتُ بريش العَزْم كي أَلْزَمَ الوَكْرا

وما روضةُ الخَضْراءِ قد مثّلت بها ... مَجَرَّتُها نهرًا وأنجُمُها زُهْرا

بأَبْهَجَ منها والخليجُ مجرّةٌ ... وقد فَضَحت أزهارَ ساحتها الزُّهرا

وقد أَسْكَرت أزهار[1] أغصانها الصَّبا ... وما كنتُ أعتدُّ الصَّبا قبلَها خَمْرا

هنالك بين الغُصْن والقَطْر والصَّبا ... وزهرِ الرُّبى وَلَّدْتُ آدابيَ الغُرّا

إذا نَظَم الغصنُ الحيا قال خاطري ... تَعَلَّمْ نِظامَ النَّثْر من هٰهنا شِعْرا

وإنْ نَثَرَتْ ريحُ الصَّبا زَهَرَ الرُّبى ... تَعَلَّمْتُ حلَّ الشِّعر أَسْبِكُهُ نثرا

فوائدُ أسحارٍ هناك اقْتَبَسْتُها ... ولم أرَ روضًا غيره يُقْرِئُ السِّحْرا

كأنَّ هَزيزَ الريحِ يمدحُ رَوْضها ... فتملأُ فاه من أزاهرها دُرّا[2]

أيا زَنَقاتِ[3] الحُسْنِ، هل فيك نظرةٌ ... من الجُرُف الأعلى إلى السِّكّة الغرّا؟

فأنْظُرَ من هذِي لتلك كأنما ... أُغَيِّرُ إذ غازَلْتُها أُخْتَها الأُخرى

هي الكاعبُ الحَسْناءُ تُمّمَ حُسْنُها ... وقَدَّتْ لها أوراقُها حُلَلًا خُضْرا

إذا خُطِبَتْ أعطَتْ دراهمَ زَهْرِها ... وما عادةُ الحَسْناءِ أن تَنقُدَ المَهْرا

وقامتْ بِعُرس الأُنس قينةُ أَيْكةٍ[4] ... أغاريدُها تَسْتَرْقِص الغُصُنَ النَّضِرا

فَقُلْ في خليجٍ يلبس الحُوتُ دِرْعَهُ ... ولكنه لا يستطيعُ بها قصرا[5]

إذا ما بَدا فيها الهِلالُ رأيته ... كصفحةِ سيفٍ وَسْمُها قُبعةٌ صَفْرا

وإنْ لاح فيها البدرُ شَبَّهْتَ مَتْنَه ... بسَطْرٍ[6] لجينٍ ضَمَّ من ذهبٍ عشرا

وفي جُرُفَيْ روضٍ هناك تجافيا ... لنهرٍ[7] يودُّ الأفقُ لو زاره فَجْرا

كأنهما خِلّا صفاءٍ تعاتبا ... وقد بكيا من رقّةٍ ذلك النَّهرا

وكم ليَ بالباب الجديد[8] عشيّةً ... من الأُنس ما فيه سوى أنه مَرّا

---

(١) في النفح: «أعطاف».

(٢) رواية عجز البيت في النفح هي:

فتملأُ فاها من أزاهره دُرّا

(٣) في الأصل: «رنقات» بالراء غير المعجمة، والتصويب من النفح. وزنقات الحسن: من متنزهات مرسية.

(٤) في النفح: «أيكها».

(٥) في المصدر نفسه: «نصرًا».

(٦) في المصدر نفسه: «بشطّ».

(٧) في النفح: «بنهر».

(٨) في النفح: «وكم لي بأبيات الحديد...».

عَشايا[١] كأنَّ الدَّهرَ غُصٌ[٢] بحسنها ... فأَجْلت سياط[٣] البرْق أفراسها الشّقرا[٤]

عليهنَّ أُجْري خَيْلَ دمعي بوَجْنَتي ... إذا رَكِبَتْ حُمْرًا ميادينُها الصفرا

أعهديَ بالغَرْس المُنَعَّم دَوْحُه ... سَقَتْكَ دموعي إنها مُزْنة شَكْرى[٥]

فكم فيك مِنْ يوم أغرَّ مُحَجَّلٍ ... تقَضَّتْ أمانيه فَخَلَّدْتُها ذِكْرا

على مُذْنِب كالنحر[٦] من فَرْطِ حُسْنه ... تودُّ الثُّرَيّا أن تكونَ[٧] له نَحْرا

سقت أدمعي والقَطْرُ أيهما انْبَرى ... نقا الرَّملة البيضاء فالنَّهرَ فالجسرا

وإخوان صِدْقٍ لو قضيت حقوقهم ... لما فارَقَتْ عيني وجوهَهُمُ الزُّهْرا

ولو كنت أَقْضِي حَقَّ نفسي ولم أكن ... لما بِتُّ أَسْتَحلي فراقَهُمُ المُرّا

وما اخترْتُ هذا البُعْدَ إلّا ضَرورةً ... وهل تَسْتجير العينُ أن تفقد الشُّفْرا[٨]؟

قضى الله أن يَنْأَى[٩] بي الدهر عنهمُ ... أراد بذاك الله أن أُعْتِبَ الدهرا

ووالله لو نِلْتُ المُنى ما حَمِدْتُها ... وما عادةُ المشْغُوف أن يَحْمَدَ الهَجْرا

أَيأنسُ باللَّذاتِ قلبي ودونهمْ ... مَرام يجدُ الرَّكب[١٠] في طيِّها شهرا؟

ويصحب هادي الليل راءٍ وخُرْقَةً ... وصادًا ونونًا قد تقوّس[١١] واصفرّا

فدَيْتُهُم بانوا وضَنُّوا بِكَتْبِهِم ... فلا خَبَرًا منهمْ لقيتُ ولا خُبْرا

ولولا عُلا هِمّاتهم لَعَتَبْتُهُمْ ... ولكنْ عِرابُ الخيلِ لا تحمل الزَّجْرا

ضربتُ غُبار البِيد في مَهْرق السُّرى ... بحيثُ جعلتُ الليلَ في ضربه حِبْرا

وحقَّقْتُ ذاك الضَّرْب جَمْعًا وعُدَّةً ... وطرحًا وتجميلًا فأخرج لي صفرا

كأنَّ زماني حاسبٌ مُتَعَسِّفٌ ... يُطارحني كَسْرًا، أما يُحْسِنُ الجَبْرا؟

فكم عارفٍ بي وهوَ يَحْسَبُ[١٢] رُتبتي ... فيمدَحُني سِرًّا ويَشْتِمني جَهْرا

---

(١) في الأصل: «عشيات» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٢) في النفح: «غَصٌّ».

(٣) في النفح: «بساط».

(٤) في النفح: «شقرا».

(٥) يقال: عين شَكْرى: أي ملأى من الدمع، ويقال: دَرَّةٌ شَكْرى: أي ملأى من اللبن؛ والمُزْنة الشَّكْرى: الكثيرة المطر. محيط المحيط (شكر).

(٦) في النفح: «كالبحر».

(٧) في النفح: «يكون».

(٨) الشُّفْر: بضم الشين وسكون الفاء: أصل منبت الشعر في طرف العين. لسان العرب (شفر).

(٩) في النفح: «أن تنأى بي الدار...».

(١٠) في النفح: «الكرب».

(١١) في النفح: «تقدس».

(١٢) في النفح: «يحسن».

لذلك ما أعْطَيْتُ نفسيَ حَقَّها ... وقلتُ لِسِرْب الشِّعر: لا تَرُم[1] الفِكْرا[2]
فما بَرِحَتْ فكري عَذارى قصائدي ... ومن خُلُقِ العَذْراءِ أن تألَفَ الخِدْرا
ولستُ وإن طاشَتْ سهامي بآيسٍ ... فإنَّ مع العُذر[3] الذي يُتَّقى يُسْرا

ومن مقطوعاته[4]: [السريع]

يا قَمَرًا مَطْلَعُهُ أضْلُعي ... له سَوادُ القلبِ منها[5] غَسَقْ
وربَّما اسْتَوْقَدَ نارَ الهوى ... فنابَ فيها لونُها عن شَفَقْ
مَلَّكْتَني في[6] دولة مِنْ صِبا ... وصِدْتَني في[7] شَرَكٍ من حَدَقْ
عندِيَ من حُبِّك[8] ما لو سَرَتْ ... في البحر منه شُعْلَةٌ لاحْتَرَقْ

ومن مقطوعاته أيضًا[9]: [الكامل]

قد كان لي قَلْبٌ فلمّا فارقوا ... سَوَّى جَناحًا للغَرام وطارا
وجَرَتْ سَحَابٌ بالدموع[10] فأوقدت ... بين الجوانح لَوْعةً وأُوارا
ومِنَ العجائب أنَّ فَيْضَ مدامعي ... ماءٌ ويُثْمِرُ[11] في ضُلوعيَ نارا

وشعره الرَّمْلُ والقَطْرُ كثرةً، فلنختم له المقطوعات بقوله[12]: [المنسرح]

قالوا وقد طالَ بي مَدى خطئي ... ولم أزلْ في تَجرُّمي ساهي[13]
أعَدَدْتَ شيئًا ترجو النجاة به؟ ... فقلتُ: أعْدَدْتُ رحمةَ اللهِ

نثره: كتب يهنِّىء[14] قاضي الجماعة أبا القاسم بن بَقِيّ من رسالة[15]: لأنّ[16] قدره[17] دام عُمره، وامتِثِل نَهْيُه الشرعي وأمرُه، أعْلَى رتبةً وأكْرَم محلًا، من أن

(١) في الأصل: «لا تهمْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في النفح: «الذكرا». (٣) في النفح: «العسر».
(٤) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٦٢).
(٥) في المصدرين: «فيها». (٦) في معجم الأدباء: «بدولة».
(٧) في معجم الأدباء: «بشرك».
(٨) في الأصل: «حُبيبك»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٩) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٦٢).
(١٠) في المصدرين: «للدموع». (١١) في المعجم: «ماءً يمرُّ وفي...».
(١٢) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٦٢ ـ ٦٣). (١٣) في الأصل: «ساه» والتصويب من النفح.
(١٤) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠ ـ ١٤٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٦٣ ـ ٦٤).
(١٥) في النفح: «برسالة منها».
(١٦) في الأصل: «لان» والتصويب من النفح والذيل والتكملة.
(١٧) في النفح: «محلّه».

يَتَحَلّى بخُطّة هي به تَتَحَلّى. كيف يهنأ بالقعود لسماع دَعْوة[١] الباطل، ولمعاناة[٢] الإنصاف المَمْطُول من الماطل، والتّعب في المعادلة، بين ذوي المجادلة. أما لو عَلِم المُتَشَوّقون[٣] إلى خُطّة الأحكام، المستَشرفون إلى ما لها من التَّبسُّط والاحتِكام، ما يجب لها من اللّوازم، والشروط الجوَازم، كبَسْطِ الكَنَف، ورَفع الجَنَف، والمساواة بين العدوّ وذي الذّنب، والصاحب بالجَنْب، وتقديم ابن السَّبيل، على ذي الرَّحم والقَبِيل، وإيثار الغَريب، على القَريب، والتوسّع في الأخلاق، حتى لِمَنْ ليس له من خَلاق، إلى غير ذلك ممّا عِلْمُ قاضي الجماعة أحصاه، واستعمل لخُلقه[٤] الفاضل أدناه وأقصاه، لَجَعَلوا خُمُولهم مأمولهم، وأضربوا عن ظُهُورهم[٥]، فنبذوه وراء ظُهُورهم[٦]، اللهمّ إلّا مَنْ أوتي بَسْطةً في العِلْم، ورَسا طودًا في ساحة الحِلْم، وتساوى ميزانه في الحرب والسِّلْم، وكان كقاضي الجماعة[٧]، في المماثلة بين أجناس الناس، فقُصاراه أن يتقلّد الأحكام للأجر، لا للتّعسف[٨] والزّجر، ويتولّاها للثواب، لا للغِلْظَة في ردّ الجواب، ويأخذها لِحُسْن الجزاء، لا لقُبح[٩] الاستهزاء، ويلتَزِمُها لجزيل الذُّخر، لا للإزراء والسُّخر. فإذا كان كذلك، وسلك المتوليّ هذا السّالك[١٠]، وكان كقاضي[١١] الجماعة ولا مِثْل له، ونفع الحقُّ به عِلله، ونَقَعَ غُلله، فيومئذ تَهْنأ[١٢] به خُطّة القضاء، ويعرف ما لله عليه[١٣] من اليَد البَيْضاء.

ومحاسنه في النثر أيضًا جمّة.

ومن أخباره[١٤] أنه رحل إلى مرّاكُش متسببًا[١٥] في جهاز بِنْتٍ بَلَغَتْ التّزويج، وقصد دار الإمارة مادحًا، فما تيسّر له شيءٌ من أمله، ففكّر في خيبة قصده، وقال: لو كنت تأمّلتُ[١٦] جهة الله، ومدحتُ المصطفى[١٧] ﷺ، وآل بيته الطاهرين، لَبَلَغْتُ أملي بمحمود عملي. ثم استغفر الله[١٨] في توجُّهه الأول، وعلم أن ليس على غير

(١) في المصدرين: «دعاوى».

(٢) في المصدرين: «والمعاناة لإنصاف».

(٣) في المصدرين: «المتشوفون».

(٤) في المصدرين: «خُلُقه».

(٥) الظهور: مصدر ظهر أي بدا.

(٦) الظهور: جمع ظهر.

(٧) في النفح: «وكان كمولانا».

(٨) في المصدرين: «لا للتعنيف».

(٩) في النفح: «القبيح».

(١٠) في المصدرين: «هذه المسالك».

(١١) في الذيل: «مثل قاضي». وفي النفح: «وكان قاضي».

(١٢) في المصدرين: «تُهَنّى».

(١٣) في الذيل: «وتعرف بما لله عليه...». وفي النفح: «وتعرف ما لله تعالى عليه...».

(١٤) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٦٤).

(١٥) كلمة «متسببًا» ساقطة في النفح.

(١٦) في النفح: «أمّلت الله سبحانه».

(١٧) في النفح: «نبيّه».

(١٨) في النفح: «الله من اعتماده في...».

الثاني من[١] مُعَوَّل، فلم يكن إلّا أن صوّب نحو هذا القصد سَهمه، وأمضى فيه عَزمه، وإذا به قد وُجِّه عنه، وأدخل[٢] على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصحًا به، فأنفذه وزاده عليه، وأخبره أنّ ذلك لرؤيا رسول الله ﷺ، في النّوم يأمره[٣] بقضاء حاجته. فانفصل مُوفَّى الأغراض، واستمرّ في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك[٤].

وفاته: سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسنُّه دون الأربعين سنة، وصلّى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدِّين[٥] والفضل، رحمة الله عليه، وتلقيت من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد الله بن صَناديد بمدينة جيّان، حسبما يظهر من عُجالته، من غير تحقيق لذلك.

صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النَّفزي[٦]

من أهل رُنْدة، يكنى أبا الطَّيِّب.

حاله: قال ابن الزُّبير: شاعر مُجيدٌ في المدح والغَزَل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرائض. نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصائد زُهدية، وجزءٌ على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدودًا في أهل الخير، وذوي الفضل والدِّين. تكرّر لقائي إياه، وقد أقام بمالقة أشهرًا، أيام إقرائي. وكان لا يفارق مجالس إقرائي، وأنشدني كثيرًا من شعره.

وقال ابن عبد الملك[٧]: كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التَّصرُّف في مَنْظُوم الكلام ومَنْثُوره، فقيهًا حافظًا، فَرَضِيًا، متفنّنًا في معارف شتى[٨]، نبيل المقاصد[٩]، متواضعًا، مقتصدًا في أحواله. وله مقامات بديعة في أغراض شتّى، وكلامه، نظمًا ونثْرًا، مُدوّن.

---

(١) كلمة «من» ساقطة من النفح.
(٢) في النفح: «فأُدخل».
(٣) في النفح: «يأمر».
(٤) في النفح: «بذلك».
(٥) في النفح: «من الفضل والدين».
(٦) ترجمة صالح بن يزيد النفزي في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٦) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٤٣).
(٧) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧).
(٨) في الذيل والتكملة: «جليلة».
(٩) في المصدر نفسه: «المنازع».

مشيخته: روى[١] عن آباءِ الحسن: أبيه، والدبّاج، وابن الفخّار الشّريشي، وابن قُطْرال، وأبي الحسن بن زَرْقُون، وأبي القاسم ابن الجَدّ[٢].

تواليفه: ألّف جزءًا على حديث جبريل، وتَصْنيفًا في الفَرائض وأعمالها، وآخر في العَرُوض، وآخر في صَنْعة الشعر سماه «الوافي[٣]، في عِلم القوافي».

وله كتاب كبير سماه «رَوْضَةُ الأُنس، ونُزْهة النَّفس».

دخوله غرناطة: وكان كثير الوِفادة على غرناطة، والتردُّد إليها، يَسْتَرفِد ملوكها، ويُنْشِد أمراءها، والقصيدة التي أوّلها: «أواصِلتي يومًا وهاجِرتي ألْفا»[٤]، أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللَّوشي أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه الله، وقد أوعز إليه ألّا يخرج عن بعض بساتين المُلْك حتى يُكملها في معارضة محمد بن هاني الإلبيري.

شعره: وهو كثير، سهل المَأخذ، عذب اللفظ، رائقُ المعنى، غيرُ مُؤْثِر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه الله، في غرض المدح من السُّلطانيات[٥]: [الوافر]

سَرى والحُبُّ أمْرٌ لا يُرامُ ... وقد أغْرى به الشَّوقَ الغرامُ[٦]
وأَغْفَى أهلها إلّا وُشاة ... إذا نام الحوادثُ لا تَنامُ
وما أَخْفاه[٧] بين القوم إلّا ... ضَنًى ولربما[٨] نَفَعَ السَّقامُ
فنال بها على قَدْرٍ مُناه ... وبين القَبْض والبَسْط القِوام
وأشهى الوَصْلِ ما كان اخْتِلاسا ... وخَيرُ الحُبِّ ما فيه اخْتِتام
وما أَحْلَى الوِصال لو أنّ شَيئا ... من الدُّنيا لِلَذّته دَوامُ
بكيتُ من الفِراق بغير أرضي ... وقد يَبْكي الغَريبُ المُسْتهامُ
أعاذِلتي، وقد فارقْتُ إلْفِي ... أَمِثْلي في صَبابَتِه يُلام؟
أأفْقِدُه فلا أبكي عليه؟ ... يكون أرقّ من قلبي الحِمام
أأنساه فأَحْسَبه كصبري ... وهل يُنْسى لمحبوب ذِمام؟

---

(١) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧). (٢) في الذيل والتكملة: «ابن الجد التونسي».
(٣) في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧): «الكافي».
(٤) سيرد من هذه القصيدة بعد قليل ستة أبيات.
(٥) بعض أبيات هذه القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).
(٦) في الأصل: «والغرام»، وكذا ينكسر الوزن.
(٧) في الأصل: «أخفاه» وكذا ينكسر الوزن. (٨) في الأصل: «وربما»، وكذا ينكسر الوزن.

رُوَيدًا، إنّ بعض اللّوم لومٌ ... ومثلي لا يُنَهْنِهُهُ الملام
ويوم نوًى وضعتُ الكفّ فيه ... على قَلْبٍ يطير به الهيام
ولولا أنْ سَفَحْتُ به جفونًا ... تفيض دَمًا لأخرقها الضّرام[1]
وليلٍ بتُّه[2] كالدّهر طولًا ... تَنَكَّرَ لي وعَرَّفَهُ التّمام
كأنّ سماءه[3] زَهْرٌ[4] تجلّى ... بزَهْر الزُّهْر والشَّرْق[5] الكِمام
كأنّ البَدْرَ تحت الغَيْم وَجْهٌ ... عليه من مَلاحته لِثام
كأنّ الكوكبَ الدُّرّيّ كأسٌ ... وقد رَقّ الزُّجاجةُ والمُدام
كأنّ سُطور أفلاك الدّراري ... قِسيٌّ والرُّجوم لها سِهام
كأنّ مَدارَ قُطْبِ بَناتِ نَعْشٍ ... نَدِيٌّ والنجومُ به نِدام
كأنّ بَناتِهِ الكُبْرى جَوارٍ ... جَوارٍ والسُّهى فيها غُلام
كأنّ بناته الصُّغرى جُمانٌ ... على لَبّاتِها منها[6] نِظام
كواكبُ بِتُّ أرْعاهُنّ حتى ... كأنّي عاشقٌ وهي الذِّمام
إلى أن مَزّقَتْ كَفُّ الثُّريّا ... جيوبَ الأُفْقِ وانْجابَ الظّلامُ
فما خِلْتُ انْصِداعَ الفَجْر إلّا ... قِرابًا يُنْتضى منه حُسامُ
وما شَبَّهتُ وَجْهَ الشمس إلّا ... لوجهك[7] أيها الملكُ الهُمام
وإنْ شَبَّهْتُهُ بالبَدْر يومًا ... فللبَدْرِ الملاحةُ والتّمام
تَهَلّلَ منه حُسْنُ الدهر حتى ... كأنّك في مُحيّاه ابتسام
وعَرّف ما تنكّر من معالٍ ... كأنّك لاسْمِها أَلِفٌ ولام
ومِلءُ العين منك جَلال مولًى ... صنائعُهُ كَغُرّته وسام
إذا ما قِيل في يده غَمام ... فقد بَخَسَتْ وقد خُدع الغمام
وحَشْوُ الدِّرْع أرْوَعُ غالِبيٌّ ... يُراعُ بذِكْره الجيشُ اللُّهام
إذا ما سَلّ سَيْفَ العزم يوما ... على أمرٍ فسَلِّمْ يا سَلام

---

(١) الأبيات التي تلي هذا البيت وعددها ثلاثة عشر، في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).
(٢) في الذيل والتكملة: «صبابة».
(٣) في الأصل: «سماه»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.
(٤) في الذيل والتكملة: «روض».
(٥) في الأصل: «والشوق» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٦) في الذيل والتكملة: «منه».
(٧) في الأصل: «بوجهك» والتصويب من الذيل والتكملة.

تناهى مَجْدُه كَرَمًا وبأسًا فما يدري أَمَحْيًا أم حِمام
نَمَتْهُ للمكارم والمعالي سُراةٌ من بَني نَصْرٍ كرام
هُمُ الأنصار هُمْ نَصَرُوا وآوَوا ولولا المِسْكُ ما طاب الخِتام
وهُمْ قادُوا الجيوش لكلِّ فَتْح ولولا الجَدُّ ما قَطع الحُسام
وهُمْ مَنحوا الجزيرة من حِماهمْ جِوارًا لا يُذمُّ ولا يُضام
فمن حَرْبٍ تشيب له النَّواصي وسَلْم تَحِيَّتُه سلام
بِسَعْدك، يا محمدُ، عزُّ دين له بعد[1] الإله بك اعتصام
وباسمك تمّ للإسلام سَلْمٌ وغِبُّ السِّلْم نَصْرٌ مُسْتدام
وكان مَرَامُه صَعْبًا ولكنْ بحمد الله قد سَهُلَ المرام
أدام الله أَمْرَكَ من أمير ففيه لكل مَكْرُمَةٍ دوام
وأنت العُروة الوُثْقى تماما وما للعُروة الوُثْقى انفصام
وروحٌ أنت والجسم المعالي ومعنًى أنت واللَّفظُ[2] الأنام
إذا ما ضاقت الدنيا بحُرٍّ كفاه لَثْمُ كفِّك والسلام

ومن شعره أيضًا: [الطويل]

أواصلتي يومًا وهاجرتي ألْفَا وصالُكِ ما أحْلَى وهَجْرُكِ ما أجْفا!
ومن عجبٍ للطَّيف أنْ جاءَ واهتدى فعاد عليلاً عاد كالطَّيف أم أخْفى
فيا سائرًا، لولا التخيُّل ما سَرى ويا شاهدًا، لولا التعلُّل ما أغفى
ألمّ فأحياني وولّى فراعني ولم أرَ أجْفَى منك طبعًا ولا أشْفى
بعَيْنَي شكواي لِلْغَرام وتيهه إلى أن تثنّى عَطْفُه فانثنى عَطْفا
فعانقْتُه شوقًا وقَبَّلْتُه هَوًى ولا قُبْلَةٌ تكفي ولا لوعةٌ تَطْفا

ومن نزعاته العجيبة قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره: [البسيط]

يا طَلْعَة الشمس إلّا أنه قمرٌ أمّا هواك فلا يُبْقي ولا يَذَرُ
كيف التخلُّص من عَيْنَيك لي ومتى وفيهما القاتلان الغَنَجُ والحَوَرُ
وكيف يُسْلي فؤادي عن صَبابته ولو نَهى النّاهِيانِ الشَّيْبُ والكِبَرُ
أنت المُنى والمنايا فيك قد جُمِعَتْ وعندك الحالتانِ النَّفْعُ والضَّرَرُ

(١) في الأصل: «بعده»، وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.
(٢) في الأصل: «ولِلَّفظ»، وكذا لا يستقيم الوزن، ولا معنى له.

ولي من الشوق ما لا دَواءَ له ... ومنك لي الشافيانِ القُرْبُ والنَّظر
وفي وِصالك ما أُبقي به رَمَقي ... لو ساعد المُسْعِدانِ الذِّكْرُ والقَدَرُ
وكان طَيْفُ خيالٍ منك يُقْنعني ... لو يذهب المانِعانِ الدَّمْعُ والسَّهَرُ
يا نابيًا، لم يكن إلّا ليملكني ... من بعده المُهْلكانِ الغَمُّ والغيرُ
ما غِبْتَ إلّا وغاب الجِنْسُ أجْمَعُه ... واستوحش المُؤنسانِ السَّمْعُ والبَصَرُ
بما تُكِنُّ ضلوعي في هواك بمن ... يعنو له السَّاجدانِ النَّجْمُ والشجر
أدرك بقيّة نفسٍ لست مُدرِكَها ... إذا مضى الهادِيانِ العَيْنُ والأثَرُ
ودُلَّ حَيْرة مهجور بلا سبب ... يبكي له القاسيانِ الدَّهْرُ والحَجَرُ
وإنْ أَبَيْتَ فلي من ليس يُسلمني ... إذا نبا المُذْهبانِ الوِرْدُ والصَّدَرُ
مؤيِّدًا لمَلِك بالآراءِ يُحْكِمُها ... في ضمنها المُبْهِجانِ اليُمْنُ والظَّفَرُ
من كالأمير أبي عبد الإله إذا ما ... خانتِ القَدمانِ البِيضُ والسُّمُر
الواهب الخيل آلافا وفارسها ... إذا استوى المُهْطِعانِ الضَّرُّ والصَّبَر
والمُشْبِه اللَّيث في بأس وفي خَطَرٍ ... ونِعْمَت الحِلْيتانِ البأسُ والخَفَر
تأمَّن الناس في أيامه ومشوا ... كما مَشَى الصَّاحبان الشاةُ والنَّمرُ
وزال ما كان من خوفٍ ومن حذرٍ ... فما يُرى الدَّايلانِ الخوفُ والحَذَرُ
رأيتُ منه الذي كنتُ أسمعه ... وحبَّذا الطَّيِّبانِ الخَبْرُ والخُبرُ
ما شئت من شيم عُليا ومن شيم ... كأنها الرَّائقان الطَّلُّ والزَّهَرُ
وما أردْتَ من إحسان ومن كرم ... يُنسى به الأجْوَدان البَحْرُ والمطرُ
وغُرَّة يتلألأ من سماحتها ... كأنها النَّيِّران الشمسُ والقَمَرُ
إيهٍ، فلولا دواعٍ من محبّته ... لم يَسْهُل الأصْعَبانِ البَيْنُ والخطر
نأيتُ عنه اضطرارًا ثم عُدْتُ له ... كما اقتضى المُبْرمانِ الحِلُّ والسَّفَرُ
فإن قضى الله أن يَقْضي به أملي ... فحسْبي المُخْصِبانِ الظِّلُّ والثَّمَرُ
ولست أبْعُد إذْ والحال مُتَّسع ... أن يُبْلَغ الغائبانِ السُّؤْلُ والوَطَر

ومن شعره في أغراض متعددة، قال في الليل والسَّهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلي الكَمَدُ ... فالدهر عندي سَرْمَدُ
وما أظنُّ أنه ... لليلةِ الهَجْرِ غَدُ
يا نائمًا عن لَوْعتي ... عُوفيتَ ممّا أجِدُ
ارْقُدْ هَنِيًّا إنّني ... لا أستطيعُ أرْقُدُ
لواعجَ ما تَنْطفي ... وأدْمُعَ تَضطرد

وكبدي كَبْد الهوى وأين مني الكبد؟
ولا تَسَلْ عن جَلَدي والله ما لي جَلَد

ومن شعره أيضًا في المقطوعات: [السريع]

وليلة قُصِّر من طولها بزَوْرَةٍ من رشًا نافِرْ
استوفر الدهرُ بها غالطًا فأُدْغم الأوّل والآخر

وقال من قصيدة مُغْربة في الإحسان[1]: [السريع]

وليلةٍ نَبَّهتُ أجفانَها والفَجْرُ قد فَجّرَ نَهْرَ النهارْ
والليلُ كالمهزُوم يوم[2] الوغا والشُّهبُ مثلُ الشُّهْب[3] عند الفرارْ
كأنما اسْتَخْفى السُّها خيفَةً وطُولبَ النَّجمُ بثَأرٍ فثارْ
لذاك ما شابت نواصي الدُّجى وطارَحَ النَّسر أخاه فطارْ
وفي الثُّريّا قمرٌ سافر عن غرَّة غَيَّرَ منها الشّفارْ[4]
كأنَّ عنقودًا بها ماثلٌ[5] إذ صار كالعُرْجُون عند السِّرارْ
كأنها تَسْبكُ ديناره وكَفُّها تَفتل منه سوار[6]
كأنما الظُّلماءُ مظلومةٌ تحكَّمَ الفَجرُ عليها فجارْ
كأنما الصُّبح لمشتاقِهِ إقبالُ دُنيا[7] بَعْدَ ذُلّ افتِقارْ
كأنما الشمسُ وقد أشرقتْ وَجْهُ أبي عبد الإله استنارْ

وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك: [البسيط]

البحر أعظمُ مما أنت تَحْسَبه من لم ير البحر يومًا ما رأى عجبا
طامٍ له حَبَبٌ طافٍ على زَوْرق مثلُ السماءِ إذا ما ملئت شُهُبا

وقال في وصف نهر: [الطويل]

وأزرقَ مَحفوفٍ بزهْرٍ كأنّه نجومٌ بأكنافِ المجرّة تَزْهَرُ
يسيل على مِثْل الجُمان مُسَلسلا كما سُلّ عن غِمْدٍ حُسام مُجَوْهَرُ

---

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٦ ص ٢٤٦).
(٢) في الأصل: «في يوم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) الشهب: جمع أشهب وهو الجواد الذي يخالط بياضَهُ سوادٌ. لسان العرب (شهب).
(٤) في النفح: «السفار».
(٥) في النفح: «... عنقودًا تَدَلّى به».
(٦) في النفح: «السوار».
(٧) في النفح: «عِزُّ غِنًى من بعد...».

وقد صافح الأدواح من صَفَحاته وحتى[1] حبابٍ بالنَّسيم مُكَسَّر
فما كان في عَطْف الخليج قُلامة وما كان في وجه الغدير فَمُغْفَرْ

وفي العقل والتَّغرُّب: [السريع]

ما أَحْسَنَ العَقْلَ وآثارَهُ لو لازَم الإنسانَ إيثارَهُ
يصُون بالعقل الفتى نفسه كما يصوم الحُرُّ أَسْرارَهُ
لا سيما إن كان في غُرْبة يحتاج أن يُعْرَفَ مِقدارُهُ

ومن وصفه الجيش والسلاح: [الكامل]

وكتيبة بالدَّارعين كثيفة جَرَّتْ ذيولَ الجَحْفَلِ الجرّارِ
روضُ المنايا بينها القُضْب التي زُفَّتْ بها الرّايات كالأزهار
فيها الكُماة بنو الكُماة كأنهمْ أُسْدُ الشَّرى بين القنا الخَطّار
مُتهلّلين لدى اللّقاءِ كَأنهمْ خُلِقَتْ وُجوهُهُمُ من الأقمارِ
من كلِّ ليثٍ فوق بَرْقٍ خاطفٍ بيمينه قَدَرٌ من الأقدار
من كلِّ ماضٍ قد تَقَلَّد مثله فيصُبُّ آجالًا على الأعمار
لبسوا القلوب على الدروع وأسرعوا لأكُفِّهم نارًا لأهل النار
وتقدّموا ولهمْ على أعدائهم حُنقُ العِدا وحميَّةُ الأنصار
فارتاع ناقوس بخلع لِسانه ويكي الصَّليب لِذلَّة الكُفّار
ثم انثنوا عنه وعن عُبّاده و قد أصبحوا خَبَرًا من الأخبار

وفي السَّيف: [البسيط]

وأبيضٍ صِيغَ مِنْ ماءٍ ومن لَهَبٍ على اعتدالٍ فلم يَخْمُدْ ولم يَسِلِ
ماضي الغِرار يهاب العُمْرُ صَوْلَتَهُ كأنما هو مَطْبوع من الأجل
أبهى من الوَصْل بعد الهَجْر مَنْظَرُهُ حُسْنًا وأَقْطعُ من دَيْنٍ على مَلَلِ[2]
وأسمرٍ ظَنَّ أنَّ[3] ما كل سابِغة فخاضَ كالأَيْم يَسْتَشْفي من النَّهَل
هام الكماة به حُبًا ولا عَجَبٌ من لوعةٍ بمليح القَدِّ مُعتدل
إذا الطَّعِينُ تَلَقّاه وأزعَفه حَسِبْتَهُ عاشقًا يبكي على طَلَل

(١) في الأصل: «حتى»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «مال».
(٣) كلمة «أنّ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

ومن ذلك قوله في وصف قوس: [الوافر]

تنكَّبها كحاجبه وسوَّى ... بأهداب الجُفون لها نِبالا
فلم أرَ قَبْلَهُ بَدْرًا منيرا ... تَحَمَّلَ فوق عاتِقه هِلالا

ومن ذلك قوله في وصف قلم: [المتقارب]

وأصْفَرَ كالصَّبِّ في رَوْنق ... تظنُّ به الحُبَّ ممن نَحَلْ
بديع الصِّفات حديد الشَّبات ... يطُول الرِّماح وإن لم يَطُلْ
يُعَبِّرُ عمَّا وراءَ الضمير ... ويفعل فِعْلَ[1] الظُّبا والذُّبَلْ

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السَّيفُ فيما قيل والقَلَمُ ... والفَضْلُ بينهما لا شَكَّ مُنْفَهِمُ
كلاهما شَرَفٌ للهِ[2] دَرُّهما ... وحَبَّذَ الخُطَّتانِ الحُكْمُ والحَكَمُ

ومن ذلك قوله في سكِّين الدواة: [الخفيف]

أنا صَمْصامةُ الكتابة ما لي ... من شَبيه في المُرْهَفات الرِّقاقِ
فكأنِّي في الحُسْن يوم وِصال ... وكأنِّي في القَطْع يوم فِراقِ

ومن ذلك قوله في المِقَصِّ: [الوافر]

ومُعْتَنِقين ما اشتهرا بعِشْقٍ ... وإنْ وُصِفا بِضَمٍّ واعتناقِ
لعَمْرُ أبيك ما اعتنقا لمعنًى ... سوى معنى القَطِيعةِ والفِراقِ

ومن ذلك قوله في الوَرْد: [مخلع البسيط]

الوَرْدُ سلطان كلِّ زَهْرٍ ... لو أنَّه دائم الوُرودِ
بعد خدود المِلاح شيء ... ما أشْبَهَ الورد بالخُدودِ

ومن ذلك قوله في الخِيْرِيّ: [السريع]

وأزرق كمثل السماءِ ... فيه لمن ينظر سِرٌّ عجيبْ
شحٌّ مع الصُّبْح بأنفاسه ... كأنما الصُّبْحُ عليه رقيبْ
وباح بالليل بأسراره ... لمَّا رأى اللَّيل نهارَ الأريبْ

---

(١) في الأصل: «ما فَعَلَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «شرّف الله» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن ذلك قوله في الرَّيحان: [الوافر]

وأخضرَ فُسْتُقيِّ اللونِ غَضٍّ يرُوق بحسن مَنْظَره العُيونا
أغار على التُّرُنْج وقد حكاه وزاد على اسمه أَلِفًا ونونا

وقال من جملة قصائده المُطَوَّلات التي تفنَّن فيها، رحمه الله: [الطويل]

وغانية يُغْني عن العُود صوتُها وجارية تَسْقي وساقية تَجْري
بحيث يجُرُّ النهر ذيل مجرَّةٍ يرفُّ على حافاتها الزُّهرِ كالزُّهْر
وقد هَزَّتِ الأرواح خضر كتائب بألْوِية بيضٍ على أَسَلٍ سُمْر
رمى قُزَحٌ نبْلًا إليها فَجُرِّدَتْ سيوفٌ سواقيها على دارع النَّهْر
وهبَّت صَبا نَجْدٍ فَجَرَّتْ غلائلا تُجَفِّفُ دَمْعَ الطَّلِّ عن وَجْنة الزَّهْر
كأنَّ بصَفْح الرَّوض وَشْيَ صحيفة وكالأَلِفات القُضْبُ والطِّرْسُ كالتِّبْر
كأنَّ به الأُقْحوان خواتِمًا مُفَضَّضَةً فيها فُصُوصٌ من التِّبْر
كأنَّ به النَّرجس الغَضَّ أَعْيا تُرقْرِق في أَجفانها أَدْمُعَ القَطْر
كأنَّ شَذا الخَيْرِيّ زَوْرةُ عاشقٍ يَرَى أنَّ جُنْحَ اللَّيلِ أكْتَمُ للسِّرّ

وقال في وصف الرُّمان: [البسيط]

لله رُمّانةٌ قد راق مَنْظَرُها فَمِثْلُها ببديع الحسن مَنْعُوتُ
القِشْرُ حَقٌّ لها قد ضَمَّ داخله والشَّحْمُ قُطْنٌ لها[١] والحَبُّ ياقوتُ

ومن ذلك قوله في الجزر: [البسيط]

انظرْ إلى جَزَرٍ[٢] في اللون مختلفٍ البعض من سَبَجٍ والبعضُ من ذهبِ
إن قلتَ: قَضْبٌ فَقُلْ: قَضْبٌ بلا زهرٍ أو قلتَ: شمعٌ فَقُلْ: شَمْعٌ بلا لَهَبِ

وفي الاغتراب وما يتعلّق به مما يقرب من المطولات: [الوافر]

غريبٌ كلَّما يَلْقى غريبٌ فلا وطنٌ لديه ولا حَبيبُ
تَذَكَّرَ أَصْلَهُ فبكى اشتياقا وليس غريبًا أن يبكي غريبُ
ومما هاج أشواقي حديثٌ جَرى فجرى له الدَّمْعُ السَّكُوبُ

---

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «جَذْرٍ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ذَكَرْتُ به الشَّبابَ فَشَقَّ قلبي ... ألم تَر كيف تَنْشَقُّ القلوبُ؟
على زمن الصِّبا فليَبْكِ مِثلي ... فما زمن الصِّبا إلّا عجيبُ
جَهِلْتُ شَبِيبتي حتى تَوَلَّتْ ... وقَدْرُ الشيءِ يُعْرَفُ إذ يَغيبُ
ألا ذَكَر الإلهُ بكل خير ... بلادًا لا يَضيع بها أديب
بلادٌ ماؤها عَذْبٌ زُلال ... وريحُ هوائها مِسْكٌ رطيب
بها قلبي الذي قلبي المُعَنَّى ... يكاد من الحنين له يذوب
رُزِقْتُ الصَّبْرَ بلينِ أبي وأُمي ... كلانا بعد صاحبه كئيب
ألا فتَوَخَّ بَعْدي مَنْ أُؤاخي ... ودَعْ ما لا يُريب لما يُريب
ولا تَحْكُمْ بأول ما تراه ... فإنَّ الفجر أوله كَذوب
ألا إنّا خُلِقْنا في زمان ... يَشيب بهوله من لا يشيب
وقد لَذَّ الحِمام وطاب عندي ... وعَيْشي لا يلذُّ ولا يطيب
لحَى الله الضَّرورة فَهْيَ بَلْوى ... تهين الحرَّ والبلوى ضُروب
رأيت المال يَسْتُر كلَّ عَيْب ... ولا تَخْفى مع الفقر العُيوب
وفَقْدُ المال في التَّحقيق عندي ... كفقد الرُّوح ذا مِن ذا قريب
وقد أجْهَدْتُ نفسي في اجتهاد ... وما أنَّ كلَّ مُجتهِدٍ مُصيب
وقد تَجْري الأمورُ على قياس ... ولو تجري لعاش بها اللَّبيب
كأنَّ العقل للدُّنيا عدُوٌّ ... فما يَقضي بها أَرَبًا أريب
إذا لم يُرْزَقِ الإنسانُ بَخْتًا ... فما حَسَناتُهُ إلّا ذنوب

ومن نسيبه قوله في بادرة من حمّام: [الكامل]

بَرَزَتْ من الحمّام تمسح وجهها ... عن مثل ماءِ الورد بالعُنّابِ
والماءُ يقطر من ذوائب شعرها ... كالطَّل يسقط من جَناح غُرابِ
فكأنها الشمس المنيرة في الضُّحى ... طَلَعَتْ علينا من خلال سحابِ

ومن مقطوعاته أيضًا قوله: [الكامل]

ومُتَيَّم لو كان صَوَّرَ نفسه ... ما زادها شيئًا سوى الإشفاقِ
ما كان يرضى بالصُّدود وإنّما ... كَثُرَتْ عليه مسائلُ العُشّاقِ

وقال: [مخلع البسيط]

وافى وَقَدْ زانَهُ جمالٌ ... فيه لعشّاقه اعتذارُ

ثلاثة ما لها مثالٌ: الوَجْهُ والخَدُّ والعِذارُ
فمن رآه رأى رِياضا: الورد والآس والبَهارُ

ومن ذلك قوله في ذمّ إخوة السوءِ: [الكامل]

ليس الأخوّةُ(١) باللّسان أُخُوّةً فإذا تُراد أُخُوّتي لا تنفعُ
لا أنت في الدُّنيا تُفرِّجُ كَرْبَهُ عنّي ولا يومُ القيامةِ تَشفَعُ

وقال كذلك: [الكامل]

ولقد عَرَفْتُ الدَّهْرَ حين خَبَرْتُهُ وبَلَوْتُ بالحاجات أهلَ زمانِ
فإذا الأُخُوَّةُ باللسانِ كثيرةٌ وإذا الدَّراهمُ مَيْلَقُ الإخوانِ

ومن ذلك قوله في ثقيل: [المتقارب]

تزلزلتِ الأرضُ زِلْزالها فقلْتُ لسكانها: ما لها؟
فقالوا: أتانا أبو عامر فأخرجتِ الأرضُ أثقالها

ومن ذلك قوله في الصَّبر: [السريع]

الدهر لا يُبْقي على حالة لكنه يُقبل أو يُدبِرُ
فإنْ تلقّاك بمكروهه فاصْبِرْ فإنّ الدَّهْرَ لا يصبرُ

ومن ذلك قوله في الموت: [السريع]

الموت سِرُّ الله في خَلْقِهِ وحِكْمَةٌ دَلَّتْ على قَهْرِه
ما أصْعَبَ الموتَ وما بَعْدَهُ لو فَكَّرَ الإنسان في أمْرِه
أيام طاعات الفتى وحدها هي التي تُحسب من عُمْرِه
لا تُلْهِكَ الدنيا ولذّاتها عن نَهْي مولاك ولا أمْرِه
وانظُرْ إلى من مَلَكَ الأرضَ هل صَحَّ له منها سوى قَبْرِه؟

نثره: قال في كتاب «روْضة الأنس» ما نصُّه:

«ويتعلّق بهذا الباب ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرذعي، من أهل بلدنا، أعزّه الله: أُخبرك بعُجاب، إذ لا سرّ دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدّم إليك أن لا تعجل باللوم إليّ، قبل عِلْم ما لديَّ، فإنّ الدهر أخدعُ من كفّة الحابل،

(١) في الأصل: «الإخوة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وقَلْبُ الإنسان للآفات قابل. مشيتُ يومًا إلى سوق الرَّقيق، لأخْذِ حقّ فؤاد عتيق، فرأيت بها جارية عَسْجدِية اللون، حديثة عهد بالصَّون، متمايلة القدِّ، قائمة النَّهْد، بلَحْظ قد أوتي من السِّحْر أوفر حظّ، وفَم كشَرطة رُشحت بِدم، داخله سِمطان لولاهما ما عُرف النَّظْم، ولا حُكم على الدُّر للعظْم، في صدْغها لامانِ ما خطَّ شكلَهما قلم، ولا قصّ مثلهما حلم. لها جيدٌ تتمنّاه الغيد، وخَصْر هو قبضة الكفّ في الحَصْر، ورِدف يَظْلمه من يُشبه به بالحِقْف، ويدان خُلقا للوشْي، وقدمان أُهلَتا للّثم لا للمشْي، فتطاولت إليه الأعناق، وبُذلت فيها الأعلاق، والمياسير عليها مُغرم في القوم، وتسوّم أهل السَّوم، وكل فيها يزيد، ليبلغ ما يريد، إلى أن جاء فتًى صادقٌ في حبِّه، لا يبالي بفساد ماله في صلاح قَلْبه، فعدَّ المال عدًّا، ولم يجد غيره من التسليم بُدًّا. فلمّا فاتَتْني، تركتُ الأشواق وأَتَتْني، وانتَقضت عزائم صبْري فما أَتَتْني، فالله الله، تداركْ أخاك سريعًا، قبل أن تُلْفيه من الوجْد صريعًا، واستَنْزله خادمًا، قبل أن تُصبح عليه نادمًا، ولن أحتاج أن أصفها إليك، مع ما قَصصْته عليك، وقد أهديتها دُرَرًا، فَخُذْها على جهة الفكاهة والدُّعابة: [الوافر]

ولا تُـطْـلِـعْ أخـا جَـهْـلٍ عـلـيـهـا ... فـمـن لـم يَـدْرِ قَـدْرَ الشـيء عـابَـهْ

فأجبته: نعم نعم، أنعم الله بالك، وسنى آمالك، أنا بحول الله أرتادُ لك من نحو هاتِيك، ما يُسْليك ويؤاتيك، وإلاّ فبِيضًا كاللُّجين، هل القلب والعين، زهرة غُصْن في روْضة حُسن، ذات ذَوائب، كأنها الليل على نهار، أو بنَفْسِج في بَهار. لها وجه أبْهى من الغِنا، وأشهى من نَيْل المنى، فيه حاجبان كأنهما قَوْس صُنعت من السَّبج، ورُصّعت بعاج من البلج، على عينين ساحرتين، بالعقل ساخِرتين، بهما تُصاب الكُبُود، وتُشَقُّ القلوب قبل الجُلود، إلى فم كأنّه خِتام مِسْك، على نِظام سِلْك، سقاه الحُسن رَحِيقه، فأَنْبَتَت دُرَرَه وعَقِيقه، وجيدِ في الحسن وحيد على صَدْر كأنه من مرمر، فيه حُقّتا عاج طوِّقتا بعَنْبر، قد خُلقتا للعَضّ، في جسم غَضّ، له خَصْر مُدْمَج، ورِدفه يتموّج، وأطراف كالعَنَم، رُقمت رَقْم القلم، من اللائي شَهِدْن ابن المؤمَّل، وقال في مثلها الأول، إن هي تاهَتْ فمثلها تاها، أو هي باهَت فمثلها باها، من أين للغُصْن مثل قامتها أو أين للبدر مثل مَرْآها، ما فَعَلت في العقول صابية ما فَعَلت في العقول عيناها، تَمْلِكُني بالهوى وأَمْلِكُها، فهأنا عَبْدُها ومولاها، فأيُّهما لست بذلتُ فيه الجُهد، وأرْقَيت للمجد والوُدّ إن شاء الله تعالى. وأنا فيما عَرَض لسيدي، حَفِظه الله، على ما يُحبّ، أعذِرُه ولا أعذِلُه، وأنصُره ولا أخذله، لكنني أقول كما قال بعض الحكماء: لا ينبغي لمن قَلْبُه رقيق، أن يدخل سوق الرَّقيق، إلاّ أن يكون قد جمع بين المال، والجمال يتنافس في العالي،

ويسترخص بالثمن الغالي، ولا يُبالي بما قال الأئمة، إذا وجد مَن يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاعُ المُحِبِّ بالمال إذ[1] لم يتوصَّلْ به لوصلِ الحبيبِ
إنما ينبغي بحكم الهوى أنْ يُنْفَقَ المالُ في صلاحِ القلوبِ

والسلام على سيدي، ما كانت الفكاهة من شأن الوَفاء، والمداعبة من شِيم الظُّرفاء، ورحمة الله وبركاته.

مولده: ولد في محرم سنة إحدى وستمائة.

وفاته: توفي في عام أربعة وثمانين وستمائة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال: أنشدني الشيخ الرَّاوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان المنتشافري، قال: أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن الحُقالة، قال: أنشدني الأديب أبو الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن شريف الرُّندي لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليليّ، بالودِّ الذي بيننا اجعلا إذا متُّ قبري عُرْضَةً للتَّرحُّمِ
عسى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فإني محتاج لدَعْوة مُسلم

حرف العين

من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي الرئيس أبو محمد بن إشقيلولة

أوليته: قد مرَّ شيءٌ من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحٰق أبيه.

حاله: كان أميرًا شَهْمًا، مضطلعًا بالقضية، شهير المواقف، أبيّ النفس، عالي العمة. انْتَزَى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله[2]، وكان أمْلَكَ لما بيده من مدينة وادي آش وما إليها، مُعزَّزًا بأخيه الرئيس أبي الحسن مُظاهِره في الأمر، ومُشاركه في

(١) في الأصل: «إذا» وكذا يتكسر الوزن.

(٢) الغالب بالله: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة؛ حكم غرناطة من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٤٢).

السلطان. واستمرّت الحال مدة حياة خاله السلطان، ولمّا صار الأمر إلى مُخيفه ولي العهد[١]، اسْتَشْرى الداء، وأعْضَل الأمر، وعمّت الفتنة، وزاحمه السلطان بالمُنكِب؛ انفَجَم، واعتوره بالحيلة، حتى تحيّف أطرافه، وكان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق[٢] البحر إلى الجهاد، ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى التّقاطع، وتصيَّرت مالقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

وفي أُخريات هذه الأحوال، أحْكَمَ السلطانُ مع طاغية الرُّوم السِّلْم، وصَرَف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد، صاحب وادي آش، فألجأه الحال إلى أن صَرَف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شِعاره، فأقعد عنه. ووَقَعَتْ مراسلات أجلَت عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى المغرب، معوَّضًا عن مدينة وادي آش بقصر كُتامة[٣]، وذلك في عام تسعة وثمانين وستمائة.

وفاته: دخلتُ قصر كُتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي قعْدة عام خمسة وخمسين وسبعمائة في غرض الرسالة، وزُرْتُ مقبرة الرؤساء بني إشقيلولة بظاهرها، وفي قُبّةٍ ضخمة البناء رَحيبة الفِناء، نسيجة وحدها بذلك البلد بين منازل البِلى ودِيار الفَناء، وبها قبر الرئيس أبي محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه وبين جدار القِبلة قَبْرٌ، وسَنامه رخام مكتوب عليه: [المجتث]

قَبْرٌ عزيزٌ علينا ... لو أنّ مَنْ فيه يُفْدى

أسْكَنْتُ قُرّةُ عيني ... وقُطْعَةَ القَلْبِ لَحْدا

ما زال حُكْمًا عليه ... وما القضاءُ تَعدّى

فالصَّبْرُ[٤] أحْسَنُ ثوبٍ ... به العزيزُ تَرَدّى

وعند رأس السَّنام الرخامي، مَهْدٌ ماثلٌ من الرخام فيه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم، صلّى الله على سيدنا محمد وآله، وسلّم تسليمًا. هذا قبرُ الرئيس الجليل، الأعْلى الهمام، الأوْحَد،

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثاني سلاطين غرناطة، وقد حكم من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

(٢) هو المنصور يعقوب بن عبد الحق المريني، سيد بني مرين بالمغرب، توفي سنة ٦٨٥ هـ. الأعلام (ج ٨ ص ١٩٩) وفيه ثبت بأسماء مصادر ترجمته.

(٣) قصر كُتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٦٢).

(٤) في الأصل: «فللصبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الأسعد، المبارك، الأسْنَى، الأسْمَى، الأحْفَل، الأكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبي محمد عبد الله، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحد، الأسعد، المبارك، الأمْضَى، الأسْنَى، الأسمى، المعظم، المرفَّع، المجاهد، الأرْضَى، المقدس، المرحوم أبي إسحٰق إبراهيم بن إشقيلولة، رحمه الله وعفا عنه وأسكنه جنَّته. ظهر، عفا الله عنه، بوادي آش، أمَّنها الله، قاعدة من قواعد الأندلس، وتَسَلْطَنَ، ونُشرت علامات سلطنته، وضُربت الطبول. وجاهد منها العدو، قَصَمه الله، وظهر على خاله سلطان الأندلس، وأقام في سلطنته نحوًا من ثلاث وعشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله أبي يعقوب، أيَّده الله بنصره، وأمدَّه بمعونته ويُسْره، وأمَرَه، أيَّده الله، أن يتخلَّى عن وادي آش المذكورة، ويَصِل للمغرب، فتنحَّى عن الأندلس للمغرب، آنسهُ الله، في جمادى الأُولى من عام ستة وثمانين وستمائة، فأعطاه، أيَّده الله، قصر عبد الكريم، أمَّنه الله، وأنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، وجاز منه إلى الأندلس، أمَّنها الله، وجاهد بها مرَّتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، وتوفي، شرَّف الله روحه الطَّيبة المجاهدة، عشيَّ يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستمائة».

عبد الله بن بلقِّين بن باديس بن حبُّوس بن ماكْسَن ابن زيري بن مَناد الصَّنهاجي(١)

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرَّ من ذلك في اسم جدِّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المُظَفَّر بالله، الناصر لدين الله. وَلِي بعد جدِّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، وصَحِبه سِماجة الصَّنهاجي تسع سنين. قال الغافقي: وكان قد حاز حظًّا وافرًا من البلاغة والمعرفة، شاعرًا جيِّد الشعر، مَطْبُوعَه، حسن الخطِّ. كانت بغرناطة رَبْعَة مُصحف بخطِّه في نهاية الصَّنعة والإتقان. ووصفه ابن الصَّيرفي

(١) ترجمة عبد الله بن بلقين في الأنيس المطرب (ص ٩٩) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢٣، ١٢٨) والحلل الموشية (ص ٣٤) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(م٦ ص ٣٧٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٤٢) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٢٠٥). وهناك دراسة مستفيضة عنه للدكتورة مريم قاسم طويل في كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٧١ ـ ٢٣٩).

فقال[١]: كان جبانًا مُغمَد[٢] السيف، قلقًا، لا يَثبتُ على الظَّهر، عِزهاة[٣] لا أرَبَ له في النساء[٤]، هيّابَة، مُفرط الجزَع، يَخلُدُ إلى الرّاحات، ويَستَوزِر الأغمار.

خلعه: قال:[٥] وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، تحرّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، ويمّم قرطبة، وتواتَرت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يُغيظُه ويُحقده، حسبما تقدم في اسم مؤمّل مولى باديس. وقدِم إلى غرناطة أربع محلّات، فنزلت بمقربة منها، ولم تمتَدّ يدٌ إلى شيء يوجد، فسُرّ الناس واستَبْشروا، وأمِنت البادية، وتمايل أهل الحاضرة إلى القَوِي. وأسرع حفيد باديس في المال، وألحَق السُّوقة والحاكّة[٦]، واستكثر من اللّفيف، وألحّ بالكَتْبِ على أذفونش بما يُطْمِعُه. وتحقّق يوسف بن تاشفين اسْتِشْراف الحضرة إلى مَقْدَمه، فتحرّك. وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعُه، فخوّفوه من عاقبة التربُّص، وحَمَلُوه على الخروج إليه، فركب وركبت أُمّه وتركا القصر على حاله، ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجّل، وسأله العَفْو، فعفا عنه، ووقف عليه، وأمره بالرُّكوب، فرَكِب، وأقبل حتى نَزَل بـ«المشايخ» من خارج الحضرة. واضطربت المحلّات، وأمر مُؤَمّلًا بثِقافه في القصر، فتولّى ذلك، وخرج الجمُّ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فَلقِيَهم، وآنسهم، وسكّن جأشهم، فاطمأنوا. وسهّل مؤمّل إليه دخول الأعيان، فأمر بكَتْب الصُّكوك، ورَفْع أنواع القَبالات والخراج، إلّا زكاة العَيْن، وصَدَقة الماشية، وعُشْر الزّرع. واستُقصي ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، ويرُوع الخاطر، من الأعلاق والذّخيرة، والحُلي، ونفيس الجَوْهر، وأحجار الياقوت، وقَصَب الزُّمرد، وآنية الذّهب والفضة، وأطباق البلّور المُحكم، والجرداذنات، والعراقيّات، والثّياب الرّفيعة، والأنماط، والكِلَل، والسّتائر، وأوْطِية الدِّيباج، مما كان في ادّخار باديس واكتِسابه. وأقبلت دوابُّ الظَّهر من المُنْكّب

---

(١) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٥).

(٢) في أعمال الأعلام: «مُتّمد».

(٣) عِزهاة: عازف عن اللهو والنساء. محيط المحيط (عزه).

(٤) في أعمال الأعلام: «زاهدًا في النساء».

(٥) قارن بمذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٤ وما بعدها) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس (ص ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٦) الحاكّة: أصحاب الشرّ. وهذا الجمع لم نلحظه في كتب اللغة؛ فقد جاء فيها أن «الحُكُك» جمع «حاكّ»، وهو صاحب الشرّ.

بأحمال السَّبيك والمَسْبُوك، واختلفت أمّ عبد الله لاستخراج ما أُودِع بَطْن الأرض، حتى لم يبق إلّا الخَرْثَى والثّقل والسَّقْط. وزّع ذلك الأمير على قُوّاده، ولم يستأثر منه بشيء. قال[1]: ورَغب إليه مؤمّل في دخول القصر، فركب إليه، وكثر استحسانه إياه، وأمر بحِفظِه. وتفقّد أوضاعه وأفنيَته. ونُقل عبد الله إلى مَرّاكش، وسنّه يوم خُلع، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، فاستقرّ بها هو وأخوه تميم، وحُلّ اعتقالهما، ورُفّه عنهما، وأُجري المرتّب والمُساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لِين الكلمة، فقُضِيت مآربه، وأُسعِفت رَغَباته، وخَفّ على الدولة، واستراح واستُرِيح منه، ورُزِق الولد في الخُمول، فعاش له ابنان وبِنتٌ، جَمَع لهم المال. فلمّا تُوفي ترك مالًا جَمًّا.

مولده: ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

عبد الله بن علي بن محمد التُّجيبي، الرئيس أبو محمد ابن إشْقَيلولة

حاله: كان رئيسًا شجاعًا، بُهَمَةً، حازمًا، أيِّدًا، جَلِدًا. تولّى مدينة مالَقة عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر، صِنْو أمير المسلمين، الغالب بالله، في أوائل عام خمسة وخمسين وستمائة. وكان صِهر السلطان على إحدى بناته، وله منه مَحَلٌ كبير، ومكان قريب، وله من مُلْكه حظٌّ رَغيب. واستمرّت حاله إلى عام أربعة وستين وستمائة، وفَسد ما بينه وبين وليّ العهد، الأمير أبي عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله، إذ وَغر له صدْرُه، ولابني أخيه الرئيسين، أبي محمد وأبي الحسن، ابني الرئيس أبي إسحٰق بن إشقيلولة المتأمّرَين بوادي آش، فضايقهم وأخافهم بما أدّاهم إلى الامتناع والدُّعاء لأنفسهم والاسْتِمْساك بما بأيديهم. وعمّت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانتَزَى هذا الرئيس بمدينة مالَقة، وكان أمْلَكَ لما بيده، واستعان بالنَّصْري، وشمّر عن ساعد الجِدّ، فأباد الكثير من أعيان البلدة في باب تَوَسُّم التهم وتَطَرُّق السعايات، واستولى على أموالهم. واستمرت الحال بين حرب أجلت فيها غَلَبَة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش النَّصْري، ونازل مالقة أربعين يومًا، وشعَّث الكثير بظاهرها، وتسمّى بعَلَم الأمير عند أهل مالقة، وما بين سلْم ومُهادنة. وفي عام

---

(١) راجع المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) والأنيس المطرب (ص ١٠٠) وتتمة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) والاستقصا (ج ٢ ص ٥٣).

ستين وستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرُه، وأعْيا عليه أمرُ مالقة، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، وضَبط مَنْ لِنظره، واسْتِمْساكه بعُرْوَة حَزْمه.

وفي بعض الأيام ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفيًا، كاتمًا غرضه، وقعد بباب المدينة، فلمّا بَصُر به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، وأدْهَشَتْهُم الهيبة، فأفرجوا له، مُوَقِّرين لجلاله، آنِسين لقلّة أتباعه، فدخل، وقصد القَصَبة، وقد نُذِر به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجِلًا، مُتَبَذِّلًا، مُهَرْوِلًا، حافيًا. ولمّا دنا منه ترامى على رِجْليه يُقَبِّلهما، إظهارًا لحقّ أُبُوّته، وتعظيمًا لقَدْره، ودخل معه إلى بِنْتِه وحَفَدَتِه، فترامى الجميع على أطرافه يَلْثِمونها، ويتَعَلَّقون بأذياله وأدْرانه، وهو يبكي إظهارًا للشَّفَقَة والمودّة وتكَلُّم الجميل. وأقام معهم بَياض يومه، ثم انصرف إلى محلّته، وأتبعه الرئيس، فأمَرَه بالاستمساك بقَصَبَته وملازمة محلّ إمْرَته، وما لبث أن شرع في الارتحال عن ألطافٍ ومُهادات، وتقدير جِرايات، وإحْكام هَدِيَّة، وتقرير إمارة، إلى أن توفي السلطان، رحمه الله، فعادت الفتنة جَزِعةً، ووالى ولدُه أمير المسلمين بعده الضرب على مالَقة، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، واستقرّ بالأُمور ولدُه المذكور في المحمَّدين، وكان من الأمر ما يَنْظُره في مكانه مَن أراد استيفاءه، بحول الله.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَزَفي

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشَّهير، صاحب الأمر والرِّئاسة والإمارة بسَبْتَة، نيابة عن أخيه الرئيس الصَّالح أبي حاتم، بحُكْم الاستقلال في ذلك، والاسْتِبداد التّام، من غير مُطالعة لأخيه ولا رُجوع إليه في شيءٍ من الأُمور، ولا تَشَوُّفٍ من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتّة عنه، وإيثاره العُزْلة، واشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوّليته ما فيه كفاية. وكان من أهل الجلالة والصِّيانة، وطهارة النَّشأة، حافظًا للحديث، ملازمًا لتِلاوة كتاب الله، عارفًا بالتاريخ، عظيم الهيْبَة، كبير القَدْر والصِّيت، عالي الهمّة، شديد البَأو، معظّمًا عند الملوك، جميل الشّارة، مُمْتَثل الإشارة لديهم، عجيب السَّكينة والوقار، بعيد المرْمَى، شديد الانقباض، مُطاع السُّلطان بموضعه، مَرْهُوب الجانب، من غير إيقاع بأحد، ولا هَتْك حُرمة، محافظًا على إقامة الرُّسوم الجِسْبيّة والدِّينية.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره.

نكبته: تَغلّب على بلده أيام إمارته، وثار أهله إليه في السّلاح والعُدّة؛ ليُحيطوا بمنْ في القَصَبَة، فخرج إليهم، وشكر مساعيهم، وقال: قال رسول الله ﷺ: كُنْ

عبدَ الله المقتول، ولا تكُنْ عبدَ الله القاتل، فانصرفوا، ودخل منزله مُلقِيًا بيده، ومُسَلِّمًا لقضاء الله سبحانه في كِسْره، إلى أن قُبض عليه وعلى سائر بَنيه وقَوْمه، عند ارتفاع النهار وانتشار المُتَغلِّبين على القصبة، فثَقَفُوا متحرِّجين من دماءِ المسلمين، وصُرفوا إلى الأندلس، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة وسبعمائة، بعد انقضاءِ خمسة عشر يومًا من تملُّك بلدهم، فاستقرّ بغرناطة تحت سِتْر واحترام وجِراية فيها كَفاف. ثم لما خرجت سَبْتَة عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القَوْمُ إلى فاس، فتُوفي بها.

وفاته: في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعمائة.

عبد الله بن الجِبِّير بن عثمان بن عيسى بن الجِبِّير اليحصبي[١]

من أهل لَوْشة، وهو محْسُوب من الغرناطيين. قال الأُستاذ[٢]: من أعيانها ذوي الشرف والجَلالة. قلت: يُنسب إليه بها معاهد تدلّ على قِدَمٍ وأصالة.

حاله: قال أبو القاسم الملّاحي[٣]: كان أديبًا بارع الأدب، كاتبًا، بليغًا، شاعرًا مَطْبُوعًا، لَسِنًا مُفَوّهًا، عارفًا بالنحو والأدب واللغات، وقد مال في عُنفوان شبيبته إلى الجُنْدِية لشَهامته وعزّة نفسه، فكان في عَسْكر المأمون بن عبّاد[٤]، واشْتَمل عليه المأمون، وكان من أظرف الناس، وأمْلَحهم شبيبةً[٥]، وأحسنهم شارةً، وأتمّهم معرفة.

مشيخته: أخذ[٦] عن أشياخ بلده غرناطة، وأخذ بمالقة عن غانم الأديب، وبقرطبة عن ابن سِراج.

شعره: وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْبٌ، فمن ذلك قوله[٧]: [البسيط]

يا هاجرين، أضلّ الله سَعْيَكُمُ كم تهجرون مُحِبِّيكُمْ بلا سببِ

---

(١) يكنى عبد الله بن الجبير أبا محمد، وكانت وفاته في سنة ٥١٨ هـ، وترجمته في بغية الملتمس (ص ٣٤٨) وفيه أنه عبد الله بن عثمان بن الجبير، والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٢) وبغية الوعاة (ص ٢٧٩) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩).

(٢) الأستاذ هو ابن الزبير، وقوله هنا ورد في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٣) قارن ببغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٤) هو المأمون بن المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية في عصر ملوك الطوائف.

(٥) في الأصل: «شية» والتصويب من بغية الوعاة.

(٦) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩). (٧) الأبيات في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

ويا مُسيرِّين للإخوان غائلةً | ومُظهرين وجوه البرّ والرَّحَبِ
ما كان ضرَّكُمُ الإخلاصُ لو طُبِعَتْ | تلك النفوس على عَلياءَ أو أدبِ
أشْبَهْتُمُ الدَّهْرَ لمّا كان والدُكمْ | فأنتمُ شرُّ أبناءٍ لشرِّ[1] أبِ

عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن علي السَّلْماني[2]

والد المؤلف، رضي الله عنه، يُكنى أبا محمد، غرناطي الولادة والاستيطان، لَوْشي الأصل، ثم طُلَيْطِليّه، ثم قُرطبيّه.

أوليته: كان سَلَفُه يعرفون بقرطبة ببني وزير، وهم بها أهلُ نباهة، وبيتُهم بيت فقهٍ وخَيْريّة وماليّة، ونجارهم نِجارُ فرسان يمانيَّة. ولمّا حَدَث على الحَكَم بن هشام الوَقِيعة الرَّبَضِيَّة، وكان له الفَلج، وبأهل الرَّبَض الدَّبرة، كان أعلامُ هذا البيت من الجالية أمام الحكم، حسبما امتُحن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه طالوت، ويحيىٰ بن يحيىٰ، وغيرهما[3]، ولحِقُوا بطُلَيْطُلة، فاستقرُّوا بها، ونَبا بهم وطنُهم، ثم حَوَّموا على سُكنى المُوَسَّطة، وآب إلى قرطبة قَبْلهم بعد عهدٍ مُتقادم، ومنهم خَلَف وعبد الرحمٰن، وقد مرّ له ذكرٌ في هذا الكتاب. ووُلِّي القضاء بالكُورة. ومنهم قوم من قَرابتهم تملَّكوا مُنْتِفْريد[4]، الحصن المعروف الآن بالمَنَعة والخِصْب، وتمدَّن فيهم، وبُنيت به القلعة السَّامية، ونُسب إليه ذلك المجد، فهم يُعرفون ببلدنا ببَني المُنْتفْريديين. واستقرَّ منهم جَدُّنا الأعلى بلَوْشة خطيبًا وقاضيًا بالصُّقع ومُشاورًا[5]، وهو المُضاف إلى اسمه التَّسْويد بلَوْشة عُرْفًا كأنه اسمٌ مُرَكَّب، فلا يقول أحد منهم في القديم إلّا سَيِّدي سعيد. كذا تعرَّفنا من المشيخة، وإليه النِّسبة اليوم، وبه يُعرف خَلَفُه ببني الخطيب، وكان صالحًا فاضلًا، من أهل العلم والعمل. حدَّثني الشيخ المُسنُّ أبو الحكم المنتفريدي، وقد وقَفَني على جِدار بُرج ببعض أملاكنا بها، على الطَّريق الآتية من غرناطة إلى لَوْشة، ثم إلى غيرها، كإشْبِيليَة وسواها، فقال: كان جَدُّك يسكن بهذا البُرج كذا من فصول العام، ويتلو القرآن ليلًا، فلا يتمالك المارُّون على الطَّريق، أن يقربوا إصْغاءً لحُسْن تِلاوته

---

(١) في البغية: «كَشَرّ».
(٢) ترجمة عبد الله بن سعيد السلماني في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٣).
(٣) في الأصل: «وغيرهم».
(٤) اسمه بالإسبانية: Montefrío، ويعني الجبل البارد.
(٥) المشاور: هو من كان يتقلّد خطة الشورى، التابعة للقضاء.

وخُشوعًا. وكان ولدُه عبد الله بعده، على وَتِيرة حسنة من الخير والنَّباهة وطيب الطُّعمة، ثم جدُّه الأقرب سعيد على سُننه، مُربٍ عليه بمزيد المعرفة، وحُسن الخَطّ. ولما وقع بلوشة بلدِه، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطُّنجالي، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجَمات من التَّشاجر، فرَّ عنهم خيفةً على نفسه، وعلى ذلك فنالَه اعتقال طويل، عَدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عُذره، وبُرِّئت ساحتُه، واستَظْهر به السلطان، وأقام بغرناطة، مُكرَّمًا، مُؤثَرًا، مُؤتَمَنًا، وصاهر في أشراف بيُوتاتها، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العُلى أضحى بن أضحى الهمْداني، وتُوفيت تحته، فأُنجِز له بسببها الحظُّ في الحمّام الأعظم المنسوب إلى جدِّها اليوم. ثم تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجَعْدالة السُّلمي، أم الأب المُترجم به، ولها إلى السلطان ثاني ملوك بني نصر وعظيمهم[1] مَتاتٌ ببُنُوّة الخُؤولة من جهة القوّاد الأَصلاء القرطبيين بني دحون، فوَضَح القصد، وتأكدت الحُظوة. وقد وقَعَتْ الإشارة إلى ذلك كله في محلِّه. ثم رَسَخت لولده أبي، القِدَمُ في الخِدمة والعناية، حسبما يتقرّر في موضعه.

حاله: كان، رحمه الله، فذًا في حُسن الشكل والأُبّهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظَّرف، وحضور الجواب، وطِيب المجالسة، وثُقُوب الفهم، مُشارًا إليه في الحَلاوة وعُذُوبة الفُكاهة، واسترسال الانبساط، مُغْنيًا في ميدان الدُّعابة، جَزْلًا، مَهيبًا، صارمًا، مُتجَنِّدًا، رائق الخَصْل رَكْضًا وثقافةً، وعَدْوًا وسِباحةً وشَطَرَنْجا، حافظًا للمُثُل واللُّغة، إخباريًا، مضطلعًا بالتاريخ، ناظمًا ناثرًا، جميل البِزَّة، فارِه المرْكَب، مليح الشَّيْبَة. نشأ بغرناطة تحت تَرَفٍ ونِعمة، من جهة أمّه وأبيه، وقرأ على أبي إسحٰق بن زُرقال، وأبي الحسن البَلُوطي، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزُّبير، ظاهرة عليه مُخَيِّلة النَّجابة والإدراك. ثم أَقْصَر لعدم الحامل على الدُّؤوب، وانتقل إلى بَلَد سَلَفِه، متحيِّفًا الكثير من الأُصول في باب البَذْل وقِرَى الضُّيوف، ومُداومة الصَّيد، وإيثار الراحة، مُعْتَمِدًا بالتَّجِلّة، مَقْصُود الحِلّة، مخطوب المُداخلة، من أبناء أشراف الدولة، مُنْتَجِعًا لأُولي الكُدية. ولما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، وأُمّه بنت السلطان ثاني الملوك من بني نصر، جَزم ما تقدّم من المتّات والوسيلة، اسْتَنْهَضه للإعانة على أمْرِه، وجعل طريقه على بلده، فَحَطَب في حَبْله، وتمسّك بدعوته، واعْتَمده بنزَله وضِيافته، وكان أعظَم الأسباب في حُصول الأمْر بيده، ودخوله

(١) الصواب ثاني سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

في حُكمه، وانتقل إلى حضرة المُلْك بانتقاله، فنال ما شاء من اصطناعه وحُظْوته، وجرى له هذا الرَّسم في أيام من خَلِفَه من ولده إلى يوم الوقِيعة الكبرى بطَرِيف تاريخ فَقْده.

وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه[1]: إن طال الكلام، وجمحت الأقلام، كنت كما قيل: مَادحُ نفسه يُقرئُك السلام، وإن أحجَمْتُ، فما أسْدَيتُ في الثَّناء ولا ألْحَمْتُ، وأضعتُ الحقوق، وخِفْتُ ومَعاذ الله العُقُوق. هذا، ولو أنّي زَجَرْتُ طَيْرَ البَيان من أوْكاره، وجئته[2] بعيون الإحسان وأبكاره، لما قضيتُ حقَّه بعد، ولا قلْتُ إلّا التي علمت سَعْد[3]. فقد كان، رحمه الله، ذَمِرَ[4] عزم، ورَجُلَ رخاء وأزم، تروق أنوار خِلاله الباهرة، وتُضيءُ مجالس الملوك من صُورَتَيْه الباطنة والظاهرة، ذكاءٌ يتوقَّد، وطَلاقةٌ يحسد نورها الفَرْقد. فَقَدْتُه[5] بكائنة طريف[6]، جَبَر الله عِثارها، وعجَّل ثارها.

حدَّث خطيب المسجد الأعظم، وهو ما هو، من وفُور العقل، وصحة النَّقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكَسْرة، وخُذلت تلك الأُسرة، وقد كبا بأخيك الطِّرْف، وعُرض عليه الحِمام للصِّرْف، والشيخ رحمه الله لم تَزِلّ قدمُه، ولا راعه الموقف وعِظَمُه. ولما آيس من الخلاص وطُلّابه، صَرفَني وقال: أنا أولى به، فقضى سعيدًا شهيدًا، لم يَسْتَنْفِره الهوْل، ولم يُثْنه ولا رضي عار الفرار عن ابنه.

شعره: قال في «الإكليل»[7]: وكان[8] له في الأدب فريضة، وفي النّادرة العَذْبة منادح عريضة. تكلّمت يومًا بين يديه، في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتًا من شعري[9]، وقرأتُ عليه رُقاعًا من إنشائي، فسُرَّ وتهلَّل، وعبَّر عما أمل، وما برح أن

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٤). (٢) في النفح: «وجئت بِعُون...».

(٣) أخذه من قول الحطيئة [الطويل]:

وتـعـذلـنـي أفـنـاء سـعـدٍ عـلـيـهـمُ ولا قـلـت إلاّ بـالـتـي عـلـمـتْ سَـعْـدُ

ديوان الحطيئة (ص ٣٢٩).

(٤) الذَّمِرُ، بفتح الذال وكسر الميم: الشجاع والداهية. لسان العرب (ذمر).

(٥) من هنا حتى قوله: «عار الفرار عن ابنه» ساقط في النفح.

(٦) كائنة طريف أو موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللمحة البدرية (ص ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٧) النص نثرًا وشعرًا في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٤ ـ ١٥).

(٨) في النفح: «وكانت».

(٩) في النفح: «شعري ورقاعًا من إنشائي فتهلّل وما برح أن ارتجل».

ارتجل قوله رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

الطبُّ والشِّعرُ والكتابهْ سِماتُنا في بني النَّجابهْ
هُنَّ ثلاثٌ مُبَلِّغاتٌ مراتبًا بعضُها الحجابهْ

ووقّع لي يومًا بخطّه على ظهر أبيات، بعثتُها إليه، أعرض عليه نمطَها: [الكامل]

وردَتْ كما وَرَد النسيم بسحره[1] عن رَوْضةٍ جادَ الغمام رُباها
فكأنما[2] هاروتُ أَوْدَعَ سِحْرَهُ فيها وآثرها به وحَباها
مصقولةُ الألفاظِ يبهرُ حسنها فبمثلها[3] افتخر البليغ وباهى
فقررتُ عينًا عند رؤية حُسْنها إني أبوك وكنتَ أنتَ أباها

ومن شعره[4] قوله: [الوافر]

وقالوا قد نَأَوا[5]: فاصْبِرْ ستُشْفى فترياقُ الهوى بُعْدُ الدِّيارِ
فقلت: هبوا بأنَّ الحقَّ هذا فقلبي يَمِّموا فِيمَ اصطِباري[6]؟

ومن قوله مما يجري مجرى الحكم والأمثال[7]: [السريع]

عليكَ بالصمت فكم ناطقٍ كلامُه أدّى إلى كَلْمِهِ[8]
إنَّ لسانَ المَرْءِ أهدى إلى غِرَّتِهِ والله مِنْ خَصْمِهِ
يُرى صغيرَ الجِرْم مُسْتَضْعَفًا وجُرْمُهُ أكبرُ من جِرْمِهِ

وقال وهو من المستحسن في التَّجنيس[9]: [الخفيف]

أنا بالدَّهرِ، يا بنيّ، خبيرٌ فإذا شئتَ عِلْمَهُ فتعالى
كم مَليكٍ قد ارْتَغى[10] منه روضا لم يدافعْ عنه الردى[11] ما ارتغى لا
كلُّ شيءٍ تراه يَفْنى ويَبْقى ربُّنا الله ذو الجلال تعالى

أنشدني هاتين المقطوعتين.

---

(١) في النفح: «... كما صدر النسيمُ بسحرةٍ». (٢) في النفح: «وكأنما».
(٣) في الأصل: «بمثلها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «ومن نظمه قوله». (٥) في النفح: «قد دنا».
(٦) في النفح: «بقلبي يمموا فَيِمَ اصطباري». (٧) اكتفى في النفح بقوله: «وقال».
(٨) الكَلْم، بفتح الكاف وسكون اللام: الجرح. القاموس المحيط (كلم).
(٩) اكتفى المقري بالقول: «وقال». (١٠) في النفح: «ارتعى» بالعين غير المعجمة.
(١١) في الأصل: «الرحمٰن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

مولده: ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستمائة.

وفاته: بعد[(١)] يوم الوقيعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة.

من رثاه: قلت في رثائه من قصيدة أولها[(٢)]: [الطويل]

سِهامُ المنايا لا تطيشُ ولا تُخْطي ... ولِلدهر كَفٌّ تستردُّ الذي تُعْطي
وإنّا وإن كنّا على ثَبَجِ الدُّنا ... فلا بُدَّ يومًا أن نحلَّ على الشَّطِّ
وسِيّانِ ذلُّ الفَقْر أو عِزَّةُ الغِنى ... ومن أسْرَعَ السَّيرَ الحثيثَ ومن يُبْطي[(٣)]
تساوى على وِرْدِ الرَّدى كلُّ واردٍ ... فلم يُغْنِ رَبُّ السَّيف عن رَبَّةِ القُرْطِ

وقال شيخنا أبو زكريا بن هُذيل من قصيدة يَرثيه بها[(٤)]: [الطويل]

إذا أنا لم أرْثِ الصديقَ فما عُذْري ... إذا قلْتُ أبياتًا حِسانًا من الشعر؟
ولو كان شعري لم يكن غير نُدْبةٍ ... وأجريتُ دمعي لليراع[(٥)] عن الحِبْرِ
لَما كنتُ أقْضِي حقَّ صُحْبتِهِ التي ... توخَّيْتُها عَوْنًا على نُوَبِ الدَّهْرِ
رماني عبدُ الله يومَ وَداعِهِ ... بداهيةٍ دَهْياءَ[(٦)] قاصِمَةِ الظَّهْرِ
قطعْتُ رجائي حين صَحَّ حديثُه ... فإن لم يوفِ دمعي فقد خانني صَبْري
وهل مؤنسٌ كابن الخطيب لِوَحْشَتي ... أبثُّ له همِّي وأُودِعُهُ سِرِّي؟

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزيّ[(٧)]

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، وقد مرّ ذكر أبيه شيخنا وأخويه، وتقرّرت نباهة بَيْتِهم.

---

(١) في النفح: «وفقد يوم...».
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٥ - ١٦).
(٣) في الأصل: «يبطِ» بالكسر، والتصويب من النفح. وترتيب هذا البيت في النفح بعد البيت التالي.
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٦).
(٥) اليراع: القصب، والمراد القلم. محيط المحيط (يرع).
(٦) الدهياء: الشديدة القاسية. لسان العرب (دها).
(٧) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونيل الابتهاج (ص ١٢٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

حاله: هذا[١] الفاضل قَرِيعُ بيت نَبِيه، وسَلَفٍ شهير، وأُبوّة خَيْرة[٢]، وأُخوّة بليغة، وخؤولة تميّزت من السلطات بحُظْوة. أديب حافظ، قام على فنّ العربيّة، مشارِكٌ في فنون لِسانِيّة سواه، طِرْفٌ[٣] في الإدراك، جيد النظم، مِطْواع القريحة، باطنُه نُبْل، وظاهره غَفْلة. قعد للإقراء ببلده غرناطة، مُعيدًا ومُستقلًا، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة، وهو لهذا العهد مَخْطوب رُتبة، وجارٍ إلى غاية، وعينٌ من أعيان البلدة.

مشيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير[٤] أبي القاسم حديث الرّحمة بشَرْطِه، وسمع عليه على صِغر السّن، أبعاضًا من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للتّرمذي، وبعض السُّنَن للنّسائي، وبعض سُنَن أبي داود، وبعض مُوَطّأ مالك بن أنس، وبعض الشّفاءِ لِعياض، وبعض الشّمائل للتّرمذي، وبعض الأعلام للنّميري، وبعض المَشْرع السّلس في الحديث المسَلسل لابن أبي الأحوص، وبعض كتاب التّيسير لأبي عمرو الدّاني، وبعض كتاب التّبْصرة للمكيّ، وبعض الكافي لابن شُريح، وبعض الهِداية للمَهْدي، وبعض التّلخيص للطّبري، وبعض كتاب الدّلالة في إثبات النبوّة والرسالة لأبي عامر بن ربيع، وبعض كتاب حَلْبة الأسانيد وبُغية التلاميذ لابن الكمّاد، وبعض كتاب وسيلة المُسْلم في تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده، وبعض القوانين الفقهية، وبعض كتاب الدّعوات والأذكار، وبعض كتاب النّور المبين في قواعد عقائد الدين من تأليفه، وبعض تقريب الوصول إلى عِلْم الأصول، وبعض كتاب الصلاة، وبعض كتاب الأنوار السّنية في الكلمات السُّنية، وبعض كتاب برنامجه. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. وأجاز له روايةَ الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مَرْوِيّاته وتواليفه وتقْيِيداته، إجازة عامة. ولقّنه في صغره جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية.

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بالمرية حديث الرحمة بشَرْطه، وسمع عليه بها وبغرناطة عدّة من أبعاض كتب، وأجازه عامة، وأنشده من شعره، وشعر غيره. ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، واستفاد منه، وتفقّه عليه بقراءة غيره في كثير من النّصف الثاني من كتاب سيبويه، وفي كثير من النصف الثاني من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وفي

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٤).
(٢) في النفح: «خير».
(٣) في النفح: «ظرف».
(٤) في النفح: «الشهير الشهيد».

كثير من كتاب التّسهيل لابن مالك، وفي القصيدة الخَزْرَجية في العَرُوض، وسمع من لفظه الرُّبع الواحد أو نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورة حازم، وتفقّه عليه فيه، وأنشده كثيرًا من شعره وشعر غيره. ومنهم الأُستاذ أبو عبد الله البيَّاني، لازمه مدة القراءة عليه، وتفقَّه عليه بقراءته في كتاب التّسهيل البديع في اختصار التّفْريع إلّا يسيرًا منه، وتفقّه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفريع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العُمدة لابن دَقيق العيد، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأُستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب، تفقَّه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه، وتفقّه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، كالمُدَوَّنة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب التَّلقين، وكتاب الجُمل، وكتاب التّسهيل والتنقيح، والشّاطبيّة، وكتاب العُمدة في الحديث وغير ذلك. ومنهم الشيخ المُقرىء المحدِّث أبو عبد الله محمد بن بيبَش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد، جميع كتاب الموطّأ، وكتاب الشّفا إلّا يسيرًا منه، وأجازه روايتهما عنه، ورواية جميع مَرْوِيّاته، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. وممن أجازه عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيىٰ بن بكر الأشعري، والخطيب أبو علي القرشي، والأُستاذ أبو محمد بن سَلْمُون، والحاج الراوية أبو جعفر بن جابر، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عَتيق الشّاطِبي الأزْدِي، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شِبْرين، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات، والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايع. وممن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيان، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقّري، ورئيس الكتاب أبو محمد الحَضْرمي، وجماعة سوى من ذُكر من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سَنى الليلةِ الغَرّاءِ[1] وافَتْكَ بالبُشْرى ... وأبْدى بها[2] وَجْهُ القبول لك البِشرا

(١) في الأصل: «الغرّا»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «منها»، وكذا ينكسر الوزن.

تَهَلَّلَ وَجْهُ الكون من طَربٍ بها وأشرقتِ الدُّنيا[1] بغُرَّتها الغَرّا
لها المِنّة العظمى بميلاد أحمد لها الرُّتبة العُلْيا لها العِزَّة الكُبْرا
طوى سِرَّه في صَدْره الدَّهرُ مُدَّةً فوافى ربيعًا ناشرًا ذلك السِّرّا
حَوى شهرة الفضل الشهير وفضله فأَحْسِنْ به فضلًا وأَعْظِمْ به شَهْرا
لقد كان ليلُ الكُفْر في اللَّيل قد جَفا فأَطْلَع منه في سَمْتِهِ[2] الهدى فَجْرا
وفي ليلة الميلاد لاحَتْ شواهد قَضَتْ أنَّ دينَ الكُفْر قد أَبْطَلَ الكُفْرا
لقد أَخْمَدَتْ أنوارَها نارُ فارس وأَرْجَتْ[3] كما ارْتَجَّ إيوانه كِسْرى
له معجزاتٌ يُعْجِزُ القَلْبَ كَنْهُها ويُحْصَر إنْ رام اللسان لها حَصْرا
معالٍ يكلُّ الشِّعْرُ عن نَيْلِ وَصْفِها وتَقْصُر عن إدراكِ مصعده الشِّعْرى
به بَشَّرَ الرُّسْلُ الكرام ولم تزل شمائله تُتْلى وآياتُه تَتْرى
ففي الصُّحف الأُولى مناقِبُه العُلى وفي الذكر آياتٌ خَصَّتْ[4] له قَدْرا
لقد خصَّه مولاه بالقُرْب والرضى وحَسْبُك ما قد نَصَّ في النَّجْم والإسْرا
وردَّ عليه الشمس بعد غروبها وشقَّ على رغم العُداة له البَدْرا
وكان له في مائه وطعامه لطائفُ ربَّانيَّةٌ تَبْهَرُ الفِكْرا
غدا الماءُ من بين الأصابع نابعًا وعاد قليل الزَّاد من يُمْنه كَثْرا
وكم نائل أَوْلَى وكم سائل حَبا وكم مُشْتَكٍ أَشْفى وكم مُذْنِب أَبْرى!
كفى شاهدًا أنْ رَدَّ عَيْنَ قتادة فكان لها الفضلُ المبينُ على الأُخرى
وحَنَّ إليه الجِذْعُ عند فِراقه ولا حَنَّتِ الخَنْساءُ إذ فارقَتْ صَخْرا
وحقَّ له إذ بان عنه حبيبُه ومَن ذاق طعم الوَصْل لم يَحْملِ الهَجْرا
خليليَّ، والدنيا تُجَدِّدُ للفقر ضروبًا من الأشواق لو تنفع الذِّكرى
بعَيْشِكُما هل لي إلى أرض طيبَةٍ سبيلٌ؟ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرا
مُنى النفس[5] مِنْ تلك المعاهد زَوْرَةٌ أَبثُّ بها شكْوى وأشكو بها وِزْرا
وتعفير خدِّي في عروق تُرابها ليَمْحُوَ لي ذَنْبًا ويُثْبِت لي أَجْرا

---

(١) في الأصل: «للدنا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) السَّمْتُ والسَّمْتَة: الأست.
(٣) أصل القول: «وأزجف»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «رخص» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «للنفس»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تُعَلِّلني نفسي بإدراكها المُنى ... وما أَجْهَدَتْ عَيْشًا ولا مُلِّكَتْ قَفْرا
ومَن كانتِ الآمالُ أقْصَى اجتهاده ... غَدَتْ كَفُّه ممّا تأمَّله صِفْرا
وكم زَجَرَتْها واعظاتُ زمانِها ... فما سمعتْ وَعْظًا ولا قَبِلَتْ زَجْرا
وكنت لها عَصْر الشبيبة عاذِراً ... سقاه الحيا ما كان أقْصَرَهُ عَصْرا
وأمّا وقد ولّتْ ثلاثون حجّةً ... فلست أرى للنفس مِنْ بَعْدها عُذْرا
إذا أنت لم تَتْرُكْ سوى النفس طائعًا ... فلا بُدَّ بَعْدَ الشَّيب من تركه قَسْرا
ولم أدَّخِرْ إلّا شفاعةَ أحمد ... لتخفيف وِزْرٍ شَدَّ ما أوْثَقَ الظَّهْرا
لقد عَلِقَتْ[1] كَفُّ الرجاءِ بحمله ... لعلَّ كَسِيرَ القلبِ يَقْليه بِرًّا
هو المرتَضى الداعي إلى مَنْهج الرّضا ... هو المصطفى الهادي المُيَسِّر لليُسْرى
هو الحاسر الماحي الضّلالة بالهدى ... هو الشّافع الواقي إذا شُهر الحَشْرا
بأي كلام يَبْلُغ المرءُ وَصْفَ مَنْ ... مكارِمُهُ تستغرقُ النَّظْمَ والنَّثْرا
خِلالٌ إذا الأفكارُ جاسَتْ خِلالَها ... تكرُّ على الأعقاب خاسِئةً حَسْرا
لقد غضّ طَرْفَ النّجم باهِرُها سنًى ... وأرغم أنفَ الرّوض عاطِرُها نَشْرا
سقى ليلةً حَيَّتْ به واكف الحيا ... فَنَعْماؤها ما إن يحيط بها شُكْرا
لقد خصَّها سندُ الإلـه برحمة ... فعمّت بها الدنيا وسكّانَها طُرّا
أقَمْتَ أمير المسلمين حقوقها ... بأفعالِ برٍّ أضْحَكَتْ للهُدى ثَغْرا
لقد سِرْتَ فيها إذ أتَتْكَ بسرّه ... أقَرَّتْ لها عينًا وسُرَّتْ لها صَدْرا
عَرَفْتَ بها حَقَّ الذي عُرِفَتْ به ... فأحسنتَها شُكْرًا وأوْلَيْتَها بِرّا
وأصْحَبْتَها الإخلاصَ لله والتُّقى ... وأعْقَبْتَها الإحسان والنّائل الغَمْرا
لدى مَصْنعٍ مَلا[2] العيونَ محاسنًا ... تَجَسَّمَ فيه السِّحْرُ حتى بدا قَصْرا

منها بعد أبيات في المدح للسلطان:

روى عن أبي الحجاج غُرُّ شَمائل ... أعاد لنا دَهْمَ الليالي بها غُرّا
ومَنْ كَبَنِي نصرٍ جلالةُ مَنْصِبٍ ... بِهِمْ نَصَرَ الرحمنُ دينَ الهدى نَصْرا
هُمُ ما هُمُ إنْ تَلْقَهُمْ في مَهَمَّةٍ ... لقيتَ الجنابَ السَّهْلَ والمَعْقِلَ الوَعْرا
سلالةُ أنصار النبيّ محمدٍ ... فَسَلْ أحدًا يُنْبيك عنهمْ وسَلْ بَدْرا

---

(١) في الأصل: «عاقتْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ملأ»، وكذا ينكسر الوزن.

ومن شعره في المقطوعات، قال في التورية العَرُوضية[1]: [الوافر]

لقد قَطَّعْتَ قلبي يا خليلي ... بهجْرٍ طالَ منك على العليلِ
ولكن ما عجيبٌ منك هذا ... إذ[2] التَّقطيعُ من شأنِ الخليلِ[3]

وقال في التَّورية النَّحوية[4]: [الطويل]

لقد كنتُ موصولًا فأُبدِل وَصْلكُم ... بهجْرٍ وما مثلي على الهَجْر يَصْبِرُ
فما بالُكُمْ غيَّرتُمُ عَبْدكُمْ ... وعهديَ بالمحبوب ليس يُغيَّرُ[5]

وقال في التَّورية مداعبًا بعض المقرئين للعدد وهو بديع[4]: [الكامل]

يا ناصبًا عِلْمَ الحسابِ حِبالَه[6] ... لقناصِ ظَبْيٍ ساحرِ الألبابِ
إن كنت ترجو[7] بالحساب وِصالَهُ ... فالبدر[8] يَرزُقُنا بغير حسابِ

وقال في التَّورية العَرُوضية[4]: [المتقارب]

لقد كَمُلَ الوُدُّ ما[9] بيننا ... ودُمْنا على فَرَحٍ شاملِ
فإن دخل القَطْعُ في وَصْلنا ... فقد يَدْخُلُ القَطْعُ في الكامل

وقال في تضمين مَثَل[4]: [الوافر]

ألا اكْتُمْ حُبَّ مَنْ أحْبَبْتَ واصْبِرْ ... فإنَّ الهَجْرَ يُحْدِثُه الكلامُ
وإن أبداهُ دَمْعٌ أو نُحولٌ ... فمن بَعْدِ اجتهادي[10] لا تُلامُ

وقال[4]: [السريع]

وأشْنَبِ الثَّغْرِ له وَجْنَةٌ ... تَعَدَّتِ النَّحْلُ على وَرْدِها
ما ذاك إلّا حَسَدٌ[11] إذ رأتْ ... رُضابَهُ أعْذَبَ مِنْ شَهْدِها

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٨٥).
(٢) في الأصل: «إنه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٣) أراد من التقطيع تقطيع قلبه، وورّى بالتقطيع الذي يختص بالشعر والذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.
(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٧).
(٥) في الكتيبة: «يتغيّر».
(٦) في الكتيبة: «حبالة».
(٧) في المصدر نفسه: «تُرْزَقُ».
(٨) في المصدر نفسه: «فالله».
(٩) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.
(١٠) في الكتيبة: «اجتهادك».
(١١) في الكتيبة: «حسدًا».

وقال في التَّورية بأسماءِ كُتُب فقهية جوابًا غير مُعَمّى[١]: [الطويل]

لك الله من خِلٍّ حباني برُقعةٍ ... حَبَتْنيَ من أبياتها[٢] بالنوادرِ
رسالةُ رَمْزٍ في الجمال نهايةٌ[٣] ... وخيرةُ نظْمٍ أُتحِفَتْ بالجواهر

وقال في التَّورية أيضًا[٤]: [الطويل]

إلى الله أشكو غَدْرَ آل تودّدي[٥] ... إليّ فلمّا لاح سِرّي لهمْ حالوا
لقد خدعوني إذ أروني مودّةً ... ولكنّه لا غَرْوَ أن يُخْدَعَ الآلُ

وقال يخاطب رجلًا من أصحابه[٦]: [الطويل]

أبا حَسَنٍ[٧] إن شتَّتَ الدَّهرُ شَمْلَنا ... فليس لوُدٍّ في الفؤادِ[٨] شَتاتُ
وإن حُلْتَ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزلْ[٩] ... لِقلبي على حفظ العُهودِ ثَباتُ
وهَبْني سَرَتْ مني إليكَ إساءةٌ ... ألم تتقدّمْ قَبْلَها حَسَناتُ؟

وقال في النَّسيب[١٠]: [الطويل]

لئن[١١] كان بابُ القُرب قد سُدَّ بيننا ... ولم يَبْقَ لي في نَيْلِ وَصْلِك مَطْمَعُ
وأخْفَرْتَ[١٢] عهدي دون ذنبٍ جَنَيْتُهُ ... وأصْبَحَ وُدّي فيكَ وهو مُضَيَّعُ
ولم تَرْثِ لي عمّا[١٣] ألاقي مِنَ الأسى ... وصِرْتُ أُنادي منكَ مَنْ ليس يسمعُ
وضاقَتْ بيَ الأحوالُ عن كلِّ وُجْهة ... فما[١٤] أرْتَجي من رحمةِ الله أوْسَعُ

---

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٧). (٢) في الكتيبة: «أنبائها».
(٣) في الكتيبة: «في الحجال مُهابَةٌ ذخيرةُ نظْمٍ...».
(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).
(٥) في الأصل: «... أشكو غُدْرًا تودّدًا»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨)، ووردت في أزهار الرياض (٣ ص ١٩٥) منسوبة إلى محمد بن جزي.
(٧) في الأصل: «أيا حَسَنٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة وأزهار الرياض.
(٨) في أزهار الرياض: «بالفؤاد». (٩) في أزهار الرياض: «أزل».
(١٠) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨).
(١١) في الأصل: «ران» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.
(١٢) في الكتيبة: «وأخْفِرَ». (١٣) في الكتيبة: «ممّا».
(١٤) في الكتيبة: «الما».

وممّا نظمه في التّضمين مخاطبًا بعض المُنْتَحلين للشّعر قوله(١): [الطويل]

لقد صِرْتَ في غَصْب القصائد ماهرا ... فما آسْمُ جميع الشعرِ عندك غيرُ لي(٢)
ولم تُبْقِ شعرًا لامرئٍ متقدّم(٣) ... ولم تُبْقِ شعرًا يا ابن بِشْتٍ(٤) لأول
فشِعْرَ جَريرٍ قد غَصَبْتَ ورؤبةٍ(٥) ... وشعرَ ابن مَرْجِ الكُحْلِ وابن المُرَحَّل
وإن دام هذا الأمرُ أصبحتَ تَدَّعي ... (قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ ومنزل)(٦)

ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكَوّاب(٧)

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرىء.

حاله: من «الصّلة»: كان، رحمه الله، أتقَن أهل زمانه في تجويد كتاب الله العزيز، وأبرَعهم في ذلك، وأنْفَعهم للمتعلم، نفع الله به كل مَن قرأ عليه، وترك بعده جُملةً يُرجع إليهم في ذلك، ويُعمل على ما عندهم. وكان مع ذلك نَبيه الأغراض، في جميع ما يحتاج إليه في عِلْمه، ذاكرًا للاختيارات التي تنسب للمقرئين، مَن يُرجِّح ويُعَلِّل، ويختار ويَرُدّ، موفقًا في ذلك، صابرًا على التعليم، دائبًا عليه نهاره وليله، ذاكرًا لخلاف السّبعة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاصّتهم وعامّهم، وملأ بَلَده تجويدًا وإتقانًا، وكان مع هذا فاضلًا ورعًا جليلًا. خَطَب بجامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مشيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين(٨) بن كوثر، وأبي خالد بن رَفاعة، وأبي عبد الله بن عَرُوس. ورحل إلى بيّاسة فأخذ بها القراءات عن أبي بكر بن حسُّون، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حَكَم، وأبي جعفر بن عبد الرحيم،

---

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨ - ٩٩).
(٢) في الأصل: «غيزل» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٣) في الكتيبة: «متأخر». (٤) في الكتيبة: «فعْل».
(٥) في الأصل: «ورويُه» والتصويب من الكتيبة.
(٦) هو صدر مطلع معلقة امرىء القيس، وعجزه:
بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ وحَومَلِ
ديوان امرىء القيس (ص ٨).
(٧) ترجمة عبد الله بن محمد العبدري الكواب في التكملة (ج ٤ ص ٢٩٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٤٤٧ رقم ١٨٦٦).
(٨) في التكملة: «أبي الحسن».

وأبي الحسن الصَّدفي الفاسي، وسمع عليه كثيرًا من كتاب سيبويه تفقُّهًا، وأجاز له كتابةً القاضي أبو بكر بن أبي جَمْرة مع آخرين ممن أخذوا عنه.

مَن أخذ عنه: روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم، منهم ابن أبي الأحْوص، وأبو عبد الله بن إبراهيم المُقرىء.

وفاته: توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[١]، ودفن بمقبرة باب إلبيرة.

عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سَلْمون الكناني

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه الله، نسيجَ وَحْده، دِينًا وفضلًا، وتَخلُّقًا ودماثة، ولين جَانب، حسن اللِّقاء، سليم الباطن، مُغْرقًا في الخير، عظيم الهشّة والقَبُول، كريم الطَّويّة، عظيم الانقياد، طيِّب اللهجة، مُتهالكًا في التِماس الصَّالحين، يتقلّب في ذلك بين الخطإ والإصابة، صَدْرًا في أهلِ الشُّورى. قرأ ببلده وسمع وأسْمَع وأقرأ، وكتب الشروط مدة، مأثور العدالة، معروف النَّزاهة، مثلًا في ذلك، ويقوم على العربية والفقه، خصوصًا باب البُيوع، ويتقدَّم السُّباق في معرفة القراءات، منقطعَ القَرِين في ذلك، أشدَّ الناس خُفوفًا في الحوائج، وأسرعَهم إلى المشاركة.

مشيخته: قرأ على الأُستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير بغرناطة، ولازمه، فانتفع به درايةً وروايةً. وقرأ على الخطيب أبي الحسن بن فَضِيلة، والمُكَتِّب أبي الحسن البلُّوطي، وأبي محمد النَّفْزِي، والخطيب أبي جعفر الكُحيلي. وبمالَقة على الأُستاذ أبي محمد الباهلي. وبسَبْتَة على الأُستاذ المقرىء رُحْلَةِ وقته أبي القاسم بن الطيب، وسمع عليه الكثير. وعلى الأُستاذ أبي عبد الله الدَّرّاج، ولازم مجلس إقرائه، وعلى الشيخ المعَمَّر أبي عبد الله بن الخطَّار الكامي، وهو أعلى مَن لقيه من تلك الحَلْبة. وأخذ بالإجازة عن العَدْل أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن النُّولي، وروايته عالية. لقي أبا الربيع بن سالم، ولقي بسبتة الشَّريف الرَّاوية أبا علي الحسن بن أبي الشرف ربيع، والأديب الكاتب أبا علي الحسين بن عَتيق بن الحسين بن رَشيق. وبفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن المَغِيلي. وقرأ على الخطيب المحدّث أبي عبد الله بن رُشيد. وسمع على ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم. ولقي الأديب المعمَّر مالك بن المرحَّل. وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبي الحسن

---

(١) في التكملة: «وتوفي سنة ٦٣١ وهو ابن خمس وسبعين سنة».

الدّاري برُندة. وأجازه من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسني بقيّة الأشراف بالدّيار المصرية، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني، وجمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشّيباني، وأحمد بن عبد المنعم الصُّوفي، ومولده عام أحد وستمائة، وأحمد بن سَلْمان بن أحمد المَقْدسي، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي، والخطيب بالمسجد الأعظم ببِجاية أبو عبد الله بن صالح الكِناني، وأبو عبد الله محمد بن أبي خمسة محمد بن البكري بن أبي بكر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن وَهَب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشَيري، وابن دقيق العيد تقي الدين، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني. وأجازه نحو من المايتين من أهل المشرق والمغرب. ولقي بفاس الشّيخة الأديبة الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبيّة وأجازته، وألْبَسَتْهُ خرقة التصوُّف.

قال: وأنْشَدَتْني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدِّث أبا عبد الله بن رُشيد، أولها يعني قصيدة ابن رُشيد: [السريع]

سَرى نَسيمٌ مِنْ حِمى سارة ... عـاد بـه كـلُّ نَـسـيـم عـاطـرا
وجـال أفـكـار الـدُّنـا ذكـرهـا ... فـسـار فـيـهـا مـثـلًا سـائـرا
دائـرةٌ والـمَـجْـدُ قُـطْـبٌ لـهـا ... دارتْ عـلـيـه فَـلَـكًـا دائـرا

فـقـالـت:

وافـى قـريـضٌ مِـنْـكُـمُ مـذ غـدا ... لـبـعـض أوصـافِـكُـمْ ذاكـرا
أطْـلَعَ مِـنْ أنـفـاسـه حَـجْـوًا[1] ... ومِـنْ شَـذاهُ نَـفَـسًـا عـاطـرا
أعاد مَيْتَ الفِكر من خاطري ... من بَعْد دَفْنٍ في الثَّرى ناشرا
يَبْهر طَرْفي حُسْنُ مَنْظَره ... أَخِبْ به نَظْمًا غدا باهرا
فقلتُ لـمّـا[2] هـالـني حُسْنُه ... أشاعرًا أصبح أم ساحرا؟
أم روضةٌ هذي التي قد نوى؟ ... أم بَدْرُ تِمٍّ قد بدا زاهرا؟
أم ضَرَبٌ[3] من فمه سائل؟ ... أم جوهر أضحى لنا ناثرا؟

---

(١) في الأصل: «الحجاء، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لها» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) الضَّرَب، بفتح الضاد والراء: العسل الأبيض.

لله مــا أعْــذَبَ ألــفــاظَــهُ وأنــورَ الــبــاطــنَ والــظَّــاهــرا!
يا ابن رُشيد، بل أبا الرُّشد، مَنْ لم يزل طَيَّ العُلا ناشرا[1]
خُذْ ما فَدَتْكَ النَّفسُ يا سيدي وكُنْ لمن نَظَمَها عاذِرا
ما تصل الأنثى بتَقْصِيرِها لأنْ تُباري ذَكَرًا ماهرا
لا زلْتَ تُحيِي من رُسوم العُلا ما كان منها دارسًا داثرا

تصانيفه: الكتاب المسمى بـ «الشافي في تجربة ما وقع من الخلاف بين التَّيْسير والتَّبصرة والكافي» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين وستمائة.

وفاته: فُقد في الوقيعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأُولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة. حدّث بعض الجند أنه رآه يتحامل، وجُرْحٌ بصدره يَثْعَب دمًا، وهو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبّل الله شهادته.

عبد الله بن سهل الغرناطي[2]

يكنى أبا محمد، ويُنْبز[3] بوجه[4] نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمامة، قال: عُني بعِلْم القرآن والنحو والحديث عناية تامة، وبهذا كنت أسمع الثَّناء عليه من الأشياخ في حال طفولتي بغرناطة، ثم شُهر بعد ذلك بعِلْم المَنْطق، والعلوم الرياضية، وسائر العلوم القديمة، وعَظُم بسببها، وامتدّ صيتُه من أجلها، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أن ليس في زمانه مثله، ولا في كثير ممن تقدّمه، وبين هذه المِلَل الثلاثة من التّحاسد ما عُرف. وكانت النصارى تقصده من طُليطلة، تتعلّم منه أيام كان ببيّاسة[5]، وله مع قسّيسهم مجالسُ في

---

(١) في الأصل: «يا من لم يزل لِطَيّ العلى ناشرًا»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) ولد عبد الله بن سهل بغرناطة سنة ٤٩٠ هـ، وتوفي بمرسية سنة ٥٧١ هـ. ترجمته في التكملة (ج ٢ ص ٢٧٠) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٣٢).
(٣) في التكملة: «ويعرف» وكلاهما بمعنى.
(٤) في الأصل: «بالوجه» والتصويب من المصدرين.
(٥) بياسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر، وفيها الزعفران، تبعد عن جيان عشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ١٢١).

النّاظر، حاز فيها قَصَب السَّبق. قال: ثم خرج عن بيّاسة، وسار إلى نظر ابن هَمُشك[١] عند خروج النصارى عن بيّاسة. وله تواليف. وهو الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة.

عبد الله بن أيوب الأنصاري[٢]

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن خدوج[٣]، من أهل قلعة أيوب[٤].

حاله: فقيه حافظٌ لمذهب مالك. استوطن غرناطة وسكنها.

تواليفه: ألّف في الفقه كتابًا مفيدًا سماه «المنوطة على مذهب مالك»، في ثمانية أسفار[٥]، أتقن فيها كل الإتقان.

وفاته: توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وقد قارب المائة.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيىٰ ابن عبد الله الأنصاري[٦]

مالَقي، قرطبي الأصل، يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي، وقرأ بغرناطة.

حاله: كان[٧] في وقته ببلده كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجَوّدين[٨]، رئيس المحدِّثين وإمامهم، واسع المعرفة، مُكْثِرًا، ثقةً، عدلًا، أمينًا، مَكِين الرِّواية[٩]، رائق الخطّ، نبيل التَّقييد والضَّبط، ناقدًا، ذاكرًا أسماءَ رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جَرْحٍ وتَعْديل، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النَّظر[١٠]،

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن هَمَشْك، وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة.

(٢) ترجمة عبد الله بن أيوب الأنصاري في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٤).

(٣) في الأصل: «خرُوج» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) قلعة أيوب: بالإسبانية Calatyud، وهي مدينة أندلسية بقرب مدينة سالم. الروض المعطار (ص ٤٦٩).

(٥) في الذيل والتكملة: «ثمانية مجلدات».

(٦) ترجمة عبد الله بن الحسن الأنصاري في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩١) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٤٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٣٨) و(ج ٤ ص ١٩٩).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٨) في الذيل والتكملة: «المجودين» أي بدون واو العطف.

(٩) في المصدر نفسه: «الدراية».

(١٠) في الذيل والتكملة: «النظير».

متيقِّظًا، متوقّد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دَمِثًا، متواضعًا، حسن الخلق، مُحَبَّبًا إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وَقُورًا، مُعَظَّمًا عند الخاصة والعامة، دَيِّنًا، زاهِدًا، وَرِعًا، فاضلًا، نَحْويًا ماهرًا، رَيّان من الأدب، قائِلًا الجيِّد من الشعر، مَقْصِدًا ومَقْطعًا. وكان له بجامع مالَقة الأعظم مجلس عام، سِوى مجلس تدريسه، يتكلم فيه على الحديث، إسْنادًا ومَتْنًا، بطريقة عجز[١] عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. وتصدَّر للإقراء ابن عشرين سنة[٢].

من أخباره في العلم والذكاء: قالوا: قُرِىء[٣] عليه يومًا باب الابْتِداء بالكَلِم التي يُلْفظ بها في[٤] إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قيامًا عليه، فتكلّم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العَرُوض، وكان في الحاضرين مَنْ أَحْسَنَ[٥] صناعته، فجاذبه الكلام[٦]، وضايقه في[٧] المباحثة، حتى أحسَّ الأُستاذ من نفسه التَّقْصير، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض، فكفَّ عن الخَوْض في المسألة، وانصرف إلى منزله، وعكف سائر اليوم[٨] على تَصَفُّح عِلْم العَروض حتى فهم أغراضه، وحصَّل تواليفه[٩]، وصنَّف فيه مختصرًا نبيلًا لخَّص في صدره ضُروبه[١٠]، وأبدع فيه بنظم مثله، وجاء به من الغَدِ، مُعجزًا من رآه أو سمع به، فبُهِت الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه، ونفوذ فهمه، وسموّ همّته.

ومن أخباره في الدِّين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي، تلميذه الأخصُّ به: بتُّ معه ليلة في دُوَيْرته التي كانت له بجبل فاره[١١] للإقراءِ والمطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظانًا[١٢]، وهو ضاحك مسرور، يَشدُّ يده كأنّه ظفر بشيءٍ نفيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حُشروا في العَرْض على الله، وأُتي بالمحدِّثين، وكنت أرى أبا عبد الله النُّميري يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى،

(١) في الذيل والتكملة: «أعجز».
(٢) في الذيل والتكملة: «سنة أو نحوها».
(٣) النص في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٦).
(٤) في الذيل والتكملة: «من».
(٥) في الذيل والتكملة: «أَحْكَمَ صناعة العروض».
(٦) في الذيل والتكملة: «الكلام في المسألة».
(٧) كلمة «في» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٨) في الذيل والتكملة: «يومه».
(٩) في المصدر السابق: «قوانينه».
(١٠) في المصدر السابق: «قَرَّبَه».
(١١) جبل فاره: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزهة المشتاق (ص ٥٧٠).
(١٢) الصواب نحويًا: «يقظانَ»؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

فيعطي براءته من النَّار، ثم يُؤتى بي، فأُوقِفتُ بين يدي ربيّ، فأعطاني براءتي من النَّار، فاستيقظت، وأنا أشدُّ عليها يدي اغتباطًا بها وفرحًا، والحمد لله.

مشيخته: تلا[1] بمالقة على أبيه، وأبي زيد السُّهيلي، والقاسم بن دَحْمان، وروى عنهم، وعن أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفخّار، وابن نوح، وابن اليَتيم، وابن كامل، وابن جابر، وابن بُونة. وبالمنكّب عن عبد الوهاب الصَّدفي. وحضر بمالقة مجلس أبي إسحٰق بن قرقول. وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجد، وابن صاف، وأبي جعفر بن مَضاء، وأبوي الحسن عبد الرحمٰن بن مسلمة، وأبي عبد الله بن زَرْقون، وأبي القاسم بن عبد الرازق، وأبي محمد بن جُمْهور. وبغرناطة عن أبوي جعفر بن حَكَم الحصّار، وابن شُراحيل، وأبي عبد الله بن عروس، وأبوي محمد عبد الحق النّوالشي، وعبد المنعم بن الفَرَس. وبمرْسية عن أبي عبد الله بن حُميد، وأبي القاسم بن حُبيش. وبسبتة عن أبي محمد الحِجْري. وأجاز له من الأندلس ابن مُحْرز، وابن حسُّون، وابن خِيرة، والأرْكُشي، وابن حفص، وابن سعادة، ويحيى المَجْريطي، وابن بَشْكُوال، وابن قُزْمان. ومن أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره وتصانيفه: ألّف في العروض مجموعات نبيلة، وفي قراءة نافع. ولخّص أسانيد المُوَطّأ. وله المُبْدي، لخطإ الرُّندي. ودخل يومًا بمجلس أقرأ به أبو الفضل عِياض، وكان أفتى منه، غير أنّ الشَّيْب جار عليه، وتأخّر شَيْبُ الأُستاذ، فقال: يا أُستاذ، شِبْنا وما شِبْتُم، قال: فأنشده ارتجالًا[2]: [الطويل]

وهل نافعٌ[3] أنْ أخطأ الشَّيْبُ مَفْرِقي ... وقد شاب أترابي وشاب لِداتي؟

لئن كان خَطْبُ الشَّيْب يُوجَدُ حِسُّه[4] ... بِتِرْبي فمعناه يقومُ بذاتي

ومن شعره في التَّجْنيس[5]: [الطويل]

لَعَمْرُكَ، ما الدُّنيا وسرعةُ[6] سَيْرِها ... بسُكّانها إلّا طريقُ مَجازِ

حقيقتُها أنَّ المُقامَ بغيرها ... ولكنهمْ قد أُوْلِعوا بمجازِ

---

(١) قارن بالتكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٢).

(٢) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠). (٣) في الذيل والتكملة: «نافعي».

(٤) في المصدر نفسه: «عَيْنُهُ».

(٥) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٠).

(٦) في الأصل: «بسرعة» والتصويب من المصدرين.

ومما يؤثر أيضًا من شعره قوله[١]: [الخفيف]

سَهِرَتْ أعْيُنٌ ونامتْ عيونُ ... لأمورٍ[٢] تكُونُ أو لا تكُونُ
فاطْرُدِ الهَمَّ ما استطَعْتَ عن النَّفْـ ... ـسِ فَحِمْلانُكَ الهمومَ جنونُ
إنَّ رَبًّا كفاكَ بالأمْسِ ما كان ... سَيكْفِيكَ[٣] في غدٍ ما يكونُ

مولده: ولد أبو محمد قُريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة عام ستة وخمسين وخمسمائة.

وفاته: سَحر ليلة السبت أو سَحر يومها، ودفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة[٤] وستمائة.

مَن رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حسُّون البُرْجي من قصيدة حسنة طويلة[٥]: [الطويل]

خليليّ، هُبَّا ساعداني بِعَبْرَةٍ ... وقولا لمن بالريِّ: وَيْحَكُمُ هُبُّوا
نُبَكِّ[٦] العلا والمَجْدَ والعِلْمَ والتُّقى ... فمأتمُ أحزاني نوائحُهُ الصَّحْبُ
فقد سُلِبَ الدِّينُ الحنيفيُّ رُوحَه ... ففي كلّ سِرٍّ[٧] من نباهته نَهْبُ
وقد طُمِسَتْ أنوارُ سُنَّةِ أحمد ... وقد خَلَتِ الدنيا وقد ظَعنَ الرَّكْبُ
مضى الكوكبُ الوَقَّادُ والمُرْهَفُ الذي ... يُصَحِّحُ[٨] في نصِّ الحديث فما يَنْبو[٩]
تمنَّى علاه النيِّرانِ ونُورَهُ ... وقالا بزعمٍ: إنَّه لهما تِرْب
أَأَسْلُو وبَحْرُ العِلْمِ غِيضَتْ مِياهُه ... ومُحْيي رسومِ العِلْم يَحْجُبه التُّرْب؟
عزيزٌ على الإسلام أن يُودَعَ الثرى ... مُسَدَّدَهُ الأسْرَى[١٠] وعالمُهُ النَّدْبُ

(١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٤) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠).
(٢) في الذيل والتكملة: «في أمور».
(٣) في الأصل: «فسيكفيك»، وكذا يتكسر الوزن، والتصويب من بغية الوعاة. وفي الذيل والتكملة: «سيفك».
(٤) في الأصل: «سنة أحد عشر» وهو خطأ نحوي.
(٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٦ ـ ٢١٧).
(٦) في الأصل: «نبكي» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٧) في الأصل: «سرب»، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٨) في الذيل والتكملة: «يُصَمِّمُ».
(٩) في الأصل: «ينب» والتصويب من الذيل. (١٠) في الذيل والتكملة: «الأهدى».

بكى العالمُ العُلْويُّ والسَّبْعُ حَسْرَةً أُولئك[١] حِزْبُ الله ما فوقهمْ حِزْبُ
على القرطبيّ الحَبْرِ أُستاذِنا الذي على أهلِ هذا العصر فَضَّلَهُ الرَّبُّ
فقد كان فيما قد[٢] مَضى مِنْ زمانه به تَحْسُنُ الدُّنيا ويَلْتَئِمُ الشَّعْبُ
ويَجْمَعُ سِرْبَ الأُنْس روضُ جنابِهِ[٣] فقد جَفَّ ذاك الرَّوضُ وافترق السِّرْبُ
فسُحْقًا لدُنيا خادَعَتْنا بمكْرِها إذا عاقَدَتْ سِلْمًا فَمَقْصَدُها حَرْبُ
رَكِبْنا بها[٤] السَّهْلَ الذَّلُولَ فقادنا إلى كلّ ما في طَيِّه مَرْكَبٌ صَعْبُ
ونغفل عنها والرَّدى يَسْتَفِزُّنا كفى واعظًا بالموت لو كان لي لُبُّ

عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سِماك العاملي[٥]

يكنى أبا محمد، مالقي الأصل.

حاله: كان فقيهًا أديبًا، بارع الأدب، شاعرًا مطبوعًا، كثير النّادر، حُلْو الشّمايل، أدرك شيوخًا جِلّة، ووُلِّي قضاء غرناطة مدّة.

مشيخته: روى عن جدّه لأمه، وابن عمّ أبيه أبي عُمر أحمد بن إسماعيل، وأبي علي الغسّاني، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمٰن بن سَمْحون، والمرساني الأديب.

شعره: [الكامل]

الروض مُخْضَرُّ الرُّبى مُتَجَمِّلٌ للناظرين بأجمل الألوانِ
وكأنما بَسَطتْ هناك سِوارها خُودٌ زَهَتْ بقلائد العِقيانِ
وكأنّما فَتَقَتْ هناك نوافِجٌ من مِسْكةٍ عُجِنَتْ بِعَرْف البان
والطَّير يَسْجَع في الغُصُون كأنما تقرأ القِيان فِيه على العيدان

---

(١) في الأصل: «أولئكم» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.
(٢) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٣) في الأصل: «حياته» والتصويب من الذيل والتكملة.
(٤) كلمة «بها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.
(٥) ترجمة عبد الله العاملي في بغية الملتمس (ص ٣٣٩) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٨) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٢)، ضمن ترجمة ابنه محمد بن سماك العاملي، وجاء فيه أن عبد الله بن أحمد، المترجم له، ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٧ هـ. ونيل الابتهاج (ص ١٣٢) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٨١).

والماءُ مُطَّرد يسيل عُبابه ... كسلاسل من فِضّة وجُمان
بهجات حُسْن أُكمِلت فكأنها ... حُسْنُ اليقين وبهجةُ الإيمان

وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله[١] في أثناء رسالة[٢]: [الوافر]

تَفَتَّحتِ الكتابةُ عن نَسيم ... نسيمُ المِسْكِ في خُلُقِ الكريمِ[٣]
أبا نصرٍ، رَسَمْتَ لها رسومًا ... تُخالُ رسومُها وَضَحَ النُّجومِ
وقد كانت عَفَتْ فأنَرْتَ[٤] منها ... سراجًا لاح في اللَّيل البَهيمِ
فَتَحْتَ من الصِّناعة كلَّ بابٍ ... فصار[٥] في طريقٍ مستقيم
فكُتَّابُ الزمانِ ولستَ منهمْ ... إذا راموا مَرَامَك في هُمُوم
فما قُسٌّ بأبْدَعَ منك لفظًا ... ولا سَحْبانُ مثلُك في العلوم[٦]

وفاته: في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة، وهو ابن أربع وثمانين سنة.

ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن ابن مُنخل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها، يُكنى أبا محمد، ويُنسب إلى غافق بن الشّاهد بن عك بن عدنان، لا إلى حِصْن غافق.

حاله: من «العائد»: كان رجلًا صحيح المذهَب، سليم الصَّدْر، قليل المُصانعة، كثير الحركة والهشّة والجِدّة، ملازم الاجتهاد والعُكوف، لا يفتر عن النَّسْخ والتَّقييد والمطالعة، على حال الكَبْرة، قديم التَّعيُّن والأصالة، وُلّي القضاء عُمْره بمواضع كثيرة، منها بيرة ورُندة ثم مالَقة، مضافًا إلى الخطابة بها.

(١) هو الفتح بن خاقان، صاحب كتابي «مطمح الأنفس» و«قلائد العقيان».
(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٦ ص ٨١ ـ ٨٢).
(٣) في النفح: «كريم».
(٤) في الأصل: «فأثرت» والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «فسارة» والتصويب من النفح.
(٦) قسّ: هو قسّ بن ساعدة الإيادي. وسَحْبان: هو سحبان وائل، وقسّ وسحبان مضربا المثل في الفصاحة.

مشيخته: حجّ في حدود سبعة وثمانين وستمائة، وروى عن جِلّة من أهل المشرق، كالإمام تقي الدين بن دقيق العيد، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُّمياطي، وشمس الدين المصَنِّف أبي عبد الله بن عبد السلام. وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، والقاضي ابن أبي الأحوص، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة، والأُستاذ أبو الحسن ابن الصّائغ الإشبيلي، وأبو جعفر الطّباع، وغيرهم.

تواليفه: ألّف كتابًا سماه بـ«المنهاج، في ترتيب مسائل الفقيه المُشاور أبي عبد الله ابن الحاج».

مولده: ولد بغرناطة في حدود ستين وستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد بن عبد الله ابن أبي زَمَنين المرّي

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيهًا جليلًا، ووُلّي القضاء ببعض جهات غرناطة.

مشيخته: أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال، وأبي محمد بن سِماك القاضي. والعربية عن الخَضر بن رضوان العَبْدري. والحديث عن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمـٰن بن عطية، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد، والقاضي أبي الفضل عِياض بن موسى بن عِياض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في ذي قعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

عبد الله بن يحيـىٰ بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى ابن محمد بن يحيـىٰ بن زكريا الأنصاري(١)

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شَرْقي الأصل، مُرْسِيُّه، من بُيوتاته النّبيهة، وقد مرَّ ذكر أخيه.

---

(١) ترجمة عبد الله بن يحيىٰ بن زكريا الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

حاله: كان[١] على طريقة حسنة من دماثة الأخلاق، وسلامة السَّجِيَّة، والتزام الحِشْمة، والاشتغال بما يَعني. وُلِّي القضاء دون العشرين سنة، وتصرّف فيه عُمْره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلًا ونزاهة، ولم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، والتَّقدُّم في عَقْد الشُّروط، وصناعة الفَرائض، عِلْمًا وعملًا، ثاقب الذهن، نافذًا في صنعة العَدَد.

مشيخته: قرأ[١] على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا، وله رواية عالية من أعلام من أهل المشرق والمغرب. وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الوليّ الصالح، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الألْشِي، والأُستاذ أبي جعفر بن الزبير، والحاج أبي محمد بن جابر، وأبي بكر القَلَلُوسي. وقرأ العَدَد وما أشبهه على الأُستاذ الثّعاليمي أبي عبد الله الرقَّام، ولازمه، وأجازه طائفة كبيرة. أخبرني ولده الفاضل أبو بكر، قال: وَرَد سؤالٌ من تونس مع تاجر وصل في مَرْكب إلى مدينة المُنَكَّب أيام قضائه بها، في رَجُل فَرَّط في إخراج زَكاة مالِه سنين مُتَعَدِّدة، سُمِّيت في السؤال مع نِسْبة قَدْر المال، وطُلب في السؤال أن يكون عَمَلها بالأربعة الأعداد المُتَنَاسبة، إذ عَمَلُها بذلك أصعبُ من عملها بالجَبْر والمُقابلة، فعَمِلها وأخرجها بالعَمَلَين، وعبَّر عنها بعبارة حسنة، وكتبها في بطاقة بخطٍّ جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلّا ونسخ منها نُسخة واستحسنها.

مولده: ولد يوم الخميس السابع عشر[٢] لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي قاضيًا بِبَسْطة في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدي

من أهل مُرْسِية، نَزيل غرناطة، يُكنى أبا محمد، وبيته بمرْسِية من أعلام بيوتاتها، شهير التَّعَيُّن والأصالة، ينكح[٣] فيه الأُمراء.

---

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠): «مولده منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٦٧٥».

(٣) ينكح فيه الأمراء: يريد أن الأمراء كانوا يتزوجون من بناته.

حاله: كان من أعلام وقته فضلًا وعدالة وصلاحًا ووقارًا، طاهر النشأة، عفّ الطُّعمة، كثير الحياء، مليح التّخلّق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولّى القضاء ببيرة وجهاتها، ثم جاز إلى سَبْتَة، وانعقدت بينه وبين رؤسائها المُصاهرة في بعض بَناته. ثم آب إلى غرناطة عند رجوع إيالة سبتة إلى أميرها، فتقدّم خطيبًا بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الرّبيع بن سالم وأمثاله.

وفاته: الغريبة المُستَحسنة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمعه عند سجوده وتَبَتُّله وضَراعته إلى الله يقول: اللهمّ، أمِتْني مَيْتةً حَسَنة، ويكرّر ذلك. فأجاب الله دعاءه، وتوفّاه على أتمّ وجوه التّأنيب طهارةً وخشوعًا وخضوعًا وتأهُّبًا، وزمانًا ومكانًا، عندما صعد أوّل دَرَجٍ من أدراج المِنبر، يوم الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبعمائة، فكان يومًا مشهودًا لا عهد بمثله، ما رُئي أكثر باكيًا منه، وأكثر الناس من الثناء عليه.

عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأزدي[١]

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصّلة»: قال[٢]: القاضي المحدّث الجليل العالم، كان فقيهًا جليلًا أصوليًا، نحويًا، كاتبًا، أديبًا، شاعرًا، مُتَفَنّنًا في العلوم، ورعًا، دَيّنًا، حافظًا، ثَبْتًا، فاضلًا. وكان يُدرّس كتاب سيبويه، ومُستَصْفى أبي حامد[٣]، ويميل إلى الاجتهاد في نظره، ويُغَلّب طريقة الظّاهرية[٤]، مشهورًا بالعقل والفضل، معظّمًا، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأُمراءِ والمحافل الجمهورية، مُقَدّمًا في ذلك، بلاغةً وفصاحة إلى أبعد مِضمار. ولملوك الموحّدين به اعتناءٍ كبير. وهو كان أُستاذ الناصر[٥] وإخوته، وكان له عند المنصور والدهم، بذلك أكْرَم أثرة، مع ما كان مشهورًا به من العلم والدّين والفضل. وُلّي القضاء بإشبيلية وقُرْطبة

(١) ترجمة ابن حوط الله في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٥٠) والوافي بالوفيات (ج ١٧ ص ٢٠١) والديباج المذهب (ج ١ ص ٤٤٧) ونفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤). (٣) في النفح: «أبي حامد الغزالي».

(٤) أي طريقة ابن حزم الظاهري المذهب.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب، رابع خلفاء الموحدين، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

ومُرْسية وسَبْتَة وسَلا ومَيُورقة، فتظاهر بالعدل، وعُرف بما أبْطن من الدين والفضل، وكان من العلماء العاملين، سُنّيًا، مُجانبًا لأهل البِدع والأهواءِ، بارع الخَطّ، حسن التَّقييد.

مشيخته: تردَّد[1] في طلب العلم، فسمع ببلنسية وشاطِبة ومرسية وألمرية وقرطبة وإشبيلية ومالَقة، وغيرها من البلاد الأندلسية، وتحصّل له سماعٌ جمٌّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب[2]. قرأ القرآن على أبيه، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغسّاني، وأخذ عن ابن حُميد كتاب سيبويه تفقُّهًا، وعن غيره، وسمع عن ابن بَشْكُوال، وقرأ أكثر من ستّين تأليفًا بين كبار وصغار، وكَمَل له على أبي محمد بن عبد الله، بين قراءة وسماع، نحو من ستة وثلاثين تأليفًا، منها الصّحيحان، وأكثر عن ابن حُبيش، والسُّهيلي، وابن الفخّار وغيرهم. واستيفاءُ مشيخته يَشُقّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدنيه ابنه أبو القاسم، ونقلت من خطه[3]: [الوافر]

أتَـدْري أنّـك الـخَـطّـاءُ حَـقًّـا ... وأنّـك بـالـذي تَـدْرِي[4] رَهـيـنُ؟
وتَغْتاب[5] الأُلى[6] فعلوا وقالوا ... وذاك الـظّـنُّ والإفْـكُ[7] الـمُـبِـيـنُ

مولده: في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[8].

وفاته: كان آخر عمره قد أُعِيد إلى مُرْسية، قَصَدها من الحضْرة، فمات بغرناطة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستمائة، ونُقل منها في تابوته الذي أُلحِد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالَقة، فدفن بها.

عبد الله بن يحيىٰ بن عبد الرحمـٰن بن أحمد ابن عبد الرحمـٰن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ربيع.

---

(١) النص أيضًا في نفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤ ـ ١٠٥).
(٢) في النفح: «الغرب».
(٣) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) ونفح الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).
(٤) في المصدرين: «تأتي».
(٥) في الأصل: «وتعتب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «الورى». (٧) في المصدر نفسه: «والإثم».
(٨) في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣)؛ ولد سنة ٥٤٩ هـ. وفي النفح: «ومولده في محرم سنة ٥٤١».

حاله: كان، رحمه الله، أديبًا، كاتبًا، شاعرًا، نحويًا، فقيهًا أُصوليًا، مُشاركًا في علوم، مُحبًا في القراءة، وطيًا عند المناظرة، مُتَناصفًا، سنِيًا، أشعَرِي المذهب والنَّسب، مُصَمِّمًا على طريقة الأشعَرِيَّة، مُلتَزمًا لمذهب أهل السُّنَّة المالكي، من بَقايا الناس وعِلْيَتِهم، ومن آخر طَلَبة الأندلس المشاركين الجِلَّة، المُصَمِّمين على مذهب أهل السُّنة، المُنافرين للمذاهب الفلسفية والمُبْتَدِعة، والزَّيغ. وُلِّي قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شَرِيش ورُنْدة ومالَقة، وأمّ وخَطَبَ بجامعها. ثم وُلِّي قضاء الجماعة[1] بحضرة غرناطة، وعَقَد بها مجلسًا للإقراءِ، فانْتَفَع به طلبَتُها، واستمرّ على ذلك، وكانت ولايته غرناطة نحوًا من سبعة أعوام.

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقّه به، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيىٰ الحِمْيري، وتلا عليه، وتأدّب به، وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وروى مع هؤلاءِ عن القاضي أبي القاسم بن بَقِي، وأبي محمد بن حَوْطِ الله، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ، وغيرهم. وأجاز له الشيخ المُسِنُّ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشُّقُوري، وله به عُلُوٌّ، وبالأستاذ الخطيب المُسنّ أبي جعفر بن يحيىٰ المتقدم.

وفاته: توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة، ولم يَخْلِف بَعْده مثله، ولا مَنْ يُقاربه.

عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفي العاصمي

من ولد عاصم بن مُسْلم، الداخل في طلعة بَلْج الملقّب بالعِريان، أخو الأُستاذ أبي جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد.

حاله: كان طبيبًا ماهرًا، كاتبًا شاعرًا، ذاكرًا للُغة، صِنْعَ[2] اليدين، متقدّمًا في أقرانه نباهة وفصاحة، معدوم النظير في الشجاعة والإقدام، يحضر الغزوات، فارسًا وراجلًا، ولقي بفَحْص غرناطة[3] لِيلًا نَصْرانيًا يتجسّس، فأسَرَه وجرَّه، وأدخله البلد، ولم يلتفت إلى ثَمَنِه اسْتِكْتامًا لتلك الفِعلة.

---

(١) قاضي الجماعة في الأندلس، هو منصب قاضي القضاة بالمشرق.

(٢) صِنْعُ اليدين وصَنَعُ اليدين: حاذق في الصنعة. لسان العرب (صنع).

(٣) فحص غرناطة: مَرْج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيح وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف، يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada. يقع غربي غرناطة ويمتد غربًا حتى مدينة لوشة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

مشيخته: أخذ القرآن عن الأُستاذ أبي عبد الله بن مَسْتَقور، وروى عن أبي يحيىٰ بن عبد الرحيم، وأبي الوليد العطار، وأبي القاسم بن ربيع، وأبي الخطار بن خليل، وأخذ عن أبي عُمر بن حَوْطِ الله بمالقة، وابن أبي ريحانة. وبِسَبْتَة على أبي بكر بن مشليون. وأجاز له أبو بكر بن مُحرز، وأبو الحسن الشّاري. وأخذ عن الأُستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِناني.

مولده: وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بها سحر أول يوم من ذي قعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمٰن بن حمّاد الصَّنْهاجي

يكنى أبا يحيىٰ.

حاله: طالبٌ نبيل فاضل، ورع زاهد، مُؤْثِر في الدنيا بما تملّكه، تالٍ لكتاب الله في جميع الأوقات.

أخباره في الإيثار: وَجّه له السيد أبو إسحٰق ابن الخليفة أبي يعقوب[1] خمسمائة دُنَير ليُصْلح بها من شأنه، فصرَفَ جميعها على أهل السَّتر في أقلّ من شهر. ومرّ بفتًى في إشبيلية، وأعوان القاضي يحملونه إلى السِّجن، وهو يبكي، فسأله، فقال: أنا غريبٌ، وطُولِبْتُ بخمسين دُنَيْرًا، وبيدي عقود، وطولبت بضامن فلم أجِدْه، فقال: له الله، قال: نعم، قال: فدفع له خمسين دُنيرًا، قال: أشهَد لك بها، فضَجِر وقال: إن الله إذا أعطى عبده شيئًا لم يُشْهد به عليه، وتركه وانصرف لشأنه، وكانت عنده معرفة وأدب.

مولده: بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ومن ترجمة الكتّاب والشعراء بين أصلي وطارىء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي[2]

من أهل بَلّش، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن المُرابع.

---

(١) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٨٣).

(٢) ترجمة عبد الله الأزدي في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٠) و(ج ٨ ص ٢٣٦، ٣٩٢).

حاله: من نُبهاءِ أدباءِ البادية، خَشِن الظاهر، مُنطَوٍ على لَوْذَعيّة مُتوارية في مظهر جَفْوة، كثير الانطِباع عند الخُبْرة، قادر على النظم والنثر، متوسّط الطّبقة فيهما، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر، سيّال القريحة، مَرْهُوب الهجاءِ، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخِدم المخْزَنيّة، بين خارِص وشاهد، وجدٌ بذلك وقته، يوسّط رَقاعَته، فتنجح الوسيلة، ويتمشّى له بين الرّضا والسُّخط الغرض.

وجرى ذكره في «التاج» بما نصّه[1]: «طويل القوادم والخَوافي، كَلِفَ على كبر سنّه بعَقائل القوافي، شابَ في الأدب وشَبّ، ونَشِقَ ريح البيان لمّا هَبّ، فحاول رفيعَه[2] وجَزْله، وأجاد جِدَّه وأحْكم هَزْله. فإنْ مَدَح صَدَح، وإن وصَف أنْصَف، وإن عَصَف قَصَف، وإن أنشأ ودوّن، وتَقَلّب في أفانين البلاغة وتلوّن، أفسد ما شاء الله وكَوَّن، فهو شيخُ الطريقة الأدبيّة وفَتاها، وخطيب حَفْلها كلّما أتاها، لا يتوقّف عليه من أغراضها غرض، ولا يَضيع لديه منها مُفترض. ولم تزل بُرُوقُه تتألّق، ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلّق، حتى بَرَزَ في أبطال الكلام وفُرْسانه، وذَعِرَتِ القلوبُ لسَطْوة[3] لسانه، وألْقَتْ إليه الصِّناعةُ زِمامَها، ووَقَفَتْ عليه أحكامها. وعَبَرَ البحرَ مُنْتَجِعًا بسعْره[4]، ومُنْفِقًا في سوق الكَساد من شعْرِه[5]، فأبْرَق وأرْعَد، وحَذّر وتوعّد[6]، وبلغ جَهْد إمكانه، في التّعريف بمكانه، فما حرّك ولا هَزّ، وذَلّ في طلب الرِّفْد وقد عَزّ، وما بَرِح أن رجع إلى وطنه الذي اعتاده، رجوع الحديث إلى قَتاده.

شعره: قال في «التاج»: وقد أثْبَتُّ من نَزَعاته، وبعضِ مُخْترعاته، ما يدلّ على سَعَة باعه، ونهضة ذِراعه. فمن النسيب قوله[7]: [البسيط]

ما لِلْمُحِبّ دواء يُذْهِبُ الألَما	عنه سوى لَمَمٍ فيه ارتشافُ لَمى
ولا يَرِدُّ عليه نَوْمَ مُقْلته	إلّا الدُّنوُّ إلى مَنْ شَفّه سَقَما
يا حاكمًا والهوى فينا يُؤَيّدُهُ	هواكَ فيَّ بما تَرْضاهُ قد حَكَما
أشْغَلْتَني بك شُغْلًا شاغلًا فَلِمَ[8]	تناسى، فديتك، عنّي بعد ذاك لما؟

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣).
(٢) في النفح: «رقيقه».
(٣) في النفح: «بسطوة».
(٤) في النفح: «بشعره».
(٥) في النفح: «سعره».
(٦) في النفح: «وأوْعَدَ».
(٧) ورد في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣) فقط الأبيات الأول والثاني والثالث.
(٨) في الأصل: «فلما»، وكذا ينكسر الوزن.

مَلَكْتَ روحي فأرْفِق قد عَلمْتَ بما ... يَلْقى ولا حجّةٌ تبقى لمن عَلِما
ما غِبْتَ عنّيَ إلّا غاب عن بَصَري ... بَدْرًا إذا لاح يُجْلي نورُه الظُّلُما
ما لُحْتَ لي فدَنا طَرْفي لغيرك يا ... مولًى لحا فيه جَفْني النوم قد حُرما
طَوْعًا لطيْعك لا أعْصيك فاقضِ بما ... ترضاه أرْضَى بما ترضى ولا جَرَما
إنّ الهوى يقتضي ذُلّا لغيرك لو ... أفادني فيك قُرْبًا يُبرِّد الألما
سَلِمْتَ من كل عَيْبٍ يا محمدُ لا ... كنْ قَلْبُ صبِّكَ من عَيْنيكَ ما سَلِما

ومن مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصُّوفية ببلده مع طالعٍ من ولده: [الطويل]

مُماليكُمُ قد زاد فيكمْ مُرابعُ ... من الأُفُق الكَوْني باليُمْن طالعُ
بأنواركمْ يهدى إلى سُبُل الهدى ... ويَسْمو لِما تَسْمو إليه المَطالعُ
فواسوه منكمْ بالدُّعاء فإنه ... مُجاب بفضل الله للخَلْق نافعُ
أفاض عليه الله من بَرَكاتكمْ ... وأبقاكُم ذو العرش ما جَنَّ ساجع

فوقّع له الشيخ المخاطب بها، أبو جعفر بن الزيات، رحمه الله، بما نصُّه: [الطويل]

عسى الله يؤتيه من العِلْم حِصَّة ... تُصَوّبُ على الألباب منها يَنابعُ
ويجعله طَرْفًا لكلّ سجيَّة ... مُطهَّرة للناس فيها منافعُ
ويُلْحِقه في الصالحات بجدِّه ... فيثني عليه الكلُّ دانٍ وشاسعُ
وذو العرش جَلّ آسْمًا عميمٌ نواله ... وخير الورى في نصِّ ما قلت شافع
فما أنت دوني يا أباه مُهنّأً ... به فالسرور الكلُّ بابنك جامع

وله يستدعي إلى الباكور: [الوافر]

بَدارِ بَدارِ قد آن البِدار ... إلى أكواس باكورٍ تُدارُ
تَبَدَّتْ رافلاتٍ في مُسوح ... له لون الدَّياجي مُسْتعارُ
وقد رَقَمَتْ بياضًا في سواد ... كأنّ الليل خالَطَه النّهار
وقد نَضِجَتْ وما طُبِخَتْ بنار ... وهل يُحتاج للباكور نار؟
ولا تحتاج مَضْغًا لا وليس ... عجيبٌ لا يُشَقُّ له غُبار
فَقُلْ للخلق قُلْ للضِّرْس دَعْني ... ففي البَلْع اكتفاءٌ واقتصار

وممّا وقع له أثناءَ مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة وهي[(١)]: [المتقارب]

رَعَى الله عَهْدًا حوى ما حوى لأهل الودادِ وأهلِ الهَوى
أراهُمْ أُمورًا حَلا وِرْدُها وأعطاهُمُ السؤلَ كيف نَوى[(٢)]
ولمّا حَلا الوصلُ صالوا له ورامُوه مأوًى وماءَ رِوى[(٣)]
وأوردهم سر أسْرارهم وردٌ إلى كلّ داءٍ دَوا[(٤)]
وما أمَلٌ طالَ إلّا وَهى ولا آمِلٌ[(٥)] صالَ إلّا هَوى

وقال يَرْثي ديكًا فَقَدَهُ، ويصف الوجد الذي وَجَده، ويبكي من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مُسْتَطرف شانه[(٦)]: [البسيط]

أوْدى به الحَتْفُ لمّا جاءَه الأجَلُ ديكًا فلا عِوَضٌ منه ولا بَدَلُ
قد كان لي أملٌ في أن يعيشَ فلم يَثْبُتْ مع الحَتْفِ في بُغيا لها[(٧)] أملُ
فَقَدْتُه فَلَعَمْري إنها عِظَةٌ وبالمواعظ تُذْري دَمْعَها المُقَلُ
كأنّ مُطَرَّفَ وَشْيٍ فوق ملبسه عليه من كلّ حُسْنٍ باهرٍ حُلَلُ
كأنّ إكليلَ كِسْرى فوق مَفرِقِهِ وتاجُه فهو عالي الشّكل مُحتَفل
مُؤَقّتٌ لم يكنْ يُخزى[(٨)] له خطأٌ فيما يُرَتّب من وِرْدٍ ولا خَطَل[(٩)]
كأنّ زَرْقيل[(١٠)] فيما مَرّ عَلّمه عِلْمَ المواقيت فيما[(١١)] رَتّبَ الأول

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٢) في النفح: «... السؤلَ كلّا سوا».
(٣) في الأصل: «مَلوًا وما رَوا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. والرِّوى: الماء الكثير المروي. لسان العرب (روا).
(٤) رواية البيت في الأصل هي:
وأوردهم سرًا سِرارهم وروْدًا إلى الكل ذا دوا
وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «أملٌ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩).
(٧) في النفح: «في بُقياه لي أملُ».
(٨) في الأصل: «بطريق» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من النفح.
(٩) في النفح: «خَلَلُ».
(١٠) في النفح: «زرقال». وهو إبراهيم بن يحيى النقاش الزرقالي القرطبي، ويعدُّ من أعظم أهل الفلك، وقد وضع جداول فلكية واخترع أجهزة دقيقة كالزرقالية والصفيحة. تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٥١).
(١١) في النفح: «ممّا».

يُرَحِّلُ الليلَ يُحيِي بالصراخ فما يصدُّه كَلَلٌ عنه ولا مَلَل
رأيتُه قد وَهَتْ[1] منه القُوى فهوى للأرض فعلًا يُريه الشاربُ الثَّمِل
لو يُفْتَدى بديوكِ الأرض قلْ له ذاك الفِداء[2] ولكن فاجأ الأجل
قالوا الدَّواءَ فلم يُغْنِ الدَّواءُ[3] ولم ينفعه من ذاك ما قالوا وما فعلوا
أمَّلْتُ فيه ثوابًا أجرَ مُحْتَسِبٍ إن قلتُ[4] ذلك[5] صَحَّ القولُ والعملُ

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النَّصريين في بعض أسفاره، وقد نظر إلى شُلير[6]، وتردّى بالثلج وتعمّم، وكَمَل ما أراد من بِزّته وتمّم، أن ينظم أبياتًا في وصفه، فقال بديهة[7]: [الطويل]

وشيخٌ جليلُ القَدْرِ قد طال عُمْرُهُ وما عنده عِلْمٌ بطولٍ ولا قِصَرْ
عليه لباسٌ أبيضٌ باهرُ السَّنا وليس بثوبٍ أحْكَمَتْهُ يَدُ البَشَرْ
وطورًا[8] تراه كُلَّه كاسِيًا به وكُسْوَتُهُ فيها لأهل النُّهى عِبَرْ
وطورًا تراه عاريًا ليس يشتكي[9] لحرٍّ[10] ولا بَرْدٍ من الشمس والقَمَرْ
وكم مَرَّتِ الأيامُ وهو كما ترى على حاله لم يَشْكُ ضعفًا ولا كِبَرْ
فذاك[11] شُلَيْرٌ شيخُ غرناطةَ التي لبهجتها في الأرض ذِكْرٌ قد انتشر[12]
بها ملكٌ سامي المراقي أطاعه كبارُ ملوكِ الأرض في حالة الصِّغَرْ
تولّاه رَبُّ العَرْشِ منه بعِصْمَةٍ تَقِيه مَدى الأيامِ مِنْ كلِّ ما ضَرَرْ

نثره: ونثره كثير ما بين مخاطبات، وخُطب، ومُقْطعات، ولعب، وزَرَديَّات شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي أضحية:

---

(١) في الأصل: «وهنت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٢) في الأصل: «الفدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٣) في الأصل: «الدوا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «نلْتُ».
(٥) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) جبل شُلَيْر، بالإسبانية Sierra Nevada، وهو أحد مشاهير جبال الأرض. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣) ففيه دراسة مفصلة عن هذا الجبل.
(٧) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠).
(٨) في النفح: «فطورًا».
(٩) في النفح: «يكتسي».
(١٠) في النفح: «بحرّ».
(١١) في النفح: «وذاك».
(١٢) في النفح: «اشتهر».

يقول شاكر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناشر غُرر الغُرَر للعاكف والبادي، والرائح والغادي، اسمعوا مني حديثًا تَلَذُّه الأسماع، ويَسْتَطرفه الاستماع، ويشهد بحسنه الإجماع، ويجب عليه الاجتماع، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلّا لمثلي، ولا ذكرت عن أحد قَبْلي، وذلك يا معشر الألِبّاء، والخُلَصاءِ الأحِبّاء، أني دخلتُ في هذه الأيام داري، في بعض أدواري، لأقضي من أخذ الغِذاء أوْطاري، على حسَب أطواري، فقالت لي ربّة البيت: لم جئت، وبما أتَيْت؟ قلت: جئتُ لكذا وكذا، فهات الغذا، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم، ولو أوْدَى بك الصَّوم، حتى تَسَل الاستِخارة، وتفعل كما فعل زوجُ الجارة، طَيَّب الله نِجارَه، وملأ بالأرزاق وِجارَه. قلت: وما فعل قَرِيني، وأرني من العَلامة ما أحببتِ أن تريني. قالت: إنه فكَّر في العيد، ونظر في أسباب التَّعييد، وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد، وأنت قد نسيتَ ذكرَه ومَحَوْته من بالك، ولم تنظر إليه نَظْرة بعين اهتِبالك، وعيد الأضحى في اليد، والنظر في شراء الأضْحية اليوم أوْفَقُ من الغَد. قلت: صَدَقْتِ، وبالحقّ نَطَقْتِ، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفُّيك، فلقد نَبَّهتِ بَعْلك لإقامة السُّنة، ورفعت عنه من الغَفْلة مِنّة. والآن أسير لأبحث عمّا ذكرت، وأنظر في إحضار ما إليه أشرْتِ، ويتأتّى ذلك إن شاء الله بسَعْدك، وتنالين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجدُّ ليس من الهزل، والأضْحية للمرأة وللرجل الغَزل. قالت: دَعْني من الخرافات، وأخبار الزّرافات، فإنّك حُلو اللسان، قليل الإحسان، تَخِذْت الغُربة صُحبتك إلى ساسان، فتهاونت بالنِّساء، وأسَأْت فيمن أساء، وعُوِّدت أكل خُبْزك في غير مَنديل، وإيقاد الفَتيل دون قَنْديل، وسُكْنى الخان، وعدم ارتفاع الدُّخان، فما تقيم مَوْسِمًا، ولا تعرف له مَيْسِمًا، وأَخَذْت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا في طَرَفي نَقيض، إلى أن قلت لها: إزارُك وردائي، فقد تَفاقم بكِ أمرُ دائي، وما أظنُّك إلّا بَعْض أعدائي، قالت: ما لك والإزار، شطَّ بك المَزار؟ لعلك تريد إزهانه في الأضْحِية والأبزار، اخرجْ عني يا مَقِيت، لا عَمِرْتُ معك ولا بقيت، أوْ عَدِمْتُ الدِّين، وأخذ الورق بالعين. يلزمني صوم سَنة، لا أغْفَيْتُ معك سِنة، إلّا إن رَجَعت بمثل ما رجع به زوج جارتي، وأرى لك الرِّبح في تجارتي. فقمت عنها وقد لَوَتْ رأسها ووَلْوَلت، وابْتَدَرت وهَرْولت، وجالت في العِتاب وصَوَّلت، وضمّت بِنتَها وولدها، وقامت باللَّجج والانتصار بالحُجَج أوَدها، فلم يسعني إلّا أن عدوت أطوف السِّكك والشوارع، وأُبادر لما غدوتُ بسبيله وأُسارع، وأجُوب الآفاق، وأسأل الرِّفاق، وأخترق الأسواق، وأقتحم زَرِيبة بعد زريبة، وأخْتَبِر منها البعيدة والقريبة، فما استَرْخَصْته استَنْقَصْته، وما استغْلَيته استعليته، وما وافق غرضي، اعْتَرَضني دُونه عَدَمُ عَرَضي، حتى انقضى ثُلثا يومي، وقد عَيِيت بدَوَراني وهَوَمي، وأنا لم أتحصل من

الابتياع على فائدة، ولا عادت عليَّ فيه من قضاءِ الأرب عائدة، فأَوْمأت الإياب، وأنا أجد من خَوْفها ما يجد صغار الغَنَم من الذِّئاب، إلى أن مررت بقصّاب يقصب في مَجْزَرِه، قد شدَّ في وسطه مِئزره، وقَصَّر أثوابه حتى كشف عن ساقَيْه، وشمَّر عن ساعديه حتى أبدى مِرْفَقَيْه، وبين يديه عَنْزٌ قد شدَّ يديه في رقَبَته وهو يجذبه فيبرك، ويجرُّه فما يتحرَّك، ويروم سَيْره فيرجع القهقرى، ويعود إلى وَرا، والقصاب يشدُّ على إزاره، خِيفةً من فِراره، وهو يقول: اقتُلْه من جانٍ باغ، وشيطان طاغ، ما أشدَّه، وما ألدَّه وما أصدَّه، وما أجدَّه، وما أكثره بشَحْم، وما أطَيَبه بلحم، الطَّلاَق يلزمه إن كان عاين تَيْسًا مثله، أو أُضحِيَة تشبهه قبله، أُضحية حَفِيلة، ومِنحة جليلة. هنّأ الله من رُزِقها، وأخْلف عليها رِزْقها. فاقتحمت المُزْدَحم أنظر مع مَن نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في التقليب والتَّخمين، ولا أفرِّق بين العجف والسَّمين، غير أني رأيت صورة دون البَغْل وفوق الحمار، وهيكلاً يُخبرك عن صورة العمَّار، فقلت للقصّاب: كم طَلَبك فيه، على أن تُمهل الثَّمن حتى أوفِيه؟ فقال: ابغِني فيه أجيرًا، وكن له الآن من الذَّبح مُجيرًا، وخُذْه بما يُرْضي، لأول التقضِّي. قلت: استَمع الصوت، ولا تَخَف الفَوْت. قال: ابْتَغِه مني نَسِيئَة، وخُذه هديَّة، قلت: نعم، فشقَّ لي الضمير، وعاكسني فيه بالنَّقير والقِطْمير، قال: تضمن لي فيه عشرين دينارًا، أقبضها منك لانقضاءِ الحول دُنيْرًا دُنَيْرًا، قلت: إنَّ هذا لكثير، فاسمح منه بإحاطة اليسير. قال: والذي فَلَق الحبَّة، وبرأَ النَّسمة، لا أنقصك من هذا، وما قلت لك بِسِمْسِمة، اللهمَّ إن شئت السَّعة في الأجل، فأقضي لك ذلك دون أجل، فجلبني للابْتِياع منه الإنساءُ في الأمَد، وغلبني بذلك فلم أفْتَقر منه لرأي والد ولا وَلَد، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشْورة أحد، وقلت: قد اشتريته منك فضَع البركة، ليصحَّ النُّجح في الحركة. فقال: فقيهٌ بارك الله فيه قد بِعتُه لك، فاقبِض متاعك، وثَبِّت ابتياعك، وها هو في قَبْضِك فاشدُدْ وثاقه، وهلمَّ لنعقد عليك الوَثاقة. فانحدَرت معه لدكان التَّوثيق، وابتدرت من السَّعة إلى الضِّيق، وأوْثَقني بالشادّة تحت عَقْدٍ وثيق، وحَمَلَني من ركوب الدَّين ولحاق الشَّين في أوْعر طريق. ثم قال لي: هذا تَيْسُك فشأنك وإياه، وما أظنّك إلّا تَعْصِياه، وأتِ بحمَّالين أربعة فإنك لا تقدر أن تَرْفَعه، ولا يتأتى لك أن يَتْبَعك ولا أن تَتْبَعه، ولم يبق لك من الكُلْفَة إلّا أن يَحْصَل في محلِّك، فيكْمُل سرورُ أهلك. وانطلقت للحمَّال وقلت: هلم إليَّ، وقم الآن بين يديَّ، حتى انتهينا إلى مَجْزَرة القصَّاب، والعَنْزُ يُطلب فلا يُصاب، فقلت: أين التَّيس، يا أبا أُوَيْس؟ قال: إنه قد فَرَّ، ولا أعلم حيث استَقَرَّ. قلت: أَتُضِيع عليَّ مالي، لتَخيب آمالي، والله لا يُحْزنك بالعَصا، كمن عَصا، ولا رَفَعتُك إلى الحُكَّام، تُجري عليك منهم الأحكام. قال: ما لي علم به، ولا بمنْقَلِبه، لعلَّه فرَّ لأمِّه وأبيه، وصاحِبته

وبَنِيه، فعليك بالبَرِيح. فاتجهت أُنادي بالأسوَاق، وجيران الزُقاق، من ثَقِف لي تَيْسًا فله البُشارة، بعد ما أتى بالأمارة، وإذا بِرَجُلٍ قد خرج من دَهْليز، وله هَدِير وهَزِيز، وهو يقول: مَن صاحبُ العَنْزِ المشُوم؟ لا عَدِم به الشُوم، إن وَقَعَتْ عليه عيني، يرتفع الكلام بينه وبيني. قلت: أنا صاحبه فما الذي دَهاك منّي، أو بلغك عنّي. قال: إن عَنْزَك حين شَرَد، خرج مثل الأسد، وأوقع الرَّهَج في البَلَد، وأضرَّ بكل أحَد، ودخل في دهليز الفَخَارة فقام فيه وقَعَد، وكان العمل فيه مطْبُوخًا ونيًا، فلم يترك منه شيًا، ومنه كانت مَعِيشتي، وبه استقامت عِيشَتي، وأنت ضامن مالي، فارتَفِع معي إلى الوالي، والعَنْزُ مع هذا يَدُور وسَط الجمهور، ويكُرّ كرّة العِفْريت المزجور، ويأتي بالكَسْر على ما بقي في الدَّهليز من الطَّواجِن والقُدور، والخَلْق قد انحسَروا للضجيج، وكثُر العِياط والعَجيج، وأنت تعرف عَفْرطة الباعة، وما يحوون من الوضاعة، وأنا أحاول من أخْذه ما أستطيع، وأروم الإطاعة من غير مُطيع، والباعَة قد أكْسَبته من الحماقة، ما لم يكُنْ لي به طاقة. ورجل يقول: المُحْتسب، واعرفْ ما تكْتَسب، وإلى مَن تنْتَسب، فقد كثر عنده بك التَّشكِّي، وصاحب الدهليز قُبالته يبكي، وقد وجَدَ عنده عليك وَجْد الشكوى، وأيقن أنك كَسَرْت الدَّعوى، وأمر بإحضارك، وهو في انتظارك، فشدَّ وَسْطك، واحفظْ إبْطَك، وإنك تقوم على مَن فتح باعه للحُكم على الباعة ونُصب لأرباب البراهين، على أرباب الشَّواهين، ورفع على طبقة، ليملأ طبقة، ثم أمسكني باليمين، حتى أوْصَلني للأمين، فقال لي: أرسلت التَّيس للفساد، كأنك في نِعم الله من الحُسّاد. قلت: إنه شَرَد، ولم أدر حيث وَرَد. قال: ولم لا أخذت ميثاقه، ولم تشدِّد وِثاقه، يا شرطي طَرِّدْه، واطرح يدك فيه وجرِّده. قلت: أتجرِّدني الساعة، ولست من الباعة؟ قال: لا بدَّ من ذاك، أو تضمن ما أفسده هناك؟ قلت: الضَّمان الضَّمان، الأمان الأمان. قال: قد أُمِّنْت، إن ضَمِنْت، وعليك الثِّقاف، حتى يقع الإنصاف، أو ضامنٌ كاف، فابتدر أحد إخواني، وبعض جيراني، فأدَّى عني ما ظهر بالتَّقدير، وآلت الحال للتَّكْدير. ثم أردت الانصراف بالتَّيس، لا كان كَيانه، ولا كوِّن مكانه، وإذا بالشُرطي قد دار حولي، وقال لي: كُلف فِعلي بأداءِ جُعْلي، فقد عطَّلت من أجلك شُغْلي، فلم يك عندي بما تُكسر سورته، ولا بما تُطفي جَمْرته، فاسْتَرْهن مِئزري في بيته ليأخذ مايته. وتوجَّهت لداري، وقد تقدَّمت أخباري، وقدِمت بغُباري، وتغيَّر صِغاري وكِباري، والتَّيس على كاهل الحمّال يَرْغو كالبعير، ويزأر كالأسد إذا فُصلت العِير، فلقت للحمال: أنزله على مَهل، فهلال التَّعييد قد استَهَلّ، فحين طَرحه في الأسْطوان، كرَّ إلى العُدْوان، وصرخ كالشيطان، وهمَّ أن يقْفِز الحِيطان، وعلا فوق الجدار، وأقام الرَّهْجة في الدار، ولم تبق في الزقاق عجوزٌ إلّا وَصَلَت لتراه، وتَسأل عمّا اعتَراه، وتقول: بكم اشتراه، والأولاد قد دارت به

وأرهقهم لَهفُه، ودخل قلوبهم خَوْفه، فابتدَرَتْ ربّة البيت، وقالت: كيت وكيت، لا خَلٌ ولا زَيت، ولا حيٌ ولا مَيْت، ولا موسم ولا عِيد، ولا قريب ولا بعيد، سُقْتَ العِفْريت إلى المنزل، ورَجَعْت بمَعْزِل، ومن قال لك اشْتَرِه، ما لم تَرَه، ومَن قال لك سُقه، حتى توثّقه، ومتى تَفْرح زوجتُك، والعَنْزُ أُضْحِيَتك، ومتى تُطبخ القُدور، وولَدُك منه مَعْذور، وبأيِّ قلب تأكل الشّويّة، ولم تَخْلُص لك فيه النيّة، ولقِلّة سَعْدِها، وأَخْلُف وعدِها، والله لو كان العَنْز، يُخرج الكَنْز، ما عَمَر لي دارًا، ولا قَرُب لي جِوارًا، اخْرُجْ عني يا لُكَع، فَعل الله بك وصَنع، وما حَبَسك عن الكِباش السِّمان، والضأن الرَّفيعة الأثمان، يا قليلَ التّحصيل، يا من لا يعرف الخِياطة ولا التَّفصيل، أَدُلُّك على كَبْشٍ سَمين، واسع الصدر والجَبين، أَكْحَل عَجيب، أَقْرَن مثل كبش الخَطِيب، يَعْبَق من أوداكه كلُّ طِيب، يَغْلِب شَحْمه على لَحمه، ويَسِيل الوَدَك من عَظْمه، قد عُلِف بالشَّعير، ودُبِّر عليه أحسن تدبير، لا بالصَّغير ولا بالكبير، تَصْلُح منه الألوان، ويُسْتَطرف شِواه في كل أوان، ويُسْتَحسن ثَريده وقديده في سائر الأحيان، قلت: بَيِّني لي قولك، لأتعَرَّف فِعْلك، وأين تُوجد هذه الصِّفة، يا قليلة المَعْرفة. قالت: عند مولانا، وكَهْفِنا ومأْوانا، الرئيس الأعلى، الشّهاب الأجْلَى، القمر الزّاهر، الملك الظّاهر، الذي أعزّ المسلمين بنِعْمَته، وأذلّ المشركين بنِقْمَته. واسْتَرْسل في المدح فأطال وفيما ثَبَت كِفاية.

وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بلّش في أواخر عام خمسين وسبعمائة، ودفن بها.

عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمّر الحِجاري[1] الصَّنهاجي

الأديب المصنّف، يكنى أبا محمد.

حاله وأوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة[2]، المصَنّفُ للمأمون بن ذي النون[3] كتاب «مغنيطاس الأفكار، فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر

---

(١) عبد الله بن إبراهيم الحجاري، ينسب إلى وادي الحجارة بالأندلس، توفي سنة ٥٢٠ هـ، وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩١) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٤ ص ١١٢، ٢٦٥)، وكشف الظنون (ص ٦٤٦، ١٦٨٥) وهدية العارفين (ج ١ ص ٤٥٧).

(٢) وادي الحجارة: بالإسبانية Guadalajara، وهي مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج، بينها وبين طليطلة ٦٥ ميلًا. الروض المعطار (ص ٦٠٦).

(٣) المأمون بن ذي النون هو يحيى بن إسماعيل، أحد ملوك الطوائف بالأندلس، حكم طليطلة من سنة ٤٣٥ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ. ترجمته في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧). وفي مواطن متفرقة من الذخيرة.

والأخبار». وكان أبو محمد هذا ماهرًا، كاتبًا، شاعرًا، رحّالًا. سكن مدينة شِلْب[١] بعد استيلاء العدو على بلاده بالثّغر. وله[٢] في التّحوُّل أشعار وأخبار. قَدم غرناطة وقصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلْعَة[٣] من بُنَيّاتها، واستأذن عليه في زيٍّ موحِش، واستَخَفَّ به القاعدون ببابه، إلى أن لاطف بعضهم، وسأله أن يُعَرِّف به القائد، فلما بُلِّغَ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها[٤]: [الوافر]

عليك أحالني الذِّكرُ الجميلُ ... فجئتُ ومن ثَنائك لي دَليلُ[٥]

أتيتُ ولم أُقَدِّمْ من رسولٍ ... لأنَّ القَلْبَ كان هُوَ الرَّسولُ

منها في وصف زِيِّه البدوي المُستقل وما في طيِّه:

ومَثَّلني بدَنٌ فيه خمر[٦] ... يَخِفُّ بها[٧] ومَنْظَرُهُ ثَقِيلُ

فأكرم نُزْله، وأحسَن إليه، وأقام عنده سنة، حتى ألَّف بالقلعة كتاب «المُسْهِب، في غرائب[٨] المَغْرب»، وفيه التَّنْبيه على الحُلى البلادية والعبّادية. وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطة، بعد أن عذَله عن التَّحوُّل عنه، فقال: النَّفس توّاقة، وما لي بالتَّغرُّب طاقة، ثم أفكر وقال: [الطويل]

يقولون لي: ماذا الملال تقيم في ... محلٍّ فعِند الأُنس تذهب راحلا

فقلت لهمْ: مثل الحَمام إذا شدا ... على غُصُنٍ أمسى بآخرَ نازلا

نكيته: قال علي بن موسى بن سعيد[٩]: ولمّا قصد الحِجاري رُوطة، وحلّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود[١٠]، وتحرّك لغَزْو مَنْ قَصَده من

---

(١) شِلْب: بالإسبانية Silves، وهي قاعدة كورة أكشونبة، بجنوب مدينة باجة. الروض المعطار (ص ٣٤٢).

(٢) قارن بالمغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٣) هي قلعة بني سعيد. وتعرف أيضًا بقلعة يَحْصب، Alcalá la Real أي القلعة الملكية، نسبة إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، وهي إحدى مدن غرناطة في عهد بني زيري البربر. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٤) الأبيات الثلاثة في المغرب (ج ٢ ص ٣٥). وورد في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٦٦) أربعة أبيات، من ضمنها البيت الأول لا غير.

(٥) رواية عجز البيت في الفتح هي:

فَصَحَّ العَزْمُ واقتضى الرحيلُ

(٦) في المغرب: «بِرٌّ». (٧) في المغرب: «به».

(٨) في المغرب: «فضائل».

(٩) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، هو صاحب كتاب «المغرب» و«رايات المبرزين»، وغيرهما.

(١٠) المستنصر بن هود: هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن هود، آخر ملوك بني هود بسرقسطة، =

البَشْكُنس، فَهُزم جيشه، كان[1] الحِجاري أحدَ من أُسر في تلك الوقيعة، فاستقرّ بِبِسْقايَة[2]، وبقي بها مدّة، يُحرّكُ ابن هود بالأشعار ويحثُّه على خلاصه من الإسار، فلم يجد عنده ذِمامة، ولا تحرّك له اهتمامه، فخاطب عبد الملك بن سعيد بقوله: [السريع]

أَصْبَحْتُ في بِسْقايةٍ مُسْلَمًا ... إلى الأعادي لا أرى مُسْلِما
مُكَلَّفًا ما ليس في طاقتي ... مُصَفَّدًا مُنْتَهرًا مُرْغَما
أُطْلَبُ بالخِدمة، واحَسْرتي! ... وحالتي تَقْضي بأن أُخْدَما
فهل كريمٌ يُرتجى للأسير ... يفكُّه، أكْرِمْ به مُنْتَمى

وقوله: [الخفيف]

أرَئيسَ الزمانِ أغْفَلْتَ أمْري ... وتلذّذْتَ تاركًا لي بأسْرِ؟
ما كذا يعمل الكرامُ ولكنْ ... قد جَرَى على المُعَوَّد دَهْري

فاجتهد في فدائه، ولم يمرّ شهر إلّا وقد تخلص من أسره، واستقرّ لديه، فكان طَليق آل سعيد، وفيهم يقول[3]:

وجَدْنا سعيدًا مُنجِبًا خَيْرَ عُصْبَةٍ ... هُمُ في بني أعصارهمْ[4] كالمواسِمِ
مُشَنَّفَةٌ أسماعُهُمْ بمدائح[5] ... مُسَوَّرَةٌ أيمانُهُمْ بالصَّوارمِ
فكم لهُم في الحرب مِنْ فَضْلِ ناثرٍ! ... وكم لهمُ في السِّلْم من فَضْل ناظِمِ

تواليفه: وتواليف الحِجاري بديعة، منها «الحديقة» في البديع، وهو كتاب مشهور، ومنها «المسهب في غرائب المغرب»، وافتتح خطبته بقوله: «الحمد لله الذي جعل العِباد، من البلاد بمَنْزِلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغماد». وهو في ستة مجلدات.

= وقد حكمها سنة ٥١٣ هـ، ومات سنة ٥٣٦ هـ. الأعلام (ج ١ ص ١٦٤) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(١) في الأصل: «وكان».

(٢) بِسقاية: بالإسبانية Vizcaya، وهي إحدى ولايات مملكة نبرة.

(٣) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ٣٦).

(٤) في المغرب: «أزمانهم».

(٥) في المغرب: «بفضائل».

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السّلماني[١]

يكنى أبا محمد.

أوّليّته: تُنظر في اسم جَدّه.

حاله: حسن[٢] الشّكل، جيّد الفهم، يُغَطّي منه رمادُ السُّكون جَمْرةَ حركة، مُنْقَبِضٌ عن الناس، قليل البَشاشة، حسن الخَطّ، وَسَطُ النّظم. كتَبَ عن الأمراء بالمغرب، وأنشدهم، واقتضى[٣] خِلَعَهم وصكُوكهم بالإقطاع والإحسان. ثم لما كانت الفِتنة كتب عن سلطان وطنه، مُعزّز الخُطّة بالقيادة، وأنشدهم.

مشيخته: قرأ[٤] على قاضي الجماعة، الشيخ[٥] الأُستاذ الخطيب أبي القاسم الحسني، والأُستاذ[٦] الخطيب أبي سعيد فرج بن لُب التَّغلبي، واستظهر بعض[٧] المبادىء في العربية، واستُجيز له من أدركه ميلادُه من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره[٨] مُترفِّع عن الوَسَط إلى الإجادة، بما يكفله[٩] عُذر الحَداثة. وقد ثَبت في اسم السلطان لهذا العهد، أبي عبد الله بن نصر[١٠]، أيّده الله، ما يدلّ على جودة قَريحته، وذكاء طَبْعه. وممّا دوّن الذي ثَبّت له حيث ذكر قوله[١١]:

لِمَنْ طَلَلٌ بالرَّقْمتين مُحِيلُ ... عَفَتْ دِمْنَتَيْه شمألٌ وقَبُولُ[١٢]

يلوحُ كباقي الوَشْم غَيَّرَهُ البلى ... وجادَتْ عليه السُّحْبُ وَهْيَ هَمُولُ[١٣]

---

(١) ترجمة عبد الله بن محمد بن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٩) ونفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣) وجاء فيه أنه: «عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني».

(٢) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣).

(٣) في النفح: «وأقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان، واختال في خِلَعهم. ثم لمّا...».

(٤) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٥) قوله: «الشيخ الأستاذ» ساقط في النفح.

(٦) في النفح: «والخطيب». (٧) في النفح: «ببعض».

(٨) النص في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٩) في النفح: «الإجادة، يكلّله...».

(١٠) هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل. ترجمته في اللمحة البدرية (ص ١١٣، ١٢٩).

(١١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) وقال إنه قالها في الأغراض السلطانية أيام كتابته عن السلطان ملك المغرب. وهي أيضًا في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٤٦).

(١٢) المُحيل: المتغيّر. الدِّمْنة: الموضع القريب من الدار. الشمأل: ريح الشمال. القبول: الريح التي تقابل الشمال. لسان العرب (حيل) و(دمن) و(شمأل) و(قبل).

(١٣) هَمُول: منهمرة. لسان العرب (همل).

فيا سَعْدُ، مَهْلًا بالرِّكابِ لَعَلَّنا — نُسائلُ رَبْعًا فالمُحِبُّ سَؤُولُ
قِفِ العِيسَ نَنْظُرْ نظرةً تُذْهِبُ الأسى — ويُشْفَى بها بين الضُّلوع غليلُ
وعَرِّجْ على الوادي المقدّس بالحِمى[1] — فطاب لديه مَرْبَعٌ ومَقِيل
فيا حبّذا تلك الديارُ وحبّذا — حديثٌ بها للعاشقين طويل
دَعَوْتُ لها سَقْيَ الحِمى عندما سَرى[2] — وَمِيضٌ وعَرْفٌ للنسيم عليلُ
وأرسلْتُ دمعي للغمام مُساجلًا — فسَالَ على الخدّين منه مَسيلُ
فأصبح ذاك الرَّبْعُ من بعد مَحْلِهِ — رياضًا بها الغُصْنُ المَرُوحُ يميلُ
لَئن حالَ رَسْمُ الدارِ عمّا عَهِدتُه — فَعَهْدُ الهوى في القلب ليس يَحُول[3]
ومِمّا شَجاني بعد ما سَكَنَ الهوى — بُكاءُ حماماتٍ لهنّ هَدِيلُ
تَوَسَّدْنَ فَرْعَ البان والنَّجْمُ مائل — وقد آن من جيشِ الظلام رَحيل
فيا صاحبي، دَعْ عنكَ لومي فإنّه — كلامٌ على سَمْعِ المُحِبِّ ثَقيل
تقولُ اصطبارًا عن مَعاهِدِك الأُلى — وهيهاتَ صَبْري ما إليه سَبيلُ
فللّه عَيْنا مَنْ رآني وللأسى — غَداةَ استقلّتْ بالخَليط حُمول
يُطاوِلُ ليلَ التِّمِّ مني مُسَهَّدٌ — وقد بان عنّي منزلٌ وخليلُ
فياليت شعري هل يَعُودَنّ ما مضى؟ — وهل يَسْمَحَنْ الدهرُ وهو بخيل؟

نثره: أجابني لما خاطبتُ الجُملة من الكُتّاب، والسلطان، رضي الله عنه، بالمُنكَّب، في رحلة أعْمَلها بما نصّه:

«لله من فَذّة المعاني، حيث مَشُوق الفؤاد عاني، لما أنارت بها المَغاني، غَنِين عن مُطْرِب الأغاني، يا صاحب الإذعان، أجِب بالله من دَعاني، إذا صِرْت من كثرة الأماني، بالشوق والوجد مثل ماني. ورَدَت سحّات سيدي التي أنشأت لغَمام الرحمة عند اشتداد الأزمة رِياحًا، وملأت العيون محاسنًا والصُّدور انشراحًا، وأصبح رحيب قِرطاسها وعَميم فضلها ونوالها وأيناسُها لفرسان البلاغة مَغْدًى ومَراحًا. فلم أدْرِ أصَحِيفة نُسِخت مسطورة، أم رَوْضة نُفحت مَمطورة، أطيبُ من المِسك مُنْتَشقًا، وأحْسَنُ من السلك متَّسقًا، فملَّكْتُها مَقادة خاطري، وأودعْتُها سَواد قلبي وناظري، وطَلَعت عليّ طلوع الصُّبح على عقب السُّرى، وخَلَصت خلوص الخيال مع سِنَة الكَرى. فلله ما جَلَبَتْ من أُنس، وأذهَبت لطائفة الشيطان من مَسّ، وهاجت من

(١) في الكتيبة: «والحمى».
(٢) في النفح: «الحمى وربوعه».
(٣) يحول: يتغيّر. لسان العرب (حول).

الشوق، الذي شبّ عمرُه عن الطّوق، والوَجْدُ الذي أصبح وارِي الزّنْد. فأقسم بِباري النَّسم، وواهب الحظوظ والقَسم، لو أعْطَيتُ للنّفْس مَقادتها، وسوّغتُها إرادتها، ما قَنِعت بِنِيابة القِرطاس والمِداد، عن مُباشرة الأرواح والأجساد، وإن أعرضت عَقَبة للشُّعير ورأس المزاد، وشَمَخ بأنفه وزاد، وما بين ذلك من عَلَم باذخ، وطودٍ شامخ، قد أذكرت العِقاب عُقابه، وصافحت النجوم هِضابه، قد طَمَح بطَرْفه، وشَمَخ بأنفه، وسال الوقار على عَطْفه: [الكامل]

مَـلَكَـتْ عِـنـانَ الـرّيـح راحـتُـه فـجـيـادُهـا مـن تـحـتـه تَـجْـري

وأما الحَمَل الهائج، والبحر المُتَمايج، والطَّلل المائل، والذَّنَب الشّائل، فمُساجلة مولاي في ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قُصاراه ألفاظ مركّبة، غير مرتّبة: [الخفيف]

هـو جَـهْـدُ الـمُـقِـلّ وافـاك مـنّـي إنّ جُـهْـدَ الـمُـقِـلّ غـيـرُ قـلـيـلِ

وأقرأ على مولاي، أبقاه الله، سلامًا عميمًا، تنسّم روضه نسيمًا، ورَفَّ نظره وعَبق شَميمًا، والأوفر الأذكى منه عليه مُعادًا، ما سَحّ السَّحاب إرعادًا، وأبرق الغمام رعدًا والحُسام أبعادًا، ورحمة الله وبركاته. من عَبْده الشّيِق لوجهه، عبد الله بن الخطيب، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة وستين وسبعمائة.

مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سابع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن سارة البكري[1]

شَنْتَريني[2]، سكن ألمرية وغرناطة، وتردّد مادحًا ومنتجعًا شرقًا ومغربًا، ويضرب في كثير من البلاد.

---

(١) ترجمة ابن سارة أو ابن صارة في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٦) وبغية الملتمس (ص ٣٣٨) وزاد المسافر (ص ٦٦) وقلائد العقيان (ص ٢٥٨) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥١) والمطرب (ص ٧٨، ١٣٨) والمغرب (ج ١ ص ٤١٩) والذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٤) ومسالك الأبصار (ج ١١، الورقة ٣٨٣) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٥٥) ومعجم السفر للسلفي (ص ٢٠٥) وخريدة القصر - قسم المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠) ورايات المبرزين (ص ١٠٦) وبغية الوعاة (ص ٢٨٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٤٣) و(ج ٤ ص ٢٨٤) وصفحات أخرى متفرقة.

(٢) نسبة إلى مدينة شنترين البرتغالية Santaren، وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس. وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩).

حاله: كان ذا حظٍّ صالح من النحو واللغة، وحفظ الأشعار، أديبًا ماهرًا، شاعرًا مُجيدًا، مطبوع الاختراع والتّوليد. تجوّل في شرق الأندلس وغربها مُعلِّمًا للنحو، ومادحًا وُلاتها، وكَتَبَ عن بعضهم، وتعيَّش بالوِراقة زمانًا، وكان حسن الخَطِّ، جيِّد النقل والضَّبط.

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر.

مَن روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، وأبو جعفر بن الباذِش، وأبو عثمان بن هارون، وأبو الطاهر التّميمي، وأبو العباس بن علي اللص، وأبو العلاء بن الجنّان، وأبو محمد بن يوسف القضاعي، وإبراهيم بن محمد السَّبتي.

شعره: وشعره كثير جيد شهير. منه في حِرْفة الوِراقة قوله[١]: [الكامل]

أمّا الوِراقةُ فهي أيْكَةُ[٢] حِرْفَةٍ ... أغصانُها[٣] وثِمارُها الحِرْمانُ

شَبَّهتُ صاحِبَها بإبرة[٤] خائطٍ ... يكسو[٥] العُراة وظَهْرُه عِريان

وقال في نَجْم الرَّجيم، وهو من التَّشبيه العَقيم[٦]: [البسيط]

وكوكبٍ أبْصَرَ العِفريت مُسترقًا ... فانقضَّ[٧] يُذكي[٨] سريعًا خَلْفه لَهَبَهْ

كفارسٍ حلَّ إحصار[٩] عمامته ... فَجَرَّها[١٠] كلّها من خلفه عَذَبَهْ

وقال منه في المواعظ[١١]: [البسيط]

يا مَنْ يُصيخُ إلى داعي السَّفاهِ[١٢] وقد ... نادى به النّاعِيان: الشَّيبُ والكِبَرُ

إن كنتَ لا تسمعُ الذِّكرى ففيم ثَوى[١٣] ... في رأسك الواعِيان: السَّمْعُ والبَصَرُ؟

---

(١) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٥) والمطرب (ص ٧٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠).

(٢) في الذخيرة والمطرب: «أنكد». (٣) في الذخيرة: «أوراقها».

(٤) في الذخيرة: «بصاحب إبرة».

(٥) في الذخيرة والمطرب: «تكسو العراة وجسمها...».

(٦) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٦٨).

(٧) في الأصل: «فانقضى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من القلائد.

(٨) في القلائد: «يذكي له في أثره لَهَبَهْ».

(٩) في الأصل: «إخصارًا» والتصويب من القلائد.

(١٠) في الأصل: «تجرّها» والتصويب من القلائد.

(١١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٤) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٦).

(١٢) في القلائد: «السفاة». والسَّفاه: الجهل.

(١٣) في الأصل: «... الذكر ففيم ترى» والتصويب من المصادر الثلاثة.

ليس الأصَمُّ ولا الأعمى سِوى رَجُلٍ لم يَهْدِهِ الهاديانِ: العَيْنُ والأثَرُ

لا الدهرُ يَبْقى على حال[١] ولا الفَلَكُ الـ أعْلى ولا النَّيِّرانِ: الشمسُ والقَمَرُ

لأرْحَلَنَّ[٢] عن الدنيا ولو كَرِها[٣] فراقها الثاويان: البَدْوُ والحَضَرُ

وقال في موت ابْنَةٍ له[٤]: [الوافر]

ألا يا موتُ، كُنتَ بنا رؤوفًا فَجَدَّدْتَ السُّرور[٥] لنا بزَوْرَة

حَمِدنا[٦] سعيك المشكور لمّا كفَيْتَ[٧] مؤنةً وسَتَرْتَ عَوْرة

فأنْكَحنا الضَّريح بلا صَداقٍ وجهَّزنا العرُوس[٨] بغير شَوْرة

وفاته: توفي عبد الله بن سارة سنة تسع عشرة وخمسمائة[٩].

عبد الله بن محمد الشرّاط[١٠]

يكنى أبا محمد، من أهل مالَقة.

حاله: طالبٌ جليل، ذكي، مدرك، ظريف، كثير الصَّلَف والخَتْرُوانة[١١] والإزْراءِ بمن دونَه، حادُّ النَّادرة، مرسلٌ عِنان الدُّعابة، شاعر مُكثر، يقوم على الأدب والعربية، وله تقدُّم في الحساب، والبُرهان على مسائله. استُدعي إلى الكتابة بالباب السلطاني، واختصّ بولي العهد، ونِيط به من العمل، وظيفٌ نَبيه، وكاد ينمو عُشْبه ويتأشَّب[١٢] جاهُه، لو أن الليالي أمْهَلَته، فاعتُبِط لأمدٍ قريب من ظهوره، وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، إحْنَةٌ، تخلَّصه الحِمام لأجلها، من كفِّ انتقامه.

---

(١) في المصادر الثلاثة: «...يبقى ولا الدنيا ولا...».

(٢) في المصادر الثلاثة: «ليرحلنّ».

(٣) في المصادر الثلاثة: «إن كَرِها» ويقال لغويًا: «وإن كَرِه فراقها الثاويان».

(٤) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٦ ـ ٩٧).

(٥) في المصدرين: «الحياة».

(٦) في المصدرين: «حمادِ لفعلك المشكور...».

(٧) في القلائد: «كففت». (٨) في المصدرين: «الفتاة».

(٩) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩): «وكانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة بمدينة المرية من جزيرة الأندلس». وهكذا جاء في التكملة (ج ٢ ص ٢٥٢).

(١٠) ترجمة ابن الشراط في نثير فرائد الجمان (ص ٣٢٥).

(١١) لم نقف على هذه الكلمة في كتب اللغة، وجاء فيها في مادة (ختر): الختر: أقبح الغدر وأشدّه.

(١٢) يتأشّب: يتجمّع.

شعره: وشعره كثير، لكنني لم أظفر منه إلّا باليسير. نقلت من خطّ صاحبنا القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، من نظم أبي محمد الشراط، في معنًى كان أدباءُ عصره قد كَلِفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شَمْعة: [الوافر]

وكنت أَلِفتُ قبل اليوم إلْفا ... أُنادي مرة فيجيب أَلْفا

وكنّا مثل وَصْل العَهْد وصْلا ... وكنّا مثل وصْف الشَّهد وصْفا

ففرَّق بيننا صرفُ الليالي ... وسوّغنا كؤوسَ البَيْن صِرفا

فصِرت غداة يوم البَين شَمْعا ... وسار فصار كالعَسَل المُصَفَّا

فدمعي لا يتم أسًى وجسمي ... يُغص بنار وَجْدي ليس يُطفا

ثم في المعنى أيضًا[1]: [البسيط]

حالي وحالك أضحت آيةً عجبا ... إن كنت مُغْتربًا[2] أو كنت مُقْتربا[3]

إذا دنوتُ فإني مُشعر طربًا ... وإن نأيتُ فإني مُشعل لهبا

كذاك الشّمع لا تنفكُّ[4] حالته ... إلّا إلى الناس مهما فارق الضّربا

ومن ذلك أيضًا: [الطويل]

رحلتم وخلّفتم مَشوقكُمُ نسيا ... رهينَ هيامٍ لا يموت ولا يَحيا

فضاقت عليّ الأرض واغتاص مذهبي ... وما زلت في قومي ولا ضاقت الدنيا

وما باختيارٍ شتَّت الدهر بيننا ... وهل يَمْلِك الإنسان من أمره شيًا؟

فذا أضلعي لم تَخْبُ من أجلكم جوًى ... وذا أدمعي لم تأل من بَعدكم جَرْيا

كأنني شَمْعٌ في فؤادٍ وأدمع ... وقد فارقتُ من وصلكم ريًّا

وذكر لي أن هذا صدر عنه في مجلس أُنْس مع الوزير أبي عبد الله بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفةٍ من ظرفاء الأدباء.

وفاته: كان حيًّا سنة سبعمائة، وتوفي بغرناطة، وهو على حاله من الكتابة، رحمه الله.

(١) الأبيات في نثير فرائد الجمان (ص ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «مغترِبًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثير فرائد الجمان.

(٣) في الأصل: «مغتربًا» والتصويب من النثير. (٤) في النثير: «لا ينفك».

عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان النَّجاري[(١)]

يكنى أبا القاسم، ويعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، وصاحب القَلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله: هذا الفاضل نسيجُ وحده، فهمًا وانطباعًا، ولوذعيّة، مع الدِّين والصَّون، مُعِمٌّ، مخول في الخير، مُسْتولٍ على خصال حميدة، من خطٍّ وأدب وحِفظ، مشاركٌ في معارف جملة. كتب ببلده عَدْلًا رضًى، وأنشد السلطان عند حلوله ببلده. ورحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني، ثم بان فضله، ونَبُه قدره، ولَطُف محلُّه، وعاد إلى الأندلس، لما جَرَت على سلطانه الهزيمة بالقَيْرُوان، ولم يَنْتَشله الدهر بعدها مع جملة من خواصّه. فلمّا استأثر الله بالسلطان المذكور، موْسُوم التَّمحيص، وصيَّر أمره إلى ولده بعده، جَنَح إليه، ولحق ببابه، مُقترن الوفادة، بيُمن الطَّائر، وسعادة النَّصبة، مظنَّة الاصطناع، فحَصَل على الحُظوة، وأصبح في الأمد القريب، محلًا للبَثّ وجليسًا في الخَلْوة، ومؤتَمنًا على خُطَّة العلامة[(٢)]، من رجل ناهض بالكَلّ، جَلِد على العمل، حذرٍ من الذِّكر، متقلّص ذيْل الجاه، مُتهيِّب، غزير المشاركة، مطفِّف في حقوق الدُّول عند انخفاض الأسعار، جالبٍ لسوق المُلْك ما يُنفق فيها، حارِّ النَّادرة، مليح التَّنْدير، حُلو الفكاهة، غَزِلٍ مع العفة، حافظ للعيون، مُقدَّم في باب التَّحسين والتنقيح، لم ينْشِب المَلكُ أنْ أنِس منه بهذه الحال، فشدَّ عليه يدَ الغِبطة، وأنْشَب فيه براثِن الأثَرَة، ورمى إليه بمقاليد الخِدمة، فَسَما مكانُه، وعلا كعبُه، ونما غُشُه. وهو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قُطْره، ومناقب وطنه، كثَّر الله مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المُقرىء أبي محمد بن أيوب، والمُقرىء الصالح أبي عبد الله المهندس، والأُستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق. وروى عن الخطيب المحدِّث أبي جعفر الطَّنجالي، والقاضي أبي

---

(١) ترجمة ابن رضوان النجاري في نيل الابتهاج (ص ١٢٣) والتعريف بابن خلدون (ص ٢٠، ٤١) وجذوة الاقتباس (ص ٢٤٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٠) والكتيبة الكامنة (ص ٢٥٤) وفيه: «البخاري» بدل «النجاري». ولم يشر ابن الخطيب هنا إلى سنة وفاته؛ لأنه توفي في سنة ٧٨٣ هـ، أي بعد وفاة ابن الخطيب بسبع سنوات.

(٢) هي العلامة التي كانت توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات، وبعضها كان السلطان يضعه بخطه. التعريف بابن خلدون (ص ٢٠).

بكر بن منظور. وبغرناطة عن جِلّة؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسني، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المُهَيْمن الحَضْرمي، والقاضي أبا إسحٰق إبراهيم بن أبي يحيىٰ، وأبا العباس بن يَرْبوع السُّبتي. وبتِلمسان عن أبي عبد الله الآبِلي، وأبي عبد الله بن النَّجار، وغيرهما. وبتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام، وعن جماعة غيرهم.

شعره: ونظمه ونثره متجاريان لهذا العهد في ميدان الإجادة. أما شعره، فمُتّناسب الوضع، سهل المأخذ، ظاهر الرُّواء، مُحْكَم الإمرة للتَّنقيح. وأما نثره، فطَريف السَّجع، كثير الدَّالة، مُطيع لدعوة البَديهة، وربما استعمل الكلام المُرْسل، فجرى يراعُه في ميدانه مِلْءَ عِنانه.

وجرى ذكره في «التاج» أيام لم يَفْهق[1] حوضُه، ولا أزهر روضُه، ولا تبايَنَت سماؤه ولا أرضُه، بما نصه[2]: أديب أحسن ما شاء، وفتح قَليبه[3] فملأ الدَّلو وبَلَّ الرِّشاء[4]، وعانى على حداثته الشعر والإنشاء، وله ببلده بيتٌ معمور بفضل وأمانة، ومَجْدٍ وديانة. ونشأ هذا الفاضل على أتمّ العَفاف والصَّوْن، فما مال إلى فسادٍ بعد الكَوْن. وله خطٌّ بارع، وفهم إلى الغَوامض مُسارع. وقد أثبتُّ من كلامه، ونَفَثات أقلامه، كلَّ مُحكم العقود، زاريًا[5] بِنْت العَنْقود. فمن ذلك قصيدة[6] أنشدها للسلطان أمير المسلمين[7]، مهنّئًا بهلاك الأسطول الحربي بالزُّقاق الغربي[8]، أجاد أغراضها، وسبَك المعاني وراضَها، وهي قوله[9]: [الطويل]

لـعـلّـكـمـا أن تَـرْعـيـا لـي وسـائِلا	فـبـالله عُـوجـا بـالـرِّكـابِ وسـائـلا
بـأوطـانِ أوْطـارٍ قِـفـا ومـآربـي	وبـالـخُـبِّ خُـصّـا بـالـسَّـلام الـمنـازلا
ألا فانشدا بين القِباب من الحِمى	فؤاد شَجٍ أضحى عن الجسم راحلا

---

(١) فهق حوضه: امتلأ. لسان العرب (فهق).
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤١).
(٣) القليب: البئر. لسان العرب (قلب).
(٤) الرِّشاء: الحبل. لسان العرب (رشا).
(٥) في النفح: «زارٍ بابنة».
(٦) في النفح: «فمن ذلك قوله» وأورد الشعر مباشرة.
(٧) أمير المسلمين هنا هو السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، وقد حكم غرناطة من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. راجع اللمحة البدرية (ص ١٠٢).
(٨) المقصود بالزقاق الغربي جبل الفتح، أو جبل طارق، الذي نازله ألفونش بن هرانده، فهلك فيه حتف أنفه عام ٧٥١ هـ. اللمحة البدرية (ص ١٠٨).
(٩) ورد في نفح الطيب من هذه القصيدة خمسة أبيات فقط.

وبُثَّا صَبًّا باتَ هنالك واشْرَحا لهمْ مِنْ أحاديثي عَريضًا وطائلا
رعى الله مَثْواكُمْ على القُرْب والنَّوى ولا زال هامي السُّحْب في الرَّبْع هاملا
وهل لزمانٍ باللِّوى قد[١] سقى اللِّوى مآربَ فما ألقى مَدَى الدَّهر حائلا؟
فحَظِّي بعيدُ الدّار منه بقُرْبه ويوردُ فيه من مُناه مَناهلا
لقد جار دهري أن[٢] نأى بمطالبي وظلّ بما أبقى[٣] من القُرْب ماطلا
وحمّلني من صَرْفه ما يَؤُدني ومكَّن منّي الخطوبَ شواغلا
عتبْتُ عليه فاغْتَدى ليَ عاتبًا وقال: أصِخْ لي لا تكنْ ليَ[٤] عاذِلا
أتَعْتِبُني إذ[٥] قد أفَدْتُك موقفًا لدى أعظم الأملاك حِلْمًا ونائلا؟
مَليكٌ حَباه الله بالخُلُق الرِّضا وأعْلى له في المَكْرمات المنازلا
مَليك علا فوق السِّماك فَطَرْفُه غدا كهلال الأفْق يُبصرنا علا
إذا ما دجا ليلُ الخطوب فبِشْرُه صباحٌ وبدْرٌ لا يُرى الدهر آفلا
نماه من الأنصار غرّ أكابر لهمْ شيم ملءُ الفضاء فَضائلا
تلوا سُورَ النَّعماءِ في حِزبِهمْ كما جَلَوْا صُور الأيام غُرًّا جلائلا
تَسامَتْ لهمْ في المَعْلُوات مراتب يُرَى زُحلٌ دون المراتب زاحلا
عِصابة نصر الله طابَتْ أواخرا كما قد زَكت أصْلًا وطابت أوائلا
لقد كان رَبْعُ المجد مِنْ قَبْلُ خاليًا ومن آل نصرٍ عاد يُبْصر آهلا
إذا يُوسفٌ منهمْ تلوح يمينه تقول سحابُ الجود والبأس هاطلا
كتائبُه في الفتح تكتب أسطرا تبينُ من الأنفال فيها المَسائلا
عوامِلُه بالحذف تحكم في العِدا كما حكموا في حذفِ جَزْمٍ عواملا
يبدِّد جَمْعَ الكُفْر رُعْبا وهيبةً كما بَدَّدَتْ منه اليمينُ النَّوافلا

ومنها في وصفه الأسطول واللقاء:

ولمّا استقامتْ بالزّقاق أساطيـ ـلُ ثم[٦] استقلّتْ للسُّعود محافلا
رآها عدوُّ الله فانفضّ جَمْعُه وأبْصر أمواج البحار أساطِلا
ومن دَهَشٍ ظَنَّ السَّواحلَ أبْحُرا ومن رُعْبٍ خالَ البحار سواحلا

---

(١) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.
(٢) في النفح: «إذ».
(٣) في النفح: «أبغي».
(٤) في النفح: «قط».
(٥) في النفح: «أن».
(٦) في الأصل: «واستقلّتْ»، وكذا ينكسر الوزن.

ومِن جُندِكُمْ هبَّت عليه عواصفٌ تدمِّر أدناها الصِّلاب الجَنادلا
تُفَرِّقُهُمْ أيدي سَبا وتبيدهُمْ فقد خَلَّفَتْ فيهمْ حُساما وذابلا
وعهدي بمرِّ الريح للنار موقدا فقد أطْفَأَتْ تلك الحروبُ المشاعلا
وكان لهمْ بَرْدُ العذاب ولم يكن سلامًا وما كادُوه قد عاد باطلا
حَداهُمْ هَواهُمْ للإسار وللْفَنا فما أفْلَتوا من ذا وذاك حَبائلا
فهمْ بين عانٍ في القُيود مُصَفَّدٍ وفانٍ عليه السَّيف أصبح صائلا
ستُهلك ما بالبَّر منهمْ جنودُكمْ كما أهْلَكَتْ من كان بالبَحْر عاجلا

وقال أيضًا يمدحه: [الطويل]

نَشَرْتَ لواءَ النَّصر واليُمْن والسَّعْدِ وأطْلَعْتَ وَجْهَ اليُسْرِ والأمْن والرِّفدِ
أعَدْتَ لنا الدُّنيا نعيمًا ولذَّةً ألا للمعالي ما تُعيد وما تُبْدي
بنورِكُمْ والله يَكْلأُ نُورَكُمْ تَبَدَّتْ لنا سُبْلُ السعادة والرُّشْد
تحلَّى لكمْ بالملك نَحْرٌ ولَبَّةٌ فراق كذاك الجِيد يَزْدان بالعِقْد
مآثِركُمْ قد سَطَّرَتْها يَدُ العُلا على صفحاتِ الفخرِ أو مَفْرِقِ الحَمْد
بمَذْحكمُ القرآن[1] أثنى مُنَزِّلًا وقد حُزْتُمُ مَجدًا بجدِّكُمْ سَعْد
كفاكُمْ فخارا أنه لكُمُ أبٌ ومن فخره إن أنت تدعوه بالجَدِّ
ثناؤكُمْ هذا أم المِسك نافحٌ؟ وذكركُمُ أم عاطرُ العنبرِ الوَرْدِ؟
أجَلْ ذِكْرُكُمْ أزكى وأذكى لناشِقٍ كما أنكمْ أجلى وأعلى لمَشْهدِ
طلعْتَ على الآفاق نورًا وبهجة فما أنت إلّا البَدْرُ في طالع السَّعْد
وفي جملة الأملاك عزّ ورفعة ودُمْ في خلود المُلْك والنصر والسعد
ولو أنني فُقْتُ سَحْبان وائل وأرْبَيْتُ في شعري على الشاعر الكِنْدي
لَما قُمْتُ بالمِعْشار من بعض ما لكمْ من الجود والأفضال والبذل والرِّفد

وقال في شيخه أبي بكر بن منظور، رحمه الله: [الطويل]

جلالُك أوْلى بالعُلا للمخلَّد[2] وذكرك أعلى الذِّكر في كلِّ مَشْهدِ
لمجدك كان العزّ يَذْخَر والعُلى وأنك للأولى بأرفع سُؤدد
أبى الله إلّا أن تكون مُشَرَّفا بمقعدِ خيرِ العالمين محمد

(١) في الأصل: «للقرآن»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «المخلّد» وهكذا ينكسر الوزن.

فَهَنِّئْتَ بالفخر السَّنِيِّ مَحَلُّهُ | وهَنِّئْتَ بالمجد الرَّفيع المُجدَّد
شَهِدْتُ بما أوْلَيْتَني من عَوارف | وخَوَّلْتَ من نُعْمى وأسْدَيْتَ من يَدِ
وما حُزْتَ من مَجْدٍ كريم نِجارُه | وما لَكَ مِنْ مَجْدٍ ورِفعةِ مَحْتِد
لقد نَبَّأتني بالرَّواح لِعزِّكم | مخايلُ إسْعادٍ تَروح وتَغْتدي[1]
تُحدِّثني نَفْسي وإنّي لصادق | بأنَّ سوف تَلْقى كاملًا كلَّ مَقْصِد
دَليلي بهذا أنك الماجِد الذي | تَسامى عُلُوًّا فوق كلِّ ممجَّد
لِيَفْخَرْ أولو الفخر المنيف بأنكم | لهمْ عَلَمٌ أعلى، به الكلُّ مُقْتَدي
إمامُ علوم مُعْتَلي القَدْرَ لم يزلْ | رداءَ المعالي والعوارفِ يَرْتَدي[2]
وقاضٍ إذا الأحكام أُشكِل أمرها | جلا لي[3] برأي الحقيقة مُرْشدي[4]
إذا الحقّ أبدى نوره عند حُكمه | رأيت له حدَّ الحُسام المهنَّد
وإنَّ جميع الخلق في الحقّ عنده | سَواسِيةٌ ما بين دانٍ وسَيِّد
هنيئًا لنا بَلْ للقضاءِ وفضله | بقاضٍ حليم في القضاءِ مُسَدَّدِ
أمات به الرحمنُ كلَّ ضلالة | وأحْيا بما أولاه شِرْعةَ أحمدِ
وكائن تراه لا يزال ملازمًا | لأمرٍ بعُرْفٍ أو لِزام بمسجدِ
وما زال قِدْمًا للحقيقة حاميًا | وللشّرعة البيضاءِ يُهدى ويَهتدي
ويمنح أفضالًا ويُولي أياديًا | وإحسانُه للمُعْتَفين بمرصد
يُقَيِّد أحرارًا بمنطق جوده | فما إن يني عن مُطْلَق أو مُقَيِّد
نَعَمْ إنْ يكنْ للفضل شخصٌ فإنما | بشِيمته الغرّاء في الفضل يبتَدي
أيا ناثرًا أسْنى المعارف والغنا | ويا طارقًا يَطْوي السُّرى كلَّ فَدْفَد
ألا الْقِ عصا التِّسيار واغشِ لناره | تجدْ خَيرَ نار عندها خَيرَ مَوْقد

ومن مقطوعاته قوله[5]: [الطويل]

تَبَرَّأتُ مِنْ حَوْلي إليك وأيْقَنَتْ | برحماكَ آمالي فَصَحَّ[6] يقيني
فلا أرْهَبُ الأيامَ إذ كنتَ ملجأي[7] | وحَسْبي يقيني باليقين[8] يقيني

---

(١) في الأصل: «وتغتد» بدون ياء.
(٢) في الأصل: «يرتد» بدون ياء.
(٣) في الأصل: «لها» وكذا ينكسر الوزن.
(٤) في الأصل: «مرشد» بدون ياء.
(٥) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٢).
(٦) في المصدرين: «أصَحَّ».
(٧) في النفح: «ملجأ».
(٨) في الكتيبة: «فاليقين».

ومن شعره لهذا العهد منقولًا من خطّه، قال مما نظمه فلان، يعني نفسه في كتاب الشّفا، نفع الله به: [الكامل]

سلْ بالعُلى وسَنَى المعارف يَبْهَرْ ... هل زانها إلّا الأئمةُ مَعْشَرْ؟
وهل المفاخرُ[١] غير ما شَهِدَتْ به ... آيُ الكتابِ وخارَتْها الأعْصُرْ؟
هُمْ ما هُمُ شرفًا ونيل مراتب ... يوم القيام إذا يَهُول المَحْشَرْ
وَرِثوا الهدى عن خير مبعوث به ... فَخرًا هَدِيُهُمُ النعيمُ[٢] الأكبرْ
وعياضٌ[٣] الأعلى قِداحًا في العُلى ... منهمْ وحوْله الفَخار الأظهرْ
بشفائه[٤] تَشفى الصدورُ وإنه ... لرشاد نارٍ بالشّهاب[٥] النيِّرْ
هو للتّوالف روحُ صورتِها وقلْ ... هو تاجُ مَفْرِقها البهيُّ الأنورْ
أفنَتْ محاسنه المدائح مثل ما ... لمعيده بعد الثناءِ الأعْطر
وله اليَدُ البيضاءُ في تأليفه ... عند الجميع ففضلها لا يُنكر
هو مورد الهِيم العِطاش هَفَتْ ... بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر
فبه ننال من الرضى ما نَبْتَغي ... ويكَوْنه فينا نُغاث ونُمطر
انْظُرْ إليه تميمةً من كل ما ... تخشى من الخَطْب المهول وتحذر
لكأنّني بك يا عياض مهنأً ... بالفوز والملأُ العَليُّ مُبَشِّرْ
لكأنّني بك يا عياض مُنعَّما ... بجوار أحمد يَجْتَلي بك مظهر
لكأنّني بك يا عياض مُتوَّجًا ... تاج الكرامة عند ربِّك تُخبر
لكأنّني بك راوِيًا من حَوْضه ... إذ لا صدًى ترويه إلّا الكوثر
فعلى محبَّته طَوَيْتَ ضمائرا ... وَضَحَتْ شواهدها بكُتْبك تُؤثر
ها إنّهن لشِرعة الهادي الرّضا ... صَدفٌ يُصان بهن منها جَوْهر
فجزاك ربُّ العالمين تحيةً ... يَهب النعيم سريرها والمنبر
وسقى هَزِيم الوَدْق مضجعك الذي ... ما زال بالرُّحمى يُؤَمُّ ويُغمَرْ

---

(١) في الأصل: «للمفاخر» وهكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «هَدْيهم للنعيم» وهكذا ينكسر الوزن. والهَدِيُّ: ما أهدي إلى الحرم من النَّعَم.
(٣) هو الفقيه عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ). وسوف يترجم له ابن الخطيب فيما بعد في الإحاطة. ويبدو أن القصيدة في مدح القاضي عياض والتنويه بكتابه «الشفا».
(٤) يشير إلى كتاب القاضي عياض وهو «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».
(٥) في الأصل: «به الشهاب» وهكذا ينكسر الوزن.

وقال في مَحمل الكتب: [الطويل]

أنا الحَبْر في حمل العلوم وإن تَقُلْ ... بأني حُلَيّ عن حُلاهنّ تَعْدِلِ

أُقيِّدُ ضروبَ العلم ما دمتُ قائما ... وإن لم أقُمْ فالعِلم عنّي بمعْزِلِ

خدمتُ بتقوى الله خيرَ خليفة ... فبوّأني من قُربه خير منزلِ

أبا سالم لا زال في الدهر سالما ... يُسَوّغ من شُرب المنى كلّ مَنهل

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعمائة في النوم، كأنّ الوزير أبا علي بن عمر بن يخلف بن عمران الفُدودي، يأمره أن يجيب عن كلام مَن كَتَب إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم، ولم يحفظ منها غير هذين البيتين: [المتقارب]

وإني لأجزي بما قد أتاه ... صديقي احتمالًا لفعل الجفاءِ[1]

بتمكين وُدٍّ وإثباتِ عَهْدٍ ... وإجزالِ حَمْدٍ وبَذْلِ حياءِ

ومن نظمه في التورية[2]: [الخفيف]

وبخيلٍ لَمّا دعوه لِسُكْنى ... منزلٍ بالجِنانِ ضَنَّ بذلك

جلَّ[3] مالي فلست للدار تاركْ[4] ... قال لي مَخْزنٌ بداريَ فيه

لا تُعَرِّجْ على الجِنان بسُكْنى ... ولتكنْ ساكنًا بمخزنِ مالِكْ[5]

ومن ذلك أيضًا[6]: [الكامل]

يا رُبَّ مُنشأةٍ عجِبْتُ لشأنها ... وقد احتوتْ في البحر أعجبَ شانِ

سَكَنَتْ بِجَنْبَيْها[7] عصابةُ شدّةٍ ... حَلّتْ محلّ الروح في الجُثمان

فتحرّكتْ بإرادةٍ مَعْ أنها ... في جنسها[8] ليست من الحيوان

---

(١) في الأصل: «الحرقاء» وهو لا معنى لها، وكذلك ينكسر الوزن. والجفاء: البِرّ.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). (٣) في النفح: «كلّ».

(٤) في الأصل: «شاك» وهكذا بدون معنى، وكذلك ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) تورية بجهنّم؛ لأن اسم خازنها من الملائكة مالك.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). وقد قيلت في وصف مركب أو سفينة.

(٧) في الأصل: «بجنبها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الأصل: «حسنها» والتصويب من المصدرين.

وجَرَتْ كما قد شاءَهُ[١] سُكّانها فعلمتُ أنّ السّر في السُّكّان[٢]

ومن ذلك أيضًا قوله[٣]: [الوافر]

وذي خُدَعٍ دَعَوْهُ لاشتغالٍ وما عرفوه غَثًّا من سمينِ
فأظهر[٤] زُهْدَهُ وغِنًى بمالٍ وجيشُ الحِرْص منه في كَمينِ
وأقسمَ لا فَعَلْتُ[٥] يمينَ[٦] خَبٍّ فيا عجبًا لحلافٍ[٧] مُهينِ
يقدُّ بسيره ويمين حِلْفٍ[٨] ليأكلَ باليسار وباليمين

شيء من نثره

خاطبتُه من مدينة سَلا بما نصه، حسبما يظهر من غرضه: [الطويل]

مَرِضتُ فأيّامي لذاكَ مريضةٌ وبَرْؤكَ مقرون ببُرْئي اعتلالها
فما راع ذاكَ الذّات للضُرّ رائع ولا وُسِمَتْ بالسُّقم غُرُّ خلالها

وينظر باقي الرسالة في خبر التّعريف بمؤلِّف الكتاب.

فراجعني عن ذلك بما نصّه: [الطويل]

متى شِئت ألْقى من علائك كل ما يُنيل من الآمال خير منالها
كبر اعتلال من دعائك زارني وعادات برٍّ لم تَرُم عن وصالها

أبقى الله ذلك الجلال الأعلى متطوّلًا بتأكيد البرّ، متفضّلًا بموجبات الحمد والشكر. ورَدَتْني سِمات سيدي المشتملة على مَعْهُود تشريفه، وفضله الغَنِيّ عن تعريفه، متحفّيًا في السؤال عن شرح الحال، ومُعلنًا ما تحلّى به من كرم الخِلال، والشّرف العال، والمعظّم على ما يسُرُّ ذلك الجلال، الوزاري، الرئاسي، أجراه الله على أفضل ما عوّده، كما أعلى في كل مَكْرَمة يدَه، ذلك ببركة دُعائه الصالح، وحبّه

---

(١) في الأصل: «شاء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٢) أخذه من المثل: «الشأن في السكان لا في المكان». وهنا يورّي بكلمة «السكان» التي تعني أيضًا الخشبة التي تدار بها السفينة، أي دفّة السفينة.
(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٥٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).
(٤) في الكتيبة: «فيظهر».
(٥) في الكتيبة: «قبِلْتُ».
(٦) في الأصل: «بمن خَبٍّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين. والخَبُّ: الخَدّاع.
(٧) في الأصل: «الخلاف»، والتصويب من المصدرين.
(٨) في المصدرين: «يغرّ بيسره ويمين حَنْثٍ».

المُخَيِّم بين الجوانح. والله سبحانه المحمود على نِعمه، ومواهب لطفه وكرمه، وهو سبحانه المسؤول أن يسنى لسيدي قرارَ الخاطر، على ما يَسُرُّه في الباطن والظاهر، بِمَنِّ الله وفضله، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته. كتبه المعظِّم الشاكر، الداعي المحبّ، ابن رضوان وفّقه الله.

ومما خاطبني به، وقد جَرَت بيني وبين المتغلب على دولتهم، رُقاعٌ، فيها سِلْم وإيقاع، ما نصه:

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وخَطَرًا، وسما ذكره في الأندية الحافلة ثناءً وشُكْرًا، وسما فخرُه في المراتب الدينيَّة والدنيوية حمدًا وأجرًا، أبقاك الله جميل السَّعْي، أصيل الرأي، سديد الرمي، رشيد الأمر والنَّهْي، ممدوحًا من بُلَغاءِ زمانك، بما يقصر بالنَّوابغ والعَشِي، مفتوحًا لك باب القَبُول، عند الواحد الحقّ. وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية، وللإحسان غاية، ولِشاهد الحسن تَبْريز، ولثوب الأدب تَطْريز، وفي النَّقد إبْريز، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجائبه، ولا يحيد الفضل كله عن مذاهبه، من كل أُسلوب طار في الجو إغرابًا وإغرابًا، ومَلَك من سحر البيان خِطابًا، وحُمِد ثناه مُطالًا وحديثًا مُطابًا، شأن من قَصَر عن شأو البلغاء، بعد الإغياء، ووقف دون سباق البديع بعد الإعياء، فلم يُشَقّ غُباره، ولا اقتُفيت إلّا بالوَهْم آثاره، فلله من سيدي إتحافٌ سَرَّ ما شاء، وأحْكَم الإنشاء، وبرَّ الأكابر والأنشاء، فما شئت من إفصاح وكتابة، وبرّ ورعاية، وفهم وإفهام، وتَخْصيص وإبهام، وكَبْح لطَرْف النَّفس وقمع، وخَفْضٍ في الجواب ورَفع، وتَحرُّج وتورُّع، وترقُّص وتوسُّع، وجَماع وأصحاب، وعَتْبٍ وإعْتاب، وإدلال على أحْباب، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض، والمقاصد السَّالمة جواهرها من الأعراض، جملةً جمعت المحاسن، وأمتعت السامع والمُعاين، وحلّت من امْتِناعها مع السهولة الحَرَم، إلّا من زاد الله تلك المعارف ظهورًا، وجعلها في شرع المكارم هُدًى ونورًا. وأما شكر الجناب الوزاري، أسْماه الله، بحكم النِّيابة عن جلالكم، فقد أبلغت فيه حمدي، وبذلت ما عندي، ووُدّي لكم وُدي، ووزدِي لكم من المُخالصة لكم وِرْدي، وكل حالات ذلك الكمال، مُجْمع على تفضيله، مُعتمد من الثناءِ العاطر بإجماله وتفصيله. وأما مُؤدّيه إليكم أخي وسيدي الفقيه المعظم، قاضي الحضرة وخطيبها، أبو الحسن، أدام الله عزّته، وحَفِظ أُخوّته، فقد قرّر من أوصاف كمالاتكم، ما لا تَفي بتقريره الأمثِلة من أولي العلم بتلك السَّجايا الغُرّ، والشِّيم الزُهر، وما تحلَّيتم به من التقوى والبِرّ، والعدل والفضل، والصبر والشكر، ولحَمْل المتاعب في أُمور الجهاد، وترك الملاذ والدَّعة في مرضاة

ربِّ العباد، والإعراض عن الفانية، والإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خَلَعت السعادة عليكم مَطارفها، وأجْزَلت غوارفها، وجمعت لكم تالِدها وطارفها، زكّى الله ثوابها وجدَّد أثوابها، ووصل بالقبول أسبابها. وذُكر لي أيضًا من حسناتكم، المَنْقَبة الكبيرة، والقُرْبة الأثيرة، في إقامة المارستان[١] بالحضرة، والتَّسَبُّب في إنشاءِ تلك المَكْرَمة المبْتكرة، التي هي من مُهِمّات المسلمين بالمحلّ الأعلى، ومن ضروريات الدين بالمزيّة الفضلى، وما ذَخَره القَدَر لكم من الأجر في ذلك السعي المشكور، والعمل المبرور، فسرّني لتلك المجادَة إحراز ذلك الفضل العظيم، والفوز بثوابه الكريم، وفخره العميم. ومعلومٌ، أبقاكم الله، ما تقدَّم من ضياع الغُرَباء والضعفاء من المُضِي فيما سلف هنالك، وقَبْل ما قُدِّر لهم من المُرْتفق العظيم وبذلك، حتى أن مَن حَفِظ قول عمر، رضي الله عنه، والله لو ضاعت نخلةٌ بشاطىءِ الفرات لخِفت أن يُسأَل الله عنها عمر. لا شك في أن مَن تقدَّم من أهل الأمر هُنالِكم، لا بدّ من سؤاله عمَّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغْفَل. والحمد لله على ما خصَّكم به من مزية قوله ﷺ: إذا أراد الله بخليفة خيرًا، جعل له وزيرًا صالحًا، إن نَسي ذكَّره، وإن ذَكَر أعانه.

وأما «كتاب المحبة»[٢]، فقد وقف المُعَظَّم على ما وجَّهتهم منه، وقوفًا ظهر بمزية التَّأمل، وعَلِم منه ما تَرك للآخر الأول، ولم يشكّ في أنّ الفضل للحاكي، وشتّان بين الباكي والمُتَباكي. حقًّا لقد فاق التأليف جَمْعًا وترتيبًا، وذهب في الطُّرق الصوفية مذهبًا عجيبًا. ولقد بهرَت معانيه كالعرائس المجْلُوّة حسنًا ونضارة، وبَرَعت بدائعُه وروائعُه سنًى وإنارة، وألفاظًا مُختارة، وكؤوسًا مُدارة، وغيوثًا من البَرَكات مِدْرارة، أحْسِن بما أدّته تلك الغُرر السّافرة، والأمثال السائرة، والخمائل النّاظرة، واللآلىءُ المُفَاخرة، والنجوم الزّاهرة. أما إنه لكِتاب تضمَّن زُبدة العلوم، وثمرة الفُهوم، وإن موضوعه للُباب اللُّباب، وخُلاصة الألباب، وفَذْلكة الحساب، وفَتْح الملك الوهّاب، سَنّى الله لكم ولنا كماله، وبلّغ الجميع منّا آماله، وجعل السّعي فيه

---

(١) هو المارستان الكبير الذي أقامه ابن الخطيب بالحاضرة غرناطة في أثناء توليه الوزارة في عهد الغني بالله السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد تحدّث عنه ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة عند ترجمة الغني بالله في عنوان: «بعض مناقب الدولة لهذا العهد».

(٢) «كتاب المحبة» لابن الخطيب، وله اسم آخر هو «روضة التعريف بالحب الشريف».

خالصًا لوجهه، وكفيلًا بمعرفته بمنّه وكرمه، وهو سبحانه يُبقي بركتكم، ويكلأُ ذاتكم الكريمة وحوْزَتكم، بفضله وطوله وقوته، والسلام الكريم يخصّكم به كثيرًا أثيرًا، مُعَظِّم مقداركم، ومُلتزم إجلالكم وإكباركم، ابن رضوان، وفّقه الله، وكُتب في الثامن والعشرين لرجب من عام سبعة وستين وسبعمائة.

وهو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. وله تردُّدٌ إلى حضرة غرناطة، واجْتِياز وإلمام.

عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الملك بن سعيد ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطي، قَلْعي[١] الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع»[٢]: هو المشهور باليربطول[٣]، زاد على أخيه بخفّة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى مالَقة، فما زال بها يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقلّب طَرْفه مما نال من ولاياتها بين الخَيْل والخَول، حتى أنّ ابن عسكر، قاضي مالقة وعالمها، كان من جملة مَنْ مَدَحه، وتوسّل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنّف له شجرة الأنساب السّعيدية. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يومًا على الوالي بغرناطة، السّيد أبي إبراهيم[٤]، وجَعل يَساره، وكان مُختصًا به، واقتضى ذلك أن ردَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبي الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردَّ وجهه إليه، وقال: أعْتَذِرُ لكم بأمر ضروري، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيّدنا، فانقلب المجلس ضَحِكًا. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيىٰ الحضرمي

---

(١) نسبة إلى قلعة يَحْصِب Alcalá la Real أي القلعة الملكية، ويحصب قبيلة، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد، في تاريخ بني سعيد» لابن سعيد الأندلسي، صاحب كتابي المغرب ورايات المبرزين.

(٣) أغلب الظن أنها كلمة إسبانية.

(٤) هو السيد أبو إبراهيم ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحدي. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٣٨٧).

المشهور أيضًا بخفّة الروح، وكان مُسَلَّطًا على بني سعيد، فبينما هو واقف، إذ النخّاس ينادي على فَرَس: فَمٌ يشرب من القادوس، وعَيْنٌ تحصد بالمِنْجل، فقال له: يا قائد، أبا محمد، سِرْ بنا من هنا لئلّا تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يُخْفِ عليه أنّ تلك صورته، فقال: سَلْ جارتك عنها، فمضى لأُمّه، وأوْقَع بينها وبينه، فحَلِف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: واتفق أن جُزْتُ بدار أُمّ الحضرمي، فرأيته إلى ناحية، وهو كئيب مُنكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لي عن أُمّه وعن نفسه: النساءُ يرمين أبناءَ الزّنا صغارًا، وهذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترميني ابن خمسين سنة، فقلت له: وما سبب ذلك؟ فقال: ابن عَمِّك يوسف الجمال، لا أخذ الله له بِيَد، فما زِلْتُ حتى أَصْلَحْتُ بينها وبينه.

ومن نوادر أجوبته المُسْكتة، أنّه كان كثير الخِلْطَة بمرّاكش لأحد السّادة، لا يفارقه، إلى أن وُلّي ذلك السّيد، وتموّل، واشتغل بدُنياه عنه، فقيل له: نرى السيد فلانًا أضرب عن صُحْبتك ومُنادمتك، فقال: كان يحتاج إليّ وقتًا كان يَتَبَخّر بي، وأمّا اليوم، فإنه يتبخّر بالعُود والنّدّ والعَنْبَر. وقال له شخص كان يُلَقّب بـ «فُسَيْوات» في مجلس خاص: أي فائدة في «اليربطول»؟ وفيم ذا يُحتاج إليه؟ فقال له: لا تَقُلْ هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. وتكلّم شخص من المُترفين فقال: أمس بِعْنا الباذنجان التي بدار خالتي، بعشرين مثقالًا، فقال: لو بعتم الكريز التي فيها لساوى أكثر من مائة.

وأخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن علي بن موسى: وقَعْتُ في رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه، فمنها في رسالة عن السّيد أبي العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالَقة، ويصلكم به إن شاء الله، القائد الأجلّ الأكْرَم، الحَسِيب الأمْجد الأنْجد، أبو محمد أدام الله كرامته، وكتب سلامته، وهو الأكيد الحُرْمة، القديم الخِدْمة، المرْعي المائّة والذّمّة، المُسْتحق البِرّ في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عَقِب عمّار بن ياسر، رِضوان الله عليه، وحَسْبُكم هذا مَجدًا مؤثّلًا، وشرفًا موصلًا، ومنها تَعيُّن بيته وسَلَفِه، واختصاصهم من النّجابة والظهور، بأنْوَه الاسم وأشْرَفه، وكونهم بين مُعْتَكف على مضجعه، أو مُجاهد بمُرْهَفِه ومُثَقّفه، ومنها سَبْقُهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميُّزهم بأثرة الشُّفوف والتّمْييز، ومنها الانقطاع إلى أخيكم، مُمِدّ مَوْرده ومَصْدَرِه، وكَرَم مَغِيبه ومَحْضَره، وهذه وسائل شتى، وأذِمّة قلّ ما تتأتّى لغيره.

وفاته: كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حَكَم: شاهدْتُه قد وصل إلى السيد أبي محمد البيّاسي[١] أيام ثورته، وهو بشنتلية[٢] مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سُليمان بن محمد بن محمد ابن أشعث الرُّعيني[٣]

من[٤] أهل أَرْجِدونة[٥] من كورة رَيُّه، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أبي المجد.

حاله: كان[٦] من أعلام الكُور[٧] سَلفًا، وترتُّبًا، وصلاحًا، وإنابَةً، ونيَّة في الصالحين، مُتَّسع الذَّرْع للوارد، كثير الإيثار بما تَيَسَّر، مليح التخلُّق، حسن السَّمْت، طيِّب النفس، حسن الظنّ، له حظٌّ من الطَّلب، من فقه وقِراءات وفريضة، وخَوْض في طريقة الصوفية، وأدب لا بأس به، قطع عُمْرَه خطيبًا وقاضيًا ببلده، ووزيرًا، وكتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السَّداد.

مشيخته: قرأ[٦] على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزُّبير؛ رَحَل إليه من وطنه عام اثنين وتسعين وستمائة، ولازمه وانتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز والعربية، وسمع عليه الكثير من الحديث، وعلى الخطيب الصوفي المحقّق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري، وعلى الخطيب المحدّث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشَيْد، وسمع على الشيخ القاضي الرّاوية أبي محمد النّبعدي، والوزير المُعَمر

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، عرف بالبياسي نسبة إلى بياسة التي استولى عليها. ولّاه العادلُ الموحدي قرطبة، فخلع دعوة العادل في سنة ٦٢٣ هـ، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم، فقام أهل قرطبة عليه وقتلوه وبعثوا برأسه إلى العادل بمراكش. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٧١ ـ ٢٧٣).

(٢) شنتلية أو شنت ياله: حصن قريب من حصن بلاي، يبعد عن قرطبة ٢٣ ميلاً، ويقع غربي مدينة استجة ويبعد عنها ١٥ ميلًا. نزهة المشتاق (ص ٥٧٢).

(٣) ترجمة الرعيني في الكتيبة الكامنة (ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢) وهو فيه: «عبد الله بن عبد البرّ بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعب الرعيني».

(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢).

(٥) أرجدونه أو أرشذونة: بالإسبانية Archidona وهي قاعدة كورة ريّه، تقع قبليّ قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٥).

(٦) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢). (٧) في النفح: «الكورة».

المحدّث الحَسِيب أبي محمد عبد المنعم بن سِماك العاملي، والعَدْل الرّاوية أبي الحسن بن مَسْتَقور. وقرأ بمالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخّار، وأجازه من أهل المشرق طائفة.

شعره: ممّا حدّثني ابن أُخته صاحبُنا أبو عثمان بن سعيد، قال: نظم الفقيه القاضي الكاتب أبو بكر بن شِبْرين ببيت الكُتّاب مَألَف الجملة، رحمهم الله، هذين البيتين[١]: [الطويل]

ألا يا مُحِبَّ المصطفى، زِدْ صَبابةً ... وضَمِّخْ لسانَ الذِّكْر منه بطِيبِهِ
ولا تَعْبَأَنْ بالمُبْطلين فإنما ... علامةُ حُبِّ اللهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله[٢]: [الطويل]

فمن يَعْمُرِ الأوقاتَ طُرًّا بذكره ... فليس نصيبٌ في الهدى كَنَصيبِهِ
ومن كان عنه مُعْرِضًا طولَ دَهْره[٣] ... فكيف يُرَجّيه شَفِيعَ ذنوبِهِ؟

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية[٢]: [الطويل]

أليس الذي جَلّى دُجى الجَهْل هَدْيُهُ ... بنورٍ أقَمْنا بعده نهتدي بِهِ؟
ومن لم يكن من دَأْبه[٤] شكر مُنعم ... فَمَشْهَدُه[٥] في الناس مِثْلُ مَغِيبه

وقال أبو بكر بن أرقم[٢]: [الطويل]

نبيٌّ هدانا من ضلالٍ وحيرةٍ ... إلى مُرْتقًى سامي المَحَلّ خصيبِهِ
فهل يَذْكُر[٦] الملهوفُ فَضْلَ مُجيره ... ويَغْمطُ شاكي الداء شُكْرَ طَبيبِهِ؟

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيّلًا كذلك[٢]: [الطويل]

ومن قال مَغْرورًا: حِجابُك ذِكْرُهُ ... فذلك مغمورٌ طريدُ عيوبِهِ
وذِكْرُ رسول الله فَرْضٌ مُؤَكَّدٌ ... وكلُّ مُحِقٍّ قائلٌ بوجوبِهِ

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٠).
(٢) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١).
(٣) في النفح: «عمره».
(٤) في النفح: «من ذاته».
(٥) المراد بـ «مشهده»: شهوده، أي حضوره.
(٦) في النفح: «ينكر».

وقال يومًا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأُدباءِ في اختبار الأذهان[١]: [الخفيف]

جاهِدِ النَّفْسَ جاهدًا فإذا ما ... فَنِيَتْ عنك فهي عَيْنُ الوجودِ
وليكنْ حُكْمُكَ[٢] المُسَدَّدَ فيها ... حُكْمَ سَعْدٍ[٣] في قَتْله لليهودِ

قال: فأجابه أبو محمد بن أبي المجد[٤]: [الخفيف]

أيها العارفُ المُعَبِّرُ ذوقًا ... عن معانٍ غزيرةٍ في الوجودِ
إنَّ حالَ الفَناء[٥] عن كلِّ غَيْرٍ ... كمقام[٦] المُرادِ غير المُريدِ
كيف لي بالجهاد غَيْرَ مُعانٍ ... وعَدُويَ[٧] مُظاهَرٌ بجنودِ؟
ولو أنّي حكمتُ فيمن ذكرتم ... حُكْمَ سَعْدٍ لكنتُ جِدَّ سعيدِ
فأراها صَبابةً[٨] بي فَتونًا ... وأراني في حبِّها كيزيد
سوف أسلو بحبكمْ[٩] عن سواها ... ولَوَ اَبْدَتْ فعلَ المُحِبِّ الودود
ليس شيءٌ سوى إلٰهك يبقى ... واعْتبرْ صِدْقَ ذا بقَوْلِ لَبيدِ[١٠]

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حالٌ لا يتمالك معها، وربما أَوْحَشت مَن لا يعرفه بها.

عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي، تِلْمساني، يكنى أبا محمد، وينتمي إلى بني زيّان من بيت أُمرائهم.

---

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١). (٢) في النفح: «حكمها».
(٣) هو سَعْد بن معاذ، سيّد الأنصار، حكّمه النبيّ ﷺ، في يهود بني قريظة.
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١ - ٤٣٢).
(٥) في الأصل: «الفنا» وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) في الأصل: «المقام» والتصويب من النفح.
(٧) في الأصل: «وعدوّه»، والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «حبابة». (٩) في النفح: «بنصحكم عن هواها».
(١٠) يشير إلى قول لبيد بن ربيعة العامري: [الطويل]
ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ ... وكلُّ نعيمٍ، لا محالَةَ، زائلُ
ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ١٣٢).

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر...[١] قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون، وله بأحواله عناية، وله إليه تردُّد كثير وزيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، وهو طفل صغير، واستقرّ بقَتُّورية في ديوان غُزانها. ولما توفي أبوه سلك مسلكه برهة، ورفض ذلك، وجعل يتردَّد بين الولد، وانقطع لشأنه.

حاله: هذا الرجل غريب النَّزعة في الانقطاع عن الخَلْق، ينقطع ببعض جبال بني مشرف، واتخذ فيها كهوفًا وبيوتًا من الشَّعْر أزيد من أربعين عامًا، وهلمّ جرًّا، منفردًا، لا يُداخل أحدًا، ولا يُلابسه من العرب، ويجعل الحَلْفاءَ في عنقه...[١] اختلف فيه، فمن ناسبٍ ذلك إلى التَّلْبِيس وإلى لُوْثةٍ تأتيه، وربما أثاب بشيءٍ، ويطلبون دُعاءه ومُكالمته، فربما أفْهَم، وربما أبْهَم.

محنته: ذكروا أنه ورِث عن أخ له مالًا غنيًّا، وقدم مالقة، وقد سُرق تاجر بها ذَهَبًا عينًا، فاتُّهم بها، فَجَرت عليه محنة كبيرة من الضَّرْب الوجيع، ثم ظهرت براءته، وطلب الحاكم الجائر منه العَفْو، فعفا عنه، وقال: لله عندي حقوق وذنوب، لعلّ بهذا أكفِّرها، وصرف عليه المال فأباه، وقال: لا حاجة لي به فهو مال سُوءٍ، وتركه وانصرف، وكان من أمر انقطاعه ما ذُكر.

شيءٌ من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شِفاءُ المرضى، وتفريج الكُرُبات...[١]، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة، وهو عام سبعين وسبعمائة.

مولده: بتلمسان عام تسعين وستمائة. ودخل غرناطة غير ما مرة.

عبد الله بن فرج بن غَزْلون اليحصبي[٢]

يعرف بابن العسّال، ويكنى أبا محمد، طُليطُلي الأصل. سكن غرناطة واستوطنها، الصالحُ المقصودُ التُّربة، المبرورُ البُقْعة، المُفْزِع لأهل المدينة عند الشِّدة.

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة ابن العسال في الصلة (ص ٤٣٥) والمغرب (ج ٢ ص ٢١) ورايات المبرزين (ص ١٤٠) وفيهما: «أبو محمد عبد الله العسال». ومعجم السفر (ص ٢٢٣) وفيه أنه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الطليطلي الواعظ، المعروف بابن العسال» ونفح الطيب (ج ٤ ص ١٨٣، ٢٠٠) و(ج ٦ ص ١٢١).

حاله: قال ابن الصَّيرفي: كان، رحمه الله، فذًّا في وقته، غريب الجود، طِرْفًا في الخير والزهد والورع، له في كل جو مُتَنَفَّس، يضرب في كل عِلْم بسَهم، وله في الوعظ تواليف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على أَلسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيِّدة الرَّصْعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يُحلِّق في الفقه، ويجلس للوعظ. وقال الغافقي[1]: كان فقيهًا جليلًا، زاهدًا، مُتَفَنِّنًا، فصيحًا لَسِنًا، الأغلَبُ عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظًا، عارفًا بالتفسير، شاعرًا مطبوعًا. كان له مجلس، يُقرأُ عليه فيه الحِفْظ والتفسير، ويتكلّم عليه، ويقصُّ[2] من حِفْظه أحاديث. وألّف في أنواعٍ من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريبًا في قوته، فذًّا في دهره، عزيزَ الوجود.

مشيخته: روى[1] عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب، وأبي عمرو المقرىء الدّاني، وأبي عمر بن عبد البرّ، وأبي إسحٰق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، وعن أبيه فَرَج، وعن أبي زيد الحشاء القاضي، وعن القاضي أبي الوليد الباجي.

شعره: وشعره كثير، ومن أَمْثَل ما رُوي منه قوله: [مخلع البسيط]

لستَ وَجيهًا لدى إلٰهي ... في مبدإ الأمر والمعادِ
لو كنت وَجْهًا[3] لما بَراني ... في عالَم الكَوْن والفسادِ

وفاته: توفي، رحمه الله، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وأُلحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب إلبيرة بين الجبانتين. ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسّال. وكان له يوم مشهود، وقد نيّف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به.

ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله [بن محمد][4] ابن عبد الرحمٰن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمٰن ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله[5]

الخليفة المُمَتَّع، المجْدُود، المظَفَّر، البعيد الذكر، الشهير الصيت.

(١) قارن بالصلة (ص ٤٣٥). (٢) في الصلة «وينصُّ».
(٣) في الأصل: «وجيهًا» وهكذا ينكسر الوزن.
(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصول، وقد أضفناه من المصادر التي ترجمت لعبد الرحمٰن الناصر.
(٥) ترجمة عبد الرحمٰن الناصر في تاريخ علماء الأندلس (ص ٣١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني=

حاله: كان أبْيَض، أشْهَل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول مَن تسمّى أمير المؤمنين، ولي الخلافة فعلا جدُّه، وبَعُد صيته، وتوطّأ ملكه، وكأن خلافته كانت شمسًا نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السّن، وجِدَة العمر، فجدّد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزيّن الملك، ووطّد الدولة، وأجرى الله له من السَّعْد ما يَعْظُم عنه الوصف ويُجِلُّ عن الذكر، وهيّأ له اسْتِنزال الثوار والمنافقين واجْتِثاث جراثيمهم.

بنوه: أحد عشر[1]، منهم الحَكَم الخليفة بعده، والمنذر، وعبد الله، وعبد الجبار.

حُجّابه: بدر مولاه، وموسى بن حُدَير.

قضاته[2]: جملة، منهم: أسْلَم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقيّ، ومنذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمٰن بقضاء الله راض».

أُمّه: أمُّ ولد تسمى مُزنة. وبويع له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين[3].

دخوله إلبيرة: قال المؤرخ[4]: أول غزوة غزاها بعد أن استَحْجَب بدرًا مولاه، وخرج إليها يوم الخميس رابع[5] عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مُفَوِّضًا إليه، ومُسْتدعيًا نصره، واستئلاف الشّاردين، وتأمين الخائفين، إلى ناحية كُورة جيّان، وحصن المُنْتلون، فاستَنْزل منه سعيد بن هُذيل، وأناب إليه مَن كان نافرًا عن الطاعة، مثل ابن اللّبّانة، وابن مَسَرّة، ودحون الأعمى. وانصرف إلى قرطبة، وقد تجوّل، وأنزل كلّ من بحصن من حصون كورة جيان، وبَسْطَة، وناجِرة، وإلبيرة، وبجّانة،

= ص ٢٨) والحلة السيراء (ج ١ ص ١٩٧) وأخبار مجموعة (ص ١٣٥) وجذوة المقتبس (ص ١٢) وبغية الملتمس (ص ١٧) والمعجب (ص ٥٤) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٧٩) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٩٨) والمغرب (ج ١ ص ١٨١) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩٣) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٧) وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(١) أي أحد عشر ذكرًا، كما جاء في الجمهرة. (٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦).
(٣) الصواب مستهل ربيع الأول سنة ثلاثمائة، كما جاء في مصادر ترجمته.
(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٠ ـ ١٦١).
(٥) في البيان المغرب: «يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت...».

والبُشْرّة، وغيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. وعلى عهده توفي ابن حَفْصُون[١]. وجرت عليه هزيمة الخَنْدق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة[٢]، وطال عمره، فملك نيفًا وخمسين سنة، ووُجد بخطّه: أيام السُّرور التي صَفَتْ لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا، فعُدَّت، فوجدت أربعة عشر يومًا.

وفاته: في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة[٣].

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية[٤]

يكنى أبا المُطرِّف، ويلقب بالمُرْتَضى.

حاله وصفته: كان أبيض أشقر أقْنَى، مخفَّف البَدَن، مُدوَّر اللحية، خيِّرًا، فاضلًا، من أهل الصلاح والتُّقى، قام بدولته خيْرانُ العامري، بعد أن كثُر السؤال عن بني أمية، فلم يَجِد فيهم أسْدى للخلافة منه، بورعه وعفافه ووقاره، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده، فاستجاب الكلُّ إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاءُ والشيوخ وجعلوها شورى، وانصرفوا يريدون قرطبة، وبدأُوا بصَنْهاجة بالقتال، فكان نُزوله بجبل شقشتر على محجة واط.

وفاته:[٥] يوم لثلاث خلون من جمادى الأُولى سنة تسع وأربعمائة. وكانت الهزيمة على عساكر المُرْتَضى، فتركوا المحلات وهربوا، وفَشى فيهم القتل، وظَفِرت صَنْهاجة من المتاع والأموال بما يأخذه الوصف، وقُتل المُرْتَضى في تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، وقد بلغ سنُّه نحو أربعين.

---

(١) توفي عمر بن حفصون سنة ٣٠٦ هـ.

(٢) جاء في أخبار مجموعة (ص ١٣٧) أن الناصر هزم عام ٣٢٦ هـ في غزاة اسمها القُدْرة، أقبح هزيمة، لم تكن له بعدها غزوة بنفسه.

(٣) في الحلة السيراء: توفي في ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ.

(٤) ترجمة المرتضى في جذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتمس (ص ٢٧) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ٥٨) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠١) والمعجب (ص ٩٨) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١) وأعمال الأعلام ـ القسم الثاني (ص ١٣٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٣٧) وفيها اسم جدّه: «عبد الملك» بدلًا من «عبد الله»، والمغرب (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢١) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٣) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩).

(٥) هنا نقص كلمة وهي تعيين اليوم الذي توفي فيه المرتضى، وعن ذلك قارن: بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٦) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٣١، ١٣٨، ٢٢٩). وجاء في الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١): توفي المرتضى سنة ٤٠٧ هـ.

عبد الرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس(١)

يكنى أبا المُطَرِّف، وقيل: أبا زيد، وقيل: أبا سليمان، وهو الداخل إلى الأندلس، والمُجَدِّد الخلافة بها لذريته، والملقَّب بصَقْر بني أُمية(٢).

حاله: قال ابن مفرّج: كان الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية راجِح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذّ العزم، بريئًا من العَجْز، مستخفًّا للثِّقل، سريع النهضة، متَّصل الحركة، لا يَخْلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دَعَة، ولا يَكِل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبْرامها برأيه. وعلى ذلك فكان شجاعًا، مِقْدامًا، بعيد الغور، شديد الحَذَر، قليل الطُّمأْنينة، بليغًا، مُفَوَّهًا، شاعرًا مُحْسِنًا، سَمْحًا، سَخِيًّا، طَلْق اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، ويَعْتَمُّ به ويؤثره. وكان أُعْطِي هَيْبَةً من وليّه وعدوّه لم يُعْطَها واحد من الملوك في زمانه. وقال غيره: وأَلْفى الأمير عبد الرحمٰن الأندلس ثغرًا مِنْ أنْأَى الثغور القاصية، غُفْلًا من سمَة المُلْك، عاطلًا من حِلْية الإمامة، فأرْهَب أهله بالطاعة السلطانية، وحرَّكهم بالسِّيرة الملوكية، ورفعهم بالآداب الوسطية، فألبسهم عمّا قريب المودَّة، وأقامهم على الطريقة. وبدأ يدوِّن الدواوين، وأقام القوانين، ورفع الأواوين، وفَرَض الأعطية، وأنْفَذ الأقْضِية، وعقد الألوية، وجنَّد الأجناد، ورفع العِماد، وأوْثَق الأوتاد، فأقام للمُلْك آلته، وأخذ للسلطان عُدَّته.

نبذة من أوليته: لمّا ظهر بنو العباس بالمشرق، ونجا فيمن نجا من بني أُمية، معروفًا بصفته عندهم، خرج يَؤُمّ المغرب لأمرٍ كان في نفسه، من مُلْك الأندلس، اقتضاه حِدْثان، فسار حتى نزل القَيْرُوان، ومعه بَدْرٌ مولاه، ثم سار حتى لحق بأخواله من نِفْزَة، ثم سار بساحل العُدْوة في كنف قوم من زَناتة، وبعث إلى الأندلس بدرًا، فداخل له بها مَن يُوثق به، وأجاز البحر إلى المُنَكَّب، وسأل عنها، فقال: نَكِبُوا عنها، ونزل بشاط من أحوازها، وقدم إليه أولو دعوته، وعقد اللِّوا،

(١) ترجمة عبد الرحمٰن الداخل في أخبار مجموعة (ص ٤٩) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٦) وجذوة المقتبس (ص ٨) وبغية الملتمس (ص ١٢) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٦) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٤٨) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٦٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٤٧) والحلة السيراء (ج ١ ص ٣٥) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٢) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩١) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٥) وصفحات أخرى متفرقة.

(٢) لقبه في المصادر التي ترجمت له هو: «صقر قريش».

وقصد قرطبة في خبر يَطُول، وحروب مُبيرة، وهزم يوسف الفِهْري، واستولى على قرطبة، فبُويع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

دخوله إلبيرة: قالوا: ولمّا انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمٰن الفهري، لحق بإلبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، وحاصره الأمير عبد الرحمٰن بن معاوية، وأحاط به، فنزل على صُلح، وانعَقد بينهما عقد، ورَهَنه يوسف ابنَيْه؛ أبا زيد وأبا الأسود، وشهد في الأمان وجُوه العسكر، منهم أُمية بن حمزة الفِهْري، وحبيب بن عبد الملك المرواني، ومالك بن عبد الله القرشي، ويحيىٰ بن يحيىٰ اليحصبي، ورزق بن النُّعمان الغسّالي، وجدار بن سلامة المَذْحجي، وعمر بن عبد الحميد العبدري، وثعلبة بن عبيد الجذامي، والحُريش بن حوار السلمي، وعتّاب بن علقمة اللخمي، وطالوت بن عمر اليحصبي، والجرّاح بن حبيب الأسدي، وموسى بن خالد، والحُصَين بن العقيلي، وعبد الرحمٰن بن منعم الكلبي، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاءِ لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة. نقلت أسماءَ من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، ووجب ذكره، فاجْتَزَأت بذلك، فرارًا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، والإحاطة لله.

بلاغته ونثره وشعره: قال الرّازي: قام بين يديه رجل من جند قِنّسرين، يستنجد به، وقال له: يا ابن الخلائف الراشدين والسّادات الأكرمين، إليك فَرَرْنا، وبك عُذْت من زَمنٍ ظلوم، ودهرٍ غشوم قلّل المال، وذهب الحال، وصيَّر إليّ بذاك المنال، فأنت وليُّ الحمد، وربى المجد، والمَرْجو للرِّفد. فقال له ابن معاوية مسرعًا: قد سمعنا مقالتك، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المَسْألة، والإلحاف في الطَّلَبة، وإذا ألمّ بك خَطْبٌ أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدو ذكيًا، تَسْتُر عليك خِلّتك، وتكُفُّ شماتة العدوّ بك، بعد رَفْعها إلى مالِكنا ومالِكها عن وجهه، بإخلاص الدُّعاءِ، وحسن النية. وأمر له بجائزة حسنة. وخرج الناس يعجبون من حسن منطقه، وبراعة أدبه.

ومن شعره: قوله، وقد نظر إلى نخلة بمُنْية الرُّصافة، مُفْرَدةٍ، هاجت شَجَنه إلى تذكر بلاد المشرق[1]: [الطويل]

تَبَدَّتْ لنا وَسْطَ الرُّصافةِ نَخْلَةٌ ... تناءَتْ بأرض الغَرْب عن بلد النَّخْلِ

(١) الأبيات في الحلة السيراء (ج ١ ص ٣٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٦٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٤٦).

فقلتُ: شَبيهي في التغرُّب والنَّوى ... وطولِ التَّنائي عن بَنِيَّ وعن أهلي
نَشَأْتِ بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ ... فَمِثْلُكِ في الإقْصاءِ والمُنْتأى مثلي
سَقَتْكِ[١] غوادي المُزْن مِنْ صَوْبها[٢] الذي ... يَسُحُّ ويستمري[٣] السِّماكَيْنِ بالوَبْلِ

وفاته: توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر[٤] سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو ابن تسعة وخمسين عامًا، وأربعة أشهر، وكانت مُدَّة مُلكه ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر[٥]، وأخباره شهيرة.

وجرى ذكره في الرَّجز المسمى بقطع السلوك، في ذكر هذين من بني أُمية، قولي في ذكر الداخل: [الرجز]

وغمر الهوْل كَقَطْع الليلِ ... بفِتنة الفِهْريِّ والصُّمَيلِ
وجَلَّتِ الفِتنةُ في أندلسِ ... فأصبحتْ فريسةَ المُفترسِ
فأَسْرَعَ السَّير إليها وابْتَدَرْ ... وكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقَدَرْ
صَقْرُ قريشٍ عابِدِ الرحمنِ ... باني المعالي لبني مروانِ
جَدَّدَ عَهْدَ الخلفاء فيها ... وأسّس الملك لمُتْرَفِيها
ثم أجاب داعِي الحِمامِ ... وخلَّف الأمر إلى هشامِ
وقام بالأمر الحفيد الناصرُ ... والناس مَحْصُور بها وحاصرُ
فأَقْبَلَ السَّعْد وجاءَ النَّصْرُ ... وأشْرَقَ الأمْنُ وضاءَ القَصْرُ
وعادت الأيام في شبابِ ... وأصبح العدو في تِبابِ
سطا وأعطى وتغاضى وَوَفا ... وكلَّما أقدره الله عَفا
فعاد مَنْ خالَف فيها وانْتَزى ... وحارب الكُفّارَ دأبًا وغزا
وأوقع الرُّوم به في الخَنْدقِ ... فانقلب الملك بسَعْي مُخْفقِ
واتصلت من بعد ذا فتوحُ ... تَغْدُو على مَثْواه أو تَروحُ
فاغتنموا السِّلْم لهذا الحينِ ... ووصَلَتْ إرسالَ قُسْطَنطينِ

---

(١) في البيان المغرب: «سقاك».
(٢) في النفح: «في المنتأى» بدلًا من: «من صوبها».
(٣) في الأصل: «ويستمرئ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.
(٤) في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٠٣): «توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة».
(٥) جاء في كتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٩) أن مدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة.

وساعد السَّعْد فنال واقتنى ... ثم بنى الزَّهرا فيما قد بَنى
حتى إذا ما كَمُلَتْ أيامُهُ ... سبحان مَن لا ينقضي دوامُهُ

عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَة وأعيانها، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحكيم، وجدُّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم، وقد تقدم ذكر جُملة من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه الله، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض والعُزلة، مجانبًا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعِفَّة، مَرْضي الحال، معدودًا في أهل النَّزاهة والعَدالة، وأفرط في باب الصَّدقة بما انقطع عنه أهل الإثراءِ من المُتَصَدِّقين، ووقفوا دون شأوه. ومن شهير ما يُروى من مناقبه في هذا الباب، أنه أعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً، وفي ذلك يقول بعض أُدباءِ عصره:

أعْتَق بكل عُضْو منه رَقَبة ... واعتدَّ ذلك ذُخْرًا ليوم العَقَبة
لا أجدُ مَنْقَبة مثل هذه المنْقَبة

مشيخته: روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرال، وعن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الزهري، وأبي البركات بن مَوْدود الفارسي، وأبي الحسن الدَّباج، سمع من هؤلاءِ وأجازوا له. وأجاز له أبو أُمية بن سعد السُّعود بن عُفير، وأبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطَّاب بن خليل، يَطْنب في الثناءِ عليه، ووقفت على ما خاطبه به معربًا عن ذلك.

شعره: منقولًا من «طُرْفة العصر» من قصيدة يردِّدُها المؤذنون منها: [البسيط]

كم ذا أُعلل بالتَّسْويف والأمل ... قلبا تغلَّب بين الوَجْد والوَجَلِ
وكم أُجَرِّد أذيال الصِّبا مَرِحًا ... في مَسْرح اللهو وفي مَلْعب الغَزَل
وكم أُماطل نَفسي بالمتاب ولا ... عَزْمٌ فيوضح لي عن واضح السُّبل
ضَلَلْتُ والحقُّ لا تخفى معالِمُهُ ... شتَّان بين طريق الجِدِّ والهَزَلِ

وفاته: يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأُولى عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي[(١)]

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الفَرَس، ويُلَقَّب بالمُهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان[(٢)] فقيهًا جليلَ القَدْر، رفيع الذِّكْر، عارفًا بالنحو واللغة والأدب، ماهر[(٣)] الكتابة، رائق الشعر، بديع التَّوشيح، سريع البديهة، جاريًا على أخلاق الملوك في مَرْكبه وملبسه وزِيِّه. قال ابن مسعدة[(٤)]: وطِيءَ من درجات العزّ والمجد أعلاها، وفرع من الأصالة مُنْتماها. ثم علت همّتُه إلى طلب الرِّئاسة والمُلْك، فارتحل إلى بلاد العُدْوة، ودعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخَلْقُ الكثير، والجمُّ الغفير، ودَعُوه باسم الخليفة، وحيُّوه بتحيّة الملك. ثم خانَتْه الأقدار، والدهر بالإنسان غدّار، فأحاطت به جيوش الناصر[(٥)] بن المنصور، وهو في جيش عظيم من البربر، فقُطع رأسه، وهُزم جيشه، وسيق إلى باب الخليفة، فعلّق على باب مَرّاكُش، في شبكة حديد، وبقي به مدة من عشرين سنة[(٦)].

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نبهاءِ وقته لولا حدّة كانت فيه أدّت به إلى ما حدَّثني به بعض شيوخي من صحبه. قال: خرجْنا معه يومًا على باب من أبواب مراكش برسم الفُرْجة، فلمّا كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس مُعلّقة، وتعوّذنا بالله من الشرّ وأهله، وسألْناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منّا، وقال: هذا خَوَرُ طريقة وخَساسةُ هِمَّة، والله ما الشرف والهمّة إلّا في تلك، يعني في طَلَبِ الملك، وإنْ أدّى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصِّفة. قال: فما برحت الليالي والأيام، حتى شرع في ذلك، ورام الثورة، وسِيق رأسه إلى مراكش، فعلق في جملة تلك الرؤوس، وكتب عليه، أو قيل

---

(١) ترجمة عبد الرحيم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ٦٠) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٢٧٠) والمغرب (ج ٢ ص ١١١، ١٢٢) وكتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٢) وبغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٢) قارن ببغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٣) في البغية: «باهر».

(٤) ابن مسعدة: هو أحد شيوخ عبد الرحيم الخزرجي، وقد أخذ عنه النحو. بغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٥) هو الخليفة الموحدي محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

(٦) جاء في بغية الوعاة أن رأسه قُطع وعلّق على باب مراكش في سنة إحدى وستمائة، وهو ابن ست وثلاثين سنة. وجاء في التكملة والحلة السيراء أنه قتل في نحو الستمائة.

فيه: [الطويل]

لقد طَمَح المُهر الجمُوح لغاية ... فقطَّع أعناق الجِياد السَّوابقِ

جَرى وجَرَتْ رِجْلاه لكنّ رأسه ... أتى سابقًا والجسم ليس بسابقِ

وكانت ثورته ببعض جهات دَرْعة من بلاد السُّوس.

مشيخته: أخذ عن صِهْره القاضي أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وعن غيره من أهل بلده، وتفقّه بهم، وبهر في العَقْليّات والعلوم القديمة، وقرأ على القاضي المحدِّث أبي بكر بن أبي زَمَنين، وتلا على الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن عروس، والأدب والنحو على الأستاذ الوزير أبي يحيىٰ بن مَسْعدة. وأجازه الأُستاذ الخطيب أبو جعفر العطّار. ومن شعره في الثورة[١]: [البسيط]

قولوا لأولاد[٢] عبد المؤمن بن علي ... تأهّبوا لوقوع الحادثِ الجَلَلِ

قد جاء[٣] فارسُ[٤] قَحطانٍ وسيِّدُها[٥] ... ووارثُ المُلْكِ[٦] والغَلّابُ للدولِ

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي: [الكامل]

الله حسْبي لا أُريد سواه ... هل في الوجود الحق إلّا الله؟

ذات الإلـٰه بها تقوم دولتنا[٧] ... هل كان يوجد غيره لولاه؟

يا من يَلوذ بذاته أنت الذي ... لا تطمع الأبصار في مَرآه

لا غرو أنّا قد رأيناه بها ... فالحقُّ يُظْهِرُ ذاتَهُ وتراه

يا من له وَجَبَ الكمال بذاته ... فالكل غاية فوْزهمْ لقياه

أنت الذي لَمّا تعالى جدُّه ... قَصُرَتْ خطا الألباب دون حماه

أنت الذي امتلأ الوجود بحَمْده ... لمّا غدا ملآن من نُعْماه

أنت الذي اخترع الوجود بأسره ... ما بين أعلاه إلى أدناه

---

(١) البيتان ضمن أربعة أبيات، في المغرب (ج ٢ ص ١١١) وجاء فيه أنه يخاطب فيها بني عبد المؤمن. وهي كذلك في كتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٣) والحلة السيراء (ج ٢ ص ٢٧١).

(٢) في كتاب العبر والحلة السيراء: «الأبناء». (٣) في الحلة السيراء: «أتاكُمْ».

(٤) في كتاب العبر والمغرب: «سيد». وفي الحلة السيراء: «خير».

(٥) في المغرب والحلة السيراء «وعالمها»: وفي كتاب العبر: «وعاملها».

(٦) في كتاب العبر والمغرب: «ومنتهى القول». وفي الحلة السيراء: «وصاحبُ الوقتِ».

(٧) كذا ينكسر الوزن، ولو قال: «دولة» لَصَحّ الوزن.

أنت الذي خَصَّصْتَنا بوجودنا — أنت الذي عَرَّفْتَنا معناه

أنت الذي لو لم تَلُحْ أنواره — لم تُعْرَفِ الأضدادُ والأشباه

لم أَفْشِ ما أَوْدَعْتَنِيه إنَّه — ما صان سِرَّ الحَقِّ مَنْ أفشاه

عَجِزَ الأنامُ عن امتداحك إنه — تتضاءل الأفكار دون مداه

مَنْ كان يعلم أنك الحقُّ الذي — بَهَرَ العقولَ فحَسْبُه وكفاه

لم ينقطع أحد إليك محبَّةً — إلّا وأصبح حامدًا عُقْباه

وهي طويلة..

(١)...

من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، ويعرف بابن القصجة.

عديم رواءِ الحسّ، قريب العهد بالنجعة، فارق وطنه وعيصه، واستقبل المغرب... الوفادة، وقدم على الأندلس في أُخريات دولة الثاني[٢] من الملوك النصريين، فمهد جانب البر له، وقرب مجلسه، ورعى وسيلته، وكان على عمل بر من صوم واعتكاف وجهاد.

نباهته: ووقف بي ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رسالة كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثاني الملوك النصريين، رحمهم الله، وعبّر فيها عن نفسه: من عبد الله، المؤيّد بالله، محمد بن سعد الحرسني، في غرض المواصلة والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه الله، من فصولها: «ثم أنكم، رضي الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأويتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احترامًا لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدِّنا عليه السلام». وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شنشنة أحوال تلك البال بمكة المباركة.

وفاته: توفي شهيدًا في الوقيعة بين المسلمين والنصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريخ لإنجادها، ورفع العدو البرجلوني عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة.

---

(١) مكان البياض عنوان المترجم له، واسمه، كما سيأتي، محمد بن سعد الحرسني.

(٢) ثاني سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٥٠).

ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء

من ترجمة الطارئين منهم

عبد الرحمن[١] بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أَصْبَغ بن حسن[٢] بن سعدون بن رضوان بن فتّوح الخثعمي

مالقي، يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شُهر بالسُّهيلي.

حاله: كان مُقرئًا مجوِّدًا، متحققًا بمعرفة التفسير، غوّاصًا على المعاني البديعة، ظريف التّهدّي إلى المقاصد الغريبة، محدِّثًا، واسع الرِّواية، ضابطًا لما يحدِّث به، حافظًا متقدمًا، ذاكرًا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرِّزًا في الفهم، ذكيًّا، أديبًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدًا، نحويًا، عارفًا، بارعًا، يَقِظًا، يَغْلب عليه عِلْمُ العربية والأدب. استُدعِي آخرًا إلى التدريس بمرّاكش، فانتقل إليها من مالقة، محلّ إقرائه، ومُتَبوَّأ إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلا[٣] بالحَرَمين على خال أبيه الخطيب أبي الحسن بن عباس، وبالسَّبْع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن عَلاء، وأبي العباس بن خلف بن رَضِي، وروى عن أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قَنْدَلة، وأبي الحسن شُريح، وابن عيسى، ويونس بن مُغيث، وأبي الحسن بن الطَّراوة، وأكثر عنه في علوم اللسان، وأبي عبد الله حفيد مكّي، وابن أخت غانم، وابن مُعَمَّر، وابن نجاح، وأبي العباس بن يوسف بن يُمْن الله، وأبوي القاسم ابن الأبرش، وابن الرَّماك، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دَحْمان، وأبوي مروان بن بُونة، وأبي عبد الله بن بَحْر. وناظر في «المدوّنة» على ابن هشام. وأجاز له ولم يَلْقَه أبو العباس عبّاد بن سرحان، وأبو القاسم بن وَرْد.

---

(١) ترجمة عبد الرحمن الخثعمي في بغية الملتمس (ص ٣٦٧) والتكملة (ج ٣ ص ٣٢) والمطرب (ص ٢٣٠) والمغرب (ج ١ ص ٤٤٨) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩) وزاد المسافر (ص ٩٦) والديباج المذهب (ص ١٥٠) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٢٧١) والفلاكة والمفلوكون (ص ١١٥) وبغية الوعاة (ص ٢٩٨) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ١٠٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣١٦).

(٢) في وفيات الأعيان: «حسين».

(٣) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٢) وبغية الوعاة (ص ٢٩٩).

مَن روى عنه: روى عنه أبو إسحٰق الزّوالي، وأبو إسحٰق الجاني، وأبو أمية بن عُفير، وأبو بكر بن دَحْمان، وابن قَنْتوال، والمحمدون ابن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جو يحمات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحفّار وسهل بن مالك، وابن العفّاص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السَّراج، وأبو سليمان بن حَوْط الله، والسمائي، وابن عياش الأندرشي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رُشَيد، وابن ناجح، وابن جَمْهُور، وأبو عبد الله بن عيّاش الكاتب، وابن الجِذع، وأبو علي الشّلُوبين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بَقِي، وأبو القاسم بن الطّيْلَسان، وعبد الرحيم بن الفَرَس، وابن المَلْجُوم، وأبو الكرم جُودِي، وأبو محمد بن حَوْط الله، إلى جملة لا يحصرها الحدُّ.

دخل غرناطة، وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أضحَى، قاضيها وريّسها[١]، وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرّخ في الغَرْناطيين، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمَّن يثق به.

تواليفه: منها كتاب «الشّريف[٢] والإعلام، بما أُبهم في القرآن من أسماءِ الأعلام». ومنها شرح آية الوصية، ومنها «الرّوض الآنِف[٣] والمشرع الرَّوا، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واحتَوى». وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسمائة، وفرغ منه في جمادى منها. ومنها «حِلْية النّبيل، في معارضة ما في السّبيل». إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القطّان، قال: أنشدني أبو علي الرُّندي، قال: أنشدني أبو القاسم السُّهيلي لنفسه[٤]: [الطويل]

أُسائلُ عن جيرانه مَنْ لَقِيتُه وأُعْرِضُ عن ذكراه والحالُ تَنْطِقُ

---

(١) هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بغرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٣٩ هـ. توفي سنة ٥٤٠ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

(٢) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩): «التعريف... من الأسماء الأعلام». وفي التكملة (ج ٣ ص ٣٣): «التعريف... القرآن العزيز من الأسماء الأعلام». وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «التعريف... من الأسماء والأعلام».

(٣) هكذا في التكملة، وفي وفيات الأعيان وبغية الوعاة والمغرب: «الأُنُف».

(٤) البيتان في بغية الملتمس (ص ٣٦٧) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣١٧).

وما لي إلى جيرانه مِنْ صَبابة ولكنّ قلبي[(١)] عن صَبُوحٍ يوفّقُ[(٢)]

ونقلت من خطّ الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم السُّهيلي، مذيِّلًا بيت أبي العافية في قطعة لزُوميّة: [الطويل]

ولمّا رأَيْتُ الدَّهْرَ تسطو خطوبُهُ بكل جَليد في الورى أو هداني[(٣)]

ولم أر من حِرْز ألوذُ بظلِّه ولا مَنْ له بالحادثات يُداني

فَزَعتُ إلى مَنْ مَلّك[(٤)] الدهرُ كفّه ومن ليس ذو مُلْك له بمران

وأعْرَضتُ عن ذكر الورى متبرِّمًا إلى الرَّب من قاصٍ هناك ودانٍ

وناديْتُه سرًّا ليرحم عَبْرتي وقلتُ: رجائي قادني وهَداني

ولم أدْعُهُ حتى تطاول مُفْضِلًا عليّ بإلهام الدُّعاءِ وعان

وقلت: أُرَجِّي عطفه متمثِّلا ببيت لعَبْد صائل بَرْدان[(٥)]

تغطّيت من دهري بظلّ جَناحه عسى أنْ تَرى[(٦)] دهري وليس يَراني

قلت: وما ضَرّه، غفر الله له، لو سَلِمت أبياته من «بَرْدان»، ولكن أبَتْ صناعة النحو إلّا أن تخرج أعناقها.

ومن شعره قوله: [المتقارب]

تواضعْ إذا كنتَ تَبْغي العلا وكُنْ[(٧)] راسيًا عند صَفْو الغَضَبْ

فخَفْضُ الفتى نفسه رِفْعَةٌ له واعتبرْ برُسُوب الذَّهَبْ

وشعره كثير، وكتابته كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

وقال ملغزًا في محمل الكُتُب، وهو مما استُحسن من مقاصده: [الخفيف]

حاملٌ للعلوم غير فقيهِ ليس يرجو أمرًا ولا يتّقيهِ

يحمل العِلم فاتحًا قدميه فإذا انضَمّتا[(٨)] فلا عِلْمَ فيهِ

---

(١) في النفح: «نَفْسي».

(٢) في بغية الملتمس: «يرقّق». وفي النفح: «تُرَقّق».

(٣) في الأصل: «وهدان» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «تملّك»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) عجز هذا البيت منكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «فعسى ترى. . .» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وكنت»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٨) في الأصل: «التقتا» وكذا ينكسر الوزن. وكلاهما بمعنى.

ومن ذلك قوله في المجبنات[١]: [الكامل]

شَغَفَ الفؤادَ نواعِمٌ أبكارُ ... بَرَدَتْ فؤادَ الصَّبِّ وَهْيَ حِرارُ

أذكى من المِسْك الفتيق[٢] لناشقٍ ... وألذُّ من صَهْباءَ حين تُدارُ

وكأنَّ[٣] من صافي اللُّجين بطونها ... وكأنما ألوانُهُنَّ نُضارُ

صَفَتِ البواطنُ والظواهرُ كلها[٤] ... لكنْ حَكَتْ ألوانَها الأزهار

عجبًا[٥] لها وهي النعيم تَصوغُها ... نارٌ، وأين من النَّعيم النار؟

ومن شعره وثَبَت في الصِّلة: [المتقارب]

إذا قلتُ يومًا: سلام عليك ... ففيها شِفاءٌ وفيها سَقام

شِفَا إذ قلتُها مُقْبِلا ... وإن قلتُها مُدْبِرًا فالحِمام

فاعْجَب لحال اختلافيهما ... وهذا سلامٌ وهذا سلامُ

مولده: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة[٦].

وفاته: وتوفي في مرّاكش سَحَر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين وخمسمائة[٧]، ودفن لظُهره بجبّانة الشيوخ خارج مراكش، وكان قد عَمِي سبعة عشر[٨] عامًا من عمره.

عبد الرحمٰن بن هانىء اللخمي

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقد من قرى إقليم غرناطة.

---

(١) الأبيات في المطرب (ص ٢٣٧). والمجبنات: نوع من القطائف يضاف إليه الجبن ويقلى بالزيت.

(٢) في الأصل: «العتيق لنا نَشْقًا وألذُّ من صبًا...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المطرب.

(٣) في المطرب: «فكأنما صافي اللجين قلوبها».

(٤) في المطرب: «بِكُلِّها».

(٥) في المطرب: «عجبٌ».

(٦) في التكملة (ج ٣ ص ٣٣): ولد سنة ٥٠٩، وقيل: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة. وفي وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٢٠): «ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة». ومثله جاء في المطرب (ص ٢٣).

(٧) في بغية الملتمس: توفي سنة ٥٨٣ هـ.

(٨) في الأصل: «عشرة» وهو خطأ نحوي. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة».

حاله: كان فقيهًا فاضلًا، وتجوّل في بلاد المشرق. قال: أنشدني إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاءٌ ليس يُشبهه بلاءُ عداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودينِ
يُنيلك منه عِرْضًا لم يَصُنه ويَرْتَعُ منك في عِرْضٍ مَصُونِ

عبد الرحمٰن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي[(١)]

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن القصير[(٢)].

حاله: كان[(٣)] فقيهًا [مشاورًا، رفيع القَدْر جليلًا][(٤)]، بارع الأدب، عارفًا بالوَثيقة، نقّادًا لها، صاحبَ رواية ودِراية، تقلّب ببلاد الأندلس، وأخذ الناس عنه بمرْسية وغيرها. ورَحل إلى مدينة فاس، وإفريقية، وأخذ بها، ووُلّي القضاءَ بتقرش[(٥)] من بلاد الجريد.

مشيخته: روى[(٦)] عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد، وعن عمّه أبي مروان، وعن أبوي الحسن بن دُرّي، وابن الباذِش، وأبي الوليد بن رُشْد، وأبي إسحٰق بن رشيق الطليطلي، نزيل وادي آش، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن وَهب[(٧)]، وأبي محمد عبد الحق بن عطيّة، وأبي عبد الله بن أبي الخِصال، وأبي الحسن يونس بن مغيث، وأبي القاسم بن وَرْد، وأبي بكر بن مسعود الخُشني، وأبي القاسم بن بَقِيّ، وأبي الفضل عِياض بن موسى بن عياض، وغيرهم.

تواليفه[(٨)]: له تواليف وخطب ورسائل ومقامات، وجَمَعَ مناقب مَنْ أدْركه من أهل عصره، واختصر كتاب الجُمل[(٩)] لابن خاقان الأصبهاني، وغير ذلك، وألّف برنامجًا يضم رواياته.

مَن روى عنه: روى عنه ابن الملجوم[(١٠)]، واستوفى خَبَرَه.

---

(١) ترجمة عبد الرحمٰن بن أحمد الأزدي في التكملة (ج ٣ ص ٣٠) والديباج المذهب (ص ١٥٢) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٤) وجذوة الاقتباس (ج ٢ ص ٣٩٤ رقم ٣٩٨).

(٢) في جذوة الاقتباس: «ابن النصير». (٣) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).

(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من أزهار الرياض.

(٥) في الأزهار: «ووُلّي قضاء تقيوس، ببلاد الجريد».

(٦) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).

(٧) في المصدرين: «موهب». (٨) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).

(٩) في أزهار الرياض: «الجِيَل».

(١٠) في أزهار الرياض: «أبو القاسم بن الملجوم».

وفاته: رَكِبَ[١] البحر قاصدًا الحج، فتوفي شهيدًا في البحر؛ قتله الرُوم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صبح يوم الأحد، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة[٢].

عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفصّال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريقٌ في العدالة، ذكيّ، نبيل، مُخْتَصر الجِرْم، شعلة من شُعل الإدراك، مليح المحاورة، عظيم الكفاية، طالب مُتْقِن. قرأ على مشيخة بلده، واختصّ منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبي سعيد ابن لُب، واسْتَظْهر من حفظه كُتبًا كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، وارتسم في العُدول، وتعاطى لهذا العهد الأدب، فبرَّز في فنّه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه ونثره، قوله يخاطب الكتّاب، ويُسْحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعلَّ نسيمَ الريحِ يَسْري عَليلُه ... فأهدي صحيحَ الوُدِّ طيَّ سقيمِ
لتحملها عنّي وأزكى تحية ... لقيتُ[٣] ككهفٍ مانِعٍ ورَقِيمِ
ويذكر ما بين الجوانح من جوًى ... وشوقٍ إليهمْ مُقْعِدٍ ومُقيمِ

يا كُتّاب المحلّ السامي، والإمام المُتَسامي، ورواكف الأدب البَسّامي، أُناشدكم بانتظامي، في محبّتكم وارتسامي، وأُقسم بحقّكم عليّ وحبّذا إقسامي، ألا ما أمْدَدتم بأذهانكم الثاقبة، واسْعَدتم بأفكاركم النّيرة الواقبة، على إخراج هذا المُسَمّى، وشرح ما أبهمَه المُعَمّى، فلعَمْري لقد أخْرَق مزاجي، وفرّق امتزاجي، وأظلم به وِهاجي، وغطّى على مرآة ابتهاجي، فأعِينوني بقوة ما استطعتم، وأقْطِعوني من مَدَدِكم ما قطعتم، وآتوني بذلك كلّه إعانةً وسدًّا وإلّا فها هُو بين يديكم ففكّوا غَلْقه، واسرُدوا خَلْقه، واجمعوا مُضغه المتباينة وعَلَقه، حتى يستقيم جسدًا قائمًا بذاته، متّصفًا بصفاته المذكورة ولذّاته، قائلًا بتسلّيه أسلوبًا، مُصحفًا كان أو مقلوبًا. وإن تأبّى عليكم وتمنّع، وأدركه الحياء فتستّر وتقنّع، وضرب على آذان الشُهدا، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتِدا، فابْعَثوا أحدكم إلى

---

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠).
(٢) في التكملة: «فاستشهد بمرسى تونس في آخر سنة ٥٧٦».
(٣) في الأصل: «لقيته كهف» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

المدينة، ليسأل عنه خَدينه: [المتقارب]

أُحاجي ذوي العِلْم والحلْم ممن / ترى شُعْلة الفهم من زَنْدِهِ
عن اسمٍ هو الموت مهما دنا / وإن بات يُبْكَى على فَقْدِهِ
لذيذٌ وليس بذي طَعِمٍ / ويُؤمر بالغُسْل من بعده
وأطيبُ ما يَجْتنيه الفتى / لدى رَبَّة الحسن أو عَبْده
مضجّعه عشر الثلث في / حساب المُصَحّف من خدِّه
وإن شئت قُلْ: مَطْعَمٌ ذمّه الر / رسول وحضّ على بُعْده
وقد جاءَ في الذِّكر إخراجه / لقوم نَبِيّ على عهده
وتصحيف ضِدٌ له آخر / يُبارك للنَّحل في شَهْده
وتصحيف مَقْلُوبه ربّه / تردّد من قَبْلُ في ردِّه
فهاكمْ معانِيَهُ قد بَدَتْ / كنار الكريم على نَجْده

وكتب للولد، أسعده الله، يتوسّل إليه، ويروم قضاءَ حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تَصَدَّقْ / في المقام العليّ لي بالوسيلهْ
عند ربّ الوَزارتين أطال الـ / ـلهُ أيامَهُ حسانًا جميلهْ
علّه أن يجيرني من زمان / مسّني الضُّرُّ من خُطاه الثَّقيلهْ
واستطالت عليّ بالنَّهْب جورًا / من يديه الخفيفة المُسْتَطيلهْ
لم تَدَعْ لي بضاعة غير مُزْجا / ةٍ ونَزْرٍ أَهْونْ به من قليلهْ
وإذا ما وفّى لي الكَيْل يوما / حَشَفًا ما يُكيله سوء كيلهْ
فشفى بي غَليله لا شفى بي / دون أبنائه الجميع غَليلهْ
من لهذا الزمان مُذْ نال منّي / ليس لي بالزمان والله حِيلهْ
غير أن يَشْفع الوزير ويَدْعو[1] / عبده أو خَديمه أو خليلهْ
دُمْتَ يا ابن الوزير في عِزّك السا / مي ودامتْ به الليالي كفيلهْ

سيدي الذي بعزّة جاهه أُصول، وبتوسُّلي بعنايته أبلُغُ المأمول والسُّول، وأروم لما أنا أحُوم عليه الوصول، ببركة المَشفُوع إليه والرسول، المرغوب من مجدك السّامي الصريح، والمؤمّل من ذلك الوجه السَّنِيّ الصبيح، أن تقوم بين يدي نَجْوى الشَّفاعة، هذه الرَّقاعة، وتُعين بذاتك الفاضلة النفّاعة، من لسانك مِصْقاعة، حتى

(١) في الأصل: «ويَدْعى».

يَنجلي حالي عن بَلج، وأتنسّم من مهبّات القبول طيب الأرَج، وتتطلع مُسْتَبْشِرات فَرْحتي من ثَنيّات الفَرَج، فإنّ سيّد الجماعة الأعلى، وملاذ هذه البَسِيطة وفحْلَها الأجْلى، فَسَح الله تعالى في ميدان هذا الوجود بوجُوده، وأضفى على هذا القُطْر ملابس السِّتر برأيه السديد وسُعوده، وبلّغه في جميعكم غاية أمله ومقصوده، قلّما تَضيع عنده شفاعة الأكبر من ولده، أو يَخيب لديه من توسّل إليه بأزكى قِطَع كَبِده، وبحقك ألا ما أمرت هذه الرُّقعة، بالمثول بين يدي ذلك الزّكي الذّات الطاهر البُقْعة، وقلْ لها قبل الحلول بين يدي هذا المولى الكريم، والمَوْئِل الرحيم، بعظيم التوقير والتَّبجيل، واعلمي يا أيتها السائل، أن هذا الرجل هو المؤمّل، بعد الله تعالى في هذا الجِيل، والحجّة البالغة في تبليغ راجيه أقصى ما يؤملونه بالتعجيل، وخاتمة كلام البلاغة وتمام الفصاحة المُوقَف عليه ذلك كله بالتّسجيل، وغُرّة صفح دين الإسلام المؤيدة بالتّحجيل. وهذا هو مَدَبِّر فلك الخلافة العالية بإيالته، وحافظ بَدْر سمائها السامية بهالته، فقِرّي بالمثول بين يديه عينًا، ولقد قضيتُ على الأيام بذلك دَيْنًا، وإذا قيل ما وسيلة مُؤَمّلك، وحاجة مُتوسّلك، فوسيلته تشيُّعه في أهل ذلك المعنى، وحاجته يتكفّل بها مجدكم الصميم ويُعْنى، وليست تكون بحُرْمَة جاهكم من العرَض الأدنى، وتَمَنَّ فإنّ للإنسان هنالك ما تَمَنّى، وتولّى تكليف مرسلي بحسب ما وَسِعكم، وأنتم الأعْلون والله معكم. ثم اثْنِ العِنان، والله المستعان، وأعِيدي السلام، ثم عودِي بسلام.

وخاطب قاضي الحضرة، وقد أنكر عليه لباس ثوب أصْفَر:

أبقى الله المثابَة العليّة ومَثَلُها أعلى، وقِدْحُها في المَخلُوّات المُعَلّى، ما لها أمَرَت لا زالت بركاتُها تَنْثال، ولأمرِ ما يجب الامتِثال، بتَغْيير ثوبي الفاقِع اللون، وإحالته عن مُعتاده في الكَوْن، وإلحاقه بالأسود الجُون أصْبُغه حِدادًا وأيام سيدي أيام سُرور، وبنو الزمان بِعَدْله ضاحكٌ ومَسْرور، ما هكذا شِيمَةُ البَرُور، بل لو استطعنا أن نَزْهو له كالميلاد، ونتزيّا في أيامه بزيِّ الأعْياد، ونرفُل من المشروع في مُخبر ومَوْرُوس، ونتجلّى في حُلل العَرُوس، حتى تَقرَّ عينُ سيدي بكتيبة دِفاعه، وقيمة نوافله وإشفاعه، ففي عِلْم سيدي الذي به الاهتداء، وبفضله الاقتداء، تفضيل الأصْفَر الفاقع، حيثما وَقَع من المواقع، فهو مهما حَضَر نزهة الحاضرين، وكفاه فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين. ولقد اعْتَمّه جبريل عليه السلام، وبه تطرّز المُخبرات والأعلام، وإنه لزِيُّ الظُّرفاءِ، وشارة أهل الرِّفاءِ، اللهمّ إلا إن كان سيدي دام له البقاء، وساعده الارتقاء، يُنْهي أهل التِّبريز، عن مقاربة لون الذهب الإبريز، خيفة أن تَميل له منهم ضريبة، فيزنُوا بريبة، فَنعْم إذًا ونُعْمى عين، وسمعًا وطاعة لهذا الأمر الهيِّن اللّين، أتبَعُك لا زيدًا وعمرًا،

ولا أعصى لك أمرًا، ثم لا ألبس بعدها إلّا طِمْرًا، وأتجرَّد لطاعتك تَجْريدًا، وأسلك إليك فقيرًا ومزيدًا، ولا أتعرَّض للسُّخط بلِبْس شَفيف أستنشق هَباه، وألبس عَباه، وأبرأ من لِباس زِي يُنشيءُ عِتابًا، يلقى على لسانٍ مثل هذا كِتابًا، وأتوب منه مَتابًا، ولولا أني الليلة صِفر اليدين، ومُعْتَقل الدَّيْن، لباكَرْت به من حانوت صَبَّاغ رأس خابِية، وقاع مظلمة جابية، فأصيِّره حالكًا، ولا ألبسه حتى أستَفْتي فيه مالِكًا، ولعلي أجِدُ فأرضي سيدي بالتَّزيِيّ بشارته، والعمل بمقتضى إشارته، والله تعالى يُبْقيه للحسنات يُنَبِّه عليها، ويومي بعمله وحظِّه إليها، والسلام.

وخاطبني وقد قَدِم في شهادة المواريث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامتْ لنا ... غايتُكَ القُصْوى بلا فَوْتِ
طلبْتُ إحيائي بكمْ فانتهى ... من قَبْله حالي إلى الموتِ
وحقِّ ذاك[1] الجاهِ جاهِ العُلا ... لا مِتُّ إلّا أن أتى وَقْتي[2]

مولاي الذي أتأذّى من جَوْر الزمان بذِمام جلاله، وأتعوَّذ من نَقْصِ شهادة المواريث بتمام كماله، شهادةٌ يأباها المُعْسر والحيُّ، ويوَدُّ أن لا يوافيه أجله عليها الحيُّ، مُناقِضة لما العَبْدُ بِسَبيله، غير مُربح قَطْميرُها من قليله، فإن ظهر لمولاي إعفاءُ عَبْده، فمن عِنده، والله تعالى يُمتِّع الجميع بدوام سَعْده، والسلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته ومجده، ورحمة الله وبركاته. من عبد إنعامكم ابن الفضّال لطف الله به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا ... شيئًا ولا ما[3] وفوني بعض أقواتِ
فكيف حاليَ لمّا أنْ شَكَوْتُهمُ ... رجعت أطلب قُوتي عند أمواتي[4]

والسلام يعود على جَناب مولاي، ورحمة الله وبركاته.

وخاطب أحد أصحابه، وقد استَخْفى لأمر قُرِف به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصُّه، وفيه إشارة لغَلَط وقع في الإعراب: [البسيط]

يا شُعْلةً مِنْ ذكاءٍ أرْسَلَتْ شررا ... إلى قريبٍ من الأرجاءِ بعد قَص
وشُبْهَةً حملتْ دعوى السَّفاح على ... فَحْلٍ يليق به مضمونها وخص

---

(١) في الأصل: «ذلك»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «وقت» بدون ياء.
(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.
(٤) في الأصل: «أموات» بدون ياء.

رحماك بي فلقد جَرَّعْتَني غُصَصًا أثار تعريضُها المكتوم من غَصَصْ
بلَيْتَني بِنُكاةٍ[1] القَرْح في كبدي كمِثْل مرتجف المجذوم بالبَرَصِ

أيها الأخ الذي رَقى ومسح، ثم فَضَح، وغشّ ونَصح، ومَزّق ثم نَصح، وتلاهب بأطراف الكلام المشقَّق فما أفْصَح، ما لسخّاتك ذات الجيد المنصوص، توهم سِمَة الوُدّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النُصوص، وتُؤنس على العموم، وتُوحش على الخصوص، لا درّ درُّه من باب برٍّ ضاع مفتاحه، وتأنيس حرٍّ سبق بالسجن استفتاحه، ومن الذي أنهى إلى أخي خبر ثِقافي، ووثيقة تحبيسي وإيقافي، وقد أبى ذلك سَعْدٌ فَرْعُه باسق، وعزٌّ عِقْده متناسق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾[2]، بل المَثْوى والحمد لله جنّات وغُرف، والمُنتهى مجد وشرف، فإن كان وليّي مكترثًا فيحقّ له السُرور، أو شامتًا فلي الظّل وله الحَرور. أنا لا أزِنُ والحمد لله بها من هناه، ولما أدين بها من عزّي ومُناه، ولا تمرُّ لي ببال فلست بذي سيف ولست بنكال نفسي أرقّ شيمة، وأكرم مَشِيمة، وعيني أغْزَرُ دِيمة، لو كان يُسأل لِسان عن إنسان، أو مُجاولته بملعبه جِوان، أوقفني إخوان لا بمأزق عُدوان، لارتسمتُ منه بديوان، لا يُغْني في حربٍ عَوان. عين هذا الشكل والحمد لله فراره، وعنوان هذا الحدّ غراره. وأما كوني من جملة الصُفْرة، وممن أجهز سيدي الفَقار على ذي الفقرة، فأُقسم لو ضُرب القتيل ببعض البَقرة، لتعين مقدار تلك الغَفْرة. اللهمّ لو كنتُ مثل سيدي ممن تتضاءَل النخلة السُحوق لقامته، ويعترف عوجٌ لديه بقَماءَته ودَمامَته، مُقبل الظّعن كالبُدور في سحاب الخُدور، وخليفة السيّد الذي بلغت سراويله تندُوة العدوّ الأيد، لطُلْت بباع مديد، وساعدني الخَلْق بساعد شديد، وأنا لي جسم شحت، يحف به بخت، وحَسْبُ مثلي أن يعلم في ميدان هوى تُسَلُّ فيه سيوف اللّحاظ، على ذوي الحِفاظ، وتشرع سيوف القُدود، إلى شَكاة الصُدود، وتسطو أولو الجُفون السُود بالأسُود، فكيف أخشى تَبِعَةً تَزِلُّ عن صفاتي، وتنافي صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قَنا ألفاتي. والله يشكر سيدي على اهْتِباله، ويحلّ كريم سِباله، على ما ظهر لأجلي من شَغَف باله، إذ رَفَع ما يُنصب، وغيّر ما لو غيّره الحجاج لكان مع الهيبة يُحصب، ونكّت بأن نَفَقت بالحظ سوقي، وظهر لأجله فُسوقي، ويا حبّذا هو من شَفيع رَفيع ووسيلة لا يخالفها الرَّعيّ، ولا

---

(١) أصل القول: «بنكأة»، وكذا ينكسر الوزن، فاقتضى حذف الهمزة، والنَّكأة: من نَكأ القَرْحَة إذا قَشَرها قبل أن تَبْرَأ.

(٢) سورة الحُجُرات ٤٩، الآية ٦.

يخيب لها السَّعي. ولله دَرُّ القائل: [الكامل]

لله بـالإنـسـان فـي تـعـليـمـه بوساطة القلم الكريم عناية
فالخطُّ خطٌّ والكتابة لم تزل في الدهر عن معنى الكمال كِنايةْ

وما أقرب، يا سيدي، هذه الدعوى لشهامتك، وكِبَرِ هامَتِك: [الكامل]

لو كنت حاضرهم بخندق بَلْج ولحمل ما قد أبرموه فصالْ
لخُصِصْتَ بالدعوى التي عُمُّوا بها ولقيل: فصلٌ جَلاه الفصالْ
وتركت فرعون بن موسى عِبْرةً تتقدَّمنه بسيفه الأوصالْ

فاحْمَد الله الذي نجّاك من حضور وليمتها، ولم تشهد يوم حَليمتها. وأما اعتذارك عما يقِلّ من تفقُّد الكَنز، ومُنْتَطح العَنز، فورعٌ في سيدي أتمُّ من أن يُتَّهم بغَيْبة، ولسانُه أعفُّ من أن يُنسب إلى ريبة، لما اتَّصل به من فَضْل ضريبة، ومقاصد في الخير غريبة، إنما يستخفُّ سيدي أفرط التُّهم، رَميَ العوامل بالتُّهم، فيجري أصحّ مَجرى أختها، ويُلبسها ثياب تَحتها، بحيث لا إثم يترَتَّب، ولا هو ممن تَغْتِب[1]، وعلى الرجال فجنايَتُه عذبة الجنا، ومقاصده مُسْتَطْرفة لفَصْح أو كِنى. أبقاه الله رب نُفاضة وجَرادة، ولا أخلى مِبْرَدَه القاطع من بِرادة، وعوَّده الخير عادة، ولا أعْدَمه بركة وسعادة، بفضل الله. والسلام عليه من وليِّه المستزيد من وَرْش وَلْيه، لا بل من قَلائد حَلْيه، محمد بن فركون القرشي، ورحمة الله وبركاته.

فراجعه المترجم بما نصه، وقد اتُّهم أن ذلك من إملائي: [البسيط]

يا مُلْبِس النُّصح ثوب الغِشِّ مُتَّهما يلوي النَّصيحة عنه غير مُنْتَكِصِ
وجاهلًا باتخاذ الهزْل مأدُبة أشدُّ ما يُتَوقَّى محمل الرُّخص
نصحتُه فَقَصاني فانقلبْتُ إلى حال يُغَصُّ بها من جُملة الغُصَص
بالأمس أنكرتُ آيات القِصاص له واليوم يُسْمع فيه سورة القَصَص

ممَّن اسْتَعرت يا بابليّ هذا السِّحر، ولم تسكن بناصِية السحر، ولا أعملت إلى بابل هاروت امتِطاءَ ظَهر، ومن أين جئت بقلائد ذلك النَّحر؟ أمِنَ البحر، أو مما وراءَ النهر؟ ما لمثل هذه الأرْيَحِيَّة الفاتقة، اسْتَنْشَقْنا مهبَّك ولا قَبْل هذه البارقة الفائقة، استكثرنا غيثَك، يا أيها الساحر ادعُ لنا ربَّك. أأضغاث أحلام ما تُريه الأقلام، أم في لحظة تَلِدُ الأيام فرائد الأعلام؟ لقد عَهِدت بربْعك مُحسن دُعابة، ما قَرَعت شعابه، أو

(١) في الأصل: «تعتبه» وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

مُصيبًا في صُبابة، ما قرعْتُ بابه، ولا استرجعت قبل أن أغبُر عُبابه. اللهمّ إلّا أن تكون تلك الآيات البيِّنات من بنات يراعتك، لا بَراعتك، ومُغْتَرِسُ تلك الزُّهر، الطالعة كالكواكب الزُّهر، مختلسُ يدِ استطاعتك، لا زراعتك، وإلّا فنطْرح مصائد التعليم والإنشاءِ، وننتظر معنى قوله عزّ وجلّ يؤتي الحكمة من يشاء، أو نتوسّل في مقام الإلحاح والإلحاف، أن ننقل من غائلة الحَسَد إلى الإنصاف، وحَسْبي أن أطلعْتُ بالحديقة الأنيقة، ووقفتُ من مُثلى تلك الطَّريقة على حقيقة، فألفيتُ بها بيانًا، قد وضَح تِبيانًا أو أطلق عنانًا، ومحاسنَ وجَدَتْ إحسانًا، فتمثَّلت إنسانًا، سرَّح لسانًا، وأجهد بنانًا، إلّا أنّ صادِحِ أيْكَتها يتململ في قَيْظ، ويكاد يتميَّز من الغيظ، فيفيض ويغيض، ويهيض وينهض ثم يهيض، ويأخذ في طويل وعريض، بتَشبيب وتعريض، ويتناهض في ذلك بغير مَهيض، وفاتن كمائمها تَسألُ عن الصَّادح، ويتلقَّف عصا استعجاله ما يُفَكِّه المادح، ويحرق بناره زَند القادح، ويتعاطى من نفسه بالإعجاب، ويكاد ينادي من وراءِ حِجاب، إن هذا لشيءٌ عُجاب. إيهِ بغير تَمْويه رجع الحديث الأول، إلى ما عليه المُعَوَّل، لا درّ درُّها من نصيحة غير صحيحة، ووصيَّة مودَّة صريحة، تعلقت بغير ذي قريحة، فهي استعجلتني بداهِية كاتب، واستِطالة ظالم عاتِب، قد سلّ مُرْهَفه، واستنجد مُتْرَفه، وجهَّزها نحو كتيبَته تُسفر عن تَحجيل، بغير تَبْجيل، وسحابة سِجلّ تَرمي بسِجِّيل، ما كان إلّا أن استَقَلَّت، وَرَمَتْني بدائها وانسلَّتْ، وألقت ما فيها وتخلَّت، فحَسْبي الله تُغلَب على فَهمي، ورُمِيت بسَهمي، وقُتِلت بسلاحي، وأُسْكِرت براحي، بُرئت برُئت، مما به دُهيت، أنت أبقاكَ الله لم تَدْن بها مني منالاً وعِزًّا، فكيف بها تنسب إليّ بَعْدك وتُعْزى؟ نفسي التي هي أرقُّ وأجدَرُ بالمعالي وأحقُّ، وشكلي أخفُّ على القلوب وأدقُّ، وشمائلي أملك فلا تُسْتَرق، ولساني هو الذي يُسْأل فلا يُفَلّ، وقَدْري يَعزُّ ويُجلّ، عما فَخَرت أنت به من مَلْعب مائدة، ومجال رِقاب مُتمايدة، فحاشَى سيدي أن يقع منه بذلك مَفْخر، إلا أن يكون يَلْهُو ويَسْخَر، ومَوْجُ بَحْرِه بالطَّيِّب والخبيث تَزْخر، وعَيْنُ شكلي هي بحمد الله عينُ الظَّرف، المُشار إليه بالبَنان والطَّرف. وأما تعريض سيدي بصِغر القامة، وتَكْبِيره لغير إقامة، فمُطَّرد قول، ومُدامة غَوْل، وفريضةٌ نشأ فيها عَوْل، إذ لا مبالاة تجسم كائنًا ما كان، أو ما سمعت أنّ السّر في السُّكان، وإنما الجَسَد للرُّوح مكان، ولم يبق إليه فقد يروح، وقد قال ويسألونك عن الرُّوح، والمرءُ بقلبه ولسانه، لا بمُستَظْهر عِيانه، ولله درُّ القائل: [الكامل]

لم يُرْضِني أني بجسم هائل والرُّوح ما وَفَتْ له أغراضهُ
ولقد رَضِيت بأنّ جسمي ناحل والروح سابغة به فَضْفاضهُ

ولما وقّع سيدي بمكتوبي على المرفوع والمنصوب، وظَفِرت يده بالمغصوب، والباحث المغصُوب، لم يُقلها زلّة عالم، وإني وقد وجدتها مُنْيَة حالم، فعدَّد وأعاد، وشدَّد وأشاد. هلَّا عَقِل ما قال، وعلم أن المقِيل سيكون مقال، وزلّة العالم لا تُقال، وأن الحرب سجال، وقبضة غيره هو المُتَلاعب في الحجال؟ وبالجملة فلك الفضل يا سيدي ما اعتُني بمعناك، وارتفع بين معاني الكرام مَغْناك، فمدة ركوبك الحُمْران لا تُجارى، ولا يشقُّ أحد لك غُبارا. أبقاك الله تحفظ عُرى هذا الوِداد، ويشمل الجميع بركة ذلك النَّاد، والسلام عليك من ابن الفصَّال، ورحمة الله وبركاته.

وجَعَلا إليّ التّحكيم، وفوَّضا لنظري التّفضيل فكتبتُ: [البسيط]

بارِكْ عليها بذكر الله من قَصَص
واذكر لها[1] ما أتى في سورة القَصَصِ

حيث اغتَدى السِّحرُ يَلْهو بالعقول وقد
أحال بين حُؤولٍ[2] كَيْدِهِ وعَصِي[3]

عقائل العقل والسحر الحلال قوت
من كافل الصّون بعد الكون جحر وَصي[4]

وأقْبَلتْ تتهادى كالبُدور إذا
بسِحْرِ مَنْ فَلَكَ النُّذورَ في حِصص

من للبدور وربَّات الخدور بها
المِثْلُ غير مطيعٍ والمُثيلُ[5] عَصي[6]

ما قُرصَةُ البَدْرِ والشَّمسِ المنيرةِ أن
قِيسَت بمن قاسها[7] من جُملة القُرَص

تالله ما حُكمُها يومًا بمُنتَقض
كلّا ولا بَدْرُها يومًا بمُنتَقص

إن قال حُكْميَ فيها بالسَّواد فقد
أمِنتُ ما يَحذَر القاضي من الغُصَص

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.
(٢) في الأصل: «حال» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «وعص» بدون ياء.
(٤) في الأصل: «وص» بدون ياء.
(٥) في الأصل: «والمِثلان» وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «عص» بدون ياء.
(٧) في الأصل: «سوى» وكذا ينكسر الوزن.

أو كنت أرْخَصْتُ في التَّرجيح مجتهدًا

لم يَقْبَلِ الوَرَع الفُتْيا مع الرُّخَص

يا مُدْلج ليل التَّرجيح، قِفْ فقد خَفِيت الكواكب، ويا قاضي طَرْف التَّحسين والتَّقبيح، تسامَت والحمد لله المناكب، ويا مُسْتَوكف خَبر الوقيعة من وراءِ أقتام القِيعة تَصالحت المواكب. حَصْحَص الحقُّ فارتفع اللُّجاج، وتعارضت الأدلَّة فسقط الاحْتِجاج، ووضعت الحرب أوزارها فسكن العَجاج، وطاب نَحْل الأقلام بأزهار الأحلام فطاب المُجاج، وقلْ لفرعون البيان وإن تألَّه، وبلَّد العقول وبلَّه، وولَّى بالغرور ودلَّه. أوسع الكَنائن نَثْلًا، ودونك أيدًا شَثْلا، وشَجْرًا حثلًا، لا خَطْمًا ولا أثْلًا. إن هذان لساحران إلى قوله: ويذهبا بطريقتكم المثلى وإن أثرت أدَب الحليم، مع قصَّة الكَليم، فقل لمُجْمِل جياد التَّعاليم، وواضع جغرافيا الأقاليم، أنَدَلُسًا ما عَلِمت بلد الأجَم، لا سُود العَجم، ومداحض السُّقوط، على شوك قَتاد القُوط، ولم يَدْر إن محل ذات العجائب والأسرار التي تُضرب إليها آباط النُّجاب في غير الإقليم الأول، وهذا الوطن بشهادة القَلْب الحُوّل، إنما هو رسمٌ دارس ليس عليه من مُعَوَّل. فهنالك يتكلم الحق فيُفصح ويُعجم، ويرد المدَدَ على النفوس الجريئة من مطالع الأضواء فيحدِّث ويُلهم، ويجود خازن الأمداد، على المُتوسِّل بوسيلة الاستعداد، فيقطع ويُسْهم. وأما إقليمنا الرابع والخامس، بعد أن تكافأت المناظر والمَلامِس، وتَناصف الليل الدَّامس واليوم الشَّامس، باعتدال ربيعي، ومجرَى طبيعي، وذكيٍّ بليد، ومعاش وتَوْليد، وطَريف في البداوة وتَليد، ليس به بِرباه ولا هَرَم، يخدم بها دربٌ مُحترم، ويشبُّ لقرياته حُرم، فيفيد روحانيًا يتصرف، ورئيسًا يتعرَّض ويتعرَّف، كلما استنزل صاب، وأعمل الانتصاب، وجَلب المآرب وأذهب الأوصاب، وعلم الجواب، وفهم الصواب. ولو فرضنا هذه المدارك ذوات أمثال، أو مَسْبُوقة بمثال، لتلقينا منشور القضاءِ بامتثال، لكِنَّا نخاف أن نميل بعض الميل، فنَجْني بذلك أبخس الجري وإرضاء الذَّميل، ونجرّ تنازُع الفِهْري مع الصُّميل. فمن خيَّر ميَّز، ومن حَكَم أُزري به وتُهكِّم، وما سلَّ سيوف الخوارج، في الزمن الدَّارج، إلّا التَّحكيم، حتى جَهِل الحكيم، وخلع الخِطام ونزع الشَّكيم، وأضرَّ بالخلق نافع، وذهب الطفل لجراه واليافع، وذم الذَّمام ورُدَّ الشَّافع، وقَطَر سيف قَطَري، بكل نجيع طري، وزار الشَّيب الأسد الهصور، وصلَّت الغزالة بمسجد الثَّقفي وهو محصور، وانتُهبت المقاصير والقصُور، إلّا أن مُستأهل الوظيفة الشَّرعية عند الضرورة يُجْبر، والمُنْتَدب للبرّ مُحيي عند الله ويُجبر، واجعلني على خزائن الأرض وهو الأوْضح والأشهر، فيها به يُسْتَظهر. وأنا فإن حكمْتُ على التَّعجيل،

فغير مُشْهِدٍ على نفسي بالتَّسْجيل، إنما هو تَلْفيق يرضى وتَطْفيل، يُعْتَب عليه من تصدَّع بالحق ويمضى، إلّا أن يُغْضى، ورأيي فيها المراضاة والاستِصْلاح، وإلّا فالسِّلاح والرِّكاب الطلّاح، والصلح خير، وما استُدفع بمثل التَّسامح ضَير. ومن وقف عليه، واعْتَبر ما لديه، فليعلم أني صَدَعْتُ وقطعْتُ، والحقَّ أطعْتُ، وإن أُريد إلّا الإصلاح ما استطعتُ، والسلام.

عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمٰن بن خلدون الحَضْرمي[١]

من ذرّية[٢] عثمان أخي كُرَيب المذكور في نُبهاء ثوار الأندلس. وينتسب[٣] سَلَفُهم إلى وائل بن حُجْر، وحاله عند القُدُوم على رسول الله ﷺ، معروف[٤].

أوليته: قد ذُكر بعضُ منها. وانتقل[٥] سلفه من مدينة إشبيلية عن نَباهة وتَعَيُّن وشهرة[٦] عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، واستقرّ[٧] بتونس منهم ثالث[٨] المحمدين؛ محمد بن الحسن، وتناسلوا على سَراوة[٩] وحِشمة ورسوم حسنة، وتَصرَّفَ جَدُّ المترجم به لملوكها[١٠] في القيادة.

حاله: هذا[١١] الرجل الفاضل حسن الخلق، جمّ الفضائل باهر الخَصْل، رفيع القَدْر، ظاهر الحياءِ، أصيل المجد، وَقُور المجلس، خاصِّيّ الزِّيّ، عالي الهمّة، عَزُوفٌ عن الضَّيم، صَعْبُ المَقادة، قوي الجأش، طامحٌ لقُنَن[١٢] الرئاسة، خاطبٌ للحظّ، متقدّم في فنون عَقْلية ونَقْلية، متعدِّد المزايا، سديدُ البحث، كثيرُ الحفظ، صحيحُ التَّصوُّر، بارعُ الخطّ، مُغْرىً بالتجلّة، جَواد الكفّ[١٣]، حسن العشرة، مَبْذول

---

(١) ترجمة ابن خلدون في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ وما بعدها)، وجاء فيه أنه «عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد بن الحسن...» والضوء اللامع (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام (ج ٣ ص ٣٣٠).
(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦).
(٣) في النفح: «ويُنْسب».
(٤) في النفح: «معروفة».
(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦).
(٦) كلمة «وشهرة» غير واردة في النفح.
(٧) في النفح: «فاستقرّ».
(٨) في النفح: «ثاني».
(٩) في النفح: «على حشمة وسراوة».
(١٠) كلمة «لملوكها» غير واردة في النفح.
(١١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧).
(١٢) القُنَن: جمع قنّة وهي أعلى الجبل. لسان العرب (قنن).
(١٣) كلمة «الكف» غير واردة في النفح.

المشاركة، مقيم لرسوم التّعين، عاكف على رَعْي خِلال الأصالة، مَفْخرة[١] من مفاخر التُّخوم المغْرِبية.

مشيخته: قرأ[٢] القرآن ببلده على المُكَتّب ابن برال، والعربية على المُقْرِىء الزواوي[٣]، وابن العربي، وتأدّب بأبيه، وأخذ عن المحدّث أبي عبد الله بن جابر الوادي آشي. وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام، وروى عن الحافظ عبد الله[٤] السّطي، والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرمي، ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الآبلي، وانتفع به.

توجّهه إلى المغرب: انصرف[٥] عن[٦] إفريقية مَنْشئه، بعد أن تعلّق بالخدمة السلطانية على الحَداثة وإقامته لرسم العَلامة بحكم الاستِنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة. وعُرف فضلُه، وخَطَبه السلطان مُنَفّقُ سوق العلم والأدب أبو عِنان فارس بن علي بن عثمان، واستَقْدَمه[٧]، واستَحْضَره بمجلس المذاكرة، فعَرَف حقّه، وأوْجَب فضله، واستعمله في[٨] الكتابة أوائل عام ستة وخمسين، ثم عظُم عليه حَمْلُ الخاصّة من طَلَبة الحَضْرة لبعده عن حسن التأنّي، وشفُوفه بثُقوب الفهم، وجودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراءً عَضَّده ما جُبِل عليه عندئذ[٩] من إغفال التّحفُّظ، ممّا يريب لديه، فأصابته شدّة تخلُّصه منها أجله؛ كانت مُغربة في جفاءِ ذلك الملك، وهَناة جواره، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله، [واستأثر به الاعتقال باقي أيام دولته على سَنَن الأشراف من الصَّبْر][١٠] وعدم الخُشوع، وإهمال التوسُّل، وإبادة المكْسُوب في سبيل النَّفقة، والإرضاخ على زمن المحنة، وجارِ المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السّعيد ولده، فأعْتَبَه قيِّم الملك لحينه، وأعاده إلى رسمه. ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم، وكان له به الاتصال، قبل تسوُّغ المحنة، بما أكد حُظْوته، فقلّده ديوان الإنشاءِ مُطْلَق الجرايات، محرَّر السّهام، نَبيه الرُّتبة، إلى آخر أيامه. ولمّا ألقت الدولة مَقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله، مُدَبِّر الأمر، وله إليه قَبْل ذلك[١١] وسيلة، وفي حَلْيه شركة، وعنده حقّ، رابَه تقصيرُه عمّا ارتمى إليه أمَلُه، فساءَ ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب المرِيني.

---

(١) في النفح: «مفخر».

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧).

(٣) في النفح: «الزواوي وغيره».

(٤) في النفح: «أبي عبد الله».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٦) في النفح: «من».

(٧) كلمة «واستقدمه» غير واردة في النفح.

(٨) في النفح: «على».

(٩) في النفح: «عهدئذ».

(١٠) ما بين قوسين غير وارد في النفح.

(١١) قوله: «قبل ذلك» غير وارد في النفح.

دخوله غرناطة: ورد[١] على الأندلس في أوائل[٢] شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة، واهتزّ له السلطان، وأركَب خاصّته لتلقّيه، وأكرم وفادته، وخلع عليه، وأجلَسَه بمجلسه الخاص[٣]، ولم يدّخر عنه بِرًّا ومؤاكلةً ومُطايبة وفكاهة.

وخاطبني لما حلّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن، فأجبته عنها بقولي[٤]: [الطويل]

حَلَلْتَ حلولَ الغَيْثِ في البلد المَحْلِ	على الطائرِ الميمونِ والرَّحْبِ والسَّهْلِ
يمينًا بمن تَعْنُو الوجوهُ لوجهه	من الشَّيْخِ والطفل المُهَدَّإِ[٥] والكَهْلِ
لقد نَشَأَتْ عندي لِلُقْياكَ غِبْطَةٌ	تُنَسّي اغتباطي بالشَّبِيبةِ والأهْلِ[٦]

أقسمت[٧] بمن حَجّتْ قريشٌ لبيْته، وقبر صُرفت أزِمّةُ الأحياءِ لميته، [ونور ضُربت الأمثال بمشكاته[٨] وزيته، لو خيّرتُ أيها الحبيب][٩] الذي زيارته الأمنية السَّنيّة، والعارفة الوارفة، واللطيفة المُطيفة، بين رَجْع الشّباب يَقْطُرُ ماءً، ويرِفُّ نماءً، ويُغازل عُيون الكواكب، فضلًا عن الكواعب، إشارةً وإيماءً، بحيث لا الوَخْط[١٠] يَلِمُّ بسِياج لِمَّته، أو يَقْدح ذُبالةً[١١] في ظُلْمته، أو يقوم حواريُّه في ملّته[١٢]، من الأحابش وأُمّته، وزمانُه رَوْح وراح، ومَغْدى في النَّعيم ومَراح، وقصفٌ صُراح[١٣]، [ورُقًى[١٤] وجراح،][١٥] وانتحاب[١٦] واقتراح، وصدورٌ ما بها إلّا انشراح، ومَسَرّات تردفُها أفراح. وبين قُدومك خليعَ الرَّسن، مُمَتّعًا والحمد

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨). (٢) في النفح: «أول ربيع الأول عام...».
(٣) كلمة «الخاص» غير واردة في النفح.
(٤) الرسالة، بما فيها الأبيات، في التعريف بابن خلدون (ص ٨٢) وريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).
(٥) في ريحانة الكتاب: «المُعَصّب».
(٦) جاء في الريحانة بعد هذا البيت البيت التالي:
ووِدّي لا يُحتاج فيه لشاهد وتقريري المعلوم ضَرْبٌ من الجَهْلِ
(٧) في الريحانة: «يمينًا بربٍّ حجّت...». (٨) المِشْكاة هنا: المصباح.
(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصادر.
(١٠) الوَخْط: الشَّيب. لسان العرب (وخط). (١١) الذُّبالة: الفتيلة. لسان العرب (ذبل).
(١٢) في الريحانة: «لمتّه». (١٣) في الريحانة: «ونصب وصراح».
(١٤) في الأصل: «ورقى»، والتصويب من النفح والتعريف.
(١٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(١٦) في الأصل: «وانتخاب»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.

لله[١] باليقظة والوَسَن، مُحكمًا في نُسُك الجُنيد أو فَتْك الحَسَن، ممتعًا بظَرْف المعارف، مالئًا أكُفّ الصّيارف، ماحيًا بأنوار البراهين شُبَه الزّخارف - لما اخترت الشّباب وإن شاقني[٢] زمنُه، وأعياني ثمنُه، وأجرَتْ سحاب[٣] دمعي دِمَنُه. فالحمد لله الذي رقى[٤] جنونَ اغترابي، وملّكني أزمة آرابي، وغبّطني بمائي وترابي، [ومألَفِ أترابي،][٥] وقد أغصّني بلذيذ شرابي، ووقّع على سطوره المعتبرة إضرابي، وعَجِلْتُ هذه مُغبَطَةً بمناخ المَطِيّة[٦]، ومنتهى الطّيّة، ومُلتَقى السّعود[٧] غير البطيّة، وتَهنّي الآمال الوثيرة الوطيّة، فما شِئت من نفوس عاطشة إلى رِيِّك، متجمّلةً بزِيِّك، عاقلة خُطى مَهرِيِّك، ومولى مكارمه نشيدةُ أمثالك، ومظانُّ[٨] مِثالك، وسَيَصْدق الخبر ما هنالك، ويسع[٩] فضل مجدك في[١٠] التخلّف عن الإصحار[١١]، لا بل اللقاءِ من وراءِ البحار، والسّلام.

ولما[١٢] استقرّ بالحضرة، جَرَتْ بيني وبينه مكاتبات أقطعها الظَّرف جانبه، وأوضح الأدب فيها[١٣] مذاهبه. فمن ذلك ما خاطبته به، وقد تَسَرّى جارية روميّة اسمها هند صبيحةَ الابتناءِ بها: [السريع]

أُوصِيك بالشيخ أبي بكرةْ	لا تأمَنَنْ في حالةٍ مَكْرَهْ
واجتنبِ الشّكَّ إذا جِئتَهُ	جَنَّبَكَ الرحمٰنُ ما تَكْرَهْ

سيدي، لا زلت تتّصف بالوالج، بين الخلاخل والدّمالج[١٤]، وتركض فوقها ركض الهمالج[١٥] أخبِرْني كيف كانت الحال، وهل حُطّت بالقاع من خير البِقاع الرِّحال، وأُحْكم بمِرْوَد[١٦] المُراودة الاكتِحال، وارتفع بالسُّقْيا الإمحال، وصحّ

---

(١) قوله: «والحمد لله» ساقط في الريحانة.
(٢) في النفح: «راقني».
(٣) في النفح: «سحائب».
(٤) في الريحانة: «وقى».
(٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.
(٦) في الريحانة: «الطّية».
(٧) في الأصل: «المسعود» والتصويب من المصادر.
(٨) في الريحانة: «ومُطابق».
(٩) في الريحانة: «ويُسْمعني».
(١٠) في الريحانة: «عن».
(١١) الإصحار: الخروج إلى الصحراء. محيط المحيط (صحر).
(١٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٥).
(١٣) كلمة «فيها» غير واردة في النفح.
(١٤) الخلاخل: جمع خلخال وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها. والدمالج: جمع دملج وهي حلية تلبسها المرأة في ساعدها. وأراد هنا: بين الأيدي والأرجل. لسان العرب (خلخل) و(دملج).
(١٥) الهمالج: جمع هملاج وهو الدابّة الحسنة السّير والسريعة. لسان العرب (هملج).
(١٦) المِرْوَد: الميل يُكْتَحَلُ به. محيط المحيط (رود).

الانتحال، وحَصْحَصَ الحقُّ وذهب المُحال، وقد طُولِعت بكل بُشْرى وبِشر، وزُفَّتْ هندٌ منك إلى بِشر، فللّه من عَشِيّة تمتّعت من الربيع بِفُرُش مَوْشِيَّة، وابتُذِلت[1] منها أي وساد وَخشية، وقد أقبل ظبي الكِناس، من الدِّيماس، ومطوق الحَمام، من الحمّام، وقد حسُنت الوجهَ الجميلَ التّطرية[2]، وأُزيلت عن الفرع الأثيث الإبْرِيَة[3]، وصُقلت الخدودُ فهي[4] كأنها الأمْرِية[5]، وسُلّط الدَّلْكُ على الجلود، وأُغرِيت النّورة بالشَّعر المولود، وعادت الأعضاءُ يزلق عنها اللّمس، ولا تنالها البَنانُ الخمس، والسّحنة يجول في صفحتها الفِضّيّة ماءُ النعيم، والمسواك يلبّي من ثَنِيَّة التّنعيم والقلب يرمي من الكفِّ الرّقيم[6] بالمقعد المُقِيم، وينظر إلى نجوم الوُشُوم، فيقول: إني سقيم. وقد تفتّح وَرْدُ الخَفَر، وحكم لزنجي الظّفيرة بالظّفَر، واتّصف أمير الحُسْن بالصُّدود المُغْتَفَر، ورُشّ بماءِ الطِّيب، ثم أُغلَق ببابه دُخان العُود الرَّطيب. وأقبَلَت الغادة، يهديها اليُمْن وتزُفُّها السعادة، فهي تمشي على استِحياءٍ وقد ذاع طيب الريًا، وراق حُسْن المُحيًا، حتى إذا نُزِع الخُفُّ، وقُبِّلت الأكُفُّ، وصَخِب[7] المزمار وتجاوب الدُّف، وذاع الأرَج، وارتفع الحرَج، وتجوّز اللِّوا والمنعرج، ونزل على بِشر بزيارة هند الفَرَج، اهتزّتِ الأرضُ وربَتْ، وعُوصيت الطّباع البشرية فأبَتْ. ولله دَرُّ القائل[8]: [المتقارب]

ومَرّتْ فقالت[9]: متى نلتقي؟ فهشّ اشتياقًا إليها الخبيثُ
وكاد يُمَزّقُ سِرْبالَهُ فقلت: إليكِ يُساقُ الحديثُ[10]

فلمّا انسدل جَنحُ الظلام، وانتَصَفتْ من غريم العِشاءِ الأخيرة فريضة الإسلام[11]، وخاطت خيوط المنام، عُيون الأنام، تأتّى دُنوُّ الجلسة، ومُسارقة الخِلْسة، ثم عضّة النهد، وقُبلة الفم والخدّ، وإرسال اليد من النّجْد إلى الوَهْد،

(١) في النفح: «وأبدلت منها أي آساد وحشية».
(٢) في الأصل: «النظرية». وتَطْرِيَةُ الوَجْه: تحسينه وتزيينه. لسان العرب (طرا).
(٣) الفرع: الشَّعر. الأثيث: الكثير، والمراد هنا شعر الرأس. الإبرية: قشر الرأس يسقط عند المشط. محيط المحيط (فرع) و(أثث) و(برى).
(٤) كلمة «فهي» غير واردة في النفح.
(٥) الأمرية: المرايا، جمع مرآة.
(٦) الرقيم: المزيّن. لسان العرب (رقم).
(٧) في الأصل: «وصحب» والتصويب من النفح.
(٨) البيتان لبشار بن برد، وهما في ديوانه (ص ٢٨٩).
(٩) في الديوان: «فقلت».
(١٠) أخذ عجز البيت من المثل: «إليك يُساقُ الحديثُ». مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٨).
(١١) في النفح: «السلام».

وكانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يُغبط ويُرْغب، ثم الإماطة لما يُشَوِّش ويُشْغِب، ثم إعمال المسير، إلى السّرير[١]: [الطويل]

وصِرْنا إلى الحُسْنى ورقّ كلامُنا ورُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إذلالِ

هذا[٢] بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغِيدُ من حسن السيرة، ثم شُرِع في حلّ[٣] التّكة، ونَزْع الشّكة، وتهيئة الأرض العَزاز[٤] عمل السّكة، ثم كان الوحي والاستعجال، وحَمِي الوَطيس والمجال، وعلا الجزءُ الخفيف، وتضافرتِ الخُصورُ الهِيف، وتشاطر الطّبْع العَفيف، وتواتر التقبيل، وكان الأخْذُ الوَبيل، وامتاز الأنْوَكُ من النّبيل، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ السّبيل، فيا لها من نِعَم مُتداركة، ونفوس في سبيل القِحة مُتهالكة، ونَفَسٌ يقطّع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المُصانعة، وطال التّراوغ والتّزاور، وشُكي التجاور[٥]، وهنالك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتُخْسَرُ أو تُرْبَحُ الأموال، فمن عَصا تنقلب ثعبانًا مُبينًا، ونُونةٍ[٦] تصير تَنينًا، وبطل لم يَهُلْه[٧] المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قُرّته[٨] الحائل، فتعدّى فتكة السُّلَيك إلى فتكة البرّاض، وتقلّد مذهب الأزارقة[٩] من الخوارج في الاعتراض، ثم شقّ الصفّ، وقد خضّب الكفّ، بعد أن كاد يصيب البريَّ[١٠] بطَعْنته، ويبوءُ بِمَقْتِ الله ولَعْنته[١١]: [الطويل]

طَعَنْتَ ابنَ عبد الله طعنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءَها

وهناك هدأ القِتال، وسكن الخَبال، ووقع المتَوَقّع فاستراح البال، وتَشَوَّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتّوحيد بمُبال، وكثر السؤال عن البال، بما بال، وجعل الجريح يقول: وقد نظر إلى دَمِه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إنّي له عن دَمي المسفوك مُعْتَذِرٌ أقولُ: حَمَّلْتُه في سَفْكه تَعَبا

---

(١) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه (ص ٣٢).

(٢) في النفح: «وهذا». (٣) كلمة «حلّ» ساقطة في النفح.

(٤) في الأصل: «الغرار» والتصويب من النفح، والأرض العَزاز: الأرض الصلبة. لسان العرب (عزز).

(٥) في النفح: «التحاور».

(٦) النونة: السمكة. لسان العرب (نون). وفي النص كنايات تنطوي على الغمز والسخرية.

(٧) في النفح: «يهمله». (٨) في النفح: «قرنه».

(٩) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج منسوبة إلى نافع بن الأزرق. الملل والنحل (ج ١ ص ١١٨).

(١٠) في النفح: «البوسى بطعنته».

(١١) البيت لقيس بن الخطيم، وهو في ديوانه (ص ٧).

ومن[1] سِنان عاد عِنانًا، وشجاع صار هِدانًا[2] جبانًا، كلما شَابَتْه شائبةُ رِيبة، أدخل يده في جيبه، فانجحرت الحيَّة، وماتت الغَريزة الحيَّة، وهناك يَزيغ البصر، ويُخْذَلُ المُنْتَصر، ويَسْلم الأسر، ويَغْلب الحَصْر، ويجِفُّ اللُّباب[3]، ويظهر العاب[4]، ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، ويَشْتَدُّ الكرب والأرق، وينشأُ في محلّ الأمن الفَرَق، ويُدرِكُ فرعونَ الغَرَق، ويَقوى اللَّجاج ويعظم الخَرق. فلا تزيد الحال إلا شِدَّة، ولا تعرف تلك الجارحة[5] المؤمنة إلّا رِدّة: [الطويل]

إذا لم يكن عَونٌ من الله للفتى   فأكثَرُ[6] ما يجني عليه اجتهادُهُ

فكم مُغْرًى بطول اللُّبث، وهو من الخَبْث، يؤمل الكرّة، ليزيل المعرّة، ويستَنْصر الخيال، ويعمل باليد الاحتِيال: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتِ   فاصبرْ على الحِمْل الثَّقيل أو مُتِ

ومُعْتذر بمرض أصابه، جَرّعه أوصابه[7]، ووجعٍ طَرَقه، جَلَب أرَقه، وخطيبٍ أُرْتِجَ عليه أحيانًا، فقال: سيُحْدِثُ الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا وبعد عِيٍّ بيانًا، اللهمّ إنّا نعوذُ بك من فضائح الفُروج إذا استَغْلَقَتْ أقفالها، ولم تُسَم[8] بالنَّجيع أغفالها[9]، ومن مَعرّات الأقذار[10]، والنكول عن الأبكار، ومن النُّزول عن البطون والسُّرَر، والجوارح الحسنة الغُرر، قَبْلَ ثَقْبِ الدُّرر، ولا تجعلنا ممن يستحي من البُكَر بالغَداة، وتُعْلَمُ منه كلال الأداة، وهو مجال فُضِحَتْ فيه رجال، وفِراشٌ شُكيت فيه أوْجال، وأُعْمِلت روِيَّةٌ وارتجال. فمن قائل: [السريع]

أرْفَعُهُ طورًا على إصْبَعي   ورأسُه مضطربٌ[11] أسْفَلَهْ

كالحَنَش المقتول يُلْقى على   عودٍ لكي يُطْرَحَ في مَزْبَلَهْ

---

(١) معطوفة على قوله فيما سبق: «فمن عصا تنقلب ثعبانا...».

(٢) كلمة «هدانا» غير واردة في النفح.   (٣) في النفح: «اللعاب».

(٤) العاب: العيب. محيط المحيط (عيب).   (٥) في النفح: «الجائحة».

(٦) في النفح: «فأول».

(٧) الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٨) في النفح: «ولم تَسِم».   (٩) في الأصل: «أعفالها» والتصويب من النفح.

(١٠) في الأصل: «الأقدار» بالدال المهملة، والتصويب من النفح.

(١١) في الأصل: «مضطربة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

أو قائل[١]: [السريع]

عَـدِمْـتُ مِـنْ أيري قُـوى جِسْـمِهِ يـا حَسْـرة الـمَـرْءِ عـلى نَـفْـسِـهِ
تــراه قــد مــال عــلى أصْـلِهِ كــحــائــطٍ خَــرَّ عــلى أُسِّــهِ

وقـائـل: [الـطـويـل]

أيَحْسِدُني إبليسُ دَاءَيْنِ أصبحا بـرجـلي ورأسـي دُمَّلًا وزُكـامـا؟
فـلـيـتـهـمـا كـانـا بـه وأزيـدُهُ رَخـاوةَ أيـرٍ لا يـريـد[٢] قِـيـامـا[٣]

وقـائـل: [الـطـويـل]

أقولُ لأيري وهو يرقبُ فتكةً به: خِبْتَ مِنْ أيرٍ وعالتْكَ[٤] داهيةْ
إذا لم يكن للأير بَخْتٌ تَعَذَّرَتْ عليه وجوه النيكِ[٥] من كلِّ ناحيةْ

وقـائـل: [الـطـويـل]

تَعَقَّفَ[٦] فوقَ الخصيتين كأنه رِشاء إلى جنبِ الركيّةِ مُلْتَفُّ
كفرخِ ابن ذي يَوْمينِ يَرْفَعُ رأسه إلى أبَويه ثم يُدْرِكُهُ الضَّعْفُ

وقـائـل: [الـطـويـل]

تَكَرَّشَ أيري بعدما كان أملسا وكان غنيًّا من قواه فأفْلَسا
وصار جوابي للمَها أنْ مرزَنَ بي «مضى الوصل إلّا مُنْية تبعثُ الأسى»

وقـائـل: [الـطـويـل]

بنفسيَ مَنْ حَيَّيْتُهُ فاسْتَخَفَّ بي ولم يخطرِ الهجرانُ منه[٧] على بالي[٨]
وقابلني بالغَوْرِ والنَّجْدِ[٩] بعدما حططتُ به رحلي[١٠] وجَرَّدْتُ سِرْبالي
وما أرتجي من موسر فوق دكّة[١١] عرضت له شيئًا من الحَشَفِ البالي

---

(١) في النفح: «وقائل».
(٢) في النفح: «لا يطيقُ».
(٣) بعد هذا البيت جاء في النفح البيت التالي:
إذا نهضتْ للنيك أرْبابُ معشرٍ تَوَسَّدَ إحدى خصيتيه وناما
(٤) في الأصل: «وغالتْكَ» والتصويب من النفح.
(٥) بياض في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٦) في الأصل: «تعفّف» والتصويب من النفح.
(٧) في النفح: «يومًا».
(٨) في الأصل: «بالِ» والتصويب من النفح.
(٩) في الأصل: «وقابلني بالهزء والنجة» والتصويب من النفح.
(١٠) في الأصل: «رجلي» والتصويب من النفح.
(١١) في النفح: «تكّة»، وهما بمعنى واحد.

عِلَلٌ[١] لا تزال تُبكى، وعلل على الدهر تُشكى، وأحاديثُ تُقصُّ وتُحكى، فإن كنت أعزّك الله من النَّمط الأول، ولم تَقُلْ: [الطويل]

وهل عند رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[٢]

فقد جَنَيْتَ الثَّمر، واستَطَبْتَ السَّمَر، فاستدْعِ الأبواق من أقصى المدينة، واخْرُجْ على قومك في ثياب الزِّينة[٣]، واستبشرْ بالوفود، وعَرِّف المَسْمعَ عازفة[٤] الجود، وتبجّح بصلابة العود، وإنجاز الوعود، واجْنِ رمّان النُّهود، من أغصان القُدود، واقطفْ ببنان اللَّثم أقاحَ الثُّغور وورْد الخُدود، وإن كانت الأُخرى، فأَخْفِ الكَمد، وارْضَ الثمد، وانتظر الأمد، وأكذب التوسّم، واستعمل التَّبسّم، واستَكْتِم النِّسوة، وأفِضْ فيهنّ الرّشوة، وتقلّد المغالطة وارتكب، وجِيءْ على قميصك[٥] بدمٍ كذب، واستنجد الرحمٰن، واستَعِنْ على أُمورك[٦] بالكتمان: [الكامل]

لا تُظهِرَنَّ لعاذلٍ أو عاذرٍ	حالَيْك في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ[٧]
فَلِرَحْمَةِ المتفجّعين حرارةٌ	في القلب مثل شَماتة الأعداءِ

وانْتَشِق الأرَج، وارتقبِ الفَرَج، فكم غمامٍ طبّق وما هَمَى[٨]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٩]، وامْلِكْ بعدها عِنان نفسك حتى تُمكّنك الفرصة، وتُرْفع إليك القِصّة، ولا تَشْتَره[١٠] إلى عمل لا تَفِيءُ منه بتمام، وخُذْ عن إمام، ولله درُّ عُرْوة بن حزام[١١]: [الكامل]

الله يعلم ما تركْتُ قتالهمْ	حتى رَمَوا مُهري بأشقَرَ مُزْبِدِ
وعلمْتُ أني إن أُقاتِلْ دونَهمْ	أُقْتَلْ ولم يَضْرُرْ عدوّي مشهدي
ففررتُ منهمْ والأحِبّةُ فيهمُ	طمعًا لهم بعقابِ يومٍ مُفسِدِ

---

(١) في النفح: «همومٌ».

(٢) هو عجز بيت لامرىء القيس، وصدره:

وإنَّ شفائي عَبْرَةٌ إنْ سَفَحْتُها

ديوان امرىء القيس (ص ٩).

(٣) يشير إلى زهوه فيشبهه بقارون.

(٤) في الأصل: «عارفة» والتصويب من النفح.

(٥) في النفح: «قميصه».

(٦) في النفح: «أمرك».

(٧) في النفح: «في الضرّاء والسرّاء».

(٨) في النفح: «غمام طَما».

(٩) سورة الأنفال ٨، الآية ١٧.

(١٠) في النفح: «ولا تسرع».

(١١) في النفح: «درُّ الحارثِ بن هشام».

واللّبانات تَلين وتَجْمَح، والمآرب تَدنو وتَنْزَح، وتَحْرن ثم تَسْمَح[١]، وكم من شُجاعٍ خامَ[٢]، ويقظٍ نامَ، ودليل أخطأ الطريق، وأضلّ الفريق، والله عزَّ وجلَّ يجعلُها خلَّة موصولة، وشَمْلًا أكنافُه بالخير مَشْمُولة، وبِنْيَة أركانُها لركاب[٣] اليُمْن مأمولة، حتى يكثر[٤] خَدَم سيدي وجواريه، وأُسْرَته وسَراريه، وتَضْفُو عليه نعمةُ[٥] باريه، ما طُورِد قَنِيص، واقْتُحِم عِيص[٦]، وأُدْرِكَ مَرامٌ عويص[٧]، وأُعْطِي زاهد وحُرِم حريص، والسّلام.

تواليفه: شرح[٨] القصيدة المسماة بالبُرْدة[٩] شرحًا بديعًا، دلّ فيه على انفساح ذَرْعه، وتفنُّن إدراكه، وغزارة حِفْظه. ولخّص كثيرًا من كُتُب ابن رشد. وعلّق للسلطان أيام نظره في العلوم[١٠] العقلية تقييدًا مفيدًا في المنطق، ولخّص مُحَصَّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب[١١] الرازي. وبذلك[١٢] داعبته أول لُقية لقَيْتُه[١٣] [ببعض منازل الأشراف، في سبيل المبرّة بمدينة فاس،][١٤] فقلت له: لي عليك مُطالبة، فإنك لخّصت «مُحَصَّلي». وألّف كتابًا في الحساب. وشرع في هذه الأيام في شرح الرَّجَز الصادر عني في أُصول الفقه، بشيءٍ لا غاية وراءه[١٥] في الكمال. وأمّا نثره وسُلْطانيّاته، مُرْسَلُها ومُسجعها[١٦]، فَخُلُج بلاغة، ورياض فنون، ومعادِن إبداع، يُفرغ عنها يراعه الجريءُ، شبيهة البَدَاءات بالخواتم، في نداوة الحروف، وقُرْب العهد بجَرْيَة المِداد، ونفوذ أمر القريحة، واسْتِرسال الطبع. وأما نظمه، فنهض لهذا العهد قُدُمًا في ميدان الشّعر، وأُغري[١٧] نقدُه باعتبار أساليبه؛ فانثال عليه جوُّه، وهان عليه صَعْبه، فأتى منه بكل غريبة. من[١٨] ذلك قوله يخاطب السلطان ملك المغرب ليلة الميلاد الكريم عام اثنين وستين وسبعمائة

---

(١) تسمح: هنا بمعنى تلين.
(٢) خامَ: جبن. محيط المحيط (خيم).
(٣) في النفح: «الركائب».
(٤) في النفح: «تكثر».
(٥) في النفح: «نعم».
(٦) العِيص: الشجر الكثير الملتفّ. لسان العرب (عيص).
(٧) العويص: الصعب. لسان العرب (عوص).
(٨) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٥ ـ ٣١٦).
(٩) في النفح: «شرح البردة...».
(١٠) في النفح: «في العقليات».
(١١) في النفح: «فخر الدين الرازي».
(١٢) في النفح: «وبه».
(١٣) في النفح: «أول لُقيه».
(١٤) ما بين قوسين ساقط في النفح.
(١٥) في النفح: «فوقه».
(١٦) في النفح: «وسلطانياته السجعية».
(١٧) في النفح: «الشّعر، ونقده...».
(١٨) في النفح: «غريبة. خاطب السلطان...».

بقصيدة طويلة[1]: [الكامل]

أسْرَفْنَ في هَجْري وفي تعذيبي ... وأطَلْنَ موقف عَبْرتي ونَحيبي

وأبَيْنَ يومَ البَينِ موقف[2] ساعة ... لوداعِ مَشْغُوفِ الفؤاد كئيبِ

لله عَهْدُ الظّاعنين وغادروا ... قلبي رَهينَ صَبابةٍ ووجيبِ[3]

غَرَبَتْ ركائبُهُمْ ودمعي سافحٌ ... فشَرِقْتُ بَعْدَهُمْ بماءِ غُرُوبي[4]

يا ناقعًا بالعَتْبِ غُلَّةَ شوقهِمْ ... رحماكَ في عَذْلي وفي تأنيبي

يستعذبُ الصَّبُّ الملامَ وإنني ... ماءُ الملام لديَّ غيرُ شَريبِ[5]

ما هاجني طربٌ ولا اعتاد الجوى ... لولا تذكُّرُ مَنْزِلٍ وحَبيب

أهفو إلى الأطلال كانتْ مَطْلَعًا ... للبدر منهمْ أو كِناسَ رَبيب

عَبَثَتْ بها أيدي البِلى وتَرَدَّدَتْ ... في عِطفها للدهر آيُ خُطوب

تَبلى معاهدُها وإنّ عهودها ... لَيُجِدُّها وَصْفي وحُسْنُ نَسيبي

وإذا الديارُ تعرَّضَتْ لِمُتَيَّمٍ ... هَزَّتْه ذكراها إلى التَّشبيب

إيهٍ على الصَّبْر الجميل فإنه ... ألْوى[6] بدَيْن فؤاديَ المَنْهوب

لم أنْسَها والدهرُ يَثْني صَرْفَهُ ... ويَغُضُّ طَرْفَيْ حاسِدٍ ورقيبِ

والدارُ مُونِقَةٌ محاسِنُها بما ... لبِسَتْ من الأيام كلّ قَشِيبِ[7]

يا سائقَ الأظعانِ تَعْتَسِفُ الفلا ... وتُواصلُ الإسْآدَ[8] بالتَّأويبِ[9]

مُتَهافتًا عن رَحْلِ كلّ مُذَلَّلٍ ... نَشْوانَ من أيْنٍ ومَسّ لُغُوب

تتجاذبُ النَّفحاتُ فَضْلَ ردائه ... في مُلتقاها من صَبًا وجَنُوب

---

(١) في النفح: «طويلة أولها» والقصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٠ ـ ٧٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٦ ـ ٣١٧).

(٢) في النفح: «وقفة».

(٣) الظاعنون: الراحلون. الوجيب: خفقان القلب واضطرابه. لسان العرب (ظعن) و(وجب).

(٤) الغروب: جمع غرب وهو عرق في العين يسيل منه الدمع. لسان العرب (غرب).

(٥) الشريب: الماء دون العذب. محيط المحيط (شرب).

(٦) ألوى: أنكر؛ يقال: ألوى بحقّه إذا جحده إياه. محيط المحيط (لوى).

(٧) القشيب: الجديد. لسان العرب (قشب).

(٨) في الأصل: «الآساد»، والتصويب من النفح. والإسآد: سير الليل كله بغير تعريس. لسان العرب (سأد).

(٩) التأويب: سير النهار كله إلى الليل. لسان العرب (أوب).

إن هام من ظمإ الصَّبابة صَحبُهُ ... نَهَلوا بمَوْرِدِ دَمْعِهِ المَسْكوب[1]

في كلِّ شعْبٍ مُنيَةٌ من دونها ... هَجْرُ الأماني أو لقاءُ شَعُوب

هلّا عطَفتَ صدورهنَّ إلى التي ... فيها لُبانةُ أعيُنٍ وقلوب

فتؤمَّ مِنْ أكناف يَثْرِبَ مأمنا ... يَكفيكَ ما تخشاه من تَثْريب

حيثُ النبوّةُ آيُها مَجلُوّةٌ ... تتلو من الآثار كلَّ غريب

سِرٌّ غريبٌ لم تُحَجِّبْه[2] الثَّرى ... ما كان سرُّ الله بالمحجوب

يا سَيِّدَ الرُّسلِ الكرام ضراعةً ... تقضي مُنى[3] نَفْسي وتُذْهِبُ حُوبي[4]

عاقتْ ذنوبي عن جَنابكَ والمنى ... فيها تُعَلِّلني بكل كَذُوب

لا كالألى[5] صَرَفوا العزائمَ للتُّقى ... فاستأثروا منها بخير نَصيب

لم يُخلِصوا لله حتى فرّقوا ... في الله بين مضاجعٍ وجُنُوب

هَبْ لي شَفَاعَتَكَ التي أرجو بها ... صفحًا جميلًا عن قبيح ذُنوبي

إنَّ النجاة وإن أُتيحتْ لامرئٍ ... فبِفَضْلِ جاهِكَ ليس بالتَّسْبِيب

إني دَعَوْتُكَ واثقًا بإجابتي ... يا خيرَ مَدْعُوٍّ وخيرَ مُجيب

قَصَّرتُ في مدحي فإن يَكُ طيِّبًا ... فبما لذِكرك من أريج الطِّيب

ماذا عسى يَبْغِي المطيلُ وقد حَوى ... في مدحك القرآنُ كلَّ مَطيب

يا هل تُبَلِّغني الليالي زَورةً ... تُدْني إليَّ الفَوْزَ بالمرغوب؟

أمْحُو خطيئاتي بإخلاصي بها ... وأحطُّ أوزاري وإصْرَ ذُنوبي[6]

في فتية هجروا المنى وتعوَّدوا ... إنضاءَ كلِّ نَجيبةٍ ونَجيب[7]

يطوي صحائفَ لَيْلهم فوق الفلا ... ما شئتَ من خَبَبٍ ومن تَقْريب[8]

---

(١) بعد هذا البيت جاء في نفح الطيب البيت التالي:
أو تعترض مَسْراهُمُ سُدَفُ الدُّجى ... صدعوا الدُّجى بغرامه المشبوبِ

(٢) في النفح: «يُحَجِّبه».

(٣) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٤) الحُوب: الذنب والإثم. محيط المحيط (حوب).

(٥) في الأصل: «كاللآلىء» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) الأوزار: جمع وِزْر وهو الذَّنْب. الإصر: ثقل الذنب. لسان العرب (وزر) و(أصر).

(٧) أنضى ناقته: حملها على السير حتى أهزلها. النجيبة: الناقة الحسنة السير بسرعة. لسان العرب (نضا) و(نجب).

(٨) الخبب والتقريب: ضربان من السير السريع. لسان العرب (خبب) و(قرب).

إنْ رنَّمَ الحادي بذكرِك ردَّدوا … أنفاسَ مُشتاقٍ إليك طَروبِ
أو غرّدَ الرَّكْبُ الخَليُّ بطيبةٍ … حنُّوا لمَغْناها حَنينَ النِّيبِ
وَرِثوا اعْتِسافَ البِيدِ عن آبائهم … إرْثَ الخلافةِ في بَني يعقوبِ
الطاعِنونَ الخيلَ وهي عَوابِسٌ … يَغْشى مُثارَ النَّقْعِ كلَّ سَبيبِ[1]
والواهبونَ المُقْرَباتِ هواتِنًا … مِنْ كلِّ خَوّارِ العِنانِ لَعُوبِ[2]
والمانعونَ الجارَ حتى عِرْضُهُمْ … في مُنتدى الأعداءِ غيرُ مَعيبِ
تُخشى بَوادِرُهُمْ ويُرْجى حِلْمُهم … والعِزُّ شيمةُ مرتجًى ومَهيبِ

ومنها بعد كثير[3]:

سائل به طامي العُباب وقد سرى … تُزْجى بريحِ[4] العزمِ ذاتَ هُبُوبِ
تهديه شُهْبُ أسِنَّةٍ وعزائم … يَصْدَعْنَ ليلَ الحادثِ المرْهوبِ
حتى انجلتْ ظُلَمُ الضَّلال بسعيه … وسطا الهدى بفَريقِها المغلوبِ
يا ابنَ الأُلى شادوا الخلافةَ بالتقى … واسْتَأْثروكَ بتاجِها المعصوبِ
جمعوا بحفظِ الدين آيَ مناقبٍ … كرمُوا بها في مَشْهدٍ ومَغيبِ
لله مَجْدُك طارفًا أو تالدًا … فلقد شَهِدْنا منه كلَّ عجيبِ
كم رهبةٍ أو رغبةٍ لك والعُلا … تُقْتادُ بالتَّرغيبِ والتَّرهيبِ
لا زلْتَ مسرورًا بأشرَفِ دولةٍ … يبدو الهدى من أُفقها المرقوبِ
تُحيي المعالي غاديًا أو رائحًا … وجديدُ سَعْدِكَ ضامنُ المطلوبِ

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هديّة ملك السودان[5]، وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزّرافة[6]: [الكامل]

قَدَحَتْ يَدُ الأشواق من زندي … وهَفَتْ بقلبي زفرةُ الوَجْدِ
ونبذْتُ سُلواني على ثقةٍ … بالقربِ فاستبدلْتُ بالبُعْدِ
ولرُبَّ وصلٍ كنتُ آمُلُهُ … فاعتَضْتُ منه مؤلِمَ الصَّدِّ
لا عَهْدَ عند الصبرِ أطْلُبُهُ … إنّ الغرامَ أضاعَ من عَهْدِي

---

(١) السبيب: شعر ذنب الفرس أو عُرْفُه. محيط المحيط (سبب).
(٢) المُقْرَبات: الخيل. خوّار العِنان: ليِّن العطف. لسان العرب (قرب) و(خور).
(٣) في النفح: «ومنها».
(٤) في التعريف بابن خلدون: «تزجيه ريح».
(٥) في النفح: «السودان إليه، وفيها الزرافة».
(٦) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٤ ـ ٧٥) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٩ ـ ٣٢١).

يَلْحى العَذُولُ فما أُعَنِّفُه وأقولُ: ضَلَّ فأبتغي رُشْدي

وأُعارِضُ النَّفَحاتِ أسألُها بَرْدَ الجَوَى فتزيدُ في الوَقْد

يَهْدي الغرامُ إلى مسالكها لِتَعَلُّلي بضعيفِ ما تُهْدي

يا سائقَ الوَجْناءِ[1] مُعْتَسِفًا طَيَّ الفلاةِ لِطِيَّةِ الوَجْد

أرِحِ الرِّكابَ ففي الصَّبا نبأٌ يُغْني عن المُسْتَنَّةِ الجُرْد[2]

وسَلِ الرُّبوعَ برامةٍ خبرًا عن ساكِني نَجْدٍ وعن نَجْد

ما لي تُلامُ على الهوى خُلُقي وهي التي تأبى سوى الحَمْد

لأَبَيْتُ إلّا الرُّشْدَ مذ وضحتْ بالمُسْتعين معالمُ الرُّشْد

نِعَمَ الخليفةُ[3] في هُدًى وتقًى وبناءِ عزٍّ شامخِ الطُّود

نَجْلُ السُّراةِ الغُرِّ شأنُهُمُ كَسْبُ العُلا بمواهب الوَجْد

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه[4]:

لله مِنّي إذ تأوَّبَني ذِكْراهُ وهو بشاهقٍ فَرْدِ

شَهْمٌ يَفُلُّ بواترًا[5] قُضُبا وجموعَ أقيالٍ أولي أيْدِ[6]

أوْرَيْتُ زَنْدَ العَزْمِ في طلبي وقضيتُ حَقَّ المَجْدِ من قصدي

ووردْتُ عن ظمإٍ مناهِلَهُ فرويتُ من عزٍّ ومن رِفْدِ[7]

هي جَنَّةُ المأوى لمن كَلِفَتْ آمالُهُ بمطالب المَجْد

لو لم أعَلَّ بِوِرْدِ كوثرِها ما قلْتُ: هذي جَنَّةُ الخُلْدِ

مَنْ مُبْلِغٌ قومي ودونَهُمُ قُذُفُ النَّوى وتَنُوفَةُ[8] البُعْد

أنّي أنِفْتُ على رجائهِمُ وملكْتُ عِزَّ جميعِهم وَحْدي

---

(١) في التعريف بابن خلدون: «الأضعان».

(٢) المُسْتَنّة: الفرس الذي يُقبل ويُدْبر في ركضه. الجُرْد: جمع أجرد وهو القصير الشعر. لسان العرب (سنن) و(جرد).

(٣) في الأصل: «الخليقة» والتصويب من المصدرين.

(٤) اكتفى في النفح بالقول: «ومنها».

(٥) في الأصل: «بواتر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) الأيْد: القوة. لسان العرب (أيد). (٧) الرِّفْد: العطاء. لسان العرب (رفد).

(٨) التنوفة: الأرض البعيدة الواسعة التي لا ماء فيها. لسان العرب (تنف).

ومـنـهـا:

ورقـيـمـةِ الأعـطـافِ حـالـيـةٍ مَـوْشِـيَّـةٍ بـوشـائـح[(١)] الـبُـرْدِ
وَحْـشِـيَّـةِ الأنـسـابِ مـا أنِـسَـتْ فـي مُـوحـشِ الـبـيـداءِ بـالـقَـوْدِ[(٢)]
تـسـمـو بـجـيـدٍ بـالـغٍ صُـعُـدًا شَـرَفَ الـصُّـرُوح بـغـيـر مـا جَـهْـد
طـالـتْ رؤوس الـشـامـخـاتِ بـه ولـربـمـا قَـصُـرَتْ عـن الـوَهْـدِ
قـطـعـتْ إلـيـك تَـنـائـفًـا وصـلـتْ آسـادهـا[(٣)] بـالـنَّـصِّ والـوَخْـدِ[(٤)]
تَـخْـدي[(٥)] على استصعابها ذُلُلًا وتَـبِـيـتُ طـوعَ الـقِـنِّ والـقِـدِّ[(٦)]
بـسـعـودكَ الـلائـي ضـمـنَّ لـنـا طـولَ الـحـيـاة بـعـيـشـةٍ رَغْـد
جـاءتـكَ فـي وَفْـدِ الأحـابـش لا يَـرجـونَ غـيـرك مُـكْـرِمَ الـوفـد
وافَـوْكَ أنْـضـاءَ تُـقَـلِّـبُـهُـمْ أيْـدي الـسُّـرى بـالـغَـوْر والـنَّـجْـد
كـالـطَّـيـف يَـسْـتَـقْـري مـضـاجـعـه أو كـالـحُـسـام يُـسَـلُّ مـن غِـمْـد
يُـثْـنـون بـالـحُـسْـنـى الـتـي سـبـقـتْ مـن غـيـر إنـكـارٍ ولا جَـحْـد
ويـرون لَـحْـظَـكَ مـن وِفـادتـهـمْ فـخـرًا عـلـى الأتـراكِ والـهـنـد
يـا مُـسْـتَـعـيـنًـا جـلَّ فـي شَـرَفٍ عن رُتـبـةِ الـمـنـصـور والـمَـهْـدي
جـازاكَ ربُّـكَ عـن خَـلـيـقـتـه خيرَ الجزاءِ فـنِـعْـمَ مـا يُـسْـدي[(٧)]
وبَـقِـيـتَ لـلـدنـيـا وسـاكـنـهـا فـي عـزَّةٍ أبـدًا وفـي سَـعْـدِ

وقال يخاطب[(٨)] صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم[(٩)]: [الكامل]

يـا سـيِّـد الـفـضـلاءِ دعـوةَ مُـشْـفـقٍ نادى لشكوى البَثِّ خَيْرَ سَميعِ
مـا لـي ولـلإقـصـاءِ بَـعْـدَ تَـعِـلَّـةٍ بـالقربِ كنتُ لـهـا أجلَّ شَفيعِ

---

(١) في الأصل: «بوشايح» والتصويب من النفح.
(٢) هكذا في التعريف بابن خلدون. وفي النفح: «بالقرد».
(٣) في النفح: «إسآدها».
(٤) النص والوَخْد: ضربان من السير السريع. لسان العرب (نعص) و(خدد).
(٥) في الأصل: «تحدى»، والتصويب من النفح.
(٦) خَدى الفرس والبعير يخدي: يسرع. الذُلُل: جمع ذلول وهي التي ريضت حتى سهل قيادها. والقِنّ والقِدّ: أراد بهما ما تربط به من حبل ونحوه. لسان العرب (خدى) و(ذلل) و(قنن) و(قدد).
(٧) في النفح: «ما تُسْدي».
(٨) في النفح: «وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبّر ملك المغرب».
(٩) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢).

وأرى الليالي رَنَّقَتْ لي صافيا منها فأصبح في الأجاج شروعي[١]
ولقد خَلَصْتُ إليك بالقُرَبِ التي ليس الزمانُ لِشَمْلِها بِصَدُوع
ووثقْتُ منكَ بأيِّ وَعْدٍ صادقٍ إني المصونُ وأنتَ غيرُ مُضِيع
وسما بنفسي للخليفة طاعةً دون الأنام هَواكَ قبلَ نُزوع
حتى انْتَحاني الكاشِحون بسعيهم فصَدَدْتَهُمْ عني وكنتَ مَنيعي
رغمتْ نفوسهم[٢] بنُجْحِ وسائلي وتَقَطَّعَتْ أنفاسُهُمْ بصَنِيعي
وبَغَوا بما نَقِموا عليَّ خلائقي حسدًا فراموني بكلِّ شنيع
لا تُطْمِعَنْهُمْ بِبَذْلِ في التي قد صُنْتُها عنهم بفضلِ قُنوعي
أنّى أُضامُ وفي يدي القَلَمُ الذي ما كان طَيِّعُهُ لهم بِمُطيع
وليَ الخصائص ليس تأبى رُتْبةً حَسْبي بعلمك[٣] ذاك من تفريعي
قَسَمًا بمجدكَ وهو خيرُ ألِيَّةٍ[٤] أعْتَدُّها لفؤاديَ المَصْدوع
إني لَتَصْطَحِبُ الهمومُ بمضجعي فتحولُ ما بيني وبين هُجُوعي
عطفًا عليَّ بوحْدَتي عن معشرٍ نَفَثَ الإباءُ صُدُودَهم في رُوعي
أغدو إذا باكَرْتُهُمْ مُتَجَلِّدًا وأروحُ أعْثُرُ في فضولِ دموعي
حيرانُ أُوجسُ عند نفسي خيفةً فَتُسِرُّ في الأوهام كلَّ مَرُوع
أطوي على الزَّفَرات قلبًا إدُّه[٥] حَمْلُ الهموم تَجُولُ بين ضلوعي
ولقد أقولُ لصَرْفِ دَهْرٍ رابني بحوادثٍ جاءَتْ على تنويع
مَهْلًا عليك فليس خَطْبُك ضائري فلقد لبِستُ له أَجَنَّ دروعِ[٦]
إني ظَفِرْتُ بعصمةٍ من أوحدٍ بَذَّ الجميعَ بفضله المجموعِ

وأنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة وستين وسبعمائة[٧]: [البسيط]

حَيِّ المعاهِدَ كانتْ قَبْلُ تُحْيِيني بواكِفِ الدمعِ يُرْوِيها ويُظْمِيني
إنّ الأُلى نَزَحَتْ داري ودارُهُمُ تَحَمَّلوا القَلْبَ في آثارهِمْ دُوني

(١) رَنَّقَتْ: كَدَّرَتْ. الأجاج: المِلْح الأجاج وهو الشديد الملوحة. لسان العرب (رنق) و(أجج).
(٢) في النفح: «أنوفهم». (٣) في النفح: «بعلمي».
(٤) الأليّة: القسم. لسان العرب (ألا). (٥) في النفح: «آدَهُ».
(٦) أَجَنُّ دروعٍ: أكثرها وقاية. لسان العرب (جنن).
(٧) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٨٥ ـ ٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦).

وقفْتُ أنشُد صَبْرًا ضاعَ بَعْدَهُمُ … فيهِمْ وأسألُ رَسْمًا لا يُناجيني
أُمثِّلُ الرَّبْعَ من شوقٍ وألْثُمُهُ … وكيف والفكرُ يُدْنيه ويُقصيني
وينهبُ الوَجْدُ منّي كلَّ لؤلؤة … ما زال جَفْني[1] عليها غيرَ مأمون
سَقَتْ جفوني مَغاني الرَّبْع بعدهُمُ … فالدمعُ وَقْفٌ على أطْلاله الجُون
قد كان للقلب عن داعي الهوى شُغُلٌ … لو أنّ قلبي إلى السُّلْوان يدعوني
أحبابَنا، هل لعهد الوَصْل مُدَّكَرٌ … منكُم وهل نَسْمَةٌ منكم تُحَيِّيني؟
ما لي وللطَّيْف لا يَعْتادُ زائرُهُ … وللنسيم عليلًا لا يُداويني
يا أهْلَ نَجْدٍ، وما نَجْدٌ وساكنُها … حُسْنًا سوى جَنَّة الفِردوس والعِين[2]
أَعِنْدَكُمْ أنّني ما مَرَّ ذِكْرُكُمُ … إلّا انْثَنَيْتُ كأنّ الرّاح تَثْنيني
أصْبُو إلى البَرْق من أنحاءِ أرْضِكُمُ … شوقًا، ولولاكُمُ ما كان يُصْبِيني[3]
يا نازحًا والمُنَى تُدْنيه مِنْ خَلَدي … حتى لأَحْسَبُهُ قُرْبًا يُناجيني
أسْلَى هواكَ فؤادي عن سِواك وما … سِواكَ يومًا بحالٍ عنكَ يُسْليني
ترى الليالِيَ أنْسَتْكَ ادّكاري يا … مَنْ لم يكن ذِكْرُهُ الأيامُ تُنْسيني

ومنها في ذكر التفريط:

أَبَعْدَ مَرِّ الثلاثين التي ذهبتْ … أُولي الشَّباب بإحساني وتَحْسيني
أضَعْتُ فيها نفيسًا ما وَرَدْتُ به … إلّا سَرابَ غرورٍ ليس يُرْوِيني
واحَسْرَتا[4] من أمانٍ[5] كلُّها خِدَعٌ … تَريشُ غَيِّي ومَرُّ الدَّهرِ يَبْريني

ومنها في وصف المِشْور[6] المُبْتَنى[7] لهذا العهد:

يا مصْنعًا شَيَّدَتْ منه السّعودُ حِمًى … لا يطرُق الدهرُ مَبْناه بِتَوْهينِ
صرحٌ يحارُ لديه الطَّرْفُ مُفْتَتَنًا … فما يروقكَ من شكلٍ وتَلْوين[8]

---

(١) في التعريف بابن خلدون: «قلبي».
(٢) العِين: جمع عيناء وهي الواسعة العينين. لسان العرب (عين).
(٣) يُصْبيني: يجعلني أصبو. لسان العرب (صبا).
(٤) في النفح: «واحسرتي».
(٥) في الأصل: «أمانيّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٦) المِشْور: المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.
(٧) في النفح: «المبني».
(٨) في النفح: «وتكوين».

بُعْدًا لإيوان كسرى إنَّ مِشْوَرَكَ السّـ ـامي لأعظمُ من تلك الأواوينِ
ودَعْ دمشقَ ومَغناها فَقَصْرُكَ ذا «أشهى إلى القلبِ من أبواب جَيْرُونِ»

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله[١]:

مَنْ مُبْلغٌ عنّيَ الصَّحْبَ الأُلى جهلوا وُدّي وضاعَ حماهم إذْ أضاعوني
أني أوَيْتُ من العَلْيا إلى حَرَمٍ كادتْ مَغانيه بالبُشْرى تُحَيِّيني
وإنني ظاعن لم أَلْقَ بَعْدَهُمُ دهرًا أُشاكي ولا خصمًا يُشاكيني
لا كالتي أخْفَرَتْ عهدي لياليّ إذ أُقَلّبُ الطَّرْفَ بين الخوف والهون
سَقْيًا ورَعْيًا لأيامي التي ظَفِرَتْ يداي منها بحظٍّ غير مَغْبُون
أَرْتادُ منها مليًا لا يماطلني وَعْدًا وأرجو كريمًا لا يُعَنّيني[٢]
وهاك منها قَوافٍ طَيُّها حِكَمٌ مثلُ الأزاهرِ في طيِّ الرياحين
تَلُوحُ إن جُلِيَتْ دُرًا، وإنْ تُلِيَتْ تُثْني عليكَ بأنفاسِ البساتين
عانَيْتُ منها بجهدي كلَّ شارِدَةٍ لولا سُعُودُكَ ما كانتْ تُواتيني[٣]
يمانعُ الفِكْرَ عنها ما تَقَسَّمَهُ من كلِّ[٤] حُزْنٍ بطيِّ الصَّدْرِ مكنون
لكنْ بسعدك ذَلّتْ لي شَوارِدُها فَرُضْتُ منها بتحبيرٍ وتزيينِ[٥]
بقيت دهرك في أمْنٍ وفي دَعَةٍ ودام مُلْكُك في نَصْرٍ وتَمْكين

وهو[٦] الآن قد بدا له في التّحول طوع أمل ثاب له في الأمير أبي عبد الله ابن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص، لما عاد إليه مُلْك بجاية، وطار إليه بجناح شِراع تفيّأ ظلّه، وصكّ من لدنه رآه مستقرًا عنده، يُدعّم ذلك بدعوى تقصير خفيّ أحسّ به، وجعله علّة مُنْقَلبة، وتجنٍّ سار منه في مَذْهبه وذلك في . . .[٦] من عام ثمانية وستين وسبعمائة. ولما بلغ بجاية صَدَق رأيه، ونجحت مُخَيّلته، فاشتمل عليه أميرها، وولّاه

(١) في النفح: «انصرافه بسببه».
(٢) لا يعنّيني: لا يُتْعبني. لسان العرب (عنى). وجاء في النفح بعد هذا البيت كلمة «ومنها» وأورد الأبيات التالية.
(٣) تواتيني: توافقني، تسعفني.
(٤) كلمة «كل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من المصدرين.
(٥) الشوارد: جمع شاردة، وأصلها الدابّة التي تنفر من راكبها وتصعب عليه فلا يزال يروّضها ويذلّلها حتى يسلس له قيادها، والمراد هنا القوافي التي يصعب على الشعراء الإتيان بها. والتحبير هنا: التحسين. لسان العرب (شرد) و(حبر).
(٦) بياض في الأصل.

الحجابة بها. ولم يَنْشِب أن ظهر عليه ابن عمّه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، وتملّك البلدة بعد مَهْلَكه، وأجرى المترجم به على رَسْمه بما طرق إليه الظِّنَّة بمداخلته في الواقع. ثم ساءَ ما بينه وبين الأمير أبي العباس، وانصرف عنه، واستوطن بِسِكْرة، متحوّلًا إلى جوار رئيسها أبي العباس بن مَزْني، متعلّلًا برِفْده إلى هذا العهد.

وخاطبته برسالة في هذه الأيام، تنظر في اسم المؤلّف في آخر الديوان.

مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها الله، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة[1].

عبد الرحمٰن بن الحاج بن القميي الإلبيري

حاله: كان شاعرًا مجيدًا، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة، قاضي غرناطة، ومن نصره من الفقهاءِ، فضربه القاضي ضربًا وجيعًا، وطِيف به على الأسواق بغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحٰق الإلبيري الزاهد، وكان يومئذ كاتبًا للقاضي المذكور، الأبيات الشهيرة: [البسيط]

السَّوْطُ أبلغُ من قولٍ ومن قيل ... ومن نِباح سفيهٍ بالأباطيلِ
من الدَّار كَحَرّ النار أبراه ... يَعْقِل التقاضي أي تَعْقِيل

عبد الرحمٰن بن يَخْلَفْتَن بن أحمد بن تفليت الفازازي[2]

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظًا، نظّارًا، ذكيًا، ذا حظّ وافر من معرفة أُصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرِّواية، مُتَبَذِّلًا في هيئته ولباسه، قلّما يرى راكبًا في حَضر إلّا لضرورة، فاضلًا، سَنِيًا، شديد الإنكار والإنحاء على أهل البدع، مُبالغًا في التحذير منهم، عامر الإناءِ، يطلب العلم شغفًا به وانطباعًا إليه وحبًّا فيه وحرصًا عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النَّظم والنَّثر، وفُور مادّة، وموالاة استعمال، لا يكاد يُقيد، ولا يصرفه عنه إلّا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له

(١) كذا جاء في نفح الطيب (ج ٨ص ٣٢٦). وفي الضوء اللامع للسخاوي (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام للزركلي (ج ٣ ص ٣٣٠) أن وفاته سنة ٨٠٨ هـ.

(٢) ترجمة عبد الرحمٰن الفازازي في التكملة (ج ٣ ص ٤٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٣) وبغية الوعاة (ص ٣٠٤) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) و(ج ١٠ ص ٣٤٠) واختصار القدح المعلى (ص ٢٠٣) وجاء فيه أنه «الفزاري».

مَلَكَةً. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة وتمكُّن البراعة. وكان متلبِّسًا بالكتابة عن الولاة والأمراءِ، ملتزمًا بذلك، كارهًا له، حريصًا على الانقطاع عنه، واختصَّ بالسيد أبي إسحٰق بن المنصور، وبأخيه أبي العلاءِ، وبملازمتهما استحقَ الذِّكر فيمن دخل غرناطة، إذ عُدَّ ممَّن دخلها من الأُمراءِ.

مشيخته: روى عن أبيه أبي سعيد، وأبي الحسن جابر بن أحمد، وابن عتيق بن مون، وأبي الحسن بن الصائغ، وأبي زيد السُّهيلي[1]، وأبي عبد الله التُّجيبي، وأبي عبد الله بن الفخَّار، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي المعالي محمود الخراساني، وأبي الوليد بن يزيد بن بَقِي[2] وغيرهم. وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وأبو بكر بن سيِّد الناس، وابن مهدي، وأبو جعفر بن علي بن غالب، وأبو العباس بن علي بن مروان، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمٰن بن سالم، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمْران، وأبو يحيىٰ بن سليمان بن حَوْطِ الله، وأبو محمد بن قاسم الحرار، وأبو الحسن الرُّعيني، وأبو علي الماقري.

تواليفه ومنظوماته: له المُعشَّرات الزُّهدية التي ترجمها بقوله: «المعشرات الزهدية، والمذكرات الحقيقية الجِدِّية، ناطقة بألسِنة الوَجِلين المُشْفِقين، شائقةً إلى مناهج السَّالكين المُسْتَبْقين، نظمها متبرِّكًا بعبادتهم، متيمنًا بأغراضهم وإشاراتهم، قابضًا عنان الدَّعوى عن مُداناتهم ومُجاراتهم، مهتديًا إهداءَ السُّنن الخمس بالأشعْة الواضحة من إشاراتهم، مُخَلِّدًا دون أفقهم العالي إلى حضيضه، جامعًا لحسن أقواله وقبح أفعاله بين الشَّيءِ ونَقيضيه عبد الرحمٰن». وله «المُعَشَّرات الحُبِّية، وترجمتها النَّفحات القَلْبيَّة، واللَّفحات الشَّوْقية، منظومة على ألسنة الذاهبين وَجْدًا، الذَّائبين كَمَدًا وجَهْدًا، الذين غَرَبوا وبقيت أنوارُهم، واحتَجبوا وظهرت آثارهم، ونطقوا وصَمَتَتْ أخبارهم، ووفُوا العُبُودية حقَّها، ومَحَضوا المحبَّة مُسْتحقَّها، نَظْمُ من نَسَج على مِنوالهم، ولم يشاركهم إلّا في أقوالهم فلان». والقصائد، في مدح النبيِّ ﷺ، التي كل قصيدة منها عشرون بيتًا، وترجمتها الوسائل المُتَقَبَّلة، والآثار المسلمة المُقْبِلة، مُودَعَةً في العشرنية النبوية، والحقائق اللَّفظية والمعنوية، نَظْمُ من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدَّها لما يستقبله من مُدْهِش الأهوال، وفَرَّغ خاطره لها على تَوالي القواطع وتَتَابُع الأشغال، ورجال بَرَكة خاتَم الرِّسالة، وغاية السُّؤدد والجلالة، مَحْوَ ما

(١) في بغية الوعاة: «أبي القاسم السهيلي».
(٢) في التكملة: «عن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الرحمٰن بن بقي».

لسَلفِه من خطإٍ في الفعل، وزَلَلٍ في المقال، والله سبحانه وليُّ القبول للتَّوبة، والمنّان بتسويغ هذه المِنّة المطلوبة، فذلك يسير في جَنْب قدرته، ومَعْهود رحمته الواسعة ومَغْفرته.

شعره: وشعره كثير جدًا، ونثره مشهور وموجود. فمن شعره في غرض الشكر لله عزّ وجلّ، على غَيْثٍ جاءَ بعد قَحط: [الكامل]

نِـعَـمُ الإلٰـهِ بـشـكـره تـتـقـيّـدُ ... فالله يُشكر في النَّوال ويُحْمَدُ
مُـدّتْ إلـيـه أكُـفُّـنـا مـحـتـاجـةً ... فـأنـالـهـا مـن جُـوده مـا نَـعْـهَـدُ
وأغـاثـنـا بـغـمـائـم وكّـافـةٍ ... بـالبِشر تَشْرُق والبشائر تَرْعُدُ
حَمَلَتْ إلى ظمإِ البَسِيطة رِيّةً ... فـلـهـا عـلـيـه مـنّـة لا تُـجْـحَـدُ
فالجوُّ برّاق والشُّعاع مُفَضّض ... والماءُ فيّاض الأثير مُعَسْجَد
والأرض في حَلْي الأتيّ كأنما ... نُطَفُ الغمام ولؤلؤٌ[1] وزَبَرْجَدُ
والرّوض مَطْلُول الخمائل باسم ... والقُضْبُ لَيِّنة الحمائل مُيَّد
تاهت عقول الناس في حركاتها ... أَلِشُكرها أم سُكْرِها تتأوّد؟
فيقول أرباب البِطالة تَنْثَني ... ويقول أرباب الحقيقة تَسْجُد
وإذا اهتديْتَ إلى الصواب فإنها ... في شكر خالقها تقوم وتَقْعُد
هذا هو الفضل الذي لا يَنْقضي ... هذا هو الجُود الذي لا يَنْفد
احضرْ فؤادك للقيام بشكره ... إن كنت تعلم قَدْرَ ما تتقلّد
وانْفُضْ يديكَ مِنَ العِباد فكلُّهُمْ ... عَجَزَ الحَلّ وأنت جهلًا تَعْقِد
وإذا افْتَقَرْتَ إلى سواه فإنما الـ ... ـذي بخاطرك المجال الأبْعَد
نِعَمُ الإلٰهِ كما تشاهد حُجّةٌ ... والغائباتُ أجلُّ مما يُشْهَدُ
فانظرْ إلى آثار رحمته التي ... لا يُمْتَرى فيها ولا يُتَرَدَّد
يا ليت شِعري والدليل مُبَلِّغ ... من أيّ وجه يَسْتَرِيب المُلْحدُ
من ذا الذي يرتابُ أنَّ إلٰهَهُ ... أحدٌ وألْسِنَةُ الجماد تُوَحِّد
كلٌّ يُصرِّحُ حالُه ومقالُه ... أنْ ليس إلّا الله ربٌّ يُعْبَدُ

ومن شعره أيضًا قوله: [الكامل]

عَجَبًا لمن ترك الحقيقة جانبًا ... وغدا لأرْبابِ الصواب مُجانبا

---

(١) في الأصل: «لؤلؤ»، وكذا ينكسر الوزن.

وابتاع بالحق المُصَحَّح حاضرا ... ما شاءَ للزُّور المُعَلَّل عائبا
من بعد ما قد صار أَنْفَذَ أسهما ... وأشدَّ عاديةً وأمضى قاضبا
لا تَخْدَعَنْكَ سوابقٌ من سابق ... حتى ترى الإحضار منه عواقبا
فلربما اشْتَدَّ الخيالُ وعاقه ... دون الصَّواب هوًى وأصبح غالبا
ولَكَمْ إمام قد أضَرَّ بفهمه ... كتبٌ تعبُّ من الضَّلال كتائبا
فانحرف بأفلاطون وأرسطا ... ليس ودونهما تَسْلُكُ طريقًا لاحبا[1]
ودَعِ الفلاسفةَ الذَّميم جميعُهمْ ... ومقالَهمْ تأتي الأحقَّ الواجبا
يا طالب البرهان في أوضاعهمْ ... أعزِزْ عليَّ بأنْ تُعَمِّرَ جانبا
أعْرَضْتَ عن شطِّ النَّجاة مُلَجِّجًا ... في بَحْرِ هُلْكٍ ليس يُنْجي عاطبا
وصَفا الدَّليلُ فما نَفَعْتَ بصَفْوِه ... حتى جَعَلْتَ له اللُّجَينَ[2] شائبا
فانظرْ بعقلك هل ترى مُتَفَلْسِفا ... فيمن ترى إلّا دَعِيًا كاذبا؟
أعْيَتْه أعباءُ الشَّريعة شِدَّةً ... فارتدَّ مَسْلُوبًا ويُحْسَب سالبا
والله أَسْألُ[3] عِصْمَةً وكفايةً ... من أن أكون عن المَحَجَّة ناكِبا

ومن شعره: [الطويل]

إليك مَدَدْتُ الكَفَّ في كلّ شِدَّة ... ومنك وجدْتُ اللُّطف في كل نائبِ
وأنت ملاذٌ والأنام بمعزِلِ ... وهل مستحيلٌ في الرَّجا[4] كَرُّ آيب؟
فحقِّقْ رجائي فيك يا ربِّ واكْفني ... شَماتَ[5] عدوٍّ أو إساءة صاحبِ
ومن أين أخشى من عدوٍّ إساءة ... وبِتَرْكِكَ ضافٍ من جميع الجوانب؟
وكم كُرْبَة نَجَّيْتَني من غِمارها ... وكانت شجًا بين الحَشا والتَّرائب
فلا قوةٌ عندي ولا ليَ حِيلة ... سوى حسن ظنّي بالجميل المواهب
فيا مُنْجيَ المُضطَرِّ عند دُعائه ... أغِثْني فقد سُدَّتْ عليَّ مذاهبي[6]
رجاؤُك رأسُ المال عندي ورِبْحُه ... وزُهْدُه[7] في المخلوق أسْنَى المواهب

---

(١) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.
(٢) في الأصل: «الحبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «أسَلْ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «شماتة» وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «مذاهب» بدون ياء.
(٧) في الأصل: «وزُهْدٌ» وكذا ينكسر الوزن.

إذا عجزوا عن نَفْعهمْ في نفوسهمْ فتأمِيلُهمْ بعضُ الظُّنون الكواذب
فيا محسنًا فيما مضى أنت قادرٌ على اللُّطف في حالي وحُسن العواقب
وإنّي لأرجو منك ما أنت أهْلُه وإن كنت حطًا في كثير المعايب
فَصَلِّ على المختار من آل هاشم إمامِ الوَرى عند اشتِداد النوائب

وقال في مُدَّعي قراءة الخطّ دون نظر: [الطويل]

وأذْوَرُ ميَّاسُ العواطف أصبحتْ محاسِنُه في الناس كالنَّوع في الجِنْسِ
يُدير على القرطاس أُنمُلَ كفِّه فَيُدرك أخفى الخَطِّ في أيسر اللَّمْسِ
فقال فريقٌ: سِحْرُ بابلَ عنده وقال فريقٌ: ليس هذا من الإنْس
فقلت لهمْ لم تفهموا سِرَّ دَرْكه على أنه لِلْعَقْلِ أجْلَى من الشمس
ستكفه حبُّ القلوب فأصبحت مداركها أجفانَ أُنمُلِه الخمس

وفاته: استَقْدمه المأمون[1] على حال وَحْشة، كانت بينه وبينه، فورد وُرود الرِّضا على مرّاكُش في شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة. وتوفي في ذي قَعْدةِ بعده[2]، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرنائهما، رحم الله جميعهم.

انتهى السفر التاسع بحمد الله

* * *

ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المُنجِب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشُفِين.

حاله: لحق به بالعُدْوة، فاتَّصل بخدمته، وأغراه بالأندلس، إذ ألقى إليه أمورها على صُورتها، حتى كان ما فَرغ الله، عزّ وجلّ، من استيلائه على ممالكها، وخَلْعه لرؤسائها. وكان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مَقْدُورًا عليه في رِزقه، يتحرَّف بالنَّسْخ، ولم يكن حَسن الخطّ، ولا مُعَرّب اللفظ، إلى أن تَسيَّر للكتابة في باب

---

(١) هو أبو العلاء إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٦٢٤ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٧٤).

(٢) في نفح الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥): «وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧». وجاء في بغية الوعاة (ص ٣٠٤) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) أنه ولد بعد الخمسين وخمسمائة.

الدِّيوان بألمريّة، ورأى خلال ذلك، في نوْمه، شخصًا يوقظه، ويقول له: قُمْ يا صاحب رُبْع الدُّنيا، وقصّ رؤياه على صاحبٍ له بمَثْواه، فبَشَّره، فطلب من ذلك الحين السُّمُوّ بنفسه، فأجاز البحر، وتعلّق بحاشية الحُرّة العَلْيا زينب[1]، فاستَكْتَبته، فلمّا تُوفّيت الحُرّة، أقرّه أمير المسلمين كاتِبًا، فنال ما شاء مما تَرْتَمي إليه الهِمَمُ جاهًا ومالًا وشهرةً. وكان رجلًا حَصِيفًا، سَكُونًا، عاقلًا، مُجدي الجاه، حَسن الوساطة، شهير المكانة.

وفاته: توفي فجأة بمدينة سَبْتة، في عام سبعة وثمانين وأربعمائة. وتقلّد الكتابة بعده أبو بكر بن القَصِيرة. ذكره ابن الصَّيرفي.

عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري[2]

وتكرر مالك في نسبه.

أوليته: قالوا: من ولد عُقْبة بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بَلدِنا لَوْشَة، غرناطي، يكنى أبا محمد.

حاله: كان[3] أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصَّنائع، جزْل المواهب، عظيم المكارم، على سُنَن عظماءِ الملوك، وأخلاق السادة الكرام[4]. لم يُرَ بعده مثله في رجال[5] الأندلس، ذاكرًا للفقه والحديث، بارعًا في الأدب[6]، شاعرًا مجيدًا وكاتبًا بليغًا، حُلْو الكتابة والشعر، هشًّا مع وقار، ليِّنًا على مَضاءٍ، عالي الهِمّة، كثير الخَدَم والأهل[7].

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحَمَّام، بجوفيّ الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه[8] أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة. وشرع في الزِّيادة في سَقْف

---

(١) هي زينب النفزاوية التي كانت مضرب المثل في الجمال؛ تزوجت أبا بكر بن عمر، ابن عم يوسف بن تاشفين المرابطي، في سنة ٤٦٠ هـ، ثم طلقها فتزوجها يوسف بن تاشفين فأنجبت له ولده الفضل، وكانت أحب ما لديه امرأة غالبة عليه. البيان المغرب (ج ٤ ص ١٨، ٣٠).

(٢) ترجمة عبد الرحمٰن بن محمد المعافري في التكملة (ج ٣ ص ١٨) وقلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣).

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥). (٤) كلمة «الكرام» ساقطة في النفح.

(٥) في الأصل: «حال» والتصويب من النفح. (٦) في النفح: «الآداب».

(٧) في الأصل: «الخادم والأمل» والتصويب من النفح.

(٨) في الأصل: «بناه».

الجامع من صَحْنه سنة ست عشرة، وعوّض أرجل قِسِيِّه أعمدة الرخام، وجلبَ الرُّؤوسَ والموائد من قرطبة، وفرش صحنه بكُذَّان الصُّخيرة[١]. ومن مكارمه أنه لمّا وُلّي مُسْتَخْلص غرناطة وإشبيلية، وجّهه أميره علي بن يوسف بن تاشُفين إلى طُرْطُوشة برسم بنائها، وإصلاح خللها، فلمّا استوفى الغاية فيها قلّده، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصّة به، فلما احتلّها سأل قاضيها، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُفَ حاله وقلّ تصرفه من ذوي البيوتات، فاسْتَعْملهم أُمناءَ في كل وجه جميل، ووسّع أرزاقهم، حتى كَمَل له ما أراد من عمله. ومن عَجَزَ أن يستعمله وَصَله من ماله. وصَدَر عنها وقد أنْعَش خلقًا كثيرًا.

شعره: من قوله في مجلس أطربه سماعه، وبَسَطه احتشاد الأُنس فيه واجتماعه[٢]: [الخفيف]

لا تَلُمْني إذا طَرِبتُ لشَجْوٍ[٣] ... يَبْعَثُ الأُنسَ فالكريمُ طَرُوبُ
ليس شَقُّ الجُيُوبِ حَقًّا علينا ... إنما الحَقُّ[٤] أن تُشقَّ القلوبُ

وقال، وقد قَطَف غلام من غلمانه نَوّارة، ومدّ بها يده إلى أبي نصر الفتح بن عبيد الله[٥]، فقال أبو نصر[٦]: [الطويل]

وبَدْرٍ بدا والطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ ... وفي كَفِّه مِنْ رائقِ النَّوْرِ كَوْكَبُ
يَرُوح لتعذيبِ النفوسِ ويَغْتَدي ... ويَطْلُعُ في أُفُقِ الجمالِ ويَغْرُبُ

فقال أبو محمد بن مالك[٧]: [الطويل]

ويَحسد[٨] منه الغُصْنُ أيَّ مُهَفْهَفٍ ... يجيءُ على مِثْلِ الكَثيبِ ويَذْهَبُ

---

(١) في النفح: «الصخر». والكذّان: حجارة رخوة.
(٢) البيتان في قلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) و(ج ٤ ص ٢٠٤).
(٣) في القلائد: «الشدو». (٤) في النفح: (ج ٢ ص ٢٠٥): «الشأن».
(٥) هو أبو نصر الفتح بن خاقان، صاحب «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس».
(٦) البيتان في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٤). وورد البيت الأول في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) منسوبًا إلى ابن مالك. وورد البيت الثاني في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) منسوبًا إلى محمد بن مالك.
(٧) البيت في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٠٤).
(٨) في القلائد: «ويحسن».

نثره: قال أبو نصر[١]: كتبتُ إليه مودِّعًا، فكتب[٢] إليّ مُستَدْعيًا، وأخبرني رسوله[٣] أنه لما قرأ الكتاب وضعه، وما سوّى ولا فكّر ولا رَوّى:

يا سيدي، جرت الأيام[٤] بجمع افْتِراقك، وكان الله جارَكَ في انْطِلاقك[٥]، فَغَيْرُك رُوّع بالظَّعَن، وأوْقَد للوداع جاحم[٦] الشَّجَن، فأنت[٧] من أبناءِ هذا الزمن، خليفةُ الخَضر لا يستقرُّ[٨] على وطن، كأنّك والله يختار لك ما تأتيه وما تَدَعه، مُوَكّل بفضاءِ الأرض تَذْرعه[٩]، فحسْبُ من نَوى بعِشرتك الاستِمتاع، أن يعدّك[١٠] من العَواري السَّريعة الارْتِجاع[١١]، فلا يأسَفُ على قِلّة الثَّوا[١٢]، ويُنشد: [الطويل]

وفارَقْتُ حتى ما أُبالي من النّوى

وفاته: اعتَلّ[١٣] بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة، فزادت عِلّته بها، وتوفي، رحمه الله، بها في غرّة شعبان سنة ثماني[١٤] عشرة وخمسمائة، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب إلبيرة، وحضر جنازته الخاصة والعامة.

مَن رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله، فقال: [الكامل]

إن كنتَ تشفق من نزوح نواه ... فهناك مقبرةٌ وذا مَثْواهُ

قَسّمْ زمانك عِبْرةً أو عَبْرةً ... وأجِلْ تشوّقه على ذكراه

(١) قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥).
(٢) في القلائد: «فجاوبني جوابًا مستبدعًا». (٣) في القلائد: «رسولي».
(٤) في القلائد: «الأقدار».
(٥) هذا من قول البُحتري وهو بحلب، قاله لأبي جعفر بن سهل المروزي ولم يودّعه: [مخلع البسيط]

الله جارُك في انطلاقكْ ... تلقاء شامِك أو عراقِكْ

ديوان البحتري (ج ٢ ص ١٢).
(٦) في الأصل: «جامح» والتصويب من المصدرين.
(٧) في المصدرين: «فإنك». (٨) في القلائد: «لا تستقر».
(٩) قوله: «موكّل بفضاء الأرض تذْرعه» عجز بيت لابن زريق البغدادي، وصدره هو: [البسيط]

كأنما هو في حِلٍّ ومرتحلٍ

(١٠) في القلائد: «يعتدّك». (١١) في القلائد: «الاسترجاع».
(١٢) الثوا: أصل القول: الثواء، بالهمز. والثواء: الإقامة.
(١٣) قارن بنفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥). (١٤) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

وأغدِيه ما امتدّت حياتك غائبًا ... أو عاتبًا إن لم تَزُرْ زُرْناه
أو نائمًا غَلَبَتْ عليه رَقْدَةٌ ... لمُشْهِد لم تَغْتَمِض عيناه
أو كوكبًا سَرَت الرِّكاب بنوره ... فمضى وبلَّغنا المحلَّ سَناه
فمتى تَبْعُد والنفوس تَزُوره ... ومتى تَغِيب والقُلوب تراه
يا واحدًا عَدَل الجميع وأصلحت ... دُنيا الجميع ودِينهم دُنياه
طالت أذاتُك بالحياءِ كرامةً ... والله يَكْرم عَبْده بأذاه
لِشهادة التَّوحيد بين لسانه ... وجَنانه نور يُرى مَسْراه
وبوجْهِهِ[1] سيما أغرّ مُحَجَّلٍ ... مَهما بدا لم تَلْتَبِسْ سيماه
وكأنما هو في الحياة سكينة ... لولا اهْتِزازٌ في النَّدى يغشاه
وكأنّه لحَظَ العُفاة توجُعا ... فتلازَمَتْ فوق الفؤاد يداه
أبْدَى رِضى الرحمٰن عنك ثناؤُهمْ ... إنَّ الثَّناءَ علامة لِرضاه
يا ذا الذي شَغَف القلوب به ... وذا لا تَرْتَجيه وذاك لا تخشاه
ما ذاك إلّا أنه فَرْعٌ زكا ... وَسِعَ الجميع بظلّه وجَناه
فاليوم أوْدَى كلّ مَن أحببته ... ونَعى إلى النفس مَن ينْعَاه
ماذا يُؤمل في دمشق مُشهدٌ ... قد كُنتَ ناظرَه وكنتَ تراه؟
يعتاد قبرك للبكا أسِفًا بما ... قد كان أضحكَه الذي أبكاه
يا تُربةً حلّ الوزير ضريحَها ... سَقاك بل صلّى عليك الله
وسَرَى إليك ومنك ذكرٌ ساطع ... كالمسك عاطرة به الأفواه

عبد الرحمٰن بن عبد الملك اليَنشتي[2]

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة[3]، ونشأ بلُوْشة، وهو محسوب من الغرناطيين.

حاله: كان شيخًا يبدو على مخيِّلته النُّبْل والدّهاء، مع قُصُور أدواته. يَنْتَحل النّظم والنثر في أراجِيز يتوصَّل بها إلى غرضه من التصرُّف في العمل.

---

(١) في الأصل: «ويبوجهه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) ترجمة الينشتي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٣) باغة: بالإسبانية Priego، وهي مدينة بالأندلس من كورة إلبيرة، في قبلي قرطبة، ولمائها خاصية عجيبة. معجم البلدان (ج ١ ص ٣٢٦) والروض المعطار (ص ٧٨).

وجرى ذكره «في التّاج المُحلّى» وغيره بما نصه[1]: قارضٌ[2] هاج، مُداهنٌ مُداج، أخْبَثُ من نظر من طَرْف خَفِي، وأغدرُ من تلبّس بشعار وَفي، إلى مَكيدة مبثُوثَة الحبائل، وإغراءٍ يَقطع بين الشعوب والقبائل، من شيوخ طريقة العمل، المُتَقلّبين من أحوالها بين الصَّحْو والثّمل، المتعلّلين برسومها حين اختَلط المرْعيُّ والهَمَل[3]. وهو ناظمُ أرْجاز، ومستعملُ حقيقةٍ ومجاز. نظم مُخْتَصر السِّيرة، في الألفاظ اليسيرة، ونظم رَجَزًا في الزَّجْر والفال، نبّه به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن نظمه ما خاطبني به مستدعيًا إلى إعذار ولده[4]: [البسيط]

أُريدُ مِنْ سيدي الأعلى تَكَلُّفه ... على[5] الوصول إلى داري صباحَ غَدِ
يزيدني شرفًا منه ويُبْصِرُ لي ... صناعةَ القاطعِ الحجَّام في ولدي

فأجبته: [البسيط]

يا سيدي الأوحد الأسمى ومُعْتَمَدي ... وذا الوسيلةِ من أهْلٍ ومن بَلَدِ[6]
دعَوْتَ في يوم الاثنين الصِّحابَ ضُحًى ... وفيه ما ليس في بَيْت[7] ولا أحدِ
يومُ السَّلام على المَوْلى وخدمته ... فاصْفَحْ وإنْ عَثَرَتْ رِجْلي فَخُذْ بيدي
والعُذْرُ أوضحُ من نارٍ على عَلَم ... فَعُدْ إنْ غِبْتُ عن لوْمٍ وعن فَنَدِ[8]
بقيت في ظلّ عيشٍ لا نفادَ له ... مُصاحَبًا غير محصور إلى أمَدِ

ومنه أيضًا: [الكامل]

قل لابن سيِّد والديه: لقد عَلا ... وتجاوز المقدار فيما يَفْخَرْ
ما ساد والده فيُحمد أمرُه ... إلّا صغير العَنْز حتى يَكْبَرْ

وصدرت عنه مقطوعات في غير هذا المعنى، ممّا عَذُب به المجْنى، منها قوله[9]: [الكامل]

إنّ الولاية رفعةٌ لكنها ... أبدًا إذا حَقَّقْتَها تتنقّلُ[10]

---

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (٢) في النفح: «مادح».
(٣) في المصدر نفسه: «بالهَمَل». والمرعيُّ الذي له راعٍ يحفظهُ. والهَمَل: الذي تُرك مهملًا لا راعي له. لسان العرب (رعى) و(همل).
(٤) البيتان وجوابهما في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).
(٥) في النفح: «إلى». (٦) في النفح: «من أهلي ومن بلدي».
(٧) في المصدر نفسه: «سبت».
(٨) الفَنَدُ، بالفتح: تخطئة الرأي. لسان العرب (فند).
(٩) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧).
(١٠) في الأصل: «تتنقل»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

فانظُرْ فضائل من مضى مِنْ أهلها تـجـدِ الـفـضـائـلَ كـلُّهـا لا تُـغـزَلُ

وقــال: [الـطـويـل]

هـنـيًّـا أبـا إسـحـٰـقَ دُمْـتَ مـوفّـقًـا سعيدًا قريرَ العين بِالعُرْسِ والعِرْسِ
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي تَمَلَّكْتَها في الحسن أسنى من الشمس
وقالوا: عجيبٌ نور بَدْرَينِ ظاهر فقلت: نعم إنَّ أَلِفَ الجِنس للجنس

وكتب إليّ: [الطويل]

إذا ضاق ذَرْعي بالزَّمان شكوته لمولاي من آل الخطيب فيَنْفَرِجْ
هو العُدَّة العظمى هو السيِّد الذي بأوصافه الحُسْنى المكارم تَبْتَهِجْ
وزيرٌ علا ذاتًا وقَدْرًا ومَنْصِبا فمن دونه أعلا الكواكب يَنْدَرِجْ
وفي بابه نِلتُ الأماني وقادني دليلُ رشادي حيث رافَقَني الفَرَجْ
فلا زال في سَعْدٍ وعزٍّ ونعمةٍ تُصان به الأموال والأهل والمُهَجْ

وفاته: توفي في الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة.

وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمـٰن، وأولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم[1]

أوليته: أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس، ومحلُّه من الدِّين والشهرة وعِظَم الصِّيت معروف.

حاله: كان عبد الأعلى أميرًا على سُنَن أبيه في الفضل والدين، وهو الذي باشر فتح غَرْناطة ومالَقة، واستحقّ الذكر لذلك. قال الرَّازي[2]: وكان موسى بن نصير قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رتَّبه من الرجال إلى إلبيرة وتُدمير؛ لفتحها، ومضى إلى إلبيرة ففتحها، وضمّ بها إلى غرناطة اليهود مستظهرًا بهم على النَّصر، ثم مضى إلى كورة رَيُّه، ففتحها.

(١) راجع أخبار عبد الأعلى بن موسى بن نصير في نفح الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).
(٢) قارن بنفح الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَحْيُو

يكنى أبا محمد، أوّليته معروفة.

وفَسَد ما بين أبيه وبين جدّه، أمير المسلمين، بما أوْجب انْتِباذَه إلى سكنى مدينة سِجِلْماسة، مُعَزَّزَةً له ألقابُ السلطان بها، مُدَوَّخا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسّدّ الكبير الشهير، وقُصور الملك. فلمّا نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن، وأمضى قِتْلَته بالفِصاد، نشأ ولده، وهم عدّة بباب عمّهم، يَسَعُهم رِفْدُه، ويقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابْنه السلطان أبو عِنان، عندما تصيّر الأمر إليه، فاستقرُّوا بغرناطة تحت برٌ وجراية، قَلِقًا بمكانهم من جَلاهم ومن بعده، لإشارة عيون التّرشيح إليهم، مغازلة من كثب، وقعودهم بحيث تَعْثُر فيهم المظَنّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.

حاله: هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصِّيانة ودَمَث الخُلُق وحسن المداراة، يألف أهل الفضل، خاطبٌ للرُّتبة بكل جهد وحيلة، وسُدَّ عنه باب الأطماع. حُذِّر من كان له الأمر بالأندلس من لَدُن وصوله؛ كي لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرْف وجوه أهله إلى غزو عدو المِلّة، ومُحَوّلي القِبلة، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسْلمة، وربما يميت عنهم الحركات والهموم، فتَثَقَّفوا من فيها عليهم، إلى أن تبرأ ساحتهم ويُظن به السكون. فلمّا دالت الدولة، وكانت للأخابث الكرّة، واستقرّت بيد الرئيس الغادر الكرّة، وكان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، وليّ مُلْك الأندلس، المُزْعج عنها بعلّة البَغْي، ذهب الدّابل الأخرق إلى المقارضة، فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تِلِمْسان بعد مفاوضة، فكان ذلك في أُخريات ذي قعدة، وقد قُضي الأمر في السلطان أبي سالم، وانحلّت العُقْدة، وانْتَكَثت المريرة، وولّى الناس الرجل المعتوه، وفَد إلى تِلمسان من لم يَرْض محلّه من الإدالة، ولا قويت نفسه على العِوض، ولا صابَرَت غضّ المخافة، وحرّك ذلك من عزمه، وقد أنجده السلطان مُسْتدعيه بما في طَوْقه. ولما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، ومُعْمِل التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حذّر من لحق به من أضداده، فصمّم على الحصار، واسْتَراب بالقَبيل المَرِيني، وأكْثَف الحجاب دونهم بما يحرّك أنَفَتهم، فَنَفَروا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعمائة، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجّهت إليه

وجوههم اتّفاقًا، وانثالوا عليه اضطرارًا، ونازل البَلَد الجديد، دار الملك من مدينة فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. واضطربت المحلّات بظاهره، وخرج إليه أهل المدينة القُدْمى، فأخذ بيعتهم، وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطباتها.

ومن ذلك ما خوطب به من مدينة سَلا، وأنا يومئذ بها: [الخفيف]

يـا إمـام الـهـدى، وأيّ إمـام أوْضِـحِ الحقّ بَعْدَ إخْفاءِ رَسْمِهْ
أنت عبدُ الحليم حِلْمُكَ نَرْجو فـالمُسَمّى له نصيبٌ من اسْمِهْ

وسَلك مَسْلكًا حسنًا في الناس، وفَسح الآمال، وأجمل اللقاء، وتَحمّل الجفاء، واستفزّ الخاصة بجميل التأنّي وأخْذِ العفو، والتّظاهر بإقامة رسوم الدّيانة، وحارب البلد المحصور في يوم السبت الثالث عشر لشهر الله المحرم المذكور، كانت الملاقاة التي برز فيها وزير المُلك ومُدير رحاه بمن اشتملت عليه البلدة من الرّوم والجند الرُّحل، واستُكْثِر من آلات الظهور وعُدد التّهويل، فكانت بين الفريقين حربٌ مرّة تولّى كبرها النّاشِبة، فأرسلت على القوم حَواصب النّبل، غارت لها الخَيْلُ، واقشعرّت الوجوه، وتقهقرت المواكب. وعندها بَرَز السلطان المعْتُوه، مصاحبةً له نَسمة الإقدام، وتهوُّر الشجاعة عند مفارقة الخلال الصّحيّة، وتوالت الشدات، وتكالَبت الطّائفة المحصورة، فتمرّست بأُختها، ووقعت الهزيمة ضَحْوة اليوم المذكور على قَبِيل بني مرين ومن لَفّ لفّهم، فصَرَفوا الوجوه إلى مدينة تازِي، واستقرّ بها سلطانهم، ودخلت مِكناسة في أمرهم، وضاق ذَرْع فاس للمُلْك بهم، إلى أن وصل الأمير المُستَدعى، طِيّة الصبر، وأجدى دَفع الدَّين، ودخل البلد في يوم الاثنين الثاني والعشرين لصفر من العام. وكان اللقاءُ بين جيش السلطان، لنظر الوزير، مُطْعَم الإمهال ومُعَوّد الصُّنع. وبين جيش بني مرين، لنظر الأخ عبد المؤمن ابن السلطان أبي علي، فرحل القوم من مِكناسة، وفرّ عنهم الكثير من الأولياءِ، وأخْلَوْا المَرْصَة، واستقرّوا أخيرًا ببلد أبيهم سِجِلْماسة، فكانت بين القوم مُهادنة. وعلى أثرها تَعَصّب للأخ عبد المؤمن معظم عرب الجهة، وقد برز إليهم في شأن استخلاص الجباية، فرجعوا به إلى سِجلماسة. وخرج لمدافعتهم الأمير عبد الحليم، بمن معه من أشياخ قبيله والعرب أولى مظاهر، فكانت بينهم حرب أجْلَت عن هزيمة الأمير عبد الحليم، واستَلْحم للسّيف جملة من المشاهير، كالشيخ الخاطب في حَبْله، جِذْن النُّكْر وقادح زَنْد الفِتنة، الدّاين بالحَمْل على الدول على التفصيل والجُمْلة، المُعْتمد بالمغرب بالرأي والمشورة، يحيىٰ بن رحّو بن مَسْطى وغيره. وأذعن عبد الحليم بعدها للخَلْع، وخرج عن الأمر لأخيه، وأُبقي عليه، وتحرّج من

قتله، وتُعْرُف لهذا الوقت صَرْفُه عنه إلى الأرض الحجازية على صحراءِ القِبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحَضْرة مع الجملة من إخوته وبني عمِّه في...[1]. جَلاهم السلطان أبو عنان عندما تصيَّر له الأمر، فاستقرُّوا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشُدِّه.

وفاته: وتوفي...[1] وستين وسبعمائة.

عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَحْيُو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلًا وقورًا، سكونًا، نحيفًا، آية الله في جمود الكفِّ، وإيثار المَسْك، قليل المُداخلة للناس، مشتغلًا بما يُغْنيه من خُويصة نفسه، موصوفًا ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرَّك معه وابن أخ لهما، فتولّى كثيرًا من أمره، ولقي الهوْل دونه. ولمّا استقرُّوا بسِجِلماسة، كان ما تقرَّر من تَوْبته على أمره، والعمل على خَلْعه، مُعْتذرًا، زعموا إليه، موفيًا حقَّه، موجبًا تَجِلَّته إلى حين انصرافه، ووصل الأندلس خطابه يُعَرِّف بذلك بما نصُّه في المَدْرَجة.

ولم يَنْشِب أن أحسَّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره[2]، عامر بن محمد الهِنْتاتي، وعرض نفسه عليه، فاستدعاه، وبَذَل له أمانًا. ولما تحصَّل عنده، قبض عليه وثقَّفه، وشدَّ عليه يده، وحَصَل على طلبه دهِيَّة من التَّوعُّد بمكانه، واتخاذ اليد عند السلطان بكفِّ عادِيته إلى هذا التاريخ.

ومن الأفراد أيضًا في هذا الحرف وهم طارؤون

عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجَّه إلى المغرب، وجرت عليه الهزيمة من بني زيّان.

---

(١) بياض بالأصول.

(٢) نسبة إلى هسكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية، الضاربة في بلاد السوس جنوب شرقي مراكش، وغربي سِجِلْماسة.

حاله: كان صبيًا ظاهر السكون والأدب، في سِنّ المراهقة، لم يَنْشِب أن نازله جَيْشُ عدوِّه. ومالأه أهل البلد، وأخذ مَن معه لأنفسهم وله الأمان، فنزل عنها ولحق بالأندلس. قال في كتاب «طُرْفَة العصر»: وفي ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة، اتَّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن معه، بساحل شلوبانية[1]، مُفْلِتين من دَهْق الشِّدة، بما كان من منازلة جيش بني زيّان مدينة الجزائر، وقيام أهلها بدعوتهم، لما سموه من المطاولة، ونَهكهم من الفِتنة، وامتنع الأمير ومَن معه بقَصَبَتِها، وأخذوا لأنفسهم عهدًا، فنزلوا وركبوا البحر، فرافقتهم السَّلامة، وشملهم سِتْر العِصْمة. ولحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثَقِيلي الحِلْية، وما يناسب ذلك من بِزَّة، وعجَّل من خدامه بمن يقوم ببرِّه، وأصحبه إلى منزل كَرامته. ولرابع يوم من وصوله كان قُدومه، وبرز له السلطان بروزًا فخمًا، ونزل له، قارضًا إياه أحْسَنَ القَرْض؛ بما أسلفه من يَد، وأسداه من طَوْل. وأقام ضيفًا في جواره، إلى أن اسْتَدْعاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رِضًى منه، ولم يَنْشِب أن هلك مُغْتالًا في جُمْلةٍ أرْداهم الترشيح.

عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني[2]

يكنى أبا ملك[3]. وبيتُه في الموحِّدين الملوك بتونس. وأبوه سلطان إفريقية، المُتَرَقِّي إليها من رُتبة الشِّياخة الموحدية.

حاله: كان رجلًا طُوالًا نحيفًا، فاضلًا حَسِيبًا، مقيمًا للرُّسوم الحَسَبِيَّة، حسن العشرة، معتدل الطَّريقة. نشأ بالبلاد المشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، وتقلّد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرَّ عنها ولحق بالمغرب، وجاز إلى الأندلس، وقدم على سلطانها، فرحَّب به، وقابله بالبِرّ، ونوَّه محلّه، وأطْلَق جرايته، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدْوة، ووقعت بيني وبينه صُحبة، أنشدته عند وَداعه[4]: [المتقارب]

أبا ملكٍ، أنتَ نَجْلُ الملوكِ ... غيوثِ النَّدى وليوثِ النزالِ
ومِثْلُكَ يَرْتاحُ للمَكْرُمات ... وما لَك بين الورى من مثالِ

---

(١) شَلُوبانية أو شَلَوبينية: بالإسبانية: Salobrena، وهي قرية على ضفة البحر، بينها وبين المنكب عشرة أميال، يجود فيها الموز وقصب السكر. الروض المعطار (ص ٣٤٣).
(٢) أخبار عبد الواحد بن زكريا في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١).
(٣) في المصدرين السابقين: «أبا مالك».
(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٩ ص ١٩٦ - ١٩٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢).

عــزيــزٌ بــأنــفــســنــا أنْ نــرى رِكــابَــكَ مُــؤْذنَــةً بــارتــحــالِ
وقد خَبَرَتْ منك خُلقًا كريمًا أنـافَ عـلى درجـات الكـمـالِ
وفـازَتْ لـديـك بـسـاعـاتِ أُنْـسٍ كما زار في النَّوم[1] طَيْفُ الخيالِ
فـلولا[2] تـعـلَّلُنـا أنـنـا نَـزُورُكَ فـوق بِـسـاط الـجَـلال
ونـبلغُ فـيـك الـذي نَـشْـتَـهي[3] وذاك عـلى الله سَـهْـلُ[4] الـمَـنالِ
لـمـا فَـتَـرَتْ أنـفـسٌ مِـنْ أسًـى ولا بَـرِحَـتْ أدمعٌ فـي انْـهِـمـال
تَـلَقَّتْـكَ حيثُ احتَلَلْتَ السُّعودُ وكـان لـك الله فـي[5] كـلّ حـال

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأماثل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مَحْيُو

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله: كان شجاعًا عفيفًا تقيًا، وقورًا جَلِدًا، معروف الحقّ، بعيد الصِّيت. نازَع الأمرَ قومَه بالمغرب، وانتزى بمدينة تازي، على السلطان أبي الرَّبيع، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق ذَرْعه، فعبر فيمن معه إلى تِلمسان. ولما هَلَك أبو الربيع، ووَلِي السلطان أبو سعيد، قدّم للكُتْبِ في شأنه إلى سلطان الأندلس، وقد تعرَّف عزمَه على اللحاق، ولم ينشِب أن لحق بألمرية من تلمسان، فثُقِّف بها؛ قَضاءً لِحَقِّ من خاطب في شأنه. ثم بدا للسلطان في أمره، فأوْعَز لرُقبائه في الغَفْلة عنه، وفرَّ فلحق ببلاد النصري[6] فأقام بها، إلى أن كانت الوَقيعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية العَطْشا على يد طالبِ المُلْك أمير المسلمين أبي الوليد، وأُسِر يومئذ شيخ الغزاة حَمُّو بن عبد الحق، وترجَّح الرأي في إطلاقه وصَرْفِه، إعلانًا للتَّهديد، فنجحت الحيلة، وعُزل عن الخُطَّة، واستُدعي عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، وقُدِّم شيخًا على الغزاة. ولما تغلَّب السلطان أبو الوليد على الأمر، واسْتَوسق له، وكان ممن شمله أمانه، فأقرّه مرؤوسًا بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاءِ برهة. ثم لَحِق بأميره المخلوع

---

(١) في المصدرين: «في الليل».
(٢) في المصدرين: «ولولا».
(٣) في المصدرين: «نبتغي».
(٤) في الأصل: «وذاك على السَّهْل...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.
(٥) في الأصل: «على» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٦) المراد ببلاد النصري: أي بلاد النصارى.

نَصر، المستقرّ مُوادَعًا بوادي آش، وأوقع بجيش المسلمين مُظاهر الطاغية، الوقيعة الشّنيعة بقَرْمونة، وأقام لديه مُدَّة. ثم لحق بأرض النَّصْري، وأجاز البحر إلى سَبْتة، مظاهرًا لأميرها أبي عمرو يحيىٰ بن أبي طالب العَزَفي، وقد كشف القِناع في مُنابذة طاعة السلطان، ملك المغرب، وكان أملَك لما بيده، وأُتيح له ظَفَرٌ عظيم على الجيش المُضَيِّق على سبتة، فبيّته وهزمه. وتخلّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش في بيت من الخَشَب رهينةً، فصُرف عليه، فما شِئت من ذِياع شهرة، وبُعْد صيت، وكَرَم أُحدُوثة. ثم بدا له في التّحول إلى تِلمسان، فانتقل إليها، وأقام في إيالة ملكها عبد الرحمٰن بن موسى بن تاشُفِين إلى آخر عمره.

وفاته: توفي يوم دخول مدينة تلمسان عَنْوة، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة، قُتل على باب منزله، يُدافع عن نفسه، وعلى ذلك فلم يُشْهر عنه يومئذ كبير غِناءٍ، وكُوِّر واستُلْحم، وحُزَّ رأسه. وكان أُسوة أميرها في المَحْيا والمَمات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله وقُتل بِمَقْتله. وكان أيضًا عَلَمًا من أعلام الحروب، ومثلًا في الأبطال، وليثًا من لُيوث النّزال.

عبد الملك بن علي بن هُذيل الفَزاري وعبد الله أخوه[(١)]

حالهما: قال ابن مَسْعدة: أبو محمد وأبو مروان تولّيا خُطّة الوزارة في الدولة الحَبُوسِية[(٢)]، ثم تولّيا القيادة بثغور الأندلس، وقهرا ما جاورهما من العدُوّ، وغلباه، وسَقَياه كأس المنايا، وجرّعاه. ولم يزالا قائمين على ذلك، ظاهرين عَلَمين، إلى أن استُشْهدا، رحمهما الله.

عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

حاله: قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعرًا، نحويًا، لُغَويًا، كاتبًا متوقّد الذهن، عنده معرفة بالطِّب، ثم اعتَزل الناس، وانْقَبَض، وقصد سُكنى البِشارات[(٣)]؛ لينفَرد بها، ويُخْفي نفسه؛ فرارًا من الخدمة، فتهيأ له المُراد.

---

(١) راجع أخبارهما في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٩).

(٢) نسبة إلى حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، وقد حكم غرناطة في عصر ملوك الطوائف من سنة ٤١٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ. انظر أخباره مفصلة في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٥ ـ ١١٧).

(٣) البشارات أو البُشْرّات Alpujarras، هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ ـ ٢٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

شعره: وكان شاعرًا جيِّد القريحة سريع الخاطر، ومن شعره: [السريع]

يا صاحِ، لا تعرض لزَوْجِيَّة   كلُّ البَلا من أجلها يَغْتَري
الفَقْر والذُّلّ وطول الأسى   لستُ بما أذكره مُفْتَري
ما في فم المرأة شيءٌ سوى   اشْتَرِ لي واشْتَرِ لي واشْتَرِ

القضاة الفضلاء وأولًا الأصليون

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمٰن بن غالب ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي[١]

أوليته: من ولد زيد بن مُحارب بن عطيّة، نزل جدُّه عطية بن خِفاف بقرية قِسلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيرًا ممن له خطرٌ، وفيه فضل.

حاله: كان[٢] عبد الحق فقيهًا، عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة، مُقَيِّدًا حسن التَّقييد، له نظم ونثر، وُلِّي القضاء بمدينة ألمريَّة في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الدَّهاءِ والذكاءِ، والتَّهمُّم بالعِلْم، سَرِيَّ الهمَّة في اقتناءِ الكتب. توخّى الحق، وعَدَل في الحكم، وأعزَّ الخُطَّة.

مشيخته: روى[٢] عن الحافظ أبيه، وأبوي علي الغسّاني والصَّدفي، وأبي عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع، وأبي المُطَرِّف الشعبي، وأبي الحسين بن البيّان، وأبي القاسم بن الحصّار المُقري، وغيرهم.

تواليفه: ألَّف كتابه المسمى بـ «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبْدَع، وطار بحسن نِيَّته كل مطار. وألَّف برنامجًا ضمنه مَرْوِيّاته، وأسماءَ شيوخه، وحَرَّر وأجاد.

---

(١) يكنى عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي أبا محمد، وترجمته في الصلة (ص ٥٦٣) وقلائد العقيان (ص ٢٠٧) وبغية الملتمس (ص ٣٨٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦) وبغية الوعاة (ص ٢٩٥) ومعجم أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٦٥) والحلة السيراء (ج ١ ص ٦) والمغرب (ج ٢ ص ١١٧) ورايات المبرزين (ص ١٤٧) وقلائد العقيان (ص ٢٠٧) والديباج المذهب (ص ١٧٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

شعره: قال الملّاحي: ما حدَّثني به غير واحد من أشياخه عنه، قوله[١]: [البسيط]

وليلةٍ جُبْتُ فيها الجَزْعَ[٢] مُرتديًا
بالسيْفِ أسْحَبُ أذيالًا مِنَ الظُّلَمِ

والنَّجْمُ حَيْرانُ في بَحْرِ الدُّجا غَرِقٌ
والبَدْر[٣] في طَيْلَسانِ اللَّيلِ كالعَلَمِ

كأنَّما اللَّيلُ زَنْجِيٌّ بكاهله
جُرْحٌ فيَثْعَبُ[٤] أحيانًا له بدَمِ

وقال يَنْدب عهد شبابه[٥]: [البسيط]

سَقْيًا لعهدِ شبابٍ ظَلْتُ أمْرَحُ في
رَيْعانه وليالي العَيْش أسْحارُ

أيامُ رَوْضِ الصِّبا لم تَذْوِ أغْصُنُهُ
ورَوْنَقُ العُمْر غَضٌّ والهوى جار[٦]

والنَّفْسُ تُرْكِضُ في تضْميِن ثَرْتها
طِرْفًا له في زمان اللَّهْو إحضار[٧]

عَهْدًا كريمًا لَبِسْنا منه[٨] أرْدِيةً
كانت عُيونًا ومَحَتْ[٩] فهْيَ آثار

---

(١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨) ورايات المبرزين (ص ١٤٧ ـ ١٤٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٤).

(٢) في الأصل: «جبت فيها الجذع»، وقد فضلنا ما جاء في المصادر الثلاثة.

(٣) في القلائد: «والبرق فوق رداء الليل...». وفي الرايات والنفح: «والبرق» بدل «والبدر».

(٤) في الأصل: «فيثغب» بعين معجمة، والتصويب من المصادر الثلاثة. وثعب: يجري ويسيل. لسان العرب (ثعب).

(٥) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٦) في الأصل: «حمار» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٧) في القلائد: «في رهان اللهو». وفي النفح: «... في تضمير شِرَّتها...». والشِّرّة: الجِدّة والنشاط.

(٨) في المصدرين: «... لبسنا منه أردية كانت عيانًا...».

(٩) في الأصل: «ومُحيت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

مَضى وأبقى بقلبي منه نارَ أسًى
كُوني سلامًا وبَرْدًا[١] فيه يا نار
أبعدَ أن نَعِمَتْ نفسي وأصبح في
ليلِ الشبابِ لِصُبْحِ الشَّيبِ إسفار[٢]
ونازَعتني الليالي وانثَنتْ كِسَرًا[٣]
عن ضَيغَم ما له نابٌ وأظفار
إلّا[٤] سلاحَ خِلالٍ أُخلِصَتْ فلها
في مَنْهلِ المجد إيرادٌ وإصدار
أصْبو إلى روض عَيْشٍ رَوْضُه خَضِلٌ[٥]
أو يَنْثَني بي عن اللُّقاءِ[٦] إقْصار
إذًا فَعَطَّلْتُ[٧] كفّي من شَبا قلم
آثارُه في رِياض العِلْم أزهار

مَن روى عنه: روى عنه أبو بكر بن أبي جَمْرة، وأبو محمد بن عبد الله، وأبو القاسم بن حُبَيْش، وأبو جعفر بن مَضاء، وأبو محمد عبد المنعم، وأبو جعفر بن حَكم، وغيرهم.

مولده: ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وفاته: توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لُورَقَة[٨]. قَصَد مرسية[٩] يتولّى قضاءَها، فَصُدَّ عنها، وصُرف منها إلى لُورَقَة، اعتداءً عليه.

---

(١) في الأصل: «أو بردًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٢) في الأصل: «أسفار» بفتح الهمزة، والتصويب من المصدرين.
(٣) رواية صدر البيت في المصدرين هي:
وقارعَتْني الليالي فانثنتْ كسرا
(٤) في الأصل: «ألّا» والتصويب من المصدرين.
(٥) رواية صدر البيت في القلائد هي:
أصبو إلى خفض عيش دَوْحُهُ خَضِلٌ
(٦) في الأصل: «اللقيا» وهكذا ينكسر الوزن. وفي القلائد والنفح: «العَلْياء».
(٧) في الأصل: «إذا تَعَطَّلَتْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٨) في الصلة (ص ٥٦٤) توفي في سنة ٥٤٢ هـ، دون أن يحدد ابن بشكوال المدينة التي توفي بها. وفي بغية الملتمس (ص ٣٨٩): توفي بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦): توفي سنة ٥٤٢ هـ بحصن لورقة. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٥): توفي بأورقة في ٢٥ رمضان سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٦ هـ.
(٩) في القلائد والنفح: «قصد ميورقة».

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي[١]

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الفَرَس، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظًا جليلًا، فقيهًا، عارفًا بالنحو واللغة، كاتبًا بارعًا، شاعرًا مَطْبوعًا، شهير الذكر، عالي الصِّيت. وُلّي القضاء بمدينة شُقْر، ثم بمدينة وادي آش، ثم بجيّان، ثم بغرناطة، ثم عُزل عنها، ثم وَلِيها الولاية التي كان من مُضمَّن ظَهِيره بها قول المنصور[٢] له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣]، وجعل إليه النظر في الحِسْبة، والشُّرطة، وغير ذلك، فكان إليه النظر في الدِّماء فما دُونها، ولم يكن يُقْطع أمرٌ دُونه ببلده وما يرجع إليه.

وقال ابن عبد الملك: كان[٤] من بيت عِلْم وجلالة، مُسْتَبْحرًا في فنون المعارف على تفاريقها، متحقّقًا بها، نافذًا فيها، ذكيّ القلب، حافظًا للفقه. استَظْهر أوان طَلَبِه الكِتابين[٥]: المُدَوَّنة، وكتاب سيبويه وغيرهما، وعُني به أبوه وجَدُّه عناية تامة. وقال أبو الربيع بن سالم[٦]: سمعت أبا بكر بن الجدّ، وحَسْبُك به[٧] شاهدًا، يقول غير ما[٨] مرة: ما أعْلَمُ بالأندلس أحْفَظَ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفَرَس، بعد أبي عبد الله بن زَرْقون.

مشيخته: روى[٩] عن أبيه الحافظ أبي عبد الله، وعن جَدّه أبي القاسم، سمع عليهما وقرأ، وعن أبي بكر بن النَّفِيس، وأبي الحسن بن هُذيل، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، وأبي عامر محمد بن أحمد

---

(١) ترجمة عبد المنعم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ١٢٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٢) وبغية الوعاة (ص ٣١٥) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والديباج المذهب (ص ٢١٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٧٦) ورايات المبرزين (ص ١٤٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨).

(٢) هو الخليفة الموحدي يعقوب بن يوسف، الذي حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ١٧٠).

(٣) سورة الأعراف ٧، الآية ١٤٢.

(٤) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠).

(٥) في الأصل: «للكتابين» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢).

(٧) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) كلمة «ما» ساقطة في الذيل والتكملة.

(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨ ـ ٥٩).

الشَّلْبي، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن، ابني زيادة الله. هذه جملة مَن لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه، وأجاز له من غير لقاءٍ، وبعضهم باللّقاءِ من غير قراءة؛ ابنُ ورد، وابن بَقِي، وأبو عبد الله بن سليمان التونسي، وأبو جعفر بن قبلال، وأبو الحسن بن الباذش، ويونس بن مغيث، وابن مُعَمَّر، وشُريح، وابن الوحيدي، وأبو عبد الله بن صاف، والرُشاطي، والحِمْيري، وابن وضّاح، وابن موهب، وأبو مروان الباجي، وأبو العباس بن خلف بن عيشون، وأبو بكر بن طاهر، وجعفر بن مكّي، وابن العربي، ومساعد بن أحمد بن مساعد، وعبد الحق بن عطية، وأبو مروان بن قُزْمان، وابن أبي الخِصال، وعياض بن موسى، والمَازَرِي، وغيرهم.

تواليفه: ألّف عدة تواليف، منها «كتاب الأحكام»(١)، ألّفه وهو ابن خمسة وعشرين عامًا، فاستوفى ووفّى، واختصر الأحكام السلطانية، وكتاب النَّسب لأبي عبيد بن سلام، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين، وكتاب المُحْتَسب لابن جنّي. وألّف كتابًا في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة، وكتابًا في صناعة الجدَل، وردّ على ابن غَرْسِيَّة في رسالته في تفضيل العجم على العرب. وكتب بخطه من كتب العربية واللغة والأدب والطب وغير ذلك.

مَن روى عنه: حدّث(٢) عنه الحافظ أبو محمد القرطبي، وأبو علي الرُّندي، وابنا حَوْطِ الله، وأبو الربيع بن سالم، والجمُّ الغفير.

شعره: [الطويل]

أبى ما بقلبي اليوم أنْ يتكَتَّما ... وحَسْبُك بالدمع السَّفوح مُتَرْجِما

وأعْجِبْ به مِنْ أخْرَسٍ بات مُفْصِحا ... يُبَيِّنُ للواشينَ ما كان مُبْهما

فكم عَبْرة في نهْر شُقْرٍ بَعَثْتُها ... سباقًا فأمسى النهرُ مُخْتَضبًا دما

يُرَجِّعُ ترجيع الأنين اضطرارُه ... كشكْوى الجَريح للجريح تألُّما

كَمَلْن بصحبي فَوقه(٣) الدَّمْعُ ناثرٌ ... شَقائقَ نُعْمانٍ على مَتْنِ أرْقما

ولله ليلٌ قد لَبِسْتُ ظلامه ... رِداءً(٤) بأنوار النجومِ مُنَمْنَما

---

(١) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١) أن «أحكام القرآن» من أجلّ مصنفاته.

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩ ـ ٦٠).

(٣) في الأصل: «في فوقة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «رادًا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

أناوح فيه الورْق فوق غصونها فكم أورقٍ منهنّ قد باب مُعْجما
وما ليَ إلّا الفرقَدين[1] مُصاحب ويا بُعْد حالي في الصَّبابة منهما
أبيتُ شَتِيت الشَّمْلِ والشَّمْلُ فيهما جَميعٌ كما أبْصَرْتُ عِقدًا مُنَظَّما
فيا قاصدًا تُدْمِيرَ، عَرِّج مُصافحا نُسائِلْكَ[2] رَسْمًا بالعَقيق ومَعْلَما
واعْلِمْ بأبواب السلام صَبابتي كما كان عَرْفُ المِسْك بالمسك عَلْما
وإن طُفْت في تلك الأجارع لا تُضِعْ بحقّ هواها إن[3] تُلِمَّ مُسَلِّما
وما ضرّها لو جاذَبَتْ ظَبْيَة النَّقا فضول رداه قد تَغَشَّته مُعْلَما
فيُثْني قضيبًا أثْمَرَ البدر مائسًا بحَقْفٍ مَسيل لفّه السَّيْل مُظْلما
وما كنتَ إلّا البدر وافى غمامةً فما لاح حتى غاب فيها مُغَيَّما
وما ذاك مِنْ هَجْرٍ ولكن لِشَقْوةٍ أبَتْ أن يكون الوَصْل منها مُتَمَّما
فيا ليتني أصْبَحْتُ في الشِّعْر لَفْظة تُرَدِّدُني مهما أردتَ تَفَهُّما
ولله ما أذكى نَسيمك نَفْحةً ألَنْتَ أعَرْتَ الرَّوضَ[4] طِيبًا تَنَسَّما؟
ولله ما أشْقَى لِقاءكَ[5] للجَوى كأنّك قد أصبحت عيسى ابن مَرْيما
وما الرّاح بالماءِ القَراح مشوبةً بأطْيَبَ من ذِكراك إن خامَرَتْ فَما
فما لي وللأيام قد كان شَمْلُنا جَميعًا فأضحى في يَدَيْها مُقَسَّما
ولمّا[6] جَنَيْتُ الطِّيب من شَهْد وَصْلها جَنَيْتُ من التَّبديد للوصل عَلْقما
وقد ذُقْتُ طَعْمَ البَيْن حتى كأنني لألْفَةِ مَنْ أهواه ما ذُقْتُ مَطْعَما
فمن لفؤادٍ شَطْرُهُ حازَهُ الهوى وشَطْرٌ لإحراز الثواب مُسَلِّما
ويا ليت أنّ الدّار حان مزارُها فلو صَحّ قُرْبُ الدار أدْرَكْتُ مَغْنما
ولو صَحّ قُرْبُ الدار لي لَجَعَلْتُه إلى مُرْتقى السُّلوان والصَّبْر سُلَّما
فقد طال ما ناديت سِرًّا وجَهْرة عسى وَطَنٌ يَدْنو بهم ولَعَلَّما؟

(١) في الأصل: «للفرقدين»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٢) في الأصل: «نسألك» وكذا ينكسر الوزن.
(٣) في الأصل: «إن لم تُلِمّ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «لم».
(٤) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «لقاك» وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «وما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن شعره: [الطويل]

سلامٌ على مَنْ شَفَّني بُعْدُ داره وأصْبَحْتُ مشغوفًا بقرب مزارِهِ
ومن هو في عَيني ألذُّ من الكَرى وفي النفس أشهَى مِنْ أمانِ المكارِهِ
سلام عليه كلّما ذَرَّ شارقٌ يَنُمُّ كَعَرْفِ الزَّهْرِ غَبّ قطارِهِ
لعَمْرك ما أخشى غداةَ وداعنا وقد سَعَرَتْ في القلب شعلةُ ناره
وسال على الخَدَّينِ دَمْعٌ كأنه بقيّةُ طَلِّ الروضِ[1] في جُلّناره
وعانقْتُ منه غُصْنَ بانٍ مُنَعَّمًا ولاحَظْتُ منه الصُّبْحَ عند اشتهاره
وأصبحْتُ في أرضٍ وقلبي بغيرها وما حالُ مَسْلوبِ الفؤاد مُكاره
نأى وَجْهُ مَنْ أهوى فأظلم أفْقُهُ وقد غاب عن عينيه شمسُ نهاره
سَلِ البَرْقَ عن شَوْقي يُخَبِّرْكَ بالذي أُلاقيه من بَرْح الهوى وأُواره
وهل هو إلّا نار وَجْدي وكلّما تَنَفَّسْتُ عَمَّ الجوَّ ضَوْءُ شراره

ومن شعره أيضًا رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

إقرأ على شِنْجِلٍ[2] سلامًا أطْيَبَ مِنْ عَرْفه نَسيما
مِنْ مُغْرَم القلب ليس ينسى مَنْظَره الرائق الوَسيما
إذا رأى مَنْظَرًا سواه عاف الجَنَى منه والشّميما
وإن أتى مَشْرَبًا حميدًا كان وإن راقه ذَميما
وقِفْ بِنَجْدٍ وقوفَ صَبٍّ يستذكرُ الخِذْنَ والحَميما
واندُبْ أراكًا بشُعْب رَضْوى قد رَجَعَتْ بعدنا مَشيما
واذْكُرْ شبابًا مضى سريعًا أصبحْتُ مِنْ بَعْده سقيما
هيهات ولّى وجاء شَيْبٌ وكيف للقلب أن يَهيما؟
ما يُصْلح الشَّيبَ غير تقوى تَحْجُب عن وجهه الجَحيما
في كل يوم له ارتحال أعْجِبْ به ظاعنًا مقيما
ما العُمْرُ إلّا لديه دَيْنٌ قد آن أن يقضيَ الغريما

---

(١) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) شنجل وشنجيل وشنيل: بالإسبانية Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يمرّ بلوشة وإستجة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ ـ ٤٩).

فَعُدْ إلى توبةٍ نَصوحٍ وارْجُ إلـهَنا بنا رَحيما
قد سبق الوعد منه حتى أطْمَعَ ذا الشِّقوة النَّعيما

مولده: في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة[1]. وشهد دفنه بباب إلبيرة الجَمُّ الغفير، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفّهم ومزّقوه. وأمر أن يُكتب على قبره: [الطويل]

عليك سلامُ الله يا من يُسَلِّمُ ورحمتُه ما زُرْتَني تترحَّمُ
أتَحسَبُني وَحْدي نُقِلْتُ إلى هنا؟ سَتَلْحق بي عمّا قريبٍ فتَعْلَمُ
ألا قُلْ[2] لمن يُمْسي لدنياه مُؤْثِرا ويُهْمِلُ أُخْراهُ سَتَشْقى وتَنْدَمُ
فلا تَفْرَحَنْ إلّا بتقديمِ طاعةٍ فذاك الذي يُنْجي غدا ويُسَلِّمُ

ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى ابن باسيو بن تاذَرَت التَّنمالي اليدرازتيني ثم الواغديني

أصله من تِينْمَلّل[3]، من نظر مَرّاكُش، وانتقل جدُّه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية. ونشأ عبد الملك ببجاية، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين. وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة.

حاله: من تعريف شيخنا أبي البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين. وكان مع ذلك، رجلًا كريم النفس، صادق اللَّهجة، سليم الصدر، مُنصفًا في المذاكرة. قلتُ: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده إفريقية. وثبتُ اسمه في «عائد الصلة» بما نصُّه: الشيخ الأستاذ القاضي، يكنى أبا محمد. كان، رحمه الله، من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصْلين، صحيح

(١) كذا جاء في التكملة (ص ١٢٨) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٣). وفي بغية الوعاة (ص ٣١٥) والديباج المذهب (ص ٢١٨): توفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٢) في الأصول: «فيا» بدل: «ألا قُلْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تِينُ مَلّل أو تِينمَلّل، بميم مفتوحة واللام الأولى مشدّدة مفتوحة: جبال بالمغرب، كان بها سرير ملك بني عبد المؤمن. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصالة. بَثَّ في الأندلس علم أصول الفقه، وانتُفع به. وتصرّف في القضاءِ في جِهات.

مشيخته: منقولًا من خطّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصّدر أبي علي بن عنوان، والشيخ أبي الطاهر بن سرور، والإمام أبي علي ناصر الدين المِشْدالي، والشيخ أبي الشّمل جماعة الحلبي، والشيخ أبي الحجاج بن قَسُّوم وغيرهم. ومن خط المحدّث أبي بكر بن الزيات: يحمل عن أبي الطاهر بن سرور، وعن أبي إسحٰق بن عبد الرفيع.

تواليفه: من تواليفه: «المعاني المُبْتكرة الفكرية، في ترتيب المعالم الفِقهية»، «والإيجاز، في دَلالة المجاز»، ونُصرة الحق، وردُّ الباغي في مسألة الصَّدَقة ببعض الأضحية، والكُرّاس الموسوم[1] بـ«المباحث البديعة، في مقتضى الأمر من الشريعة».

مولده: ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة.

وفاته: وتوفي قاضيًا بشالش يوم الجمعة، وهو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة. ودفن بجبانة باب إلبيرة بمقربة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي. وكانت جنازته مشهورة.

ومن المقرئين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مِرْداس السلمي[2]

أصله من قرية قورت، وقيل: حصن واط من خارج غرناطة، وبها نشأ وقرأ.

حاله: قال ابن عبد البَر: كان جَمّاعًا للعلم، كثير الكُتُب، طويل اللسان، فقيهًا، نحويًا، عَروضيًا، شاعرًا، نسّابة، إخباريًا. وكان أكثر من يختلف إليه الملوك

(١) في الأصل: «المرسوم».

(٢) يكنى عبد الملك بن حبيب أبا مروان، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٥٩). وفيه: «جاهمة» بدل «جلهمة»، وجذوة المقتبس (ص ٢٨٢) والمغرب (ج ٢ ص ٩٦) وبغية الوعاة (ص ٣١٢) وبغية الملتمس (ص ٣٧٧) ومطمح الأنفس (ص ٢٣٣) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١١٠) والديباج المذهب (ص ١٥٤) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤) مادة إلبيرة ونفح الطيب (ج ١ ص ٥٢) و(ج ٢ ص ٢٢٦).

وأبناؤهم. قال ابن مخلوف: كان يأتي إلى معالي الأمور. وقال غيره: رأيته يخرج من الجامع، وخلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالبِ حديثٍ، وفرائض، وفقه، وإعراب. وقد رتِّب الدُول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يُقرأ عليه فيها شيء إلّا تواليفه وموطأ مالك. وكان يلبس الخَزّ والسَّعيد. قال ابن نمير: وإنما كان يفعله إجلالًا للعلم، وتَوْقيرًا له. وكان يلبس إلى جسمه ثوب شَعْر، وكان صوّامًا قوّامًا. وقال المغامي[1]: لو رأيتَ ما كان على باب ابن حبيب، لازْدَرَيْتَ غيره. وزعم الزُّبيدي أنه نُعي إلى سُحْنون[2] فاسترجع، وقال: مات عالم الأندلس. قال ابن الفَرَضي: جمع[3] إلى إمامته في الفقه التبحبح في الأدب، والتفنُّن في ضروب العلوم، وكان فقيهًا مُفْتيًا. قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقي: كان له أرضٌ وزيتون بقرية بِيرة من طوق غرناطة، حَبَس جميع ذلك على مسجد قرطبة. وله ببيرةَ مسجدٌ ينسب إليه. وكان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين والخميس إلى مسجده ببيرة، فيُقْرأ عليه، وينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صَعْصَعة بن سلّام، والغازي[4] بن قيس، وزياد بن عبد الرحمٰن. ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رحلته من قريته بفحص غرناطة[5]، وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، ومطرِّف بن عبد الله، وأصْبَغ بن الفَرَج، وابنه موسى، وجماعة سواهم. وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهورًا. وعاد إلى إلبيرة، إلى أنْ رَحَّلَهُ عبدُ الرحمٰن بن الحكم إلى قرطبة، في رمضان سنة ثماني[6] عشرة ومائتين.

مَن روى عنه: سمع منه ابناه محمد وعبد الله، وسعيد بن نمر، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شُعيب، ومحمد بن فُطيس. وروى عنه من

---

(١) هو إبراهيم بن المنذر المغامي كما في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤).

(٢) سحنون: هو لقب القاضي عبد السلام بن سعيد بن حبيب الشوفي، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ. ترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٧) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٣) والديباج المذهب (ص ١٦٠) وقضاة قرطبة (ص ١٣٠) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٩٤) وكتاب الوفيات (ص ١٧٤).

(٣) قول ابن الفرضي لم يرد حرفيًا في كتابه (تاريخ علماء الأندلس ص ٤٦٢) كما هنا.

(٤) في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤): «والغاز بن قيس».

(٥) فحص غرناطة: هو مرج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيح وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada، يقع غربيّ غرناطة، ويمتد غربًا حتى مدينة لوشه. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

(٦) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

عظماءِ القرطبيين، مطرِّف بن عيسى، وبَقِي بن مَخْلد، ومحمد بن وضَاح، والمقامي في جماعة.

تواليفه: قال أبو الفضل عِياض بن موسى، في كتابه في أصحاب مالك[(١)]: قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كُتُبك التي ألفت؟ قال: ألفُ كتاب وخمسون كتابًا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، وكتب أجواد قريش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابًا، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب، وكتب الباه والنساءِ ثمانية، وغير ذلك. ومن كتب سماعاته في الحديث والفقه، وتواليفه في الطب، وتفسير القرآن، ستُّون كتابًا. وكتاب المغازي، والنّاسخ والمَنْسوخ، ورغائب القرآن، وكتاب الرُّهون والحِدثان، خمسة وتسعون كتابًا. وكتاب مقام رسول الله ﷺ، اثنان وعشرون كتابًا، وكتاب في النَّسب، وفي النجوم، وكتاب الجامع، وهي كتب فيها مناسِك النّبي، وكتاب الرَّغائب، وكتاب الوَرَع في المال، وكتاب الرِّبا، وكتاب الحُكْم والعَدْل بالجوارح. ومن المشهورات الكتاب المسمّى بالواضِحة. ومن تواليفه كتاب إعراب القرآن، وكتاب الحِسْبة في الأمراض، وكتاب الفرائض، وكتاب السَّخاءِ واصْطِناع المعروف، وكتاب كراهية الغِناءِ.

شعره: أنشد ابن الفرضي ممّا كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين[(٢)]: [الطويل]

أحبُّ بلادَ الغربِ والغَرْبُ موطني ... ألا كلُّ غَربيّ إليَّ حبيبُ
فيا جَسَدًا أضناه شوقٌ كأنّه ... إذا انْتُضِيَتْ عنه الثِّياب قَضِيبُ
ويا كبِدًا عادتْ زمانًا كأنما ... يُلَذِّعُها بالكاويات طَبيبُ
بُليت وأبلاني اغترابي ونأيه ... وطولُ مقامي بالحجاز أجُوبُ
وأهلي بأقْصَى مغرب الشمس دارُهُمْ ... ومن دونهمْ بَحْرٌ أجشُّ مَهِيبُ
وهَوْلٌ كَرِيهٍ لَيْلُه كنهاره ... وسَيْرٌ حَثِيثٌ للرِّكاب دؤوب
فما الداءُ إلّا أن تكون بغُربَةٍ ... وحَسْبُكَ داءً أن يُقال غريبُ
فيا ليت شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... بأكْناف نَهرِ الثَّلج حين يصوب
وحَوْليَ أصحابي وبنتي وأمُّها ... ومَعْشَرُ أهلي والرؤوف مُجيب

(١) هو كتاب «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك».
(٢) الأبيات غير واردة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.

وكتب إلى الأمير عبد الرحمٰن في ليلة عاشوراءِ[١]: [البسيط]

لا تَنْسَ لا يُنْسِكَ الرحمٰنُ عاشورا[٢] واذْكُرْهُ لا زِلْتَ في الأحياءِ[٣] مَذْكُورا
قال الرسول[٤]، صلاةُ اللهِ تَشْمَلُهُ، قَوْلًا وَجَدْنا عليه الحَقَّ والنُّورا
مَنْ باتَ في لَيْلِ عاشوراءَ ذا سَعَةٍ يَكُنْ بعَيْشه في الحَوْلِ مَحْبُورا
فارْغَبْ، فَدَيْتُك، فيما فيه رَغْبَتُنا[٥] خَيْرُ الوَرى كُلِّهِمْ حَيًّا ومَقْبُورا

وفاته: توفي في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين ومايتين[٦]. قال ابن خَلَف: كان يقول في دعائه: إن كنت يا ربُّ راضيًا عني، فاقبضني إليك قبل انقضاءِ سنة ثمان وثلاثين، فقبضه الله في أحبِّ الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية وثلاثين، وهو ابن أربع وستين سنة[٧]، وصلّى عليه ولده محمد، ودفن بمقبرة أُم سَلْمة بقِبلي محراب مسجد الضِّيافة من قرطبة. قالوا: والخبر متصل، إنه وُجد جسده وكفَنُه وافرين لم يتغيَّرا بعد وفاته، بتسع وأربعين سنة، وقُطعت من كفنه قطعة رُفعت إلى الأمير عبد الله، وذلك عندما دُفن محمد بن وضّاح إلى جنبه، رحمهم الله. ورثاه أبو عبد الله الرشّاش وغيره، فقال: [الطويل]

لئن أخَذَتْ منّا المنايا مُهَذَّبا وقد قَلَّ فيها من يُقالُ المُهَذَّبُ
لقد طاب فيه الموتُ والموتُ غِبْطَةٌ لمن هو مَغْمُومُ الفؤادِ مُعَذَّبُ

ولأحمد بن ساهي فيه: [البسيط]

ماذا تَضَمَّنَ قَبْرٌ أنتَ ساكنُهُ من التُّقى والنَّدى يا خير مفقود
عجبتُ للأرض في أن غَيَّبَتْكَ وقد ملأتَها حِكَمًا في البيض والسُّود

قلت: فلو لم يكن من المفاخر الغرناطية إلا هذا الخَبَر لكفى.

---

(١) الأبيات الأول والثالث والرابع في البيان المغرب (ج ٢ ص ١١١)، والبيتان الأول والثاني فقط في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٦)، كتبها إلى أمير الأندلس عبد الرحمٰن بن الحكم، المعروف بعبد الرحمٰن الثاني.
(٢) في الأصل: «عاشوراء» والتصويب من المصدرين.
(٣) في البيان المغرب: «في الأخيار». وفي النفح: «في التاريخ».
(٤) في النفح: «النبيُّ». (٥) في البيان المغرب: «رَغَّبَنا».
(٦) في جذوة المقتبس (ص ٢٨٣) وبغية الملتمس (ص ٣٧٧): توفي بقرطبة في شهر رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٢٣٩ هـ.
(٧) في مطمح الأنفس (ص ٢٣٥): توفي في رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٥): توفي سنة ٢٣٨ هـ. بعلّة الحَصى عن أربع وستين سنة.

ومن الطارئين عليها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السَّداد الأموي المالقي، الشهير بالباهِلي(١)

حاله: كان، رحمه الله، بعيدَ المدى، منقطع القرين في الدِّين المتين والصلاح، وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحُسْن الخُلُق، إلى وسامة الصُّورة، وملاحة الشَّيْبة، وطيب القراءة، مولى النِّعمة على الطَّلَبة من أهل بلده، أستاذًا حافلًا، متفنّنًا، مضطلعًا، إمامًا في القراءات، حائزًا خَصْل السباق إتقانًا، وأداءً، ومعرفة، ورواية، وتحقيقًا، ماهرًا في صناعة النحو، فقيهًا، أُصوليًّا، حسن التعليم، مستمرّ القراءة، فسيح التَّخليق، نافعًا، متحبّبًا، مقسُوم الأزمنة على العِلم وأهله، كثير الخضوع والخشوع، قريب الدَّمْعة. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير، وكان من مفاخره، وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، وعلى المقرىء الضَّرير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف السُّهيلي، والرَّاوية أبي الحجاج ابن أبي ريحانة المَرْبليّ. وكتب له بالإجازة العامة الرّاوية أبو الوليد العطار، والإمام أبو عبد الله بن سمعون الطائي. وسمع على الراوية أبي عمر عبد الرحمٰن بن حَوْط الله الأنصاري. وقرأ على القاضي أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الحِجْري، الشهير بالسُّكُوت المالقي، وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطَّنْجالي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ، رحمه الله.

تواليفه: شرح التَّيسير في القراءات. وله تواليفُ غَيْره في القرآن والفقه.

شعره: حدَّث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المُنْتَشافري، قال: رأيت في النَّوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكّر الناس ويعظهم، فعقِلْتُ من قوله: أتحسبونني غنيًّا فقيرًا، أنا فقير، أنا.

---

(١) ورد ذكر عبد الواحد بن محمد الباهلي في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦١) و(ج ١٠ ص ٢٦١)، وتقدم ذكره في الجزء الثاني من الإحاطة.

فاستيقظت وقَصَصْتُها عليه، فاستغفر الله، وقال: يا بنيَّ، حقًّا ما رأيتَ. ثم رفع إلى ثاني يوم تَغريفه رُقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظنّ قوم مِن أهلِ الدُّنا ... بأنّ لهمْ قوّةً أو غِنا

لقد غَلِطوا جَمْع[1] مالهمْ ... فتاهوا عقولًا، عَمُوا[2] أعْيُنا

فلا تَحْسَبوني أرى رأيهمْ ... فإنّي ضعيفٌ فقيرٌ أنا

وليس افتِقاري وفَقْري معا ... إلى الخَلْقِ ما[3] عند خَلْقٍ غِنى

ولكنْ إلى خالقي وَحْدَهُ ... وفي ذاكَ عِزٌّ ونيلُ المُنى

فمن ذلَّ للحقِّ يَرْقى العُلا ... ومن ذلَّ للخلق يَلْقَ العَنا

وفاته: ببلده مالقة، رضي الله عنه، ونَفَع به، في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعمائة. وكان الحفل في جِنازته عظيمًا، وحفّ الناس بنعشه، وحمله الطَّلبة وأهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة وأقرأ بها.

ومن الكتّاب والشعراء في هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيىٰ بن عبد الله بن طلحة ابن أحمد بن عبد الرحمٰن بن غالب بن عطية المحاربي[4]

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان[5] هذا الرجل في حال الدَّعة التي استَصْحبها، وقبل أن تَبعته أيدي الفضول، بعفاف وطهارة، إلى خَصْل خطٍّ، نشط البَنان، جَلِد على العمل. ونظمه وسَط، ونثره جُمهوري عامي، مُبين عن الأغراض. ووُلّي ببلده الخطابة والقضاء...[6] في الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فَجَأْجَأتْ[7] به الكتابة السلطانية

---

(١) في الأصل: «لقد غلطوا ويحهم بجمع...»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وعُمُوا»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «فما»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) ترجمة عبد الحق بن محمد بن عطية في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٩). وترجم له المقري في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧) وعدّه من تلاميذ لسان الدين ابن الخطيب ولكن تحت عنوان: «القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيىٰ بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن غالب بن عطية المحاربي».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٦) بياض في الأصول. وفي النفح: «وولّي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السّن».

(٧) جأجأت به الكتابة: دَعَتْه.

باختياري، مُسْتَظهِرة منه ببَطَل كفاية، وباذِل حِمْل كُلْفَة، فانتقل[1] رئيسًا في غرض إعانتي وانتشالي من الكُلفة[2]، على الضَّعْف وإلمام المرض، والتَّرفُّع عن الابتِذال، والأَنَفة من الاستخدام، فرفع الكلّ، ولطُف من الدولة مَحَلُّه. ثم لمّا حال الأمر، وحَتُم التَّمحيص، وتُسُوِّرت القلعة، وانتثر النَّظم، واستأثر به الاصْطِناع، كشَفَت الخِبْرة منه عن سَوْءَةٍ لا تُوارى، وعَوْرَةٍ لا يُرْتاب في أُشنوعَتها ولا يُتَمارى، فسبحان مَن عَلَّم النفس فُجورَها وتقواها، إذ لَصِق بالدّائل[3] الفاسق، فكان آلة انتقامه، وجارِحَة صيده، وأُحْبُولة كَيْده، فسَفَك الدِّماء، وهَتَك الأسْتار، ومزّق الأسباب، وبدّل الأرض غير الأرض، وهو يزقُّه في أُذُنه، فيؤمّ[4] النَّصيحة، ويَنْحله[5] لقب الهداية، ويبلُغ في شدِّ أزْره إلى الغاية: «عُنْوان عقل الفتى اختياره، يجري في جميل[6] دَعوته»، طُوالًا، أَخْرَق، يُسيءُ السمع، ويَنْسى[7] الإجابة، بدويًا، قُحًّا، جَهْوَريًّا، ذاهلًا عن عواقب الدنيا والآخرة، طِرْفًا في سوءِ العهد، وقلّة الوفاء، مردُودًا في الحافِرَة[8]، مُنسَلخًا من آية السَّعادة، تشهد عليه بالجَهْل[9] يَدُه، ويقيم عليه الحُجج شرهُه، وتبَوّئه[10] هفوات الندم جهالته. ثم أسْلَم المحروم مُصْطَنعه، أحوج ما كان إليه، وتبرّأ منه، ولَحِقته بعده مُطالبة ماليّة، لقي لأجلها ضَغْطًا. وهو الآن بحال خِزْيٍ، واحتِقاب تَبِعات، خلّصنا الله من وَرطات الدُّنيا والآخرة.

أوليته وشيوخه: وبَسْطُ كثير من مُجْمل حاله حسبما نقلت من خطه.

قال يخاطبني بما نصُّه[11]: [البسيط]

يا سيِّدًا، فاق في مَجْدٍ وفي شرفِ
وفاتَ سَبْقًا بفضل الذاتِ والسَّلَفِ

وفاضلًا عن سبيل الذَّمِّ مُنْحَرِفًا
وعن سبيل المعالي غيرُ مُنْحَرِفِ

---

(١) في النفح: «فاستقلّ».
(٢) في النفح: «من هفوة الكلفة على جلل الضعف...».
(٣) في النفح: «بالداهي». والداهي: الفاسق، والمراد به سلطان بني نصر، الذي هرب منه لسان الدين ابن الخطيب إلى المغرب.
(٤) في النفح: «زقوم النصيحة». والزّقوم: شجرة في جهنم، منها طعام أهل النار.
(٥) في النفح: «ويستحله».
(٦) في النفح: «سبيل».
(٧) في النفح: «فيـيء».
(٨) في النفح: «الحافرة» بالراء المهملة.
(٩) في الأصل: «بالحمل» والتصويب من النفح.
(١٠) في النفح: «وتبوه» والتصويب من النفح.
(١١) القصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٨ - ١٣٩).

وتُحْفَةَ الزَّمنِ الآتي به[1] فلقد
أرْبَى[2] بما حازه منها على التُّحَفِ
ومَعْدِنًا لنفيسِ الدُّرِّ فهو لِما
حواه منه لدى التَّشبيه كالصَّدَفِ
وبَحْرَ عِلْمٍ[3] جميعُ الناسِ مُغْتَرِفٌ
منه، ونَيْلُ المعالي حظُّ مُعْتَرِفِ[4]
وسابِقًا بَذَّ أهلَ العصرِ قاطبةً
فالكُلُّ في ذاكَ منهمْ غيرُ مختلفِ
من ذا يُخالفُ في نارٍ على علمٍ
أو يَجْحَدُ الشمسَ نورًا وهو غيرُ خَفِي؟
ما أنتَ إلّا وجيدُ العصرِ في شِيَمٍ
وفي ذكاءٍ وفي علمٍ وفي ظَرَفِ
لله من مُنْتَمٍ للمَجْدِ مُنْتَسِبٍ
بالفضلِ مُتَّسِمٍ، بالعِلْمِ مُتَّصِفِ
لله من حَسَبٍ عِدٍّ ومن كرمٍ
قد شاده السَّلَفُ الأخيارُ لِلخَلَفِ
إيهٍ أيا مَنْ به تَبْأَى[5] الوزارةُ إذ
كنتَ الأحَقَّ بها في الذّاتِ والشرفِ
يا صاحبَ القلمِ الأعلى الذي جُمِعَتْ
فيه المعالي ببعضٍ[6] البعضِ لم أصِفِ
يا من يُقَصِّرُ وصفي في عُلاه ولو
أتَى مديحَ حبيبٍ[7] في أبي دُلَفِ

---

(١) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.
(٢) في النفح: «ربا».
(٣) في الأصل: «وبحرٌ بعلمٍ...» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.
(٤) في النفح: «خَيْرُ مؤتلفِ».
(٥) تَبْأى: تفتخر.
(٦) في النفح: «فَبَعْضٌ».
(٧) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

شَرَّفْتَني عندما اسْتَدْعيتَ من قِبَلي[1]
نظمًا تدوِّنه في أبدع الصُّحف
وربما راقَ ثَغْرٌ في مَباسمه[2]
حتى إذا نالَهُ إلمامُ مُرْتِشف
أجِلْ قَذرَكَ أن ترضى لمُنْتَجِع
بسَوءِ كَيْلته حظًا مع الحَشَف
هذا، ولو أنني فيما أتيتُ به
نافحتُ في الطِّيب زَهرَ الرّوضةِ الأُنُف[3]
لكنتُ أُفضي إلى التّقصير من خجلٍ
أخْلَيْتُ[4] بالبعض مِمّا تستحقّ أفي
فَحَسْبيَ العَجزُ عمّا قد أشرْتَ به
والعجزُ[5] حَتْمًا قُصارى كلّ مُعترف
لكنْ أجبْتُ إلى المطلوب مُمْتثِلا
وإنْ غَدَوْتُ بمَرمى[6] القَوم كالهَدَف
فانظرْ إليها بعين الصَّفْح عن زَلل
واجعلْ تصَفُّحَها من جُملة الكُلَف
بقِيتَ للدهر تَطْويه وتَنْشُره
تسمو من العِزِّ باسمٍ غير مُنْصَرف

جئتك[7]، أعزّك الله، ببضاعة مُزجاة، وأعْلَقْت رَجائي من قبولك بأُمْنية مُرْتجاة، وما مثلك يُعامل بسَقْط المتاع، ولا يُرضى له بالحَشَف مع بَخْس المدّ والصّاع. لكن فضلك يُغْضي عن التّقصير ويسمح، ويَتجَاوز عن الخطإ ويَصْفح، وأنت في كل حال إلى الأدْنَى من الله أجْنَح. ولولا أنّ إشارَتَك واجبة الامتثال، والمُسَارعة إليها مُقَدّمة على سائر الأعمال، لما أتيتُ بها تَمْشي على اسْتِحياءٍ، ولا عرّضْتُ نفسي أن أقف

(١) في النفح: «نَظْمي». (٢) في النفح: «تبسمه».
(٣) الروضةُ الأُنُفُ: التي لم يسبق أحد إلى رَعْيها.
(٤) في النفح: «إذ لستُ». (٥) في النفح: «فالعجز».
(٦) في الأصل: «بمرقى» والتصويب من النفح.
(٧) اكتفى في النفح بقوله: «ثم ذكر نثرًا، وأن مولده بوادي آش...».

مَوْقف حِشْمة وحياءٍ، فما مَثَلي فيما أعْرضه عليك، أو أقَدِّمه من هذا الهَذَر بين يديك، إلّا مَثَلُ مَن أهدى الخَرز لجالب الدُرّ، أو عارض لِلْوَشل موج البحر، أو كاثَر بالحَصى عدَدَ الأنْجُم الزُهر، على أني لو نظمتُ الشِّعْرى شِعرًا، وجئتُك بالسِّحر الحلال نظمًا ونثرًا، ونافَحْتُك بمثل تلك الرَوضة الأدبية التي تَعْبَق أزاهرها نشرًا، لما وصَفْتُك ببعض البعض من نَفائس حُلاك، ولا وفَّيتُ ما يجب من نشر مآثر عُلاك. فما عسى أن أقول في تلك المآثر العِلْمية، والذّات الموسومة باسم التعريف والعَلَميّة، أو أُعبِّر عنه في وصف تلك المحاسن الأدبية، والمفاخر الحَسَبيّة. إن وصفت ما لك من شرف الذات، مِلْتُ إلى الاختِصار وقلت: آية من الآيات، وإن ذهبت إلى ذكر مفاخرك الباهرة الآيات، بلغتُ في مدى الفَخْر والحَسَب إلى أبعد الغايات، وإن حَلَّيْتُك ببعض الحُلى والصِّفات، سَلَبْتُ محاسن الرَّوض الأريج النَّفَحات. فكم لك من التَّصانيف الرائقة، والبدائع الفائقة، والآداب البارعة، والمحاسن الجامعة. فما شئت من حدائقَ ذات بهجة كأنما جادَتْها سُحُب نيسان، وجنّات ثمراتها صِنْوان وغيرُ صِنوان، تُزري ببَدائع بديع الزّمان، وتُخجل الروض كما يُخجل الوردُ ابتسام الأُقحوان. نظمٌ كما انتثر الدُرُّ، ونثرٌ تَتَمنّى الجَوزاء أن تتقلّده والأنجم الزُهر، ومعانٍ أرقُّ منْ نسيم الأسحار، تهبُّ على صفحات الأزهار. فأهلًا بكِ يا رَوْضة الآداب، وربَّ البلاغة التي شمس آياتها لا تتوارى بالحجاب، فما أنتِ إلّا حَسَنَةُ الزّمان، ومالكُ أزِمّة البيان، وسبّاق غايات الحسن والإحسان. وقد وجدتُ مكان القول ذا سَعة في أوصافك، وما في تَحلّيك بالفضائل واتّصافك. لكنّي رأيت أني لو مدَدْتُ في ذلك باع الإطْناب، وأتيتُ فيه بالعجَب العجاب، فليس لي إلّا تقصير عن المُطاولة وإمساك، والعجز عن دَرْك الإدراك إدراك. إيه أيها السَّيِّد الأعْلى، والفاضل الذي له في قِداح الفخر القِدْحُ المُعلّى، فإنك أمَرْت أن أعرض عليك لتعريف بنفسي ومَوْلدي، وذكر أشياخي الذين بأنوارهم أقْتدي، فعلمتُ أن هذا إنما هو تهمُّمٌ منك بشاني، وجَرْيٌ على مُعتاد الفضل الذي يَقْصُر عنه لساني، وفضل جميل لا أزال أجْري في الثناءِ عليه مِلْءَ عِناني. وإلّا فمن أنا في الناس حتى أُنْسَب، أو مَن يذهب إلّا أنت هذا المذهب؟

أما التَّعريف بنفسي، فأبدأ فيه باسم أبي: هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيىٰ بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن غالب بن عطية المحاربي. وجَدّي عطية هو الدّاخل إلى الأندلس عام الفتح، نزل بإلبيرة، وبها تفرّع من تفرّع من عَقِبه، إلى أن انتقلوا إلى غرناطة، فتأثّل بها حالُهم، واستمرّ بها

استيطانهم، إلى حدود المائة السابعة، فتَسَبَّب في الانتقال مَنْ بقي منهم، وهو جدّي الأقرب الأنساب، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادي آش، ولكل أجلٍ كتاب، وذلك أنه استُقْضِي بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله[1]، أول ملوك هذه الدولة النصرية، نصر الله خَلَفها، ورحم سَلَفها، فاتخذ فيها صِهْرًا ونَسبًا، وكان ذلك لاسْتِيطانه بها سببًا، واستمرّ مُقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداءِ الفريضة فكان إلى أشرف الحالات مُرْتَحله، وقضى في إيابه من الحج أمله. واستمرَّتْ به الاستيطان، وتعذَّرت بعوده إلى غرناطة بعدما نَبَتْ فيها الأوطان. على أنه لم يَعْدَم من الله السِّتْر الجميل، ولا حظٌ من عنايته بإيصال النِّعْمة كَفيل، فإنه سبحانه حَفِظ مَنْ سَلَف فيمن خَلف، وجعلهم في حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهة الحال واتَّصف، وقَيَّض لمصاهرتهم من خِيار المجد والشرف، وبذلك حَفِظ الله بيتهم، وشَمَل باتصال النِّعمة حيَّهم ومَيْتَهم. فالحمد لله، بجميع محامِده، على جميل عوائده. وتخلَّف بوادي آش أبي وأعمامي، تغمّدهم الله وإياي برحمته، وجمع شملنا في جَنَّته.

وأمّا التعريف بهم، فأنت أبقاكَ الله، بمن سَلَف قديمًا منهم أعْلم، وسبيلك في معرفتهم أجْدى وأقوم، بما وهبكم الله من عَوارف المعارف، وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطّارف. وأمّا مَنْ لم يقع به تعريف، ممن بَعْدهم، فمن اقْتَفى رَسْمهم في الطريقة العلمية، ولم يتجاوز جدّهم، وهو جدّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادي. كان، رحمه الله، ممن جرى على سُنن آبائه، وقام بالعلم أحسن قيام ونهض بأعبائه. ألَّف كتابًا في «الرقائق»، ففات في شَأْوِه سبْق السابق، وتصدَّر ببلده للفُتْيا، وانتفع به الناس، وكان شيخهم المُقدّم. ولم أقِف على تاريخ مولده ولا وفاته، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة، رحمه الله. وأمّا مَنْ بيني وبينه من الآباءِ، كجدّي الأقرب وأبيه ومن خَلَفه من بنيه، فما منهم من بلغ رُتْبة السّابق، ولا قَصُر أيضًا عن درجة اللّاحق، وإنما أخذ في الطلب بنَصِيب، ورمى فيه بسَهْم مُصيب.

وأما مولدي[2]، فبوادي آش، في أواخر عام تسعة وسبعمائة. وفي عام ثلاثة وعشرين، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُّرسوني وغيره ممن يأتي ذكره. ثم كتبت بعد ستة أعوام على مَن وَلِيها من القضاة، أولي العدالة والسِّيَر المرتضاة،

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللمحة البدرية (ص ٤٢).

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩).

ولم يطل العهد حتى تقدّمت في جامعها الأعظم خطيبًا وإمامًا، وارتسمت في هذه الخُطّة التي ما زالت على مَن أحسن تمامًا، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين. ثم وُلّيت القضاء بها، وبما يرجع إليها من النّظر، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين، واستمرّت الولاية إلى حين انتقالي للحضرة، آخر رجب من عام ستة وخمسين، أسأل الله الإقالة والصّفح عما اقترفت من خطإٍ أو زلَل، أو ارتكبته من عَمْد وسَهْو، في قول أو عمل، بمَنّه.

وأمّا أشياخي، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيجاطي، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزي. وبمالقة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن مَنْظور. وبألمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العَيْش، وسيّدي القاضي أبي البركات ابن الحاج، والأستاذ أبي عثمان بن ليون، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم. على كل هؤلاءِ قرأت قراءة تفقّه، وعَرضْتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب، أكبرها كتاب المقامات للحريري، وأمّا مَنْ لقِيته من المشايخ واستفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، وبمالقة القاضي أبو عبد الله بن بكر، والقاضي أبو عبد الله بن عيّاش، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين. ومن لقِيته لقاءَ بترك، سيدي أبو جعفر بن الزيات بِبلّش. وبمالقة الخطيب أبو عبد الله السّاحلي، والصُّوفي أبو الطاهر بن صفوان، والمُقرىء أبو القاسم بن درهم. وبالمرية الخطيب أبو القاسم بن شُعيب، والخطيب ابن فرحون. ولقِيت أيضًا القاضي أبا جعفر بن فَرْكون القرشي، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ. وممن رأيته بوادي آش، وأنا إذ ذاك في المكتب، وأخذت بحظّ من التبرّك به، سيدي أبو عبد الله الطّنجالي نفع الله به. والحمد لله ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: ومن خطّه نقلت[1]: [الطويل]

ألا أيّها اللّيلُ البطيءُ الكواكب ... متى يَنْجلي صُبْحٌ بنَيْلِ المآربِ؟

وحتى متى أرْعى النجومَ مُراقبا ... فمن طالع منها على إثْر غاربِ[2]

أُحَدِّثُ نفسي أن أرى الرَّكْبَ سائرا ... وذنبيَ يُقْصِيني بأقْصَى المغاربِ

---

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩ ـ ١٤١).

(٢) أخذه من قول ابن خفاجة: [الطويل]

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرًا ... فمن طالعٍ، أخرى الليالي، وغاربِ

ديوان ابن خفاجة (ص ٤٣).

فلا فُزْتُ مِنْ نَيْلِ الأماني بطائلٍ ... ولا قُمْتُ في[١] حقِّ الحبيبِ بواجبِ

وكم[٢] حَدَّثَتْني النفسُ أن أبلُغَ المُنى ... وكم عَلَّلَتْني بالأماني الكَواذبِ

وما قَصَّرَتْ بي عن زيارةِ قَبْره ... معاهدُ أُنْسٍ من وِصالِ الكواعب

ولا حُبُّ أوطانٍ نَبَتْ بي رُبُوعُها ... ولا ذِكْرُ خِلٍّ خَلٍّ[٣] فيها وصاحبِ

ولكنْ ذنوبٌ أثْقَلتني فها أنا ... من الوَجْدِ قد ضاقتْ عليَّ مذاهبي

إليكَ، رسولَ الله، شوقي مُجَدَّدًا[٤] ... فيا ليتني يَمَّمْتُ صَدْرَ الركائب

وأعملتُ[٥] في تلك الأباطِحِ والرُّبى ... سُراي مُجِدًّا بين تلك السَّباسِب[٦]

وقَضَّيْتُ مِنْ لَثْمِ البَقِيعِ لُبانتي ... وجُبْتُ الفلا ما بين ماشٍ وراكب

ورَوَّيْتُ من ماءِ زمزم[٧] غُلَّتي ... فلله ما أشهاهُ يومًا لشارب!

حبيبي شفيعي مُنْتهى غايتي التي ... أُرَجِّي ومن يرجوه ليس بخائب

محمدٌ المختارُ والحاشِرُ الذي ... بأحْمَدَ حاز الحَمْدَ[٨] من كل جانب

رؤوفٌ رحيمٌ خَصَّه[٩] الله باسمه ... وأعْظَمُ لاجٍ[١٠] في الثَّناءِ وعاقبِ

رسولٌ كريمٌ رَفَّعَ الله قَدْرَهُ ... وأعْلَى له قَدْرًا رفيعَ الجوانب

وشَرَّفه أصلًا وفَرْعًا وَمَحْتِدًا ... يزاحمُ آفاقَ السُّهى بالمناكب[١١]

سراجُ الهُدى ذو الجاه والمجد والعُلا ... وخَيْرُ الوَرى الهادي الكريم المَناسب

هو المصطفى المختار من آلِ هاشم ... وذو الحَسَب العَدْل[١٢] الرفيع المناصب

هو الأمَدُ الأقصى هو المَلْجأُ الذي ... يَنالُ به مرغوبَه كلُّ راغب

إمامُ النَّبيِّين الكرام، وإنه ... لَكالبَدْر فيهمْ بين تلك المواكب

بشيرٌ[١٣] نذيرٌ مُفْضِلٌ مُتَطَوِّلٌ ... سراجٌ منيرٌ بَذَّ نورَ الكواكب

---

(١) في الأصل: «من» والتصويب من النفح. (٢) في النفح: «فكم».

(٣) كلمة «خَلٍّ» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(٤) في الأصل: «مجدَّدٌ» والتصويب من النفح. (٥) في النفح: «فأعملتُ».

(٦) السباسب: جمع سبسب وهو الأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٧) في النفح: «بزمزم». (٨) في النفح: «المجد».

(٩) في النفح: «خَصَّنا».

(١٠) في النفح: «وأعْظَمْ بماحٍ». والماحي والعاقب: من أسماء رسول الله ﷺ وكذلك «الحاشر» في البيت السابق.

(١١) في النفح: «السما بالكواكب». (١٢) في النفح: «العِدّ».

(١٣) في النفح: «شريف».

شريفٌ مُنيفٌ باهرُ الفَضْلِ كاملٌ   نفيسُ المعالي والحُلى والمناقب
عظيمُ المزايا ما له مِنْ تماثُل[1]   كريمُ السَّجايا ما له من مُناسب
مَلاذٌ منيعٌ ملجأٌ عاصمٌ لمن   يلوذ به من بين آتٍ وذاهبِ
حليمٌ[2] جميلُ الخَلْقِ والخُلْقِ ما له   نظيرٌ، ووصفُ اللهِ حجَّة غالب
وناهيك من فرعٍ نَمَتْهُ أصولُه   إلى خير مجدٍ من لؤيِّ بن غالب
أولي الحسب العِدِّ الرفيع جنابُهُ   بدور الدَّياجي أو بدور[3] الركائب
له معجزاتٌ ما لها من مُعارضٍ   وآياتُ صدقٍ ما لها من مُغالب
تَحَدَّى[4] بهنَّ الخَلْقَ شَرْقًا ومغربا   وما ذاك عَمَّنْ حاد عنها بغائب[5]
فدونَكَها كالأنجم الزُّهْر[6] عِدَّةً   ونور سَنًا لا يَختفي[7] للمُراقب
فإحصارُها[8] مهما تَتَبَّعتَ مُعوِزٌ   وهل بعد نورِ الشمس نورٌ لِطالب؟
لقد شَرَّفَ اللهُ الوجودَ بمُرْسَلٍ   له في مَقام الرُّسْل أعلى المراتب
وشَرَّفَ شَهْرًا فيه مولِدُهُ الذي   جلا نورُه الأسْنَى دَياجي الغَياهب
فَشَهْرُ ربيعٍ في الشهور مقدَّمٌ   فلا غَرْوَ أنَّ الفَخْر[9] ضَرْبَةُ لازب[10]
فلله منه ليلةٌ قد تلألأتْ   بنور شهابٍ نيِّر[11] الأفق ثاقب[12]
لِيَهْنِ أميرَ المسلمين بها المُنى   وأنْ نال من مولاه أسنى الرَّغائب
على حين أحياها بذكر حبيبِهِ   وذكر الكرام الطاهرين الأطايب
وألَّفَ شَمْلًا للمُحبِّين فيهمُ   فسار على نَهْجٍ من الرشد لاحِب[13]
فسوف يُجازى عن كريم صَنيعه   بتخليد سُلطانٍ وحُسْنِ عواقب
وسوف يُريه اللهُ في لَهْمٍ[14] دينه   غرائبَ صُنْعٍ فوق كلِّ الغرائب
فيحمي حِمى الإسلام عَمَّنْ يَرومُه   بسُمْرِ العوالي أو ببيض القواضب[15]

---

(١) في النفح: «مُماثل».
(٢) في النفح: «جليل».
(٣) في النفح: «أو صدور الكتائب».
(٤) في الأصل: «تهدى» والتصويب من النفح.
(٥) في الأصل: «بعايب» والتصويب من النفح.
(٦) في النفح: «الشُّهب».
(٧) في الأصل: «تختفي» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «وإحصاؤها».
(٩) في الأصل: «للفخر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح.
(١٠) ضربة لازب: أي لازمة لا بُدّ من حصولها.
(١١) في النفح: «بين».
(١٢) في النفح: «شاهب».
(١٣) اللاحب: الواسع الواضح.
(١٤) في النفح: «نصر».
(١٥) القواضب: السيوف القاطعة، واحدها قاضب.

ويعتزُّ دينُ الله شرقًا ومغربًا بما سوف يبقى ذكرُه في العجائب
إلٰهي، ما لي بعد رحماكَ مَطْلَبٌ أراه بعين الرُّشْد أسنى المطالب
سوى زَوْرةِ القَبْر الشريف وإنها[1] لموهبةٌ فاتتْ[2] جميعَ المواهب
عليه سلامُ الله ما لاحَ كوكبٌ وما فارق[3] الأظعانَ حادي الرَّكائبِ

وقال في غرض المدح والتَّهنئة بعَرْض الجيش، وتضمَّن ذلك وصف حاله في انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]

يا قاطعَ البيد يَطْوي السَّهْلَ والجَبَلا ومُنْضيًا في القَيافي الخَيْلَ والإبِلَا
يَبْكي بآفاق[4] أرضٍ لا يُؤانسه[5] إلّا تَذَكُّرُ عَهْدٍ للحبيب خَلا
أو ظَبْيةٌ أذْكَرَتْ عَهْدَ التَواصل تَحْـ كي لِلُحاظِ[6] التي عاهَدْتَ والمُقَلا
أستغفر الله في تلك اللُّحاظ فقد أرْبَى بها الحُسْنُ عن ضَرْب المَها مثلا
أو هادِلٍ فوق غُصن البان تَحْسَبه صَبًّا لِفَقْدِ حبيبٍ بان قد ثَكِلا
أو لامع البرق إذ تَحكي إنارته كَفًّا خَضِيبًا مُشيرًا بالذي عَذَلا
ماذا عسى أنْ تُقَضّي من زمانك في قَطْع المَهامه تَرْجُو أن تنال عُلا؟
وكم مَعالم أرضٍ أو مجاهلها قَطَعْتَها لا تملُّ الرَّيْث والعَجلا
إن كنتَ تأمُل عزًّا لا نظير له وتَبْتَغي السُّؤل فيما شئتَ والأمَلا
فالعزُّ مرسًى بعيدٌ لا يُنال سوى بعزم مَنْ شدَّ عَزْم البَيْن وارتحلا
والدُّرُّ في صَدَفٍ قَلَّتْ نفاستُه ولم يَبِنْ فَخْرُه إلّا إذا انتقلا
فارِباً بنفسك عن أهل وعن وطن ....[7]
وانْسَ الدِّيار التي منها نأى وطني وعهد أُنْس به قَلْبُ المُحِبّ سَلا
وعَدِّ عن ذكر مَحْبوبٍ شُغِفْتَ به ولا تَلُمْ[8] به مَدْحًا ولا غَزَلا
واقصدْ إلى الحَضْرة العَلْيا وحُطَّ بها رَحْلًا ولا تَبْغِ عن أرجائها حِوَلا
غرناطةٌ لا عفا رَسْمٌ بها أبدًا ولا سَلا قَلْبُ مَنْ يَبْغي بها بَدَلا

(١) في النفح: «وإنه».
(٢) في النفح: «فاقَتْ».
(٣) في النفح: «رافق».
(٤) في الأصل: «في آفاق»، وكذا ينكسر الوزن.
(٥) في الأصل: «يؤنسه»، وكذا ينكسر الوزن.
(٦) في الأصل: «اللحاظ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٧) بياض في الأصول.
(٨) في الأصل: «تلُمْ» بسكون الميم، وكذا ينكسر الوزن.

فهي التي شرّف الله الأنام بمن ... في مَقْعد المُلْك من حَمْرائها نَزَلا
خليفة الله مولانا وموئِلُنا ... وخير من أمّنَ الأرجاءَ والسُّبلا
محمد بن أبي الحجاج أفضل مَنْ ... قَدْ قام فينا بحقّ الله إذ عدلا
من آل نَصْرٍ أولى المُلْك الذي بَهَرَتْ ... عُلاه كالشمس لمّا حلّتِ الحَمَلا
هو الذي شرّف الله البلادَ ومن ... فيها بدولته إذ فاقتِ الدُّوَلا
أقام عَدْلًا ورفقًا في رعيّته ... وكان أرحم من آوى ومن كَفَلا
فهو المُجار به من لا مُجير له ... لم يَخْشَ إحْنَ الليالي فادحًا جللا
إنّ المدائح طُرًّا لا تفي أبدًا ... ببعض ما قد تَحَلّا من نفيسِ عُلا
بالحزم والفهم والإقدام شيمتُه ... والجود ممّا على أوصافه اشتَملا
إن قال أجْمَلَ في قولٍ وأبْدَعَهُ ... والفعل أجملُ منه كلّما فَعَلا
يُولي الجميل ويُعْطي عزّ نائله ... من قد رَجاه ولا استَجدى ولا سألا
منْ سائلي عن بني نصر فما أحد ... منهمْ بأبلَغ منهمْ كلّما سُئلا
هُمُ الذين إذا ما استُمْنِحوا منَحوا ... أسنى العطاء[1] وأبْدَوا بعده الخجلا
هُمُ الأُلى مهّدوا أرجاءَ أندلس ... إذ حكّموا في الأعادي البيض والأسلا
فإن تَسَلْ عَنْهُمُ يوم الرِّهان فلم ... يَعدل بأخذهمْ في سنّه بَطَلا
مَنْ ذا يُجاريهُمُ في كل مَكْرُمَة ... أيُشبِه البحرُ في تمثيله الوَشَلا؟
مولاي، يا خير مَنْ للنَّصْر قد رُفِعَتْ ... راياتُه ولواءُ الفخر قد حملا
لله عَيْنِيَ لمّا أبْصَرَتْكَ وقد ... أعدَدْتَ بين يديك الخيل والخَوَلا
وأنتَ في قُبّة يسمو بها عُمُدٌ ... أقام منّا لأمرِ[2] الدِّينِ فاعتدلا
والجيش يَغْشى عيونَ الخلقِ مَنْظَرُه ... لما اكتَسى منك نورَ الحقّ مكتملا
لا غَرْوَ أنّ شُعاعَ الشمسِ يشمل ما ... أضْحَى عليه إذا ما لاح مُنْسَدِلا
ورايةُ النصر والتأييدِ خافقةٌ ... قد أسْبَل الله منها النّصْرَ فانْسَدَلا
والخيلُ قد كُسِيَتْ أثوابَ زينتها ... فَمِنْ براقِعِها قد أُلْبِسَتْ حُللا
ترى الحُماةَ عليها يوم عرضهمُ ... يَمْشُون مِنْ فَرْط زَهوٍ مِشْيَةَ الخُيَلا
فمن رُماةٍ قِسيُّ العُرْبِ عُدّتُها ... تَحْكي الأهِلّةَ مَهْما نورُها اكْتَمَلا

---

(١) في الأصل: «العطاء»، وكذا ينكسر الوزن.
(٢) في الأصل: «دامر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وِمِنْ كُماةٍ شِدادِ البأسِ شأنُهُمُ أن يعملوا البيضَ والخَطّيّةَ الذُّبلا
بِسَعْدِكَ انتظمتْ تلك الجيوشُ لأنْ أسْهَمْتَ في نَظْمها أسلافَكَ الأُولا
وخَلَّدَ اللهُ مُلْكًا أنت ناصرُه ما عاقَبَتْ بُكَرٌ من دهرنا الأَصُلا
لا زِلْتَ تزداد بي[1] نُعْمى مضاعفة لتملأ الأرض منها السَّهْل والجَبَلا

ومن ذلك قوله: [البسيط]

يا عاذلي في الهوى، أقْصِرْ عن العَذَلِ وعن حديثي مع المحبوبِ لا تَسلِ
فكيف أُصْغي إلى عَذْل العذول وقد تقلَّص القلب مني صائد المُقلِ؟
تَمَلَّكَتْهُ كما شاءتْ بنظرتها فتّانة الطَّرْف والألحاظ تنهدل
مُعْبِرة عن نفيس الدُّرِّ فاضحة بقدِّها الغصنَ ألمياس[2] في المِيَل
من نور غُرَّتها شمسٌ تروق سَنًى تحتلُّ منها محلَّ الشمس في الحَمَل
يا حبَّذا عَهْدُنا والشَّمْلُ مُنتظم بجانب الغور في أيامنا الأول
أيام أعْيُن هذا الدهر نائمة عنّا وأحداثُه منّا على وَجَل
وحَبّذا أرْبُعٌ قد طال ما نَظَمَتْ عِقْدَ التَّواصل في عَيْشٍ بها خَضِل
قضيتُ منها أماني النّفس في دَعة من الزمان مُوَفّى الأُنس والجَذل
سَطا الغمام رُباها كلُّ مُنْهَمِرٍ وكم سَطَتْها دموعي كلُّ مُنهمِل
وجادها من سماءِ الجُود صوبُ حَيًا بالعارض الهَطِل ابن العارض الهَطِل
خليفة الله والماحي بسيرته رَسْم الضَّلال ومُحْيِي واضحِ السُّبل
محمدُ بن أبي الحجاج أفضل من سارتْ أحاديث عَلْياه سُرى المَثَل
والباعث الجيش في سَهْل وفي جَبَل حتى تُغَصَّ نواحي السَّهل والجَبَل
من آل نصر أولي الفخر الذين لهمْ مزيّة أُورِثتْ مِنْ خاتم الرسل
مهما أردْت غَناءً في الأمور به شاهدْتَ منه جميع الخَلْق في رَجُل
لن يستظلَّ بعلياه أخو أمل إلّا غدا تحت ظلٍّ منه مُنسدلِ
ولا استجار به مَنْ لا مُجير له إلّا كَفاه انتياب الحادث الجَلَلِ
يُنْمَى إلى معشر شاد الإله لهمْ مُلْكًا على سالف الأعصار لم يزل
بمُلكهمْ قد تحلّى الدهر فهو به والله واليه لا يخشى من العَطَل

---

(١) في الأصل: «بها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «المياس»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع.

هُمُ الألى نصروا أرجاء أندلس بالمَشْرَفيّات والخطيّة الذُّبُل
هُمُ الألى مَهّدوا دين الهدى فَسَمَتْ في الخلق مِلّته العَليا على المِلل
مَنْ أمَّهُمْ صادِيَ الآمال نال بهمْ جودًا كفيلًا له بالمَعْل والنَّهَل
أو أمَّهَمْ ضَاحيًا أضحى يُجرّر من فضل النَّوال ذيول الوَشْي والحُلل
إنَّ الفضائل أضحَتْ لاسْمِهِ تَبَعًا كالنَّعْتِ والعَطْفِ[1] والتأكيد والبَدَل
مولاي، خُذْها تروق السّامعين لها بما أجادتْه من مدح ومن غزَل
لكنني باعتبار عظْم ملكك لم أُجِدْ لَعَمْريَ في مَدْحي ولم أُطِل
فإنْ خُيِّرتُ كذاك الخَلْق أجْمَعهمْ سِيّان مُحتَفل أو غير مُحْتفل
لا زلْتَ فخر ملوك الأرض كلِّهِمُ تسمو بك الدولة العَلْياء[2] على الدول
ودُمْتَ للدهر تَطْويه وتنشُرُه مُبَلِّغًا كلّما تَبْغي من الأمل

ومن ذلك ما نظمه ليُنقش في بعض المباني التي أنشأتُها[3]: [الطويل]

أنا مَصْنَعٌ قد فاقَ كل المصانع فما منزلٌ يَزْهى[4] بمثل بدائعي
فَرَسْمي، إذا حَقَّقْتَه واعتَبَرْتَه[5] لكل المعاني، جامعٌ أيَّ جامعِ
فقد جَمَعَ الله المحاسنَ كلَّها لديَّ، فيا لِلَّه إبداعَ صانع[6]!
كما[7] جُمِعَتْ كلُّ الفضائل في الذي بسُكْنايَ قد وافاه أيْمَنُ طالع
وزيرُ أمير المسلمين وحَسْبُه مزيّةُ فَخْرٍ ما لها من مُدافع
وذو القلم الأعلى الذي فِعْلُه لمن يُؤمِّلُه مثلُ السّيوف القواطع
ومُطلِعُ آياتِ البيان لِمُبْصِرٍ كشمس الضُّحى حَلَّتْ بأسنى المطالع
وإنسانُ عَيْنِ الدهر قَرّتْ لنا به عيونٌ وطابتْ منه ذِكرى المسامِعِ
هو ابنُ الخطيب السيِّد المُنتمي إلى كِرام سَمَوْا ما بين كَهْلٍ ويافعِ
لقد كنتُ لولا عَطْفة من حَنانه[8] أُعَدُّ زمانًا في الرُّسوم البلاقع

---

(١) كلمة «والعطف» ساقطة في الأصل. (٢) في الأصل: «العلياء»، وكذا ينكسر الوزن.
(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧١ ـ ٢٧٢) وفيها أن المباني أنشأها بغرناطة.
(٤) في الأصل: «زهى» والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٥) في الأصل: «واعترته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.
(٦) في الكتيبة: «صانعي».
(٧) في الأصل: «ظلّ كما...»، وكذا لا يستقيم الوزن، لذا حذفنا كلمة «ظلّ».
(٨) في الكتيبة: «جنابه».

فَصَيَّرَني مَغْنًى كريمًا وَمربَعًا[١] ... لشملٍ بأُنسٍ مِنْ حَبيبيَ جامع

فها أنا ذو[٢] روضٍ يروقُ نسيمُه[٣] ... كما رقَّ طبعًا ما له من مُنازع

وقد جَمَعَتْنا نسبةُ الطَّبع عندما ... وقَعْتُ لمرآه بأسنى المواقع

فأشبه إزهاري بطيبِ ثنائِهِ ... وفَضْلَ هوائي[٤] باعتدال الطبائع

فلا زلْتُ معمورًا به في مَسَرَّة ... مُعَدًّا لأفراحٍ وسَعْدٍ مطالع

ولا زال مَنْ قد حَلَّني أو يَحلُّني ... مُوَفَّى الأماني من جميل الصَّنائع

ودام لمولانا المُؤَيَّدِ سَعْدُهُ ... فَمِنْ نُورِهِ يَبْدو[٥] لنا كلُّ ساطع

وفي التهنئة بإبلال من مرض: [البسيط]

الآن قد قامتِ الدُّنيا على قدمٍ ... لما استقلَّ رئيس السيف والقلمِ

والآن قد عادتِ الدنيا لبهجتها ... مذ أنِسَتْ بُرْءه من طارق الألمِ

والآن قد عمت البُشْرى براحته ... فلم تزل للوَرى من أعظم النعم

لا سيّما عند مثلي ممن اتَّضحت ... منه دلائل صدق غير متهم

فكيف لي وأيادي فضله مَلَكَتْ ... رِقِّي بما أجْزَلَتْ من وافر القسم

وصَيَّرَتْنيَ في أهلي وفي وطني ... وبين أهل النُّهى نارًا على علم

وأحْسَبَتْ أملي الأقصى لغايته ... إذ صِرْتُ من جاهه المأمول في حَرَمِ

ماذا[٦] عسى أن أُوفّي مِنْ ثنائي أو ... أُنهي إلى مجده من فاضل الشِّيم

ولو مَلَكْتُ زمامَ الفضل طَوْع يدي ... قَصَّرْتُ في ضمن منثورٍ ومنتظم

يُهنيك بُشْرى قد اسْتَبْشَرْتُ مذ وردتْ ... بها لعمرك وَهْوَ البرُّ في الضِّيم

ومذ دَعَتْ هذه[٧] البشرى بتَهْنئة ... فنحن أَوْلى ومحض العهد والكرم

لا زلتَ للعزَّة القعساءِ مُمتطيًا ... مُسْتَصْحِبًا لعلاءٍ غير مُنْصرمِ

ودُمْتَ بَدْرَ سَنًى تَهْدي إنارته ... في حيث يَعْضُل خَطْبٌ أو يحارُ عَمِ

ولا عَدِمْتَ بفضل الله عافيةً ... تستصحب النِّعَمَ المنهلَّة الديم

---

(١) في المصدر نفسه: «ومَرْتَعًا».

(٢) كلمة «ذو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «جمالُهُ».

(٤) في الأصل: «هواي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٥) كلمة «يبدو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٦) في الأصل: «وماذا»، وكذا ينكسر الوزن. (٧) في الأصل: «هذ».

وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشّعر والكتابة. وغير هذا للشعر قِراره، فقلّ أن ينتهي الشّعر في الضّعة والاسْتِرذال إلى ما دون هذا النّمط، فهو بعيرٌ[(١)] ثانٍ، شِعرًا وشكلًا وبلدًا، لَطَف الله به. وهو لهذا العهد، على ما تقدّم من النكبة، واتّصال السُّخط من الدولة، تَغمَّدنا الله وإياه بلطفه، ولا نَكَص عنّا ظلّ عنايته وسَتره.

مولده: حسبما تقدّم من بَسْط حاله مما قيّده بخطِّه في عام تسعة وسبعمائة.

عبد الرزّاق بن يوسف بن عبد الرزّاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله: فقيه أديب كاتب سَري، موصوف بكرم نَفْس، وحُسْن خُلُق. لقي أشياخًا وأخذ عنهم.

شعره: [السريع]

يا مُنْعِمًا ما زال من أُمّه ... يَرْفلُ في السّابغ مِنْ أُمّتِه[(٢)]

ويا حُسامًا جَرَّدَتْهُ العُلا ... فَريعَ صَرْفُ الدهرِ من سَكْتته[(٣)]

عَبْدُكَ قد ساءت هنا حالُهُ ... شَوْقًا لمن خَلّفَ من إخوتِه

شوقًا يبثُّ الجَمْرَ في قَلْبه ... ويَخْلَعُ السُّهْد[(٤)] على مُقْلتِه

فَسَكِّنِ المُولَمَ من شَوْقه ... وانْسَيَنِ[(٥)] المُقْلِقَ مِنْ وَحْشَتِهْ

وامْنُنْ عليه ببلوغ المُنى ... في علمكمْ من مُقتضى بُغْيتِهْ

وهاكَها نَفْثَةَ ذي خَجْلةٍ ... تَفْهَمُ ما يُلْقيه من نَفْثَتِهْ

إذا شدا مدّاحكمْ ساجعًا ... يحسده الطيّار في نَغْمَتِهْ

وفاته: سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، عن سنّ عالية.

---

(١) يريد أنه شاعر كبير وهنا يشبهه بشاعر آخر يلقب بالبعير.
(٢) في الأصل: «أُمَيّته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٣) في الأصل: «سُكوته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٤) في الأصل: «للسهد» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.
(٥) في الأصل: «وانس»، وكذا لا يستقيم الوزن.

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي[١]

من أهل قلعة يَحْصِب[٢] من عمل إلبيرة.

حاله ونسبه: هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر، صاحب رسول الله ﷺ. وكان عينًا من أعيان الأندلس، مُشارًا إليه في البيت والرأي، والجَزالة والفضل. عَلِقت به الآمال، ورُفعت إليه الممادح، وحُطّت لديه الرِّحال. وكان من أولي الجلالة والنَّباهة، والطَّلَب والكِتابة الحسنة، والخطّ البارع. واشتمل على حُظوة الأمير يحيىٰ بن غانية اللَّمتوني، وكتب عنه. بلده قلعة بني سعيد، فثقفها، وجعل بها أكبر بنيه عبد الرحمٰن ضابطًا لها وحارسًا، فحصّنها أبو مروان ومهدها بالعمارة، فكانت في الفتنة مَثابة وأمْنًا، وحِرْزًا له ولبنيه، فانْجَلت الناس إليها من كل مكان. ولما قَبض ابن غانية على القُمط مَرين وأصحابه النصارى عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن جيّان، وتحصّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت في اسم الأمير يحيىٰ، ثَقَّفهم بالقلعة بيد ثِقَته المذكور وأمينه أبي مروان، فتحصلوا في مَعْقل حَريز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأي. ومات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، واختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، وعاهد القُمط مرين ومن معه من الزعماء على عُهود، أخذها عليهم وعلى سلطانهم، أن يكون تحت أمْنٍ وحفظ طول مدّته، فأُجْريت القلعة في الأمن والحماية، وكفّ أيدي التّعدّي مجرى ما لمُلك النّصري[٣] من البلاد، فشَمِل أهلها الأمن، واتسعت فيها العمارة، وتنكبتها النّكَبات، وتحاشَتْها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحدين. ووصل هو وابنه إلى السيد أبي سعيد بغرناطة، وحضر معه غَزْوة المريّة، ثم دخل بجملته، فكمل له الأمن، وأُقِرّ على القلعة، وأُمِر بسُكنى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراكُش صحبة السيد أبي سعيد، ولقي من البرّ ولُطْف المكانة عادته، واستَكْتَب ابنه أحمد بن أبي مروان الخليفة في هذه الوجهة، وانتظم في جملة الكُتّاب والأصحاب.

---

(١) ترجمة عبد الملك بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦١) ورايات المبرزين (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩١، ٩٧) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٥ ص ٧٩).

(٢) قلعة يَحْصب: بالإسبانية Alcalá La Real، أي القلعة الملكية، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٣) النصري هنا النصراني، والمراد: أن تنعم قلعة بني سعيد بالأمن كما تنعم بلاد النصارى.

محنته: وعاد أبو مروان وبنُوه إلى غرناطة صُحبة واليها السّيد أبي سعيد، فبقي في جملة العسكر عند دخول ابن مَرْدَنيش وصِهره غرناطة، وقد اضطربت الفتنة، وفَسَد ما بين السيد وبين أبي جعفر بن أبي مروان منهم، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة[١]. ولما ظهرت دلائل التغيير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأي في الانحياز إلى خدمة ابن مردنيش، ونهاهم والدهم أبو مروان، وأشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحق عبد الرحمن بالقلعة، وفرّ أحمد لما انكشف الأمر، وعُثِر عليه بجهة مالقة، فقُتل، وانجرّت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد، فبقيا بغرناطة، ومن يُشار إليه من أهل بيتهما، واسْتُصْفِيت أموالهما، واستخلصت[٢] ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم وردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة، وأمر عبد الملك باستيلاف نافِرهم. ولما هلك ابن مردنيش، ورُدّ من اتصل به صحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رحب وسَعة، وثاب جاه أبي مروان، واتصل عزُّه، واتسعت حُظوته، إلى أن هلك بعد أن وُلي بمراكش النّظر في العُدّة والأسلحة، والقيام على دار الصَّنْعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين وخمسمائة.

عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست[٣]

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل[٤]، حَيِيّ، حسن الصورة، بادي الحشمة، فاضل البيت سَرِيُّه. كتب في ديوان الأعمال[٥]، وترقّى إلى الكَتْب[٦] مع الجملة بالدار السلطانية، وسَفَر في بعض الأغراض الغَرْبية، ولازم الشيخ أبا بكر[٧] بن عتيق بن مُقدَّم، من شيوخ[٨] الصُّوفية بالحَضْرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية[٩].

---

(١) تقدم ذلك في ترجمة حفصة في الجزء الأول من الإحاطة.
(٢) أي صارت في المستخلص، أو ضمن أملاك الدولة.
(٣) ترجمة ابن يست في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣) وفيه: «ابن برشيت»، وفي نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧، ٢٤٩) وفيه: «ابن يشت».
(٤) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠).
(٥) في النفح: «الأعمال فأتقن، وترقى».
(٦) في النفح: «إلى الكتابة السلطانية».
(٧) في النفح: «أبا بكر عتيق...».
(٨) في النفح: «مشيخة».
(٩) كلمة «الأدبية» غير واردة في النفح.

شعره: وشعره لا بأس به، ومن أمثّله قوله ما أُنشد له في ليلة الميلاد الأعظم[(١)]: [الكامل]

القَلْبُ يعشَقُ والمدامِعُ تَنْطِقُ
بَرِحَ الخفاءُ فكلُّ عُضوٍ منطقُ[(٢)]

[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أُنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا][(٣)].

ومما خاطبني به[(٤)]: [البسيط]

أَطَلْتُ عَتْبَ زمانٍ فلَّ من أمل[(٥)]
وسُمْتُه[(٦)] الذمَّ في حِلٍّ ومُرْتحلِ

عاتبْتُه لِيَلينَ للعَتْبِ جانبُهُ
فما تراجعَ عن مَطْلٍ ولا بَخَل[(٧)]

فعدْتُ أمنحه العُتْبى[(٨)] لِيُشفِقَ بي[(٩)]
فقال لي: إنَّ سمعي عنك في شُغُلِ

فالعَتْبُ عنديَ والعُتْبى[(١٠)] فلست أرى
أُصغي لمدحك إذ لم أُصغِ للعَذَل

فقلتُ للنفس: كُفّي عن مُعاتبةٍ
لا تنقضي وجوابٍ صِيغَ مِنْ وَجَل[(١١)]

من يَعتَلِقْ بالدُّنا[(١٢)] بابن الخطيب فقد
سَما عن الذُّلِّ واستولى[(١٣)] على الجَذَل

---

(١) البيت مطلع قصيدة طويلة من ٥٨ بيتًا وردت في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٠ - ٢٥٢). وورد منها ٢٠ بيتًا في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) في الكتيبة الكامنة: «ينطق».

(٣) ما بين قوسين هو ليس لابن الخطيب، ويبدو أنه تعليق من ناسخ المخطوطة.

(٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٥) في الكتيبة: «مَلَّ من أملي». وفي النفح: «من أملي».

(٦) في الكتيبة: «وشمته».

(٧) في الكتيبة: «من مطل ومن نجل».

(٨) العُتْبى: الرضى. لسان العرب (عتب).

(٩) في النفح: «لي».

(١٠) في المصدرين: «كالعُتْبى».

(١١) في الكتيبة: «من جدل».

(١٢) في المصدرين: «في الدُّنا».

(١٣) في الأصل: «واستوى»، والتصويب من المصدرين.

فقلت[1]: من لي بتقريبي لخدمته
فقد أجابَ قريبًا من جوابك لي
قد اشتغلتُ عن الدُّنيا بآخرتي
وكان ما كان في[2] أيّاميَ الأوَل
وقد رَعَيتُ وما أهملتُ من مِنح
فكيف يختلط المرعيُّ بالهَمَلِ؟
ولستُ أرجعُ للدُّنيا وزُخرفها
من[3] بعد شَيبٍ غدا في الرأس مُشتعل
ألَستَ تُبصِرُ أطماري ويُغدِيَ عن
نَيلِ الحظوظ وإعدادِ[4] إلى أجَل
فقال[5]: ذلك قولٌ صحّ مُجملُهُ[6]
لكنّ من شأنه التّفصيلَ للجُمَل
ما أنت طالبُ[7] أمرٍ تستعينُ به
على المظالم في حالٍ[8] ومُقتَبَلِ
ولا تُحِلّ حرامًا أو تُحرّم ما
أحَلّ ربُّك في قولٍ ولا عمل
ولا تَبِغ[9] آجلَ الدُّنيا بعاجلها
كما الوُلاةُ تبيع اليَمّ بالوَشَل[10]
وأين عنك الرّشا إن كنت[11] تطلبها
هذا لعمريَ أمرٌ غيرُ مُنفَعل

---

(١) في النفح: «قالت فمن لي...».
(٢) في الكتيبة: «من أيامك». وفي النفح: «من أيامي».
(٣) كلمة «من» غير واردة في الأصل، وبذلك ينكسر الوزن، وقد أضفناها من المصدرين.
(٤) في النفح: «وإغذاذي إلى أجلي». (٥) في المصدر نفسه: «فقلت».
(٦) في الكتيبة: «محمله» بالحاء المهملة. (٧) في النفح: «جالب».
(٨) في الكتيبة: «جاه».
(٩) في الأصل: «ولا تَبِغ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(١٠) الوَشَل: القليل من الماء. لسان العرب (وشل).
(١١) في النفح: «ظَلْتَ».

هـل أنـت تـطـلـبُ إلّا أن تـعـودَ إلـى
كُـتْـبِ الـمـقـامِ الـرَّفـيـعِ الـقَـدْرِ فـي الـدول؟
فـمـا لأوْحَـدِ أهـل الـكَـوْن[1] قـاطـبـة
وأسْـمَـح الـخَـلْق[2] مـن حـافٍ ومُـنْـتَـعِـل
لـم يـلـتـفـتْ نـحـو مـا تَـبْـغـيـه مـن وَطَـرٍ
ولـم يَـسُـدُّ[3] الـذي قـد بـانَ مـن خـلـل
إن لـم تَـقَـعْ نـظـرةٌ مـنـه عـلـيـك فـمـا
يَـصْـبُـو لـديـك الّذي[4] امَّـلْـتَ مِـنْ أمـل
فـدونـك الـسَّـيِّـدَ الأعـلـى فـمـطـلـبـكـم[5]
قـد نِـيـطَ مـنـه بـفـضـلٍ غـيـر مُـنـفـصـل[6]
فـقـد خَـبَـرْتُ بـنـي الـدنـيـا بـأجـمـعـهـم
مـن عـالـم وحـكـيـم عـارفٍ وولـي[7]
فـمـا رأيـتُ لـه فـي الـنـاس مـن شَـبَـهٍ
قَـلَّ الـنَّـظـيـرُ لـه عـنـدي فـلا تَـسَـلِ
فـقـد[8] قَـصَـدْتُـكَ يـا أسْـمـى الـورى نَـسَـبًـا[9]
ولـيـس لـي عـن حِـمـى[10] عَـلْـيـاك مـن حِـوَلِ[11]
فـمـا سـواك لـمـا أمَّـلْـتُ مـن أمـل
ولـيـس لـي عـنـك مـن زَيْـغ ولا مَـيَـل[12]

---

(١) في الكتيبة: «الأرض».
(٢) في الكتيبة: «الناس».
(٣) في الأصل: «يَشِدّ»، والتصويب من المصدرين.
(٤) في الأصل: «اللذي»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.
(٥) في الكتيبة: «فطالبه قلّ النظيرُ له عندي فلا تَسَلِ».
(٦) في النفح: «منفصل» بالصاد المهملة.
(٧) في الأصل: «دول» والتصويب من النفح.
(٨) في النفح: «وقد».
(٩) في النفح: «همّا».
(١٠) كلمة «حمى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح ليستقيم المعنى والوزن معًا.
(١١) في الكتيبة: «. . . لي من علاك اليوم من وجل». والحول: التحول والانتقال. لسان العرب (حول).
(١٢) في الكتيبة: «وليس عندك من زيغ ولا مَلل».

فـانـظـرْ لـحـالـي فـقـد رقّ الـحـسـودُ لـهـا
واخـسِـمْ زمـانـةَ[1] مـا قـد سـاء مـن عِـلَـل
قَـدَّمْ[2] لـنـا ولـديـنِ الله تَـزفَـعُـهُ
مـا أُعْـقِـبَـتْ بُـكَـرُ الإصـبـاحِ بـالأُصُـلِ
لا زِلْتَ مُـعْـتَـلِيًـا عـن كـلّ حـادثـة
كـمـا عَـلَـتْ مِـلّةُ الإسـلام فـي الـمِـلَل

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله ابن عبد الرحمـٰن الغساني[3]

وادي آشي الأصل، يكنى أبا محمد.

حاله: كان[4] من جِلّة الأدباءِ، وفحول الشعراءِ، وبَرَعَة الكُتّاب. كتب عن الأمير أبي زكريا يحيىٰ بن إسحـٰق بن محمد بن علي المسُوفي الميُورُقي[5]، الثائر على منصور[6] بني عبد المؤمن، ثم على مَنْ بعده من ذرّيته إلى أيام الرَّشيد[7] منهم، وانقطع[8] إليه وصَحِبه في حركاته، وكانَ آية في بُعْد الهِمَّة، والذهاب بنفسه،

---

(١) الزمانة: المرض الدائم. لسان العرب (زمن).
(٢) في الكتيبة: «ودمْ لها». وفي النفح: «ودُمْ لنا».
(٣) ترجمة عبد البر الغساني في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) وفيه أنه توفي سنة ٦١٠ هـ أو نحوها، والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) وفيه أنه توفي سنة ٦١١ هـ. ورايات المبرزين (ص ١٦٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٢) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٤) و(ج ٥ ص ٤٧، ١٠٦).
(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).
(٥) أبو زكريا يحيىٰ بن إسحـٰق المسوفي هو ابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة وغرب الأندلس من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، قاوم الموحدين في أول استيلائهم على الأندلس فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.
(٦) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ١٧٠) والحلل الموشية (ص ١٢١).
(٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم المغرب والأندلس من سنة ٦٣٠ هـ إلى سنة ٦٤٠ هـ. البيان المغرب ـ قسم الموحدين (ص ٢٩٩) والحلل الموشية (ص ١٢٥).
(٨) في النفح: «وكان منقطعًا إليه، وممن صحبه...».

والعناء[١]، ومواقف الحرب، فإنه دَهِم في المثل، أشبَه امرءًا يعضُ بَرّه، فقد كان أليَقَ الناس بصُحْبة الميُورقي، وأنسَبهم إلى خدمته.

مشيخته: روى عن أبي زيد بن السُّهيلي[٢].

بعض أخباره في البأو والصَّرامة: حدَّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عمن حدّثه من أشياخه، قال[٣]: وجّهه الميورقي في عشِيَّة يوم من أيام حروبه إلى المأزق، وقد طال العِراك، وكاد يكلُّ الناس عن الحرب، إلى أن يباكروها من الغد، فنَفَذ لما أُمر به. ولما بلغ الصَّدر اشتدّ على الناس، وذَعِر[٤] أرباب الحفيظة، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحَمْلة، فانهزم عدوُّهم شرَّ هزيمة، ولم يَعُد أبو محمد إلّا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذي عَمِلت هو شأني، وإذا أردتَ مَنْ يَصْرف الناس عن الحرب ويُذْهب ريحهَم، فانظر غيري.

وحدّثني[٥] كذلك أنّ وَلَدًا له صغيرًا تشاجر مع تِرْبٍ له من أولاد أميره أبي زكريا، فنال منه ولد الأمير، وقال: وما قَدْر أبيك؟ ولمّا بلغ ذلك أباه خرج مُغْضَبًا لحينه، ولقي ولدَ الأمير المخاطِبَ لولده، فقال: حَفِظك الله! لستُ أشكُّ في أنّي خديم أبيك، ولكني أحبُ أن أعرِّفك بمقداري[٦] ومقداره، اعلمْ إنّ أباك وَجَّهني رسولًا إلى الخليفة[٧] ببغداد بكتاب عن نفسه، فلمّا بَلَغْتُ بغداد نَزلت[٨] في دار اكتُرِيَتْ لي بسبعة دراهم في الشهر، وأُجري عليّ سبعة دراهم في اليوم، وطُولع بكتابي، وقيل: مَنِ الميورقي الذي وَجّهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مَغْربي ثائر على أستاذه. وأقمْت شهرًا، ثم استُدْعِيتُ إلى الانصراف، ولمّا دخلت دار الخلافة وتكلّمتُ مع مَنْ بها من الفضلاءِ، أرباب[٩] المعارف والآداب، اعتذروا لي، وقالوا للخليفة: هذا رجل جُهل مقداره، فأُعِدْتُ إلى محلّ اكتُري[١٠] لي بسبعين درهمًا، وأُجْري عليّ مِثْلَها في اليوم، ثم استُدْعِيتُ، فودعت الخليفة، واقتضيت ما تيسّر من جوابه[١١]، وصدر لي شيء له حَظٌّ[١٢] من صِلته. وانصرفْتُ إلى أبيك.

---

(١) في النفح: «والغناء في مواقف...».

(٢) في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) والمقتضب (ص ١٦٨) «روى عن أبي القاسم السهيلي».

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٤) في النفح: «وذمَّر».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧).

(٦) في النفح: «بنفسي ومقداري ومقدار أبيك».

(٧) في النفح: «إلى دار الخلافة».

(٨) في النفح: «أُنزِلتُ».

(٩) في النفح: «وأرباب».

(١٠) في الأصل: «اكتريت» والتصويب من النفح.

(١١) في النفح: «حوائجه».

(١٢) في الأصل: «خطر» والتصويب من النفح.

والمعاملة الأولى كانت على قدْر أبيك عند مَنْ يعرف الأقدار، والثانية كانت على قَدْري والمنّة لله. وأخبار ابن فُرسان كثيرة.

شعره: وقد تعمّم الأمير[1] بعمامة بيضاء، ولبس غِفارة حمراءَ على جبّة خضراءِ، فقال[2]: [الطويل]

فديتُك بالنّفس التي قد مَلَكْتَها بما أنتَ مُوليها مِنَ الكَرَمِ الغضّ

تَوَدَّدتَ[3] للحُسْن الحقيقيّ بَهْجَةً فصار بها الكُلّيُّ في ذاك كالبعض[4]

ولمّا تَلالا[5] نورُ غُرّتك التي تُقَسّمُ في طول البلادِ وفي العَرْض

تلقّفْتَها[6] خَضراءُ أحْسَنَ ناظرٍ نَبَتْ عنك إجلالًا وذاك من الفَرْض

وأسْدَلْتَ حُمْرَ[7] الملابس فوقها بمفْرِق تاج المَجْد والشَّرَف المَحْض

وأصْبَحْتَ[8] بَدْرًا طالعًا في غَمامةٍ على شَفَقٍ دانٍ إلى خُضْرة الأرض

ومن شعره، ولا خفاءَ ببراعته[9]: [الطويل]

نَدًى مُخضِلًا ذاك الجَناحَ المُنَمْنَما وسَقْيًا وإن لم تَشْكُ يا ساجعًا[10] ظَما

أعِدْهُنَّ ألحانًا على سَمْعِ مُغرِبٍ يُطارحُ مُرتاحًا على القُضْب مُعْجِما

وطِرْ[11] غير مقصوصِ الجناح مُرَفَّهًا مُسَوَّغَ أشتاتِ الحُبوب مُنَعَّما

وقال أيضًا رحمه الله[12]: [الطويل]

كَفى حَزَنًا أنّ الرماح[13] صقيلةٌ وأنّ الشَّبا رَهْنُ الصَّدى بدِمائِهِ

وأنّ بيادِيقَ[14] الجوانب فَرْزَنَتْ ولم يَعْدُ رُخُّ الدَّسْتِ بَيْتَ بنائِهِ

---

(١) الأمير هو ابن غانية، مخدوم عبد البر بن فرسان.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٥). (٣) في النفح: «تَرَدَّيْتَ».

(٤) في الأصل: «البعض»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) في الأصل: «تلألأ»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٦) في النفح: «تَلَفَّعْتَها». (٧) في النفح: «حَمْراء».

(٨) في النفح: «فأصبحْتَ».

(٩) الأبيات في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٠) في الأصل: «يأسًا جعاضما» وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المقتضب: «فَطِرْ».

(١٢) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٣) في المقتضب: «الزجاج». (١٤) في المقتضب: «بياديق» بالدال المهملة.

عبد المنعم[(١)] بن عمر بن عبد الله بن حسّان الغسّاني

جلياني[(٢)]، من أهل وادي آش، وتردّد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، وأبا الفضل.

حاله: تجوّل ببلاد المشرق سائحًا، وحجّ ونزل القاهرة، وكان أديبًا، بارعًا حكيمًا، ناظمًا ناثرًا.

تواليفه: وله مصنّفات منها «جامع أنماط السائل، في العروض والخطب والرسائل»[(٣)]، أكثر كلامه فيه نظمًا ونثرًا.

مشيخته ومَن روى عنه: روى عنه أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، وأبو عبد الله بن يحيىٰ المُرْسي.

شعره: قال من شعره[(٤)]: [الطويل]

ألا إنّما الدُّنيا بِحارٌ تلاطمتْ ... فما أكْثَرَ الغَرْقى على الجَنَباتِ

وأَكْثَرُ مَنْ[(٥)] لاقيتُ[(٦)] يُغرِق إلْفَهُ ... وقَلَّ فتًى يُنْجي[(٧)] مِنَ الغَمَراتِ

وفاته: سنة ثلاث وستمائة[(٨)].

(١) في الأصل: «عبد العظيم» والتصويب من المصادر التي ترجمت له وهي: التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٤٣) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٥٧، مادة جليانة) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٦٣٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣١٣) و(ج ٣ ص ٣٥٧، ٣٧٨) و(ج ٦ ص ١٠٠) والغصون اليانعة (ص ١٠٤).

(٢) نسبة إلى جليانة، وهي حصن بالأندلس من أعمال وادي آش، يقال لها جليانة التُّفاح لجلالة تفاحها وطيبه وريحه، إذا أكل وُجد فيه طعم السكر والمسك. معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٥٧).

(٣) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧): «جامع أنماط الوسائل، في القريض والخطب والرسائل».

(٤) البيتان قالهما في سنة ٥٦٨ هـ، وهما في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) و(ج ٦ ص ١٠٠).

(٥) في الذيل والتكملة: «ما». (٦) في التكملة: «صاحبتُ».

(٧) في الأصل: «ينجو» والتصويب من المصادر.

(٨) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩): توفي سنة ٦٠٣ أو نحوها. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧): توفي سنة ٦٠٢ هـ. وفي نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) مات سنة ٦٠٣ هـ، وفي المصدر نفسه (ج ٣ ص ٣٧٨): ولد بجليانة سابع المحرم سنة ٥٣١ هـ، ومات بدمشق سنة ٦٠٢ هـ.

فهرس المحتويات

حرف النون الملوك والأمراء

حرف الصاد من الأعيان والوزراء

حرف العين من ترجمة الملوك والأمراء